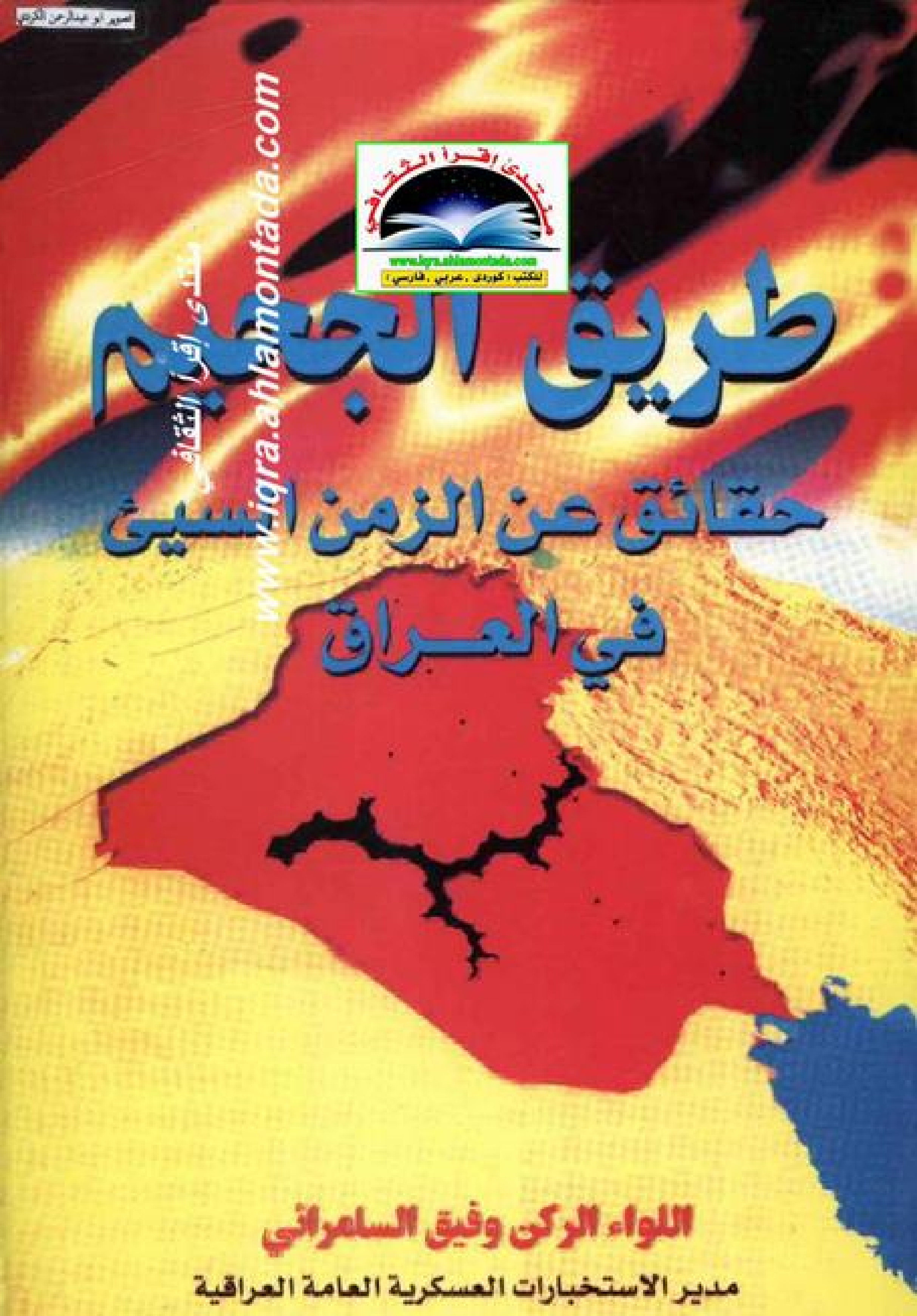

طريق الجحيم
حقائق عن الزمن السيئ
في العراق
اللواء الركن وفيق السامرائي
مدير الاستخبارات العسكرية العامة العراقية


منتدى إقراء الثقافي

طريق الجحيم

وحقائق عن الزمن السيئ في العراق

للـــواء الركن وفيق السامرائي
مدير الاستخبارات العسكرية العامة العراقية

الاهـــداء

باسمك اللهم

واليك ياشعب العراق

جيشنا العزيز:

بناك الاحرار بدمائهم وعرقهم، حتى اصبحت قوة اقليمية فاعلة.
الانتصارات على طريق الحق وحماية البلاد لك وحدك، أما النكبات التي لحقت بالبلاد، سياسية كانت أم عسكرية، فانها هزائم الطاغية وحده.
أحببناك منذ الصبا، وها نحن نكتب لك من تاريخك المجيد في سلسلة الكتب التي عزمنا على كتابتها بعون الله، ابتداء من كتاب "حطام البوابة الشرقية".

❁ ❁ ❁

لقد اضطلع الأخ والصديق الأستاذ محمد جاسم الصقر – رئيس تحرير صحيفة القبس، بدور كبير في تيسير نشر وطباعة كتاب "حطام البوابة الشرقية" وهذا الكتاب: "طريق الجحيم"، ومتابعة وتبني نشر الحقائق التي تتطلب الضرورات الوطنية ان يكون لها المكان المناسب من كتب المراحل العصيبة من تاريخ العراق.
فله ولأسرة "القبس" الشكر والعرفان بالجميل.

وفيق السامرائي



المقدمـة

توخيت فـي الكتـاب الاول "حطـام البوابـة الشـرقية" التطـرق بايجـاز الـى بعـض جوانب المعضلة العراقية، واضطررت احيانـاً الـى اعطـاء مـادة مضغوطـة مـن الحقائق لتكوين فكرة وصورة شمولية واضحة عن الوضع في العـراق علـى امـل العـودة لاعطاء التفاصيل اللازمة مقرونة بحقائق تاريخية لـم يجـر الكشـف عنهـا سابقاً خدمة لقضيتنا العادلة، ولكي لا تغور حقائق الاوضـاع الاليمـة تحـت وطـأة التطبيل الصدامي.

وحاولت في هذا الكتاب عرض مايستلزم عرضه فـي المرحلـة الحاليـة للمسـاهمة في كشف ابعاد الحقبة السوداء التي مر فيها العراق خلال الثلاثين عاماً الماضية.

ان العديد من المواطنين العرب والصحـافيين لـم يترددوا فـي طـرح الاستفسـار التقليدي "لماذا عارضتم النظـام؟ لمـاذا تعـارضون "صـدام" لتصطدمـوا بمواقـف غير التي تأملونها؟" وللاجابة عن هـذا لا بـد مـن مراجعـة مسـاحة الاوراق التـي كتبت عن المعضلة العراقية المعقدة بكل اشكالها، ومع ذلـك يمكـن تحديـد محـاور دوافع المعارضة بما يلي:

١- جـاء صـدام الـى الحكـم مـن خـلال الحـزب، واراد تحويـل الحـزب والقـوات المسلحة بل، والعراق كله لخدمة اهدافه وتطلعاته الشخصية، فقرّب اهله علـى كـل العراقيين بطريقـة غير مسبوقة لدى العراقيين، وهو امر يستحيل فرضه من دون استخدام غاشم للقوة (ولفترة لا يمكن ان تمتد الى ما لا نهاية)، وتطلب هذا فرض انظمة وسن قوانين لا يمكن القبول بها واقرار مشـروعيتها تحـت أي ظـرف مـن

الظروف، وكان من بين القوانين الحكم بالاعدام على كل من يسمع شخصاً يتهجم على رئيس الجمهورية ولم يخبر عنه، فأصبح الناس في حالة رعب من المجهول.

٢- ان للعراق مصالح عليا، كما ترتبت على علاقاته الاقليمية مشاكل وحقوق تاريخية واخرى فرضتها الظروف الراهنة، وهذا يتطلب حكمة في القيادة وابتعاداً عن الاهواء والاوهام الفردية، فالقيادة الكفء هي تلك التي تعمل دائماً وفق قواعد وسياقات صحيحة وتقدير سليم للموقف. كما ان القناعة بامتلاك الحق وحدها غير كافية لضمانه أو لاستعادته، فلا بد من توفر العوامل المؤدية الى النجاح قبل تقرير الاقدام على أية خطوة نحو الامام، وخصوصاً عندما تكون الخطوة متعلقة بالاستخدام الواسع للقوات، وقد خرق صدام هذه القواعد خرقاً شاملاً وخطيراً.

٣- ان القيادة (اية قيادة) تتحمل الاثار التاريخية والمادية والمعنوية التي تترتب عليها أية قرارات كبيرة تقدم عليها مادامت اتخذت القرارات بعيداً عن تفويض واضح من الشعب وبغياب ممثلين حقيقيين عنه، ولذلك فان الفشل الاستراتيجي في تحقيق اهداف الحرب يتحمل اثاره صدام شخصياً بصرف النظر عن مدى مشروعية النوايا والمنطلقات من عدمها.

٤- ليس كافياً وجود حق معين أو حقٍ شاملٍ لشن حرب أو اتخاذ قرارات خطيرة من دون تقدير شامل للموقف ومن دون تأمين مستلزمات النجاح الاستراتيجي.

٥- تسببت سياسة صدام بالحاق تدمير واسع في المصالح الاستراتيجية العليا للبلد، كما عمد في الوقت نفسه اتباع سياسة خطيرة تستهدف تصفية القادة العسكريين والسياسيين لمجرد الشك في ولائهم.

٦- ان غياب القدر الادنى من الديمرقراطية في بلد كالعراق يعتبر كارثة حقيقية في الجانب السياسي والحضاري، كما ان الغياب الكامل للديموقراطية تمخض عنه دكتاتورية استبدادية فريدة من نوعها في العالم.. ومثل هذه الحالة لا يمكن

فرضها على الشعب العراقي بعد عقود عدة من النضال السياسي، وليس من المعقول عدم وجود صحيفة واحدة حرة أو لديها هامش بسيط من الحرية، بل وعدم وجود صحيفة واحدة غير مملوكة للدولة في بلد كالعراق.

□□ مسألة الكويت

اراد صدام تسويغ كارثة قرار اجتياح الكويت باتجاهات متداخلة منها:

- ضلوع الكويت في مؤامرة غربية - خليجية تستهدف الاضرار ببرامج التنمية العراقية، وهو اتهام لا يستحق ولا يتطلب الاستخدام الواسع أو المحدود للقوة.
- تعرض العراق لمؤامرة خطيرة تطلبت نقل المعركة قبل حصولها الى اراضي الطرف الآخر.
- بهدف اعادة الكويت الى حالتها الاصلية كجزء من العراق.

وبعيداً عن المناقشة المتعلقة بالجوانب التاريخية فان المسوغات المذكورة تبدو غير مقبولة، وعندما يناقش الموضوع من الزاوية الواقعية تبرز الملاحظات التالية:

١- كنا، ولقرون عدة، نمثل ونقود اكبر واقوى واوسع امبراطورية في العالم وقد اندثرت تلك الامجاد تحت عهود الاحتلال الاجنبي، ونتيجة لانهيار الدولة العثمانية جرى تقسيم المنطقة وفقاً للمصالح الدولية واحياناً لوقائع الجغرافيا، وان الثقافة التي نشأنا عليها تبين ان الحدود بين الدول العربية حدود مصطنعة اوجدتها الدول الاجنبية، الا أننا وعلى أية حال ورثناها هكذا، واصبحت ارثاً تحرص على استمراريته الدول العربية قبل غيرها.

٢- لم نر نحن العراقيين الكويت وهي جزء من اراضينا وسيادتنا الوطنية، وهي لم تنسلخ عنا مثلما تنازل صدام عن النصف الشرقي لشط العرب، ثم حاربنا الايرانيين ثماني سنوات من الدم والنار، وكانت احدى غايات الحرب الاساسية اعادة النصف المسلوخ من شط العرب ولم يكن بالمستطاع تحقيق هذه الغاية.

٣- برزت أهمية منطقة الخليج بصورة خاصة نتيجة اكتشاف كميات هائلة من النفط فيها، وبما ان العالم اخفق حتى الآن في التوصل الى طاقة عملية واقتصادية بديلة عنه فينبغي النظر الى أية احتكاكات من زاوية المصالح الكبرى المتضاربة، وان أية عملية ضم أو احتلال بل ان أية حركة وحدوية بين الاقطار المتجانسة تعد خطاً احمر تترتب على تجاوزه عواقب غير محددة الابعاد، لان أية حركة من هذا القبيل قد تؤدي الى تغيير مفاجئ في المعادلات السائدة بما في ذلك حصول ارتفاع حاد في اسعار النفط وما يترتب عليه من اثار سلبية على الاقتصاد العالمي الامر الذي تترتب عليه ردود فعل دولية عنيفة.

٤- ان العراق بلد غني من كافة الاتجاهات، ففضلاً عن امتلاكه ثاني اكبر احتياطي نفطي في العالم (وربما الاول) لديه كميات وفيرة من المياه تذهب غالبيتها العظمى الى الخليج هدراً، ولديه كثافة سكانية معتدلة واراض زراعية خصبة ومستوى ثقافي يتطور باستمرار كما انه يضم تضاريس ارضية متعددة واثاراً كثيرة يمكن ان تكوّن قاعدة حقيقية لجذب اعداد كبيرة من السياح وتأمين عوائد مالية تساعد في انعاش البلد اقتصادياً وحضارياً، ولذلك لا يجوز النظر الى ثروة الكويت بطريقة تجر الى مخاطر التدمير.

٥- ان الكويت لم تكن يوماً من الايام غصة في نفوس العراقيين، ولم نسمع مرة واحدة من عموم العراقيين حديثاً عن عائدية الكويت للعراق بطريقة المطالبة أو الحسرة أو الحنق ، الامر الذي لا يستدعي المغامرة لمجرد اعتبارات تاريخية.

وبصرف النظر عن هذا كله وبصرف النظر عن حقائق التاريخ فان القرار لاتخاذ أية خطوة لا يجوز ان يستند الى المعطيات التاريخية أو القانونية وحدها بقدر ما يجب استناده الى محصلة الدراسات والاحتمالات المتوقعة وردود الافعال وما يمكن ان يؤدي اليه.

ان المطالبة بالكويت لا تشكل انجازاً تاريخياً بل ادت الى احداث كارثة تدمير حقيقية في الوضع العراقي، وينبغي قراءة التاريخ من زاوية المعطيات والظروف الحالية. وعندما يراد الاقدام على شيء ما تطرح الاسئلة نفسها "هل

الوضع الدولي يساعد؟ هل تتوفر القدرة على العمل؟ هل تتوفر قدرة الاستمرارية؟ ما نسبة النجاح المتوقعة؟". ثم، وقبل هذا كله، هل هنالك مشروعية حقيقية؟.

□□ القرارات الدولية والموقف الاميركي

اثبتت احداث السنوات الاخيرة وجود ثلاث دوائر تحيط بالقضية العراقية، هي:

الدائرة العربية: وتتمثل بفقدان المبادرة ووجود مصالح متضادة ومتعاكسة فيما بين الاطراف العربية، الا انها تبقى دائرة مهمة.

الدائرة الكبرى: وتشمل الاطار العام لحركة المصالح الدولية المتضادة وتتراوح بين الرغبة والعمل غير الدقيق لاسقاط صدام والرغبات والمصالح النفعية التجارية.

ويبدو ان الغرب المعادي لصدام يعمل ضمن دائرة تنفيذ قرارات مجلس الأمن مع وجود الرغبة بسوق المراحل لجهة التخلص من صدام.

الدائرة العراقية: وتتضمن نشاطات العراقيين الهادفة الى اسقاط صدام.

ومن هنا لا بد من الادراك بان لكل طرف من الاطراف المذكورة مصالح خاصة به، وتتحرك هذه الدوائر في الفلك العراقي، فتتقاطع احياناً تقاطعاً ايجابياً، وتبتعد عن بعضها احياناً اخرى، ولذلك فان التعويل على أي من الدائرتين في اسقاط صدام يعتبر تعويلاً في غير محله بقدر مايمكن الاستفادة من حالات التقاطع الايجابي ظرفياً أو استراتيجياً.

وهذا يتطلب من المعارضة عدم الخضوع لدائرة المصالح الدولية المتناقضة. كما ان العديد من القرارات الدولية لا تخدم مستقبل الشعب العراقي الا انها على أية حال فرضها مجلس الأمن وتسبب في وقوعها صدام مباشرة وقبل بها هو ايضاً لغرض واحد لا غيره ينحصر في المحافظة على كرسي الحكم، فمسألة التعويضات واحدة من الكوارث التي وقعت على كاهل الشعب ومستقبله، والتي لا بد من رفعها فور تغيير النظام في العراق.

كما يعد قرار ازالة اسلحة الدمار الشامل في العراق من اخطر القرارات التي يصر المجلس على تنفيذها، وقد ارتكب النظام جريمة حقيقية في جعل الوضع المعاشي للشعب العراقي مرهونا بمستقبل هذه الاسلحة فيما كان عليه ان يتذكر ولو لمرة واحدة. ان الشعب هو اغلى من كل شيء.

▫▫ موقف المعارضة العراقية ووضعها

ان مئات القادة من العسكريين والسياسيين، وغالبيتهم العظمى من البعثيين اتخذوا موقفاً متصدياً للسياسة الصدامية داخل العراق وداخل المؤسسات الحكومية، واخذوا طريقهم على درب الشهادة، ولم تكن المعارضة في الخارج الا حصيلة رشح المعارضة الداخلية احياناً ونتيجة فوران معارضة الداخل نحو الخارج في احيان اخرى.

لقد اصبحت المعارضة في الخارج في وضع لا تحسد عليه، وتقع مسؤولية هذا على اكثر من طرف، فالدول المعنية بالصراع التي ساندت ودعمت اطرافاً في المعارضة، ثم المعارضة نفسها، وبعض الدول العربية كل ذلك مسؤولٌ عن الفشل وليست المعارضة وحدها.

كما ان عدداً من المعارضين اكتفوا بالواقع الذي يعيشون فيه معتمدين على مساعدات شهرية تقدم اليهم بطريقة جعلتهم رهينة لتلك المساعدات التي سلبتهم حرية الاختيار والقرار في مرحلة نضالية حساسة، بل ان العديد منهم (وهم من الضباط والمدنيين) لم يمارسوا ادواراً حقيقية أو حتى شكلية ضد النظام واكتفوا بالعيش على ماتقدمه اليهم المخابرات الاجنبية متخلين عن الواجب المطلوب من خلال صمتهم وتقاعسهم، ولم يكتف العديد منهم بذلك بل جعلوا من أنفسهم عثرات مؤسفة على طريق العمل الوطني العراقي.

وللاسف فان العديد من هؤلاء الاشخاص الذين يتقاضون رواتب شهرية (حوالي خمسة الاف دولار) أو اولئك الذين يتقاضون عشرات الالاف من الدولارات شهرياً وغيرهم مر السابقين اصبحوا مهمومين وحريصين على استمرار هذه

الاموال، ولذلك، فانهم يقفون ضد العديد من الخطوات المهمة لذرائع واهية، ليس حباً بصدام بل حباً بالاموال التي يستلمونها، وانهم في هذا يفقدون الحق في الحديث عن الوطنية، أو ان يكونوا آخر المتكلمين وكان من الممكن ان يكون الرأي مقبولاً لو جاء من معارضين يعانون من كدح العيش.

ولم تتعاط الدول مع المعارضة بطرق صحيحة، وقد تصرفت أطرافٌ من المعارضة طبقاً لمصالح تلك الدول التي اخذت اشكالاً مختلفة، منها:

- تكليفهم بجمع المعلومات عن العراق، وكانت رؤيتنا لذلك منذ البداية كما يلي:

١- لقد اخذ الصراع بين الشعب والنظام ابعاداً حاسمة لا رجعة عنها ونظراً لشراسة النظام فلا بد من استخدام كافة الوسائل المنطقية لمجابهته ومنها المعلومات، والحقيقة الراسخة هي ان الغالبية العظمى من الاسرار في العراق اصبحت مكشوفة تماماً وان الغرب لم يعد بحاجة فعلية للمعلومات مادام بامكان لجنة ازالة اسلحة الدمار الشامل الدخول الى كل المواقع في العراق وتدقيق وتحليل الوثائق بالغة السرية، ولا شك في ان هذه اللجنة تعمل بتنسيق قريب مع اجهزة المخابرات العالمية.

٢- ان غالبية المعطيات داخل العراق والنظام لا بد من تغييرها بعد سقوط النظام واعادة بناء الدولة بطريقة اخرى بناءة ولذلك فان ما يمكن ان تحصل عليه المعارضة من معلومات لا يساوي شيئاً في المستقبل كما لا يساوي شيئاً مقابل ما تحصل عليه لجنة ازالة اسلحة الدمار الشامل من معلومات هائلة.

وعلى الرغم من ذلك، فان الحد الفاصل بين حالتين: صحية وغير صحية يمر بين: قبول الاستجابة للطلبات الدولية لجمع المعلومات التي تسعى تلك الدول للحصول عليها (مقابل دعم مالي) من دون ان يصب ذلك في خدمة اتجاه واضح يؤدي الى سقوط صدام وهذا ما لا يجوز القبول به تحت أي ظرف . . أن تقدم المعارضة هي ماتريد ان تقدمه من معلومات الى اطراف دولية مباشرة أو عن طريق وسائل الاعلام لتعرية النظام وكشف نواياه وخلق تعقيدات تحول دون عودته الى الساحة الدولية واستثمار المعلومات لتوفير فرص افضل لتحرك

القوات المسلحة لتأمين خلاص الشعب من الطاغية. ووفق هذه الرؤية حرصنا على الحديث مع وسائل الاعلام العالمية وغيرها، وشجعنا الدول مباشرة على الوقوف بوجه اعادة تأهيل صدام وكشف نواياه وتحركاته.

كما ان المعارضة الحقيقية تبقى بحاجة فعلية للحصول على المعلومات عن الاوضاع المختلفة داخل العراق من دون توجيه خارجي، واستخدامها بالطرق التي تراها مناسبة للمساعدة في تخليص الشعب من صدام، وللتخطيط نحو تغيير الاوضاع، وتأخذ هذه المعلومات هامشاً يمتد من مراقبة الوضع المعيشي للمواطن الى نوايا وخطط النظام مروراً بالانتشار العسكري ومواقع واسماء القادة للوقوف على قدرة التغيير واستثمار الظروف المناسبة.

لقد حاولنا في السنوات الثلاث الماضية التفاعل البناء وتصعيد النشاط السياسي والاعلامي بقوة تميزت عن نشاطات الآخرين، واضطر النظام مقابل ذلك الى شن حملة اعلامية ضدي شخصياً.

وارتقى عدد من رفاقنا من عناصر وقادة مجموعات تنظيمية من حركتنا الوطنية العراقية داخل العراق سلم الشهادة في سبيل الشعب.

وفي الوقت نفسه تحاول عناصر رجعية ووصولية موتورة الوقوف في طريق التغيير السلمي، لأنهم يريدون ان يخلقوا كياناً لا يمكن القبول به، ويريدون ايجاد كيانات معنوية وسياسية لهم على حساب العراق ومستقبله، فيما بقيت النظرة اليهم بأنهم من ادران الماضي الغابر.

وحافظنا على استقلاليتنا الوطنية بعيداً عن دوائر التأثير، واخترنا العيش البسيط بدل عروض الاعتياش على ما تقدمه بعض الاجهزة الاجنبية التي لم نجد في برامجها النهج المطلوب والكفيل بانهاء محنة الشعب.

واختار من يستطيع العمل من ابنائي العمل اليومي للحصول على حاجاتهم على الرغم من صغر اعمارهم، عقب مغادرة العراق من دون علم منهم، فتحملوا ماتحملوا نتيجة الصراع بيني وبين النظام من دون ذنب اقترفوه حيث كان عمر الكبير منهم ١٤ عاماً، فيما ولد أحمد بعد مغادرة العراق باسبوعين، وكلما تتذكر

امهم وباسلوب لايخلو من توجيه اللوم اليّ كيف جاءتهم مجموعة في وقت مبكر من صباح احد الايام لتخبرهم ومن دون سابق اتفاق "ان اباكم غادر نحو الشمال وان سيارات المخابرات تحوم حولكم وسيذبحونكم" وطلبوا منهم الاسراع بالمغادرة معهم الى مكان يختفون فيه، ثم اصطحبوهم الى مدينة الموصل ومنها الى اربيل.. كلما تتحدث امهم بهذا أشعر بالذنب تجاهها وتجاه اولادنا لاني كنت السبب في تركهم بلدهم وأهلهم في ساعة من الفزع بعيداً عن اختيارهم بل بعيداً عن اعطاء امهم لحظة للتفكير. اما بالنسبة لي شخصياً فان الامر يختلف تماماً وانه امر لا بد منه، كما ان ماقمت به يمثل امتداداً حقيقياً لارادة عامة بحتمية تغيير الاوضاع لصالح الشعب.

◻◻ الامـل

كان هنالك بعض الامل في ان تكون برامج الآخرين عناصر مساعدة حقيقية لتخليص الشعب من صدام ونظامه. وكنت اقول للعديد من المسؤولين العرب قبل ثلاث سنوات ان مرور الوقت ليس في صالحنا، وهو ما لم يكونوا مقتنعين به.

عشت متفائلاً طيلة حياتي الماضية، وكنت متفائلاً بوجود فرص حقيقية لتخليص الشعب من صدام ومن اعداء مستقبل العراق، فوجدت الآخرين يبعدون كثيراً عن الموقع المطلوب وهذا يتطلب توخي العمل الاستراتيجي بعيد الامد مع عدم اغفال الجوانب التعبوية واستمرارية التحركات السرية اللازمة على الطريق الصحيح مستذكرا قول الامام الشافعي:

ولربَ نازلةٍ يضيق لهـا الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فـرجت وكنت أظنها لا تفرجُ

ويقيناً سيأتي اليوم الذي يعود فيه العراق كما نريد له، وستبقى المؤامرات والدسائس كسيحة، واذا كان لها ان تؤدي الى شيء، فالى استنهاض همم الاحرار نحو الخلاص متعدد الاشكال، ولو كره الكارهون.

اللواء الركن
وفيق السامرائي
لندن - ٣آذار ١٩٩٨



النشأة الاولى لطاغية العراق

تقع مدينة تكريت على مسافة ١٧٠ كيلومتراً شمال بغداد، وتحتل موقعاً لطيفاً على مرتفعات تطل على الضفة الغربية لنهر دجلة، وهي على العموم مدينة صغيرة ومتخلفة اقتصادياً، حيث لم تقم الدولة فيها (سابقاً) أية مشاريع صناعية أو زراعية مهمة، ولكون النهر يفصل بينها وبين الاراضي الخصبة على الضفة الشرقية وعدم وجود جسر للتواصل بين الضفتين فقد اصبحت مدينة تكريت فقيرة زراعياً، ومايدر عليها من زراعة اراضي البادية الغربية (الجزيرة) لم يكد يُذكر، ورغم ذلك فقد نشأ فيها جيل من الشباب انخرطوا بثلاثة اتجاهات سياسية: الحزب الشيوعي وقد ازدادت اعداده مقابل الآخرين عام ١٩٥٩ في مرحلة المد الاحمر، وحزب البعث العربي الاشتراكي، وعدد قليل من حملة الافكار الناصرية.

وعلى مسافة ٥ - ٧ كيلومترات جنوب تكريت تقع قرية العوجة المكونة من خرائب مبنية من الطين، وسكنت هذه القرية جماعة من عشيرة "البوناصر" تسمى "البيجات" نسبة الى كلمة "بك" التركية لقب بها "ندا بك" والد زوجة الرئيس أحمد حسن البكر، الذي ابتدأ حياته معلماً في المدارس الابتدائية ثم ضابطاً في الجيش، وعمر الهزاع احد ضباط الجيش الاقدمين فيما كان الفقر المدقع يحيط بحياة الآخرين.

ورغم حالة البؤس التي يعاني منها اهالي القرية فقد كان التكارتة (سكنة مدينة تكريت) ينظرون اليهم بعين الازدراء، مما دفعهم للتردد الى مدينة سامراء التي

تبعد عن قريتهم حوالي ٤٠ كيلومترا لغرض التسوق أو طلبا لمستلزمات العيش.
وفي هذه القرية (العوجة) ولد صدام من صبحة طلفاح شقيقة خير الله طلفاح، ولم ير اباه، حيث توفي زوجها قبل ولادة صدام، ثم تزوجت من ابراهيم الحسن الملقب "الزكلابي" - لما عرف عنه من تقلب وعدم الصدق.
لقد سبق لابراهيم الحسن التزوج من امرأة اخرى انجبت له ادهام. كما انجب من صبحة كلا من برزان وسبعاوي ووطبان، وبذلك اصبح ادهام اخا لصدام (بالاستنابة) لكونه اخا لابناء صبحة من ابيهم ابراهيم الحسن.

▫▫ تصدع العائلة

ولا يعرف السبب الذي جعل صدام لا يشعر بالارتياح لادهام، وربما يعود ذلك لعدم ارتياحه لعقدة الترابط المتشعب، وعندما كبرت ابنة صدام اراد برزان واخوته تزويجها من نمير ابن اخيهم ادهام، فتلقى صدام الفكرة بتشنج شديد واسرع لعقد قرانها على حسين كامل في عام ١٩٨١، فجعل الله سبحانه وتعالى من هذا الزواج سبباً لاحداث أول تصدع في عائلة صدام. فقد طرد صدام اخوته الثلاثة من مراكزهم الوظيفية، وليرجئ الفصل الثاني من المسرحية الى عام ١٩٩٥ حيث خرج حسين كامل متمرداً على عمه صدام ثم عودته من عمان الى بغداد بعد بضعة اشهر ومقتله مع ابيه واخويه صدام وعبد الحكيم، وعدد آخر من افراد عائلته بأمر من صدام.
وعلى أية حال، قُتل ادهام ابراهيم الحسن في حادث طريق غريب ووُجهت اصابع الاتهام الى صدام من قبل عمومتهم والعارفين بحقيقة العلاقة.
لقد ولد صدام في اجواء الفقر وسط عشيرة صغيرة في قرية لم يعرفها غير اهالي تكريت وسامراء، الا انها تأثرت بافكار البعث والحزب الشيوعي على حد سواء، فكان علي حسن المجيد (أبن عم صدام واحد اهم ادواته القمعية بعد ثلاثين عاماً)، من حصة الحزب الشيوعي، ثم حزب البعث فيما بعد، وفي مثل هذه

الاجواء دخل صدام معترك الحياة محققاً تقدماً ونشاطاً متميزين عن اقرانه بصرف النظر عن نواياه الشريرة والعدوانية.

وما من شك فان نجاح شخص ما في اختراق جدار الصراعات والوصول الى الموقع الاول في دولة مثل العراق يدل على ان لديه جوانب من القوة كانت العنصر الاهم في ذلك النجاح، على الرغم من العوامل المساعدة لتحقيق الهدف، ومنها عدم فطنة الكثير من رفاقه في قيادات الحزب المختلفة، والعفوية التي اتبعوها في ممارساتهم.

▫▫ محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم

لقد اتسمت فترة حكم عبد الكريم قاسم (تموز ١٩٥٨ - شباط ١٩٦٣) بمزيج من الاضطراب الامني الداخلي الناجم عن التناحر الحزبي وخاصة بين التيار القومي العربي والحزب الشيوعي، وتخلف الاداء السياسي والقيادي للدولة، وعلى الرغم من تمتع قاسم بقدرة مهمة من السيطرة على القوات المسلحة وتوافر مؤشرات الحزم في سلوكه، الا انه تردد كثيراً في استخدام السلطة لتصفية معارضيه وغالباً ما فقدت القرارات الحاسمة الارادة التنفيذية الكاملة، ولذلك شهدت فترة حكمه اصراراً لدى الطرف المقابل على مواصلة المجابهة حتى اسقاطه فجاءت حركة الشواف في الموصل عام ١٩٥٩ الذي اعلن فيها التمرد العسكري على السلطة، ثم محاولة اغتياله في شارع الرشيد وسط بغداد التي نفذت من قبل مجموعة كبيرة من البعثيين النشطين، وقد اصيب صدام اثناء التنفيذ باطلاقة خفيفة في ساقه من نيران المنفذين، ثم استخرجت من قبل أحمد طه العزوز احد قادة الحزب، وتمكن صدام من التملص من منطقة العملية وجرى تهريبه الى سوريا بمساعدة جماعة البدور من عشيرة البوعاس في سامراء. وكانت هذه الحادثة نقطة البروز الاولى لصدام، وعندما نراجع سجل هذه الحادثة نلاحظ مايأتي:

١- اعتاد عبد الكريم قاسم على التجول في مدينة بغداد من دون أية حماية مسلحة أو غير مسلحة، وعندما وقع الحادث كان يتنقل بسيارته الرسمية مع سائق ومرافق واحد فقط مما شكل هدفاً مناسباً ومع ذلك لم تتمكن قوة التنفيذ من قتله بل اصابته بجروح طفيفة.

٢- لم يكن عبد الكريم قاسم راغباً بتصعيد الموقف والصراع مع التيار القومي العربي الى درجة خطيرة وكان المنفذون قد وضعوا نصب اعينهم احتمالاً مرجحاً لقتله من خلال الانفراد به وفي نقطة حرجة، اضافة الى قناعتهم بضآلة احتمالات اعدامهم في حالة الفشل.

▫▫ نهج مخالف

وهنا يلاحظ أن صدام قد اتبع بعد وصوله الحكم نهجاً مخالفاً لذلك يتمثل في ما يأتي، ومستفيداً من اخطاء الآخرين:

أ. الاستمرار بتأمين قوة حماية دائمة.

ب. اخفاء مواعيد واتجاهات الحركة.

ج. تأمين مستلزمات الحماية السلبية - سيارات مدرعة - ستر ضد الرصاص.

د. عدم التساهل مع المعارضة وتنفيذ حكم الاعدام الفوري بكل من يتسبب بتهديد أمن النظام بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٣- ان صدام لم يكن ابرز المنفذين الا ان وصوله الى الحكم فيما بعد جيّر العملية كلها لحسابه الشخصي.

▫▫ علاقات مخابراتية خفية

٤- وعلى الرغم من عدم متانة الوضع الامني للحكومة آنذاك فقد آثر صدام الهروب خارج العراق وليبدأ سلسلة من العلاقات الخفية مع اجهزة المخابرات العربية (السورية - المصرية) والغربية. فيما تم القبض على افراد العملية (عدا من قتل خلال اطلاق النار المتعاكس بين المنفذين)، وجرى الحكم عليهم بالاعدام

وتمت حلاقة رؤوسهم استعداداً للتنفيذ الا ان عبد الكريم قاسم افرج عنهم في اللحظة الاخيرة ومن بينهم أحمد طه العزوز الذي بلغت مدة اعتقاله تحت ظل صدام منذ عام ١٩٦٨ - ١٢ عاماً وآخرها منذ محاولة اغتيال عدي في ١٩٩٦/١٢/١٢ بتهمة التآمر للاطاحة بالنظام.

وشاءت الاقدار ان اكون بعد حوالي ٣٦ عاماً ضيفاً على القيادة السورية في القامشلي لمدة قصيرة ثم في دمشق لمدة عامين، وانتهزت فترة وجودي في القامشلي لمعرفة تفاصيل اضافية عن صدام خلال لجوئه اليها، ولحسن الصدف فان المسكن الذي استأجره صدام للسكن فيه يعود الى امرأة بقيت حتى الآن على قيد الحياة واخذت تروي عنه ما انطبع في ذاكرتها، كان البيت الذي استأجره للسكن فيه عبارة عن غرفة طويلة وقديمة اخذ قسماً معزولاً منها، وفي فترة اقامته الاولى حرص على التظاهر بالتزامه الديني، فيما كانت تجد بين اغراضه الشخصية قناني المشروبات الكحولية، وبعد ان عرف انها مسيحية وليست مسلمة لم يعد يرى حرجاً في تعاطي الخمر علناً.. وتقول انه لم يكن يمتلك دفعة ايجار شهري برغم بساطة المبلغ الا ان احواله تحسنت سريعاً من دون ممارسة أي عمل علني، وقد ترك احدى المرات دفتراً صغيراً تولى قراءته احد افراد عائلتها، وهو عبارة عن دفتر مذكرات، ويشير فيه الى توقيتات مراجعته لعدة سفارات غير عربية، كما تضمن الدفتر تأشيرا لمداخيل مالية وردت اليه على ما يبدو من تلك السفارات التي كان يتردد اليها بسفرات سريعة من القامشلي الى دمشق.

وتضيف انه عاد الى البيت بعد وقت قصير بعد خروجه، خلافاً لما اعتاد عليه، ووجد من في البيت يقرأ دفتره فانزعج انزعاجاً شديداً، ولم يمض بعد ذلك اكثر من اسبوعين فنقل اقامته الى دمشق واشارت المرأة الى انه كان يتبع مسالك غير طبيعية وعادات غريبة.. هذه كلها ليست أدلة لإثبات تهم، ربما عمد وتعمد طرح وتوجيه التهم على هذا النحو كي يدافع بها عن صدام لأن القارئ يرى هشاشة الأدلة وهزالتها وبعدها عن المنطق.

□□ البراءة من الحزب!

ضبطت الاجهزة الامنية، وهي مؤلفة آنذاك من الاستخبارات العسكرية، والأمن العام، مخططاً بعثياً للاطاحة بحكم عبد السلام محمد عارف يوم ١٩٦٤/٩/٤ وحصلت اثر ذلك حملة اعتقالات واسعة بين البعثيين، كان صدام من بين الذين شملهم الاعتقال، وقد اصدر عبد السلام محمد عارف قراراً يقضي باطلاق سراح كل من يعلن براءته من حزب البعث، فتصدرت الصحافة براءة صدام في مقدمة آخرين، وحيثما كانت التبريرات والمبررات فان اعلان قائد حزبي لبراءته من حزبه رغم ضعف اجراءات السلطة في حالة الرفض تعكس جوانب مظلمة في سيكولوجية الشخص وايمانه، واثبتت الفترات اللاحقة عدم مصداقيته، وكذلك أحمد حسن البكر الذي اقسم بالقرآن الكريم امام الاجهزة المعنية على انه سيترك العمل السياسي والحزبي على الفور، الا انه لم يلتزم بيمينه.

وتعود بنا البراءة لمراجعة احداث اخرى اكثر اهمية وخطورة ونذكر منها الآتي:

١- الاتفاق مع المقدم الركن عبد الرزاق النايف معاون مدير الاستخبارات والمقدم الركن ابراهيم عبد الرحمن الداود آمر لواء الحرس الجمهوري للاطاحة بحكم عبد الرحمن محمد عارف واللذين لولاهما لاستحال نجاح انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ثم اقصاؤهما من منصبيهما بعد مضي اربعة عشر يوماً ثم اغتيال الاول في لندن.

٢- التناغم مع قادة الحزب ثم اقصاؤهم الواحد تلو الآخر في ضوء حالة وحجم ونطاق التهديد الذي يمكن ان يشكله كل منهم على مستقبله السياسي والقيادي.

٣- الاتفاق التمهيدي المتكرر مع الاكراد واعادة نقضه.

٤- توقيع اتفاقية الحدود العراقية - الايرانية المعروفة باتفاقية الجزائر الموقعة يوم ١٩٧٥/٣/٦، واعادة تمزيقها على شاشات التلفزيون بعد سقوط الشاه، ثم العودة الى اقرارها بمبادرة شخصية منه بعد غزوه الكويت.

٥- الانسحاب الشامل من الاراضي الايرانية في مايس، مايو ١٩٨٢ من طرف واحد ودونما اتفاق وتفاهم أو تعهدات ايرانية أو غير ايرانية فوضع التهديد الاستراتيجي على حافة الاراضي الوطنية.

٦- الاصرار على عدم الاستجابة للمطالب الدولية والعربية وحقيقة الموقف الشعبي العراقي للانسحاب من الكويت تجنباً للتدمير، ثم اصدار امر الانسحاب في لحظة لم يعد للامر والقرار قيمة تذكر حيث كانت قواتنا تتراجع تراجعاً قسرياً مشتتاً امام ضغط الحلفاء.

٧- عندما صدر قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ القاضي في احدى فقراته باستمرار فرض الحظر النفطي اتخذ صدام موقفاً استعراضياً امام "رفاقه" في القيادة مشيراً الى انه يفضل عدم الموافقة على القرار الا انه سرعان ما تراجع عن موقفه والتزم بالقرار امام رأي الآخرين (للمرة الاولى) الا ان الموقف كله لم يتعد كونه فيلماً ساذجاً حيث لقن المرافقون "اعضاء القيادة" منفردين باتجاه آخر وبتوجيه من صدام.

ويتحدد الغرض من ذلك بتدوين محضر يشير الى ان صدام كان يريد استئناف المجابهة ورفض الانصياع للقرار (المجحف) الا انه اضطر للنزول عند رغبة رفاقه في القيادة.

٨- رفض الموافقة على طلب الحلفاء السماح لهم بدخول قصوره في الشمال بعد هزيمته في الكويت ثم الانصياع امامهم واعطاؤهم الموافقة.

٩- رفض الانسحاب من محافظة دهوك لتأمين مناطق آمنة للاكراد ثم الانصياع امام التهديد باستخدام القوة.

١٠- الاعتراض على دخول المفتشين الدوليين لازالة اسلحة الدمار الشامل الى مبنى وزارة الزراعة ومؤسسات حكومية وعسكرية ثم التراجع والانصياع بالسماح لهم بتفتيش مؤسسات ودوائر جهاز الأمن الخاص الاكثر حساسية والسماح بتفتيش بيوت مسؤولين اساسيين في نظامه ومنها مسكن عزة الدوري،

(واللواء) عبد حميد سكرتير رئاسة الجمهورية (أي سكرتيره العام) وتفتيش دور القادة في مجمع القادسية (الخاص جداً).

١١- رفض طلب الامم المتحدة بنقل اجزاء الصواريخ ارض - ارض الى خارج العراق ثم الانصياع الكامل لذلك.

١٢- رفض تطبيق قرار النفط مقابل الغذاء والدواء الصادر في آب١٩٩١ ثم الموافقة في كانون الاول ١٩٩٦.

١٣- المضي في مشروع الوحدة العراقية - السورية عام ١٩٧٨ واجهاضها كلياً في تموز - يوليو ١٩٧٩.

١٤- ابرام اتفاقات امنية وحدودية.. مع السعودية والغاؤها دفعة واحدة.

١٥- الموافقة على قرار الامم المتحدة بترسيم الحدود العراقية - الكويتية تحت وطأة الضغط والتهديد، فيما كان يرفض مجرد البحث الجدي في الامر.

١٦- الاقرار بمبدأ التعويضات عنحرب الخليج الثانية، ليدفع الشعب العراقي ثمن جرائمه.

١٧- اعطاؤه العفو لحسين كامل بقرار علني لمجلس قيادة الثورة وتصفيته واهله (ابوه واخواه) في ما اسماه بـ "بالصولة الجهادية".

▫▫ التراجع.. مناورة

ومن هذا وغيره الكثير، يتضح ما يأتي:

١- ان عدم التراجع والانسحاب في الوقت المناسب من الكويت يعطي تأكيداً واضحاً على ان الطاغية ارتكب خطأ قاتلاً في تقدير الموقف وتشخيص النوايا، وبالطبع فان هنالك حقائق كثيرة تعزز هذا الانطباع سنأتيها تباعاً.

٢- يعتبر صدام التراجع عن المواقف والمبادئ والمعاهدات والالتزامات الشخصية والدولية جزءاً من اساليب المناورة وفلسفة المرونة في العمل الثوري، لانه يعتقد، وهو مصيب بذلك، بأن التشدد المستمر في المواقف سيؤدي الى

الاطاحة به فيصبح من المحتم القبول بالتراجع وقتياً ريثما تتوفر ظروف افضل لاستئناف التعرض.

▫▫ سقوط الحكم العارفي ووصول صدام الى السلطة

لم يكن عبد السلام محمد عارف مجرماً، بل كان حاذقاً وجريئاً وحازماً ايضاً، الا ان تجربته السياسية محدودة، وكان قليل الحنكة والدهاء، وذا توجهات عشائرية، كما انه رجل دولة يتسم بالنشاط وعدم التكلف.

واذكر انه جاء في الشهر الاول من عام ١٩٦٦ الى الكلية العسكرية في منطقة الرستمية (في طرف بغداد) وطلب تجمع طلاب الكلية بصفوفها الثلاثة المستجدين (حيث مضى على التحاقنا في الكلية اكثر من شهرين) والمتوسط والمتقدم، ويبلغ العدد الاجمالي للدورات الثلاث ٤٣و٤٤ و٤٥ بحدود ٩٥٠ طالباً، وقد التف الطلاب حوله وهو واقف من دون أية حماية شخصية، وبدأ حديثه بهجوم عنيف على حزب البعث والبعثيين مستخدماً تعبير "المنحرفون" وطالباً من آمر الكلية ان لا يقبل دخول أي شخص بعثي الى الكلية واذا ثبت له وجود علاقة لاي تلميذ بحزب البعث فعليه اقالته فوراً (ولم يقل اعدامه أو حبسه مؤبداً كما هو الحال في زمن صدام).

وتجدر الاشارة هنا الى انه وبعد حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ التي اطاحت بحكم الحزب امر عبد السلام بفصل كافة التلاميذ البعثيين من الدورة (٤٢) التي التحقت بالكلية اواخر ايام حزب البعث في السلطة عام ١٩٦٣ وإحالتهم الى وظائف مدنية وجرى تعيين غالبيتهم مراقبين على افران الاعاشة (المخابز).

ولو بقي عبد السلام في السلطة لما استطاع صدام الوصول الى سدة الحكم، الا ان الاقدار قضت بمقتله بحادث طائرة مروحية يوم ١٣ نيسان - ابريل ١٩٦٦، وتولى الحكم من بعده شقيقه اللواء عبد الرحمن محمد عارف ليحكم حكماً ضعيفاً.

لقد اعتمد الحكم العارفي بصورة خاصة على ابناء الدليم (محافظة الانبار) فتم تعزيز وحدات الحرس الجمهوري المؤلفة من لواء مشاة وكتيبة دبابات بعشرات الضباط الدليم، ومن دون شك فان ضمان ولاء وحدات الحرس هذه كان كفيلاً بصيانة أمن النظام آنذاك حيث لا توجد معارضة شعبية حقيقية أو مشاكل معقدة بين الشعب والنظام.

▫▫ اسباب سقوط العارف

ويمكن تحديد الاسباب المؤدية الى سقوط الحكم العارفي بما يأتي:

١- ضعف شخصية رئيس الجمهورية عبد الرحمن محمد عارف، فلم يكن رجل دولة ولم يكن عسكرياً من النمط الثوري أو المهني البارع، ولا يمتلك حساً أمنياً أو مخابراتياً، ولم يكن مولعاً أو مهتماً بالسياسة، بل ان الاقدار وحدها هي التي اتت به الى منصة الرئاسة، وحتى صدام نفسه اعتاد ان يضرب مثلاً برئاسة عبد الرحمن للنيل من الآخرين فيقول "الذي اوصل هذا ( ) الى هذا المنصب هو نفسه الذي اوصل عبد الرحمن عارف الى الرئاسة".

٢- عدم وجود جهاز مركزي لمراقبة اجهزة الأمن والاستخبارات فعندما يتآمر مقر الاستخبارات وآمر الحرس الجمهوري وآمر كتيبة الدبابات على الدولة فلا يوجد من يرقب تحركاتهم ويتابع نواياهم، وهذا الامر جرى تداركه من قبل صدام فيما بعد باسلوبين ومرحلتين هما:

أ- جعل ضابط أمن الاستخبارات من العائلة الحاكمة وبذلك يرتبط ارتباطاً مباشراً بأمن النظام ورئيسه، وارتباطاً رمزياً لاقيمة له مع مدير الاستخبارات.

ب- تشكيل جهاز الأمن الخاص ليكون مراقباً على اجهزة الأمن والمخابرات.. الخ.

مراقبة الاجهزة

في ربيع عام ١٩٨٦، وبعد سقوط الفاو مباشرة عقد صدام اجتماعاً تحليلياً مطولاً للقيادة العامة للقوات المسلحة وقادة الفيالق لدراسة الموقف وقد بينت وجهة نظري بوصفي الضابط الاقدم المختص في الشؤون الايرانية عن اسلوب عمل القوات المسلحة واداء الاستخبارات وما الى ذلك، واردت ان القي باللائمة على مدير الاستخبارات آنذاك، وكيف كان المفروض به التعامل مع الحقائق، فأخذ صدام تعقيباً مطولاً وقد امتلأ في داخله غضباً على المدير، الا ان هنالك من المعادلات والظروف ومتطلبات التغطية ما يستلزم السكوت على ماحصل، واخذ يقول: "بعد حركة كزار ١٩٧٣ (وهي محاولة اسقاط النظام التي دبرها مدير الأمن العام ناظم كزار)، لا يجوز ان نبقي جهازاً أمنياً واستخبارياً يعمل من خلف الستار، لا بد ان يعمل بشفافية وواضحة ويجب علينا ان نراقب امعاءه وكل أجهزته الداخلية وان نجعل غطاء البطن شفافاً". وعلى الرغم من المبالغة في الوصف والقدرة فان الحالة تعطي انطباعاً وتصوراً عن نطاق التحسب والحذر من الأجهزة الخاصة التي يمكن أن تتحول الى مراكز وبؤر تآمر هي الاخطر من نوعها.

٣- عدم وجود تنظيم سياسي أو حزبي موال للنظام، فقد تم في عهد الرئيس عبد السلام تشكيل الاتحاد الاشتراكي العربي وهوتنظيم سياسي يمثل القوى الناصرية الموالية للرئيس عبد الناصر اكثر مما هو تنظيم موال للنظام آنذاك. وبوفاة عبد السلام تآكل هذا التجمع ولم تعد له قيمة تذكر وليس بخاف ان عدم وجود تنظيم سياسي موال للسلطة في بلد مثل العراق وبغياب المؤسسات البرلمانية الحقيقية ووجود حزب معاد يتربص الفرص للسيطرة على الحكم، يجعل من ترك اجهزة الأمن والمخابرات تتصرف بمعزل عن قيادة الدول امرا لا يمكن احتماله بل وغبياً جداً.

٤- وجود حزب البعث كلاعب حقيقي علىالمسرح السري ولد انتشاراً حقيقياً في عموم العراق وخصوصاً في المنطقة الوسطى (سابقاً)، وله هدف مركز محدد هو الاستيلاء على السلطة.

* نتيجة الاوضاع المُشار اليها سابقاً، تمكن الحزب من الاطاحة بالنظام وفقاً لما يلي:

١- وجود قيادة عليا مهمة سياسياً وعسكرياً وحزبياً ذات تاريخ معروف ممن شغلوا مناصب سابقة ومنهم:

أحمد حسن البكر رئيس وزراء عام ١٩٦٣ وضابط قديم، فريق أول ركن صالح مهدي عماش وزير دفاع عام ١٩٦٣، فريق طيار ركن حردان التكريتي قائد قوة جوية سابق، (ويلاحظ ان عبد السلام عارف ومن بعده اخوه لم يبادروا الى تصفية المذكورين وآخرين غيرهم مما جعل منهم رموزاً مستمرة للحزب وقيادة جاهزة للحركة المقبلة وكان هذا خطأ تسبب في النتيجة بوصول صدام الى السلطة).

ويضاف لتلك القيادة وجوه بارزة في النظام القائم وهم:

ابراهيم عبد الرحمن الداود آمر لواء الحرس الجمهوري، وعبد الرزاق النايف معاون مدير الاستخبارات وسعدون غيدان آمر كتيبة دبابات الحرس الجمهوري.

٢- وجود اعداد من الشباب البعثيين المغامرين.

٣- الاتفاق والتنسيق مع آمر اللواء المدرع العاشر العميد حماد شهاب التكريتي وهو القوة الضاربة المدرعة القريبة من بغداد.

٤- وجود قاعدة تنظيمية للحزب جيدة نسبياً خارج القوات المسلحة وقليلة جداً في القوات المسلحة.

٥- عدم وجود أية سلطة لوزارة الدفاع ورئاسة هيئة الاركان العامة للقوات المسلحة، وهو الامر الذي يحرص صدام على استمراره حالياً لابقاء منافذ القوة بيده.

ولذلك اطيح عبد الرحمن عارف ولم يحرك جندياً واحداً، فيما كان في العراق خمس فرق واحدة منها مدرعة وليست بعيدة عن بغداد، وقد اعطى دليلاً ثابتاً على انه لم يكن رجل دولة فحسب بل اثبت استسلاماً للنظام بما يجعله يعيش في بغداد مسالماً ساكناً.. الا انه سيبقى يشعر بتأنيب الضمير من ان ضعفه وهزاله اديا بالعراق الى ان يقع بيد الطاغية. واختار النايف الطريق الصحيح في المشاركة بالتآمر على صدام حتى تم اغتياله، رحمه الله، لأنه لم يستسلم.

وبعد ٣٠ تموز / يوليو ١٩٦٨ بدأت المرحلة الثانية في تاريخ صدام السياسي، فحتى ذلك الوقت ورغم دوره المهم في انقلاب ١٧ تموز ٦٨ ومشاركته السابقة في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، فقد بقي دوره السياسي خفياً ومن وراء الستار، ولم يكتسب دعماً أو تأييداً شعبياً بل لم يكن معروفاً على مستوى الشارع العراقي للاسباب التالية:

١- لم تكن هنالك حملة اعلامية دولية أو اقليمية ضد النظام العارفي ولذلك لم تتح لصدام فرصة التحدث عبر وسائل الاعلام. اما في فترة الصراع الناصري - القاسمي فقد كان صدام صغير السن والعهد بالسياسة.

٢- وجود قادة من العسكريين والسياسيين اللامعين طغوا بوجودهم على صدام وآخرين غيره.

◻◻ اسلوب في الحكم

ومنذ الايام الاولى لاستلام الحزب السلطة بدأ صدام باتباع اسلوب دقيق وحساس يشمل الاتجاهات التالية:

١- استغلال سلطته الحزبية للتعامل مع كبار القادة العسكريين والسياسيين والدخول اليهم من منطلق ان الجيش ومؤسسات الدولة تحت خدمة الحزب واهدافه.

٢- التشديد على جانب الحماية الشخصية القوية منذ البداية، وتعمد جعل حماية الآخرين في اضعف ما يمكن.

٣- اثارة الزوابع والشكوك والمشاكل للقادة المؤثرين، مثل صالح مهدي عماش وحردان التكريتي وغيرهما، بطريقة غير مباشرة وعن طريق لا يتصل به علناً.
٤- الامتناع عن استلام منصب وزاري بل تولى الاشراف على الوزارات، وتأخذ هنا صفة الاشراف حالة مماثلة لرئاسة الوزراء، فوضع نفسه في درجة اعلى من القادة الاساسيين، فضلاً عن موقعه الحزبي فيما درج البكر، ولسنين طويلة، على الاحتفاظ بوزارة الدفاع لنفسه، اضافة الى رئاسة الجمهورية. وحاول صدام نقل تجربته الشخصية الى ولديه قصي وعدي، فغالباً ما يضع عدي (قبل محاولة اغتياله) مشرفاً على وزارات عدة، وقصي مديراً للأمن الخاص ومشرفاً على قوات الحرس الجمهوري، وهو، بذلك يجعلهما ينظران الى الوزراء نظرة فوقية.
٥- استغلال حالة التعامل الرفاقي المثالي لاعضاء القيادة الآخرين، وتشجيعهم على ذلك، مثل تجنب التوسط ونبذ العلاقات الاجتماعية والاسرية لعزلهم عن مراكز قوتهم وارتباطهم ولتسهيل عملية اقصائهم من السلطة عندما يحين الوقت المناسب.

وقد انزلق العديد من قادة الحزب في هذا المنحى، فتنصلوا من معارفهم وابتعدوا عن اقاربهم وتخلوا عن علاقاتهم الاجتماعية والانسانية وانصرفوا الى خدمة الحزب كلياً، فيما استمر هو يدفع باقاربه وانصاره في المراكز الحساسة والأمنية، والسيطرة التامة على صلاحيات التكريم والصرف المالي، متجاوزاً بذلك أحمد حسن البكر نفسه.. ففي الوقت الذي كان صدام نائباً للرئيس، ويقدم هدايا متعددة الاشكال للضباط، بما في ذلك سيارات الصالون الحديثة، لم يقدم أحمد حسن البكر لاحد حتى ولو دراجة هوائية وهو الرئيس للدولة. كما حرص صدام كلياً على الانفراد بهذه الوسيلة. ففي احدى المرات قدم مدير الاستخبارات هدية لاحد الضباط مسدساً شخصياً فنبهه صدام "ان كنت تعطي انت مسدسات فماذا نعطي نحن؟".

٦- فتح ابواب الكليات العسكرية والدورات الخاصة والاجهزة الخاصة امام ابناء تكريت متجاوزاً حالة التشنج التي اتسمت بها علاقة ابناء العوجة معهم في مراحل ما قبل استلام الحزب للسلطة. فلم يكن من خيار آخر سوى اعطاء الاسبقية في الائتمان لابناء تكريت على الآخرين.

٧- الاخذ بمقاييس الولاء الشخصي بدل الولاءات الاخرى فالولاء للحزب يعتبر تآمراً على الحزب، ان لم يمر عن طريق صدام.

٨- تعمد الظهور على خط الاعلام الداخلي والخارجي تدريجياً، فبدأت الصحف الرسمية العراقية تصدر يومياً حاملة صورة البكر على جهة، وصدام على الجهة الاخرى (اليسرى) من الصفحة الاولى.. ورويداً رويداً اخذ نفوذ البكر يتقلص وكلما شعر صدام بتماسك قدرته ازداد ضغطه لتقليص صلاحيات البكر. وطيلة حكم البكر لم تبث اغنية وطنية واحدة تضم اسم البكر، وتحولت الاغاني والاناشيد الوطنية من معانيها الوطنية الى تمجيد صدام والتغني باسمه.

□□ القفز الى كرسي الرئاسة

وخلال احد عشر عاماً من الحكم في منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة انجز صدام مشروعه الاساسي في تحقيق هدفه الاستراتيجي بالقفز الى كرسي الرئاسة وتصفية خصومه السياسيين من قادة انقلاب ١٩٦٨ ومنافسيه على كرسي الرئاسة متبعاً تدابير كثيرة منها:

١- استحداث الدوائر التالية وربطها بديوان رئاسة الجمهورية:

*دائرة المقاتلين، التي ينقل اليها كافة القادة والضباط المهمين الذين تقضي ظروف النظام الأمنية عدم ابقائهم في الجيش.

* دائرة المنظمات الشعبية، التي يجري تنسيب كبار القادة العسكريين والسياسيين اليها، ممن يعفون من مناصبهم الفعلية. وتشمل وزراء واعضاء قيادة ومن هم بدرجة مدير عام مهم ومدير جهاز أمني واستخباري، تتطلب ظروف أمن النظام عدم استمرارهم في مواقعهم الوظيفية.

* منظمة المناضلين، تشمل عدد محدودا من البعثيين القدماء الذين يتم اخراجهم من الحزب.
* مكتب الثوار، ويشمل العناصر القيادية المشاركة بانقلاب تموز - يوليو ١٩٦٨.

◘◘ تقييد بالمكافآت

وتتحدد الاغراض الاساسية من استحداث الدوائر المذكورة بما يلي:

أ- اشعار كبار القادة المنسبين اليها بأنهم لايزالون على اتصال بالنظام، وانهم سيبقون تحت الطلب عند الحاجة وان مناصب اخرى ستتاح لهم بمجرد ان يثبتوا انهم مازالوا ضمن دائرة الولاء للنظام ولصدام شخصياً، وبذلك يقلل من فرص تحركهم ضد النظام. ويشمل هؤلاء بالتكريم المستمر والمكافآت المالية شبه الشهرية، فضلاً عن رواتبهم الشهرية واحتفاظهم بحقوقهم ويعتبرون مستمرين في الخدمة الكاملة.

ب- منع سفرهم الى خارج العراق، باعتبارهم مستمرين في الخدمة ويتطلب سفرهم موافقة رئيس الجمهورية شخصياً. ويستهدف هذا الاجراء منع الاحتكاك والاتصال بين هؤلاء والدول الاخرى أو اتجاهات المعارضة في الخارج. وبعد واقعة المرحوم الفريق راجي التكريتي عام ١٩٩٣ صدرت توجيهات من صدام تقضي بمنع المتقاعدين من الضباط بكافة الرتب، ومن هم بدرجة مدير عام واعلى من الموظفين والمسؤولين المدنيين، من السفر خارج العراق.

ج- تقييد حركتهم في الحياة بطريقة المنع غير المباشر من مزاولة الاعمال التجارية وغيرها، التي تتطلبها تعقيدات الحياة المعاشية في ظل اوضاع العقوبات الاقتصادية، وبذلك تبقى انظار بعض منهم تتطلع الى ما يمكن ان يبادر به صدام من تكريم.

٢- ابعاد القادة الاكثر اهمية الى خارج العراق بتعيينهم سفراء في دول بعيدة ولا تمارس ادواراً "تآمرية" على نظام صدام، مثال فرنسا، فنلندا، النمسا، تونس، هولندا، اسبانيا. وبذلك يحرمون من فرص التنسيق والتآمر الداخلية، وبالطبع

يمنع بيع ممتلكـاتهم ومسـاكنهم داخـل العـراق وتبقـى قيـود وسـجلات المعـاملات تحت رقابة اجهزة الأمن والمخابرات.

▫▫ والتقييد بالمراقبة والانتحـار

٣- فرض المراقبة طويلة الامد على القادة المهمين الذين يمكن ان يشـكلوا تـهديـداً معيناً للنظام ويجري تجميع الادلة والوثائق ضدهم بصـورة متواصلـة والتصـرف اتجاههم وفقاً لما يلي:

أ- القبض عليهم والمباشرة في التحقيق معهـم اذا مـا ثبـت أو حصـل شـك بوجـود خيوط تآمرية أو تنظيمية لديهـم.. وعندئـذ فـان الحكـم الـذي يصـدر بحقهـم يكـون معروفاً وهو الاعدام.

ب- تصفيــة الهـدف بطريقـة غير مباشـرة وهـذا مـا حصـل مــع العشـرات مـن الاشخـاص المهمين ومنهم:

* الفريق الركن حميـد محمد التكريتي، الذي سبق ان شغل منـاصب مهمـة، منهـا معاون مدير استخبارات وقائد الفرقة الآلية الاولى في بدايـة الحـرب مـع ايـران.. وقد جرى اغتياله من قبل جهاز المخابرات ووضعت في بيته بجوار جثته رسـالـة يشير فيها الى انه قـرر الانتحار، لان اطرافاً معينـة اتهمتـه بالتـآمر علـى "السـيد الرئيس القائد" حسب نـص الرسالـة وانـه وتعبيراً عن حبـه للقـائد العظيـم قـرر الانتحار للتخلص من هذا "العار" الذي هو في غاية البراءة منه.

ومـا لاشك فيه ان لا صحة لواقعـة الانتحـار. وكـان معروفـاً عـن الفريـق حميـد ميولـه الى أحمد حسن البكر وانتقاده لمسرحية اقصائه (في مجالس خاصة)، كمـا ان تقارير الأمن العسكري اشارت الى انه أزال صورة رسمية لصـدام معلقـة فـي مكتبه عندمـا كان قائدا للفرقة الآلية الاولى بحجة اعادة تأطيرها، الا انها لـم تجد لها مكانـاً في المكتب حتى تم نقله من الفرقـة. وفـي الوقـت نفسـه فانـه كـان علـى اتصال وثيق ومستمر مع الفريق الركن ثابت سـلطان التكريتـي الـذي اغتيـل هـو الآخر جهاراً في عام ١٩٩٣.

* العميد الركن طارق حمد العبدالله، الذي عمل مرافقاً اقدم لاحمد حسن البكر ثم عين رئيساً لديوان الرئاسة، ووزيراً للصناعة.

* وليس غريباً ان يصدر ديوان الرئاسة بياناً ينعى فيه العميد العبدالله مدعياً وفاته "بحادث مؤسف"، واصدرت تعليمات الى الجهاز الحزبي تفيد بأنه وجد منتحراً لمعاناته من اسباب اجتماعية، وللحقيقة فقد كان على درجة بينة ورفيعة من الالتزام والتربية الاجتماعية .

ويرجع السبب الحقيقي لاغتياله الى انه ابقى على تواصله مع البكر بعد اقصائه من السلطة. واذكر اني زرته في وزارة الصناعة عام ١٩٨٢ حيث تكونت لي علاقة معه خلال ترددي الى القصر الجمهوري قبيل الحرب مع ايران لاسباب استخبارية وظيفية، ثم في فترة عملي الطويلة في مركز القيادة الرئيسي للقوات المسلحة في القصر الجمهوري وقد لاحظت عليه، رحمه الله حساسية مفرطة من النظام وردد علي اكثر من مرة قوله "دير بالك بالقصر" ولم يكن فهم رسالته بالامر العسير.

▫▫ الرد الفوري

٤- التعامل الفوري مع الاحداث:

يجرى اتخاذ اجراءات رادعة وسريعة في حالة الحديث جهاراً بما يمس النظام، أو في حالات التجمهر غير الاعتيادية أو حصول احتكاك مع اي طرف خارجي، أو الاحتكاك السلبي مع احد المرافقين أو افراد العائلة الحاكمة أو الاقتراب من المناطق الخاصة، مثال قصور صدام وافراد عائلته ومزارعه ومناطق التصنيع العسكري الحساسة.

ففي عام ١٩٨٣ اطلقت نار كثيفة على احدى طائراتنا المروحية (هليكوبتر) لمرورها خطأً بالقرب من القصر الجمهوري، وصدر امر من رئاسة الجمهورية عبر الهاتف الى الاستخبارات لاعتقال الطيار والتحقيق معه فوراً. وظهرت نتيجة التحقيق ان الطائرة انحرفت بسبب رياح جانبية، ولم تقتنع رئاسة

الجمهورية بذلك السبب وطلبت احالته الى أمن القصر الجمهوري حيث تمت احالته الى التقاعد بعد ان اعتقل لمدة ستة اشهر تعرض خلالها للاهانة والتعذيب الجسدي، ولم يثبت في المحصلة وجود أية نوايا سلبية لديه ولم تكن طائرته مسلحة بأية صواريخ قتالية.

ويستهدف هذا الاجراء ردع الآخرين من الاقتراب من المناطق الحساسة التي يمنع الطيران فوقها، وتعتبر مسالك الاقتراب الجوي في بغداد محدودة جداً، بخاصة في اتجاه الجنوب لوجود مساحات شاسعة تستخدمها العائلة الحاكمة.





الاول من اليسار: ناظم كزار. أول مدير أمن عام بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ وقد منح رتبة لواء، أعد في تموز ١٩٧٣ محاولة لاغتيال أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية وصدام نائب الرئيس، وكاد يحقق الهدف، واعدم نتيجة الفشل.

الوضـــع النفسي

لقـد تركـت الطفـولة التعيسـة على الوضـع النفسـي لصـدام اخـاديد عميقـة مـن التحامل والحقـد والضغينـة والقسـوة، كمـا سـاعدته فـي تكويـن قـدرة عاليـة علـى المطاولـة والتضحية بالآخرين، وجذرت في نفسه الانانية والفردية المقيتة. وفيمـا يلي بعض المؤشرات المسجلة والمرصودة عنه:

* نزعة الشر: انبثقت نزعة الشرور لدى صـدام فـي المرحلـة الاولـى مـن حياتـه لاسباب عدة منها:

١- ولد يتيماً، والكثير من الناس ولـدوا أيتامـاً، الا انهم وجـدوا قريبـاً كريمـاً مـن ذوي الاخلاق الحميدة، تبناهم وقادهم الى الطريـق الصحيـح، ومنهم مـن يؤدبهم الله سبحانه وتعالى "ادبني ربي فأحسـن تـأديبي" فكـان محمـد"ص" مثـلا للايتـام والبشرية الصالحة يحتذى به الى الابد.

لقد تبنى "صدام" خاله خيرالله الـذي كان سيىء الصيت في شبابه، جشعاً، نهمـاً، سليطاً وبذيء اللسان، مرتشياً في كـبره، فسـمي "حرامـي بغـداد" وان احداً مـن اهله بمن فيهم صدام لم يسلم من لسانه، امـا ابنه عدنان، فقد نـال من لسانه مـا لـم ينله غيره حتى حين كان وزيراً للدفـاع، ليس لانـه يكرههم أو لعدم رضـاه عن مسالكهم، بل لانه يمتلك لساناً بذيئاً، كان خير الله يصول ويجول في دوائر الدولة المختلفة وفي السجون والمواقع العسكرية، مراجعاً ووسيطاً لقضاء حاجات الناس بموجب اتفاق مالي مسبق معهم، فلكي ينقـل جندياً مـن ابنـاء الاثريـاء مـن جبهـة

القتال فلا بد ان يدفعوا له ما يعادل عشرات الاف الدولارات، فترى مجالسه مليئة بامثال هؤلاء، اما الفقراء فلا مكان لهم في تلك المجالس اللعينة.
فهذا هو الذي تبناه، وعندما نقول تبناه فلا نقصد شمولية المعنى بل تأمين بعض ما يسد الرمق.
٢- اما الشخص الآخر الذي تبناه، فكان ابراهيم الحسن زوج والدته الذي درج على معاملته معاملة قاسية، ولم يترك مناسبة ولا فرصة الا وقرعه فيها، حتى قيل انه كان يفعل ما يحقره، وليس معلوماً السبب الذي دفعه لذلك، ولكن لاشك في ان الوضع المالي بالغ الصعوبة قد ساهم في اتباعه طريقة التعامل تلك، وكما اشرنا من قبل، فقد عاش ابراهيم الحسن اسوة بأبناء عمومته فقيراً ما اضطره للعمل شرطياً في وقت كانت الشرطة موضع تندر الناس لان الغالبية العظمى منهم من المرتشين (باثمان بخسة)، وجرى تعيينه في محافظة السليمانية الكردية، وهناك سمى ابنه برزان، وهو اسم غير معتاد عربياً.
وقد روى لي احد اعمامي قبل بضع سنين ان ابراهيم الحسن كان يتجول في مزارعهم التي تبعد عن العوجة حوالي اربعين كيلو متراً مستجدياً حفنة أو اكثر من الشعير بحجة تأمين علف لحصانه، فيما تبين لهم بأنه يستخدمها طعاماً لعائلته.

◻◻ عشيرة صدام

تتكون تكريت من ثلاث عشائر اساسية هي:
- الحديثيون: (نسبة الى مدينة حديثة على نهر الفرات) وابرزهم مولود مخلص وهو الشخص الذي سعى الى تطوير تكريت من ناحية (ادنى مستوى اداري) الى قضاء في مطلع الخمسينات، واعدم ابنه جاسم مع مجموعة الفريق راجي التكريتي عام ١٩٩٣ بتهمة التنسيق للتآمر. ومن وجوه العشيرة ايضاً الفريق الطيار حسين حياوي (قائد اسبق للقوة الجوية في السبعينات).

- التكارتة: ويمثلون سكنة المدينة الاصليين، واليهم يعود كبار ضباط الجيش ومنهم الفريق طاهر يحيى (رئيس وزراء ١٩٦٤) والفريق الطيار الركن حردان التكريتي (قائد قوة جوية، ووزير دفاع بعد انقلاب ١٩٦٨)، والفريق أول الركن حسين رشيد (حالياً) والفريق الطيار الركن الحكم حسن علي (حالياً).

- البو ناصر: عشيرة صدام، وهي من العشائر الاساسية في تكريت، وتقسم الى عدة فروع منها:

- البو موسى، فرج، واليهم ينتسب اللواء فاضل براك (مدير أمن عام مدير مخابرات - ثم اعدم عام ١٩٩٣).

- البوحجي احمد، ومنهم الفريق الركن ثابت سلطان معاون رئيس اركان الجيش للعمليات (اغتيل عام ١٩٩٣ على يد النظام).

والفريق حماد شهاب رئيس اركان الجيش الذي قتل بحركة ناظم كراز عام ١٩٧٣، والعقيد الركن عدنان شريف (عضو المكتب العسكري للحزب، قتل في قاطع مهران بحادث طائرة هليكوبتر).

- البو خطاب: وهم فرع عائلة صدام، وقد اشتهر هذا الفرع بالمشاكل المستمرة، ليس لانه قوي فان اعداد ابنائه حتى الآن يمكن احصاؤهم بالاسماء لقلتهم وهم لايتجاوزون العشرات، من الرجال بل وربما لأنهم لم يكونوا يملكون شيئاً يخسرونه.

وكما اشرنا، فان علاقة اهالي تكريت كانت على الدوام سيئة مع البيجات والمقصود منهم فرع البو خطاب. ومن الادلة على ذلك الاعتقالات والاعدامات التي اوقعت بهم من قبل صدام، الا ان المشاكل لم تنحصر بالعشائر الاخرى، بل شملت ابناء الفرع ذاته، وقد اتهم صدام وخاله خير الله بقتل عم الفريق الركن ماهر عبد الرشيد التكريتي (وهو من البيجات). وفي الفترة التي سبقت اطاحة أحمد حسن البكر من قبل صدام كان الفريق ماهر برتبة رائد ركن ثم مقدم ركن في الاستخبارات ولم يتوان بين فترة واخرى عن الاشارة الى الحادثة وتوجيه اصبع الاتهام الى صدام، وفي الوقت الذي لم يكن بوسعه التهجم على صدام فقد

نعت خير الله بأسوأ النعوت ورغبة من صدام بتجاوز المشكلة وابعادها عنه عمد إلى تقريب ماهر عبد الرشيد وتعيينه قائداً للفرقة الآلية الخامسة ثم قائداً للفيلق الثالث وقائداً للفيلق السابع واقنع ماهر بتزويج ابنته لمى من قصي الا انه عاد واقصاه من مناصبه ويتولى حالياً الاشراف على رعي الاغنام التابعة له في منطقة الضباعي غرب تكريت، وحصلت مشاكل عديدة له مع النظام مؤخراً اثرت على علاقة ابنته مع زوجها قصي بن صدام.

ومن هنا نلاحظ ان تعاسة الطفولة والخلافات والمشاكل العائلية والعشائرية وعقدة زواج امه من ابراهيم الحسن وما لاقاه من سوء معاملة، قد اثرت في زرع بذرة الشر في نفسه. وفي الوقت الذي كان صدام منزعجاً من امه لزواجها الثاني (رغم انه اسماها - أم المناضلين على وزن أم المؤمنين) فقد دأب وطبان وسبعاوي على شتم امهما لانها انجبت صدام.

هذا هو الوضع العام في قرية العوجة التي اسموها هي الاخرى "أم القرى" تشبيها بـ "مكة أم القرى".

◻◻ حالة صدام الصحية

يتمتع صدام بحالة صحية جيدة عموماً، مع انه يعاني من زيادة كبيرة في نسبة الكوليسترول في الدم، دفعته لتخفيف وزنه ويتناول انواعاً محددة من الطعام، وهو يعاني من مشاكل نتيجة انزلاق في الغضروف (عرق النسا)، وعلى الرغم من اعتدال الجوانب الاخرى من صحته، فقد لوحظ عليه شحوب حاد في عام ١٩٨٣، واذكر ان الفريق الركن ماهر عبد الرشيد، وخلال فترة تعيينه مديراً للاستخبارات العسكرية، خرج مبهوراً من احد لقاءاته مع صدام في القصر الجمهوري مستفسراً: " لم أرَ الرئيس اصفر، كما شاهدته اليوم، هل هو كذلك؟ فانا لم اشاهده منذ فترة، ان شكله يختلف كلياً عما نراه على شاشة التلفزيون".

وحصلت حالة اخرى في عام ١٩٨٦، بعد احتلال الفاو مباشرة، كان صدام خلالها يضطر لرفع سرواله ونطاقه الى الاعلى لانه لم يعد يحتمل ثقل المسدس،

وجلبت هذه الحالة انتباه اعضاء القيادة، خصوصاً انه اعتاد على ترك كرسيه والتخطي خلال الاجتماعات الطويلة، كما بدا وجهه شاحباً مكفهراً، وعندما ذهب الى السعودية لاستزادة دعمها كانت ملاحظة السعوديين في محلها عندما قالوا جاء مطأطئ الرأس.

وبسبب الوضع الامني الحساس، ورغم مظاهر القوة وشبه الاستقرار الداخلي، وقوة الاجهزة الخاصة ومتانتها (خلال الحرب مع ايران)، الا ان الحذر لم يغب عن تصرفات صدام، وكان يقول "حرامـي اللي ما تغلبه يغلبك"، ويردد المثل العراقي القائل "تحزم للواوي بحزام السبع، فاذا ظهر انه واوي فلست خسراناً، واذا ظهر انه سبع فلن تفاجأ".

وما لا شك فيه ان صدام يفكر في هذا تفكيراً صحيحاً تماماً، فالجميع لايحبونه ولا يريدونه بل ويكرهونه، وهو بذلك مضطر للبحث عمن يخافه ويخشاه ليعينه في مواقع قريبة منه، ومن يريد ان يتهم الآخرين (من خارج عائلة النظام) بأنهم اركان النظام (حتى وان كانوا مستمرين في الخدمة) فمن الحصافة مراجعة السجلات والحوادث المعلنة لملاحظة ان النسبة العظمى من قائمة الشهداء - ضحايا صدام من القادة - كانوا من هؤلاء.

نتيجة هذا الواقع واصرار ابناء العراق (الذين تشبعت دماؤهم بالنقمة السياسية) على مواصلة طريق التصدي السري له، اضطر صدام الى مايلي:

* تنظيم اعمال مكاتبه بطريقة انسيابية عالية للاحاطة بالمعلومات سريعا ورفع الحجاب والحواجز عن تدفق وانسياب معلومات الأمن في اي وقت واي مناسبة.. فلذلك نرى استمرار عرض قصاصات ورقية من مرافقيه عليه خلال أعقد وأهم الاجتماعات ولم ينهرهم حتى عندما تكون محتويات القصاصة تافهة.

□□ العمل صباحاً

* النهوض مبكراً منذ الفجر (وغالباً ما يكون هذا يومياً)، وهو الوقت المعتاد لحركات التآمر أو التخريب أو الانقلابات العسكرية اذ يصاب الحراس وضباط المناوبة بالاجهاد في هذا الوقت.

* وفي المعارك المهمة يحرص صدام على الحصول على المعلومات عن الموقف وسير العمليات القتالية ويكرر اتصالاته الليلية بين فترة واخرى، فقد احصيت له في احدى ليالي الحصاد الاكبر (وهو الهجوم الايراني الواسع على شرق البصرة في كانون الثاني - يناير ١٩٨٧) ست اتصالات هاتفية معي مباشرة (وكنت وقتها معاوناً لمدير الاستخبارات العسكرية العامة للشؤون الايرانية).

* وهو على مايبدو - وفق ما قاله حسين كامل واللواء عبد حميد سكرتيره الحالي - سريع النوم وسريع اليقظة.

* الالتزام بتوقيتات الدوام الصباحي وبذلك فانه يشكل هدفاً مناسباً للاغتيال الانتحاري، اذ هناك عدد من تقاطعات الطرق على طريق تنقله الى القصر الجمهوري يصعب على افراد الحماية غلقها امام العمليات الانتحارية وستبقى كذلك، ولكن شعبنا لم يعتد كثيراً على مثل هذه العمليات برغم شجاعته ومواصلة تقديم القرابين على مذابح الحرية وغيرها.

* العمل الدؤوب نهاراً والاستعداد لصرف اوقات طويلة على اجراءات الأمن ومكافحة ما يسميه بـ "التآمر الداخلي والخارجي". وهذا يجري بالطبع على حساب الوقت المفترض تخصيصه لمتابعة جوانب التعليم والصحة والصناعة.. الخ. فصدام يقرأ يومياً عشرات التقارير من الاجهزة الخاصة. كما انه كان يُصر على ان نرفع اليه تقارير مفصلة عن لقاءاتنا مع ممثلي المخابرات المركزية الاميركية، ولما كانت تلك اللقاءات تتم بصورة متوالية (٢-٣ مرات اسبوعياً كمعدل عام) يصبح من المحتم ارسال تقارير مطولة من المعلومات والتحاليل والاراء المشتركة أو المتباينة، وكذلك الأمر بالنسبة للاستخبارات السوفيتية

واليوغسلافية وما يقدمه الفرنسيون واستخبارات الدول العربية. ولم تكن غاية صدام في ذلك الالمام بالموقف الاستراتيجي والعملياتي بقدر الاطمئنان شخصياً الى ان احداً لا يتآمر عليه أو ليشعرنا بأن من غير صالحنا التآمر معهم عليه لانه في غاية الانتباه والمتابعة.. وبالطبع فلم يكن في ذهننا التآمر معهم لأن من الواضح ان ما يقوم به مرحلياً كان مناسباً لهم (جميعا) دون استثناء، ولذلك لا نتوقع الاستجابة، منهم الا لغرض المعلومات فقط وهذا خيار لا نرتضيه لأنفسنا.

▫▫ مساحة الخطأ المسموح

تتحدد وحدة القياس الثابتة التي يتم التعويل عليها في حساب مساحة وابعاد الخطأ المسموح بمدى تأثيرها على أمن النظام، وفي المحصلة فالمقصود بأمن النظام كلياً وجذرياً يبقى أمن صدام. وخير تعبير عن ذلك قول صدام في وصفه للقانون "القانون مطاط بأيدينا نسحبه كما نريد"، ففي الدول التي لا يحكمها دكتاتور مستبد يكتب القانون من قبل الشعب من خلال انتخابه للسلطات التشريعية. أما في العراق فان اعلى سلطة تشريعية حقيقية (بل السلطة التشريعية الوحيدة) هي مجلس قيادة الثورة وكل ما يصدر عن هذا المجلس يعتبر قانوناً ملزماً. ففي كثير من الاحيان تصدر الاحكام من دون الاشارة الى الفقرة أو المادة القانونية التي صدر الحكم بموجبها، ويستعاض عنها بعبارة "وفقا لقرار مجلس قيادة الثورة " المرقم .. والمؤرخ في ..

وليس معقولاً ان نصدق ان وجود طه الجزراوي أو طه محيي الدين معروف أو حتى عزة الدوري أو محمد حمزة الزبيدي في فترة ما، سيعطي المجلس مصداقية المناقشة أو ابداء الرأي، اللهم الا اذا كان صدام راغباً في التخفيف عن همومه بمزاحهم.

ولنأخذ عدداً من اشكال القرارات:

- التآمر أو التكتل أو التنظيم السياسي: اعدام (حكماً قطعياً).

- شتم صدام وعائلته اعدام(حكماً قطعياً).
- توجيه انتقاد للسلطة بنطاق محدود وغير علني: الحبس ٢٠ عاماً، واحياناً الاعدام.
- تجارة (محدودة) بالسلاح (عابرة وبسيطة): الحبس ١٠ -١٥ عاماً.
- القائد الذي لا تتمكن قوته من الدفاع عن هدف معين رغم عدم توفر الظروف المناسبة: الاعدام ميدانياً.
- عدم الاخبار عن جريمة من قبل شخص اطلع عليها عرضاً: الحكم نفسه الذي ينطبق على الجريمة.
- عملية القتل الاعتيادي بين المواطنين: غالباً يتم الافراج عن المجرمين خلال بضع سنين بينما يقضي القانون الحكم بالاعدام اذا ثبت سبق الاصرار.
-الاتصال بالاجانب : اعدام.
- اقامة علاقة صداقة بين ضباط الاجهزة الامنية والاغنياء من العراقيين داخل العراق: تعتبر لغرض الرشوة ويحكم بالاعدام.
- قبول الضباط للهدايا يعتبر رشوة حكمها الاعدام.
- التسبب في حادث يؤدي الى مقتل اشخاص: اعفاء - اعدام (حسب موقف الشخص من النظام).
- الخطأ الأمني على حساب الطرف الآخر: مسموح.
- الخطأ الأمني غير المتعمد على حساب النظام : ١٠ سنوات الى اعدام وحسب رأي صدام.
- التهاون الأمني مع "القوى المناوئة"، من السجن المؤبد الى الاعدام.

▫▫ فوق القانون وتحته

ويلاحظ ان مساحة الخطأ المسموح تأخذ هامشا عريضا، فنرى شخصا يحكم بالاعدام لحالة لم يحكم عليها شخص آخر حتى بعقوبة خفيفة، وتراعى في ذلك الجوانب التالية:

١- درجة قربه من العائلة الحاكمة، فكل اقرباء صدام لا يخضعون للقانون ما داموا مستمرين بولائهم له.

٢- موقع المتهم في الدولة ومدى حساسية وظيفته وعلاقتها بامن الدولة ودرجة كفاءته الشخصية، ومستوى ادائه الوظيفي الخاص.

نتائج تقارير المراقبة السرية المستمرة لفترة طويلة من نشاطاته، فمهما كانت مؤشرات الكفاءة لصالح المتهم فانه يتعرض لأشد العقوبات عن جريمة أو تهمة معينة، اذا ما سجلت له احاديث ووردت عنه معلومات تشكك بولائه للنظام. فعندما تجري احالته الى محكمة الثورة (الملغاة) سيئة الصيت، أو محكمة خاصة، ولم يكن الامر قد صدر محدداً ومسبقاً من صدام كما هو في بعض الحالات (تقطع رؤوسهم)، فتتم التوصية وفق المادة (-) وتشديد العقوبة بحقه، وهذا يعني الحكم بالسقف الاعلى للمادة القانونية أو اختيار مادة اعلى، فتسحب بذلك صلاحية القاضي لتجعله اداة تنفيذية عمياء ليقال ان المحكمة هي التي حكمت، ومثال ذلك قضية اعدام الفريق عمر محمد الهزاع، فقد اجرت هيئة تحقيق خاصة مؤلفة من كل من علي حسن المجيد، وحسين كامل، وحامد يوسف حمادي، واللواء فاضل براك (مدير المخابرات) تحقيقاً سطحياً مع الهزاع واصدرت توصية باعدامه ولم يعد امام المحكمة الخاصة، بعد قرار اللجنة المقترن بموافقة صدام على أمر الاحالة وطبقاً لأشرطة التسجيل الصوتي، سوى الحكم عليه بالاعدام، وفي احد اجتماعات القيادة العامة للقوات المسلحة، في اواخر الحرب مع ايران، تطرق صدام الى هذا الموضوع الذي انتشر صداه في عموم القوات المسلحة والحزب لكونه اشارة الى بدء تصدع في التماسك المفترض للعائلة الحاكمة، تطرق للموضوع بقوله لقد اتخذ (يقصد عمر الهزاع) موقفاً تآمرياً وخيانياً في مرحلة حساسة وصدر الحكم عليه بالاعدام من قبل "محكمة" مختصة وبموجب دلائل ثبوتية عدة، ويبقى أن اعفاءه من عدمه متعلق بنا.

وبذلك اراد صدام اظهار النقاط الآتية:

١- توفر الدلائل المخالفة للقانون وتجاهل أن ذلك القانون ليس شرعياً.

٢- ان لاعلاقة له بالحكم وانما الأمر يتعلق بقرار المحكمة والقاضي، وتجاهل ايضاً ان احالة الاوراق التحقيقية من هيئة عليا من اركان نظامه تثبت وجود اختام اصابعه كلها عليه.

٣- ومن جانب آخر، جدد التلويح لأعضاء القيادة العامة للقوات المسلحة بما يلي:

* انه فوق القانون، ويتوقف اتخاذ قرار بالعفو، عليه شخصياً.
* اذا كان سيعدم احد ابناء قريته وعشيرته الاقربين لانه مس بالعصب الحساس فكيف سيكون حال الابعدين؟!

.. وأعدم الفريق عمر محمد الهزاع بعد ان قطع لسانه. وبعد ان اعدم مع ابنه، هدمت داراه في بغداد وتكريت وتركت عائلته على قارعة الطريق، وكانت كل تهمته انه وجه نقداً لاذعاً "حقيقياً" الى "مسالك" صدام وأهله.

ومثالاً عن الجانب الآخر، فقد قام فاضل صلفيج العزاوي الذي شغل منصب مدير مخابرات وكالة بعد اخراج فاضل براك عام ١٩٨٩، ثم محافظاً لصلاح الدين (تكريت)، قام بالتجاوز على ارض زراعية تعود الى احدى العوائل على ذراع دجلة (وهي القناة التي شقت لتصريف المياه الزائدة في نهر دجلة شمال بغداد الى بحيرة الثرثار). ولرفض العائلة هذا التجاوز امر فاضل صلفيج افراد حمايته بفتح النار، وتسبب في قتل رجلين، ولكونه ابن وضحة (خالة صدام) فلم يخضع للقانون ولم يجر حتى التحقيق الرسمي معه، لكنه وبعد ان ظهرت خطورة الموقف خلال قصف الحلفاء اثناء "عاصفة الصحراء" ترك مقر المحافظة خشية القصف وانتقل الى منطقة "العيث" وهي منطقة كثبان رملية تسكنها عشيرة الصايح البدوية، واخذ يوجه انتقادات لاذعة الى اهالي العوجة لأنهم دمروا البلد (ويقصد بذلك صدام بالطبع)، وقد وصلت تقارير عما قال الى صدام فضمر له فعلته حتى العام ١٩٩٦ فأودعه السجن (لتخاذله)، ووردت معلومات تفيد بأنه تعرض لمعاملة قاسية.

▫▫ حقيقة التدين لدى صدام

ولد صدام وعاش في عائلة لم تعرف الالتزام الديني، بل عرف عنهم ترديدهم شتائم في احاديثهم الى درجة تقزز النفوس، وبعيداً عن اهله واقاربه فان ما يقوم به صدام بعيد كل البعد عن الايمان والالتزام الديني.. لنأخذ بعضاً من الحقائق ذات العلاقة.

* تعاطيه المشروبات الكحولية (ولكن بمعزل عن الآخرين في حالات كثيرة) وكانت ترد صناديق من اشهر انواع المشروبات الكحولية من الخارج الى مطار بغداد الدولي معنونة الى "السيطرة العسكرية" (محطة الاستخبارات العسكرية في المطار) تحمل اسماء رمزية، ويتولى احد المراجعين نقلها الى رئاسة الجمهورية. كما ان الفريق عدنان خير الله الذي اعتاد على تناول المشروبات يومياً لا يخفي امام خاصته وجلسائه، من الضباط (المبتذلين) والسماسرة (وهم دخلاء على الجيش)، ان مايشربه هو الشراب المفضل لـ "إصدام"، وهو الاسم الذي يطلقه خير الله طلفاح على صدام منذ ان كان صغيراً.

* تعمد صدام بعد حرب الخليج الثانية اعلان عزمه بناء جوامع - مساجد كبيرة تحمل اسمه وابتدأ في تكريت ومن المقرر استكمال الجامع الآخر في مطار المثنى في بغداد. ومن السذاجة تماماً ان يسوق ذلك الى الاعتقاد بأنه جنح الى الدين والايمان بعد هزيمته الكبرى في الكويت فقد اراد البناء لسببين هما:

* خداع السذج، من المسلمين، وحبه وولعه ولهاثه في ان يكتب عنه شيء في التاريخ، ولانه يعرف ان غالبية الاشياء المادية غير متوقع لها ان تستمر لمئات السنين أو اكثر وان انشاء مستشفى أو بناية معينة ستزول اثارها فور زواله فقد وجد في فكرة الجامع الكبير، أو ساعة بغداد، أو الجسر ذي الطابقين مدخلاً الى التاريخ المباشر حتى يذكره الناس على مر الاجيال، الا انه نسي ان كل هذه الاشياء ستضيع تماماً امام التقدم الحضاري الذي سيشهده العراق في الفترات التي تليه.

* يتعمد صدام التظاهر بالصلاة وزيارة العتبات المقدسة لدى الشيعة فيما يغفل زيارة مراقد ائمة السنة لمعرفته ان السنة ينظرون الى الامر بعين السواء أحصل ام لم يحصل. وقد سألت حسين كامل بعد خروجه الى الاردن وخلال اتصالاته الهاتفية عما اذا كان صدام مواظباً فعلاً على الصلاة فاجاب نعم عندما يظهر على شاشة التلفزيون أو امام اجتماعات القيادة. ولا اظنه (حسين كامل) الا صادقاً في هذا.. "ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلن يزدد من الله الا بعداً" صدق الله العظيم.

* استهدف صدام من بناء المساجد وهي لا تقاس (لقلتها) بما بنته غالبية الدول العربية من مساجد، والتظاهر الكاذب بالتزامه الديني، استقطاب عطف المسلمين، واستمالة السنة في العراق الى جانبه، باعتباره حاكماً مسلماً (سنيا) وقد فشل في هذا فشلاً ذريعاً لأنهم يعرفون حقيقته ويعرفون ما يريد، بل كانوا ومازالوا ينزلون اللعنة على من يختاره النظام ليكون خطيباً ويكيل المديح له رياء أو خوفاً أو ارتزاقاً. وقد تلقى عدد من هؤلاء (على قلتهم) تهديدات وانتقادات شديدة واصبحوا موضع ازدراء من قبل عموم الناس.

واضطر النظام الى تشكيل لجنة مركزية من وزارة الاوقاف - الارشاد الديني- والحزب، ووزارة الاعلام - والأمن العام، لتحديد فحوى خطب الجمعة والمناسبات الدينية والزام الخطباء بها، وتكليف اللجان الأمنية للحزب في كافة المدن ارسال مندوبين عنها الى المساجد ومراقبة التنفيذ.

▫▫ دخول التاريخ

في منتصف آذار - مارس ١٩٩١ زار صدام كعادته مقر الاستخبارات وقد صادف في ذلك اليوم (الجمعة) وقوع حادث لأحد ضباط الاستخبارات الاقدمين اثناء مروره في منطقة الاعظمية واصيب سائقه برصاصة، وبعد ان اطلع صدام على تفاصيل الحادث، ابتدأ بالحديث عن الحرب مركزاً على "المجد" الذي تحقق ورؤيته وتفسيره لما حصل بقوله:

١- كان العراق في العهد العباسي القائد والموجه لاكبر دولة في العالم آنذاك، وكما يصطلح عليها الآن بالدولة الاعظم، وقاد العباسيون الدولة وأثروا في العالم لمئات السنين، وعندما نراجع التاريخ نطلع على اسماء العديد من الخلفاء وما ان نترك الكتاب حتى نجد ان الذاكرة لم تحفظ الا اسماء قليلة منهم، اقترنت اسماؤهم وتميزت فترة حكمهم بالفتوحات، لقد اشتهر بعضهم في التوسع بالبناء ولكن وباستثناء شواخص معدودة جداً، فقد دفن بناؤهم معهم أو بعدهم بقليل، اما الاعمال التاريخية الكبيرة فقد دخلت في عمق التاريخ حضارة وتخليداً للأمة.

٢- في العصر الحديث، دخلت الحرب العالمية الاولى من باب كبير الا ان الحرب العالمية الثانية تقدمت عليها في الاهمية ويعود احد اسباب ذلك الى التطور الاعلامي، والتطور التكنولوجي، وحالة التوثيق الافضل، الا ان الحرب بقيت قاصرة، في مفاهيمها الانسانية.

٣- وفي حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية حصلت حروب مختلفة، الحرب الكورية، الحرب الهندية - الباكستانية، الحروب العربية - الاسرائيلية، الغزو التركي لقبرص، حرب فيتنام، وجاءت حربنا الاولى مع ايران، ولم ننته بعد من حربنا الثانية.. ان من حروب الآخرين تستوقفنا الحرب الهندية - الباكستانية لأنها ادت الى انفصال باكستان الشرقية عن الغربية وولادة دولة (بنغلادش) الا انها لم تستوقف التاريخ الا لبرهة محدودة، واخذت بعداً اقليمياً صرفاً، ون الصعب ان تجد كتاباً بيناً عنها في المكتبات الغربية والعربية الا ما هو سطحي أو كتابة عابرة، اما حروبنا فلها طعم خاص.

٤- لم يكن الصراع العربي - الايراني وليد العصر الاسلامي بل كونت الدول العربية - الاسلامية رداً شاملاً على الامبراطورية الفارسية واستولت على كل اراضيها ومن المعارك التاريخية الخالدة كانت "القادسية" التي قادها سعد بن ابي وقاص، وبتفكك الدولة العباسية بدأت أسباب القوة بالعودة الى ايران فكان لابد من اركاعها بصفعة جديدة، فكانت قادسيتكم، فلظروف قاهرة اضطررنا الى ابرام اتفاقية الجزائر التي اعطتهم حق التصرف في المصب الجنوبي لشط العرب،

وكان ثمن ذلك ضرب التآمر شمال العراق وعندما وجدنا الفرصة مناسبة رأيتم ما حصل وكيف حصل تفصيلاً، وبعد مئات السنين بل الاف السنين ستبقى في ضمير العالم الاسلامي شعلة الحرب لان لها طعماً خاصاً في مجابهة الدجل وسيذكر التاريخ أنها حصلت في الحقبة الفلانية التي هي حقبتكم.

٥- حربنا التي لم تنته حتى الآن ستبقى خالدة في ذاكرة البشرية، الا ان علينا ادامة الزخم المطلوب لتعزيز النصر العظيم، ان طعمها الخاص تأتى من جمل عديدة من المعاني العظيمة، ومنها:

أ- كانت حرباً عادلة بالنسبة لنا واجرامية بالنسبة للآخرين.

ب- لقد تآمروا علينا وارادوا اسقاط ثورتكم وبنائكم العظيم وعودة العراق الى عهود التخلف فكان لا بد من الرد، اضافة الى حقيقة التاريخ في ان الكويت لم تكن يوماً الا قضاء تابعاً للبصرة، ان تصرفنا ينبع من منطلقات وطنية وقومية وقلت لهم في احدى المرات رداً على الحاحهم لترسيم الحدود خذوا البصرة ان كنتم تستطيعون حمايتها؟ ولكنهم لا يستطيعون حمايتها.

▫▫ انـه النصـر!

ت- في الحربين العالميتين الاولى والثانية تحارب فرقاء انداد على الارض والنفوس والصناعة.. وفي ام المعارك اجتمعت كل قوى الشر وبأحدث التفوق العسكري وباقتصاد العالم كله فساهمت ٣٣ دولة بالحرب العسكرية مساهمة مباشرة ودخلت اميركا بكل الثقل العسكري الذي يمكنها فرزه للحرب في الخليج، وكنت واثقاً تمام الثقة من النصر، والنصر يتمثل بقائمة طويلة من العناوين منها:

* بقاء الثورة شامخة.
* المحافظة على العراق وعزته وكرامته.
* رفض الانسحاب من الكويت لان في الانسحاب خضوعاً، وعندما اضطرت قواتنا للانسحاب لم يكن الانسحاب عيباً.
* كتب التاريخ حادثة وواقعة من اعظم وقائعه بل اعظمها على الاطلاق.

* اعدنا الكويت الى العراق للمرة الاولى، وقاتلنا من اجل المحافظة عليها، والحرب سجال، وكما يقول المثل "القادم أعظم".
* كان رفاقي في القيادة السياسية (بعد ان بدأت الحرب) يتوقعون ضربة نووية، قلت لهم ياليت كي تزداد صورة العراق مجداً وعظمة.
* علينا الآن تصفية صفحة الغدر والخيانة واعادة التنظيم وعلى الظالم جولة.
وخلال الحديث الذي زاد على ساعتين متواصلتين كان هناك اطلاق نار شبه قريب من بندقية كلاشينكوف يقع في دائرة قطرها حوالي خمسمائة متر، ولاكثر من مرة يتكرر الرمي بصليات متقطعة لبضع دقائق بوجود صدام في مقرنا حصراً، وفي كل مرة كان يقول "فتشوا المنطقة - ابحثوا عن هذا الذي يرمي" اذ تولد لديه شك بانه يعطي اشارة معينة مقرونة بمجيئه، ولكننا لم نبحث عنه جدياً لأن الحادثة تعتبر تافهة مقارنة بما يحدث ولا تستدعي الاهتمام.

□□ **المهـــم**

ويستدل من حديث صدام ما يأتي:
١- قناعته بأن الحروب هي مصدر التوثيق والتخليد التاريخي الاكثر اهمية وعظمة.
٢- كل التطورات الحضارية لا تأخذ ركنا اساسياً من اركان التاريخ مقارنة بما يمكن ان تحتله الحروب.
٣- المهم.. ان يكتب له التاريخ حروباً كبرى، وان يبقى سالماً لمواصلة واستئناف اهدافه (...) ولا قيمة في نظره لكل الخسائر المادية والبشرية، ولا قيمة للمستشفيات ولا التعليم ولا العمران مقابل ان يدخل أسمه التاريخ من اوسع ابوابه.
انها الانانية الاجرامية بعينها.. ولكنه دخل التاريخ على حساب ومصير شعب وامة، وكلما أرخت الاحداث على حقائقها دفع الى حافة السوء من التاريخ.

ويقيناً انه سيعود ليتصدر الاحداث حيثما استطاع، ليتخلص من عار الهزيمة الذي لحق به، رغم كل مزايدته الكلامية الفارغة.

▫▫ الوحدة العربيـة

تحتل الوحدة العربية المركـز الاعلـى فـي تسلسـل اهداف حـزب البعث العربـي الاشتراكي، وتشربت فكرة الوحدة في دماء وعقول البعثيين، شأنهم في ذلك شـأن الحركـات القوميـة العربيـة التـي تزايـد انتشـارها فـي المرحلـة الناصريـة، وبيـن الفتـرة والاخرى، يخـرج صدام متحدثاً عن حلـم الوحـدة ومناغاة الجمـاهير والشعب/ الشعوب العربية. وفي كل خطبه العصماء لا بد من اشارة الى فلسـطين والى وحدة العرب الكبرى، بمـا يثير عواطف بعض من الساذجين باعتباره "بطلاً قومياً".. ترى ما هي حقيقة نظريته القومية؟.

لا نستطيع ان ننعت صدام بالباطنيـة فلـم تسجل عليـــه حـالات ظـاهرة مـــن المـراءات بشكلها المجـرد، الا انـه يجيـد فـي احيـان كثيرة اخفـاء نوايــاه ورؤاه الحقيقية، اذا مـا اقتنع بان الوقـت ليس مناسباً للكشـف عنهـا فهـو يؤمـن بـالوحدة العربية اسوة بالعديد من الآخرين اذا لم تكن على حساب موقعه الرئاسـي، ولذلـك لـن يكون مسـتعداً لاستكمال أيـة خطـوة وحدويـة اذا لـم تنطلـق مـن نقـاط تفـوق تضمـن لـه اكتسـاح المنافسـين الآخريـن. فـاذا مـا عرضـت عليـه سـوريا فكـرة الانـدماج الفوري غير المشروط "تحت قيادته الكاملة" فلن يتردد بقبـول العـرض مهما تكن النتائـج. اما اذا ما اريـد اتباع مسائل ديموقراطية شاملة أو ديموقراطيـة ضمن نظريـة الحـزب الواحد، أو الحزب القائد (صوريـة كـانت ام حقيقيـة)، فلـن يكون حظ المشروع افضل ممـا حصـل فـي تموز - يوليـو ١٩٧٩ عندمـا انتهـى المشروع الوحدوي بدماء ومواقف عدائية ستمتد اثارها الى وقت طويل.

□□ نوايا صدام

ان مئات الاجتماعات واللقاءات مع الطاغية امنت استكشافا مناسباً لطبيعة وابعاد نواياه وحقيقة مواقفه. ففي كل مرة كنا نلتقي فيها وفداً من استخبارات - مخابرات عربية، أكان ذلك في بغداد ام في بلدانهم، لا بد لنا وفقاً لسياقات الأمن المعتادة من تزويد رئاسة الجمهورية بتقارير مفصلة عن تلك اللقاءات. ويكاد في كل مرة يعود صدام ليذكرنا بروح تنم عن مداخل قطرية صرفة وبعيدة عن المنطلقات القومية. ولا اريد القول انني اعيب عليه هذا المسلك (في حالات كثيرة) بقدر ما أستهدف كشف حقيقة المواقف. فلم يجعل وقتاً مناسباً يمر من دون الافصاح عن بعض ما هو مؤمن به، فكان يقول لنا في اكثر من لقاء "تذكروا ان مفهوم الوحدة العربية على اساس شعب واحد، جيش واحد، علم واحد، وطن واحد، لم يعد له وجود وليس ممكناً أو منطقياً التفكير به، اذا تمكنا من اجراء نوع معين ومرحلي من التضامن فسيكون خطوة مناسبة"، وهو بالطبع عندما يقول هذا فليس لاعتبارات تثقيفية، لأنه يعرف ان الذين يصلون الى المستويات التي يتحدث معهم فيها بقدر من الصراحة غير المتاحة للآخرين، ليسوا ممن يحتاجون ان يتثقفوا على يديه، بل لأنه يريد التزاماً بكيفية التعامل مع مسؤولين من الدول العربية.

□□ خدمة قضية فلسطين

اما الحديث عن فلسطين، فمن السذاجة ايضاً الاقتناع بأنه صادق فيه والاموال التي بذلها على اطراف عدة من المنظمات الفلسطينية لم يستهدف منها سوى التنسيق والتعامل مع جهات لها تأثير أو نشاط يمكن استخدامه لاغراضه في يوم ما، وكذلك في الجانب الاعلامي الدعائي والا فان ما قدمه صدام (حقيقة) للقضية الفلسطينية وللصراع العربي الاسرائيلي يكاد لايذكر مقارنة بقدرات العراق الكبيرة، ان لم نقل ان ممارساته خدمت اسرائيل.

□□ التعامل مع اعضاء القيادة

يلاحظ في أول صورة رسمية التقطت لاول وزارة شكلت بعد انقلاب ١٧ تموز - يوليو ١٩٦٨ برئاسة أحمد حسن البكر (رئيس الجمهورية) ان اثنين من اعضاء الوزارة كانا يدخنان اثناء الاعداد للتصوير والتقطت الصورة وهما يمسكان بسيجارتيهما وهما شفيق الكمالي عضو القيادة القومية للحزب واحمد عبد الستار الجواري وزير التربية والتعليم. وان جلب الانتباه الى هذه الحالة لايعني اقرار مشروعيتها أو اعتبارها تصرفاً صحيحاً، بل لأنها تعني انفراجاً في طريقة واسلوب التعامل الرفاقي، وبساطة من قبل رئيس الوزراء لم يعد يحلم بها الوزراء واعضاء القيادة في تعاملهم مع صدام، حيث يحضرون مسمرين بطريقة تسترعي العطف، ولم يجرؤ أحد من اعضاء القيادة على البدء بتناول اقداح الشاي التي تقدم بطلب من صدام طالما انه لم يبدأ بذلك وكثيراً ما تبقى الاقداح على وضعها ليأتي المراسلون لرفعها بعد ساعة أو اكثر، ولم يمسها احد من اعضاء القيادة. ولاعضاء القيادة الحق في ممارسة ضبط النفس لأنهم لا يريدون ان يكونوا ضحية، مثلما اصبح عضو القيادة القطرية وعضو مجلس قيادة الثورة محمد حمزة الزبيدي عندما سبق صدام في تناول الشاي، فقطع صدام الاجتماع ليبدأ بالقاء محاضرة في الاداب العامة واداب المائدة. الا ان الحادثة لم تطفح على وجه الزبيدي الذي اصبح لاحقاً رئيساً لوزراء "جمهورية العراق" تكريماً له على ابادة مجموعات من ابناء جلدته (ومذهبه ايضاً) في محافظة ذي قار.

وعندما نراجع سجل العديد من اعضاء القيادة قد لا نجد غرابة في الامر. فقد كان محمد حمزة مضمداً صحياً مختصاً بزرق الابر في مستشفى بابل (الحلة) ولابد انه تحمل من الاهانات والكلمات النابية الكثير ضمن اسلوب التعامل الحياتي السائد في تلك الفترة.

وفي ايام الانتفاضة جاء الزبيدي من الناصرية الى بغداد لمقابلة صدام الذي وعده باستلام رئاسة الوزارة تقديراً لموقفه في قمع الانتفاضة واعطاه رزمة من المال

كان يحملها معه واذكر انه جَاء بها الى مقر الاستخبارات ليستقل طائرة هليكوبتر لايصاله الى الناصرية فأردت انا واللواء الطيار الركن (فريق حالياً) الحكم حسن علي التكريتي تذكرته بتاريخه الشخصي حيث اخذت النشوة تملأ وجهه بما وعده به صدام، فقال الفريق الحكم انه يريد الذهاب الى المستوصف ليزرق ابرة لسوء حالته الصحية، فأجبته بأن لا داعي لذهابه فسنجد له في المقر من سبقت له ممارسة زرق الابر فأخذ الحكم يقهقه ناظراً الى الزبيدي الذي اكفهر وجهه واسرع مغادراً ولم يدخل مقر الاستخبارات بعدها.

ومادمنا بصدد ذكر امثلة عن طريقة تعامل صدام وافراد عائلته مع اعضاء القيادة والوزراء. ففي اواخر العام ١٩٨٩ زار حسين كامل في مكتبه بوزارة الصناعة كل من الفريق اليوغسلافي سلافكو يوفج رئيس هيئة المراقبين الدوليين لمراقبة سريان وقف اطلاق النار بين العراق وايران والملحق العسكري اليوغسلافي في بغداد مع مجموعة اخرى من المسؤولين اليوغسلاف. وفي اليوم التالي للاجتماع طلب الفريق سلافكو لقائي حيث توطدت علاقاتنا الوظيفية والشخصية من جراء اللقاءات المتكررة التي كانت تحصل بيننا عقب كل زيارة يقوم بها الى ايران حيث المقرر قضاء ١٤ يوماً في كل دولة بالتناوب، وفوجئت بأن الفريق سلافكو منزعج جداً من سير اللقاء مع حسين كامل وقال إنه لم يكن مؤدباً، واضاف الفريق سلافكو يوفج إنه اجتمع بعد ذلك مع وزير التجارة (الوزير الحالي) محمد مهدي صالح وشرح له الموقف وحاول الاخير تهدئة سلافكو بقوله إن حسين كامل شخص عصبي المزاج (ينرفز) والقى باللائمة على حسين كامل. وما من شك في ان وزير التجارة لم يقصد الاساءة الى حسين كامل بقدر ما اراد تخفيف التوتر المحتمل على العلاقات اليوغسلافية - العراقية خصوصاً ان اليوغسلاف قدموا مساعدات مختلفة خلال الحرب مع ايران ولهم علينا ديون غير قليلة، الا انه وأسوة بغالبية الوزراء يجهلون طرق واساليب الرقابة المفروضة على مكاتبهم وغيرها.

فتم استدعاؤه الى القصر الجمهوري، وابلاغه من قبل حامد يوسف حمادي سكرتير صدام والعقيد (آنذاك) عبد حميد المرافق الاقدم لصدام عن امتعاض "الرئيس" من حديثه مع الجنرال سلافكو وان ما قاله حسين كامل كان توجيهاً من الرئيس، لان اليوغسلاف اخذوا يكثرون من طلباتهم لتسديد الديون المترتبة على العراق، وطلبوا من وزير التجارة تقديم مذكرة تحريرية الى حسين كامل يعترف فيها بانه اساء التصرف عن غير عمد ويرجو الصفح عما بدر منه، كما عليه تقديم طلب الى صدام بالاستقالة من الوزارة لعدم تمتعه بالكفاءة وانه الحق ضرراً غير متعمد بسياسة الدولة، وقد نفذ ما طلب منه تحريرياً الا ان صدام اتخذ قراراً باستمراره في وزارته.

▫▫ ممنوع الرؤية

اذاً، هؤلاء هم وزراء صدام، يذهبون الى اماكن الاجتماعات مع صدام (ليلاً) وبسيارات مظللة تحجب الرؤية من الداخل الى الخارج والعكس، كي لايعرفوا مكان الاجتماع والطرق المؤدية اليه (ان لم يكن الاجتماع في مكان معلوم كالقصر الجمهوري)، ويمنع حمل المسدسات من قبل كافة الوزراء واعضاء مجلس قيادة الثورة ونواب رئيس الجمهورية عدا من هم من عائلة صدام (حسين كامل، علي حسن المجيد، ...)، ويمنعون من التدخين فيما يدخن صدام السيجار الكوبي خلال الاجتماع، فينتظرون برهة من الاستراحة خلال الاجتماعات الطويلة ان سمح بها صدام ليخرجوا من غرفة الاجتماعات للتدخين كما يفعل طلاب المدارس الثانوية. ولا تحق لهم مغادرة بغداد الى أية مدينة اخرى قريبة الا بعلم الرئاسة (حتى في ايام العطل)، ولا يحق لهم اختيار عناصر حمايتهم، ولا يحق لهم السفر الى خارج العراق بصحبة عوائلهم لأي سبب كان الا باستثناء خاص من صدام. ولا ينطبق الاستثناء الا على عدد قليل جداً، ولا يحق لهم تعميق العلاقة بقادة التشكيلات القتالية في الجيش، ولا يجرؤ الوزراء الشيعة على زيارة اقاربهم في مدن الجنوب، ويمنعون انفسهم من زيارة مراقد الأئمة

خشية الاتهام بالطائفية. ولا يستطيع الوزراء كلهم، بمن فيهم وزير الدفاع، (عدا افراد عائلة صدام) الاستيضاح من اجهزة الأمن والمخابرات عن مصير شخص مفقود يعتقد انه معتقل خشية ظهور انتماءات له مناوئة للنظام، ويتجنب الكثير منهم تملك العقارات أو تسجيلها بأسماء زوجاتهم أو اطفالهم خشية ان يصحبوا يوما في موضع اتهام وتصادر ممتلكاتهم كلها حتى ما سجل باسماء الآخرين. ومن يستسلم منهم الى الاقدار ويصبح عبداً مطيعاً للطاغية وممجداً به وبعظمته ينل منه تكريماً مادياً لا يهنأ به في نهاية المطاف.

▫▫ القسوة الصدامية

"فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم، واذا عزمت فتوكل على الله، ان الله يحب المتوكلين".صدق الله العظيم.

بهذه الكلمات - العظيمة والمليئة بالرحمة يصف الله سبحانه وتعالى الطريقة الانسانية الصحيحة التي يجب اتباعها من قبل الرئيس - القائد، وبها يخاطب الرسول الاكرم (ص)، لتكون نهجاً في ادارة الدولة وفن القيادة وشؤون الحياة.

الا ان صدام الذي يدعي انه يقرأ القرآن يتبع من سبقه من المشركين أو من الملحدين في انتقاء ما يريد وعدم التقيد بما لا يستهويه، ونتيجة خطاياه وجرائمه المستمرة بالدرجة الاساسية ولتعامله بطريقة فظه غليظة مع الناس وبخاصة المسؤولين في المواقع المهمة، فان عجلة الانفضاض من حوله مستمرة ولن تتوقف على الرغم من الوتائر التي تمر فيها.

والحقيقة التي لاغبار عليها هي ان احداً في العراق، لايعيش مطمئناً من كل القادة والمسؤولين لأنهم لا يعرفون متى يصبحون تحت طائلة القوانين والقرارات الصدامية من دون ذنب يرتكبونه عمداً.

ولا احد من العراقيين يعيش مطمئناً على روحه وماله، فحادثة فجائية واحدة من شأنها ان تسلب من المرء ما يحرص عليه.

وسأشير هنا الى بعض مؤشرات القسوة الاجرامية التي تضمنت حوادث وقعت فعلاً.

١-لا يعتبر صدام العقوبة وسيلة للاصلاح بقدر ما يعتبرها وسيلة للانتقام وتفريغ شحنة الحقد، ولذلك نراه لا يكتفي بحكم الاعدام بل يعمد الى التفنن في طريقة التنفيذ بما يوقع اقصى ايذاء ممكن ومن ادلة الادانة بذلك.

أ- في ثاني وجبة اعدام شاملة في تموز - يوليو ١٩٧٩ اصدر صدام تعليمات بلصق افواه اعضاء القيادة بأشرطة لاصقة ليس فقط لمنعهم من الحديث امام الذين سيحضرون مراسيم الاعدام عن سبب الاعدام، بل لحرمانهم من ان يقولوا ما يريدون ان يقولوه فيذهبوا مكبوتين.

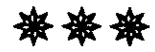
ب- في عام ١٩٨٠ ضبطت مجموعة من الفنيين في قاعدة الحبانية الجوية وكلهم من ضباط الصف العسكريين في حالة تلبس لتخريب عدد من طائرات بلايندر (TU22) القاصفة الاستراتيجية الوحيدة المستخدمة في قصف الاهداف الاستراتيجية في مدينة طهران والمناطق الاخرى البعيدة، بعد ان تعذر استخدام طائرات (TU16) بعد الموجات الاولى من القصف لتشكيلها هدفاً بطيئاً لوسائل الدفاع الجوي الايرانية، فأمر صدام بتنفيذ حكم الاعدام فيهم (حرقاً)، وقد تدخل عزة الدوري من منطلق ديني مشيراً، وبطريقة هادئة، الى ان الله وحده احتفظ بهذه الطريقة اسلوباً للتعذيب ويخشى ان تفسر عملية احراق هؤلاء تفسيراً خاطئاً، فوافق صدام على اعدامهم رمياً بالرصاص، الا انه وبعد مرور اكثر من سبع سنين امر احد اقاربه بأن يعدم ابنتيه حرقاً امام الناس لاتباعهما طريقاً سيئاً وجرى تنفيذ الامر في قصبة العوجة وتم تقطيع اوصال المتهمتين بطريقة بشعة.

ج- ان قسماً من كبار العسكريين الذين يجري اعدامهم ترسل جثثهم مقطعة بأكياس من القماش المستعمل لتعبئة القمح ويلقون امام ابواب بيوتهم مبكراً وعندما يخرج الاطفال للذهاب الى مدارسهم يفاجأون بكارثة لم تكن في حسبان احد، وحصل هذا مع اكثر من ضابط كبير.

د- تعذيب الاطفال امام آبائهم لانتزاع الاعترافات من الآباء، كما ان المواد المسرطنة التي تعطى للاشخاص المنوي اغتيالهم تعتبر دليلاً واضحاً على القسوة، فيما نرى الدول المتحضرة التي مازالت عقوبة الاعدام موجودة فيها تعمد الى اتباع اخف الطرق ايلاماً لايقاع العقوبة.

هـ- يعتبر قرار مصادرة الاموال المنقولة وغير المنقولة العائدة للذين يحكمون بمواد تتعلق بأمن النظام قاسياً وبشعاً وبخاصة ما يتعلق بالمسكن الذي يعيش فيه الاطفال وغيرهم من افراد العائلة ويطبق هذا القرار حتى عندما يكون للعائلة بيت واحد لا غير.

و- استخدام الكلاب البوليسية والوحوش باعدام المناوئين السياسيين الاكثر ايذاء للنظام أو بمن الحق ضرراً بالغاً بأمنه، وقد قيل ان احد خلفاء بني العباس انشأ حفرة كبيرة يلقي فيها من يخالفه خلافاً كبيراً ويطلق عليه الوحوش، بيد ان سجلات التاريخ الانصع تدحض هذه الادعاءات عن تلك الحقبة الزاهرة من الحضارة.



الحركة الكردية

طموح الاكراد

جهاز البارستن

عملية الهدهد

اجراءات المجابهة

كيف ينظر صدام الى الاكراد

حصيلة الموقف بين النظام والاكراد

المعادلات الصعبة

الدور الايراني في القضية الكردية

الدور التركي في القضية الكردية



الحركــة الكرديــة

لم تنشأ الحركة الكردية جراء الشعور بالاضطهاد من الحكومة العراقية، فلم يكن التمييز القومي ظاهراً في المراحل الاولى لتشكيل الدولة العراقية قبل ٧٧ عاماً، بل نشأت وتصاعدت هذه الحركة من شعور باضطهاد اكبر نجم عن توزيع المناطق الكردية تحت سيطرة عدة دول، وتشكل هذه البقعة مناطق طوبوغرافية متماثلة تتكون بصورة عامة من الاراضي المتموجة والجبلية واجزاء قليلة من الاراضي السهلية الواسعة. وتبلغ نفوس الاكراد في هذه الدول ما يقرب من ثلاثين مليون نسمة غالبيتهم العظمى من المسلمين السنة (حوالي اكثر من ٩٠٪) فيما يتواجد الشيعة منهم في مناطق كرمنشاه وبعض اطرافها الجنوبية، وكذلك اكراد الحافة الجنوبية الشرقية من المناطق الكردية العراقية والذين تطلق عليهم تسمية " الأكراد الأفيلية".

وعلى الرغم من ان المناطق الكردية متخلفة بمجملها العام عن التطور الحضاري، لعدم وجود صناعات ثقيلة أو مهمة فيها، الا انها تتميز بنقاط مهمة من جوانب القوة منها وفرة كبيرة بمصادر المياه واراض خصبة صالحة للزراعة ومناطق طبيعية جميلة جداً تصلح لتكوين مشاريع سياحية ضخمة واماكن مثالية لخزن المياه وانشاء العديد من المحطات الكهرومائية الضخمة، كما تحتوي على مقالع واسعة لانتاج الرخام، والمعادن ويتوفر فيها عدد لا بأس به من المناطق النفطية موزعة على الدول المجاورة.

□□ طموح الاكراد

ومن غير الفطنة الاعتقاد بان الاكراد لا يطمحون إلى اقامة دولة كردستان الكبرى الا انهم يضطرون لاخفاء مثل هذه التطلعات تجنباً لردود الفعل الدولية والاقليمية، ويبدو ان ما ينقصهم هو وجود حليف استراتيجي قوي يساعدهم على تحقيق هدفهم الاساسي هذا، وليس من المفترض توقع ظهور مثل هذا الحليف بضوء المصالح الاستراتيجية الكبرى للدول ذات التأثير الفعال، وان ادراك الاكراد هذه الحقيقة لم يجعلهم يتخلون عن استراتيجية استخدام القوة المتاحة والمناورة السياسية الممكنة وتغيير التحالفات والولاءات، في ضوء الظروف والمعطيات التي غالباً ما تتسم بالقسوة والصعوبة، كما انهم دأبوا على اظهار تمسكهم بحقوقهم القومية وحقوق المواطنة الكاملة ضمن البلدان التي ينتمون اليها. فمرة يطالبون بالحكم الذاتي واخرى بالفدرالية وتارة اخرى بالكونفدرالية.

وطبقاً للمعايير الانسانية والحضارية فان من حق الاكراد التمتع بحقوق المواطنة الكاملة، بما في ذلك اشغال المناصب الرفيعة والحساسة، وان تشمل مناطقهم ببرامج التنمية الاقتصادية الشاملة وهذا ما لا يمكن تطبيقه بغياب تمتع الشعب العراقي كاملاً بقدر من الديموقراطية، وهو امر لايخلو من الصعوبة حتى في المرحلة الاولى من التغيير المنشود لاسباب تتعلق بعلاقة التباين الطائفي والعرقي بالموقف الاقليمي، الا ان التفاهم القائم بين الاكراد وفصائل المعارضة العربية العراقية من شأنه ان يضع اساساً رصيناً لتعاون اخوي وديموقراطي متوازن يتم الدخول من خلاله الى رفع المظالم ومنع استخدام القوة للقمع وصولاً الى الاهداف النبيلة في حياة حرة كريمة من دون الحاجة الى محاولة الصهر والقهر وتغيير الهوية.

□□ تبلور الحركة الكردية

في كل مرة تتخلخل المعادلات الاستراتيجية الكبرى تمتد تأثيراتها المباشرة نحو المنطقة الكردية في كل من ايران والعراق وتركيا، فقد ادت المتغيرات

الاستراتيجية عقب الحرب العالمية الاولى وانتهاء الدور العثماني وتكوين الحكم الوطني العراقي الى ظهور فعال للحركة في شمال العراق.
وفي عام ١٩٤٦ وبانتهاء الحرب العالمية الثانية أعلنت جمهورية مهاباد الكردية في ايران التي لم تستطع الاستمرار الا لفترة وجيزة، وفي عام ١٩٥٨ انتقل العراق من موقعه السياسي السابق الى موقف آخر تضاربت فيه القوى فأعيد تنشيط بذور الحركة الكردية من جديد، وفي عام ١٩٦٩ ونتيجة لالغاء شاه ايران لمعاهدة الحدود العراقية - الايرانية لعام ١٩٣٧ من طرف واحد استهدف الشاه تنشيط الحركة الكردية المسلحة شمالي العراق لارباك وعرقلة ردود فعل الحكومة في بغداد، ونتيجة لتصاعد التحضيرات المتعاكسة لحرب تشرين أول - اكتوبر ١٩٧٣ جرى دعم الحركة الكردية من قبل اسرائيل بقوة وكذلك من قبل ايران تمهيداً لاتفاق الجزائر، وكان الدعم في ذلك الوقت موجهاً حصراً الى مصطفى البرزاني.
ونتيجة لتوقف الحرب العراقية - الايرانية وخروج العراق منها باكبر قوة اقليمية تلقت الحركات الكردية ضربات عنيفة خلال عمليات الانفال عام ١٩٨٨ قبيل وبعد انتهاء الحرب.
وبانهيار الاتحاد السوفيتي تصاعدت الحركة المسلحة للاكراد في تركيا الى حد اظهارها بشكل القوة الاكبر التي يبدو كأنها تريد منازعة الحركات الكردية الام في العراق على الدور القيادي لعموم الحركة الكردية في الدول المجاورة.
وكمحصلة طبيعية لهزيمة صدام الساحقة في الكويت وبقائه على رأس السلطة في العراق خرجت المنطقة الكردية (كردستان العراق) عن سيطرة النظام في بغداد كلياً منذ عام ١٩٩١، بعد تكوين المناطق الآمنة كمرحلة اولى، نتيجة غباء السياسة الصدامية في مواصلة الاجتياح المسلح الرامي لقمع الانتفاضة ما وراء المدن الرئيسية، ونتيجة عجزه عن ضبط الأمن في عموم المنطقة الكردية في المرحلة الثانية من عام ١٩٩٢.

ومن جانب آخر بدأت الخلافات تطفو على السطح بقوة بين اقطاب الحركة الكردية المسلحة في العراق منذ عام ١٩٦٤ وبينما هم كانوا يقاتلون الحكومة المركزية في بغداد كانت مفارزهم المقاتلة الموجهة لقتال الجيش تتقاتل فيما بينها في أول تلاق عفوي لها، فضلاً عن العمليات القتالية المنظمة، فازداد الحال تعقيداً بعد ازدياد قوتهم وضعف النظام في بغداد، والقت المشاكل والخلافات والتناقضات الدولية بظلالها على المنطقة، فترى سهاماً تمتد ودوائر تتداخل واحتكاكاً مستمراً، تمهيداً لافراغ محدود للقوة، انطلاقاً نحو المتغيرات المرتقبة، المتغيرات التي تتحسس منها اطراف عربية من جهة، وتركيا من جهة اخرى.. وهكذا يعود السؤال ليطرح نفسه من جديد: المنطقة ماذا؟ والى اين؟

□□ خلفية الصراع الكردي - الكردي

تتكون المنطقة الكردية في العراق من قسمين اساسيين، هما سوران (الجزء المركزي والشرقي الاكبر) موطن الطالباني والغالبية العظمى من الاتحاد الوطني الكردستاني، وبهدنان وهو الجزء القريب من تركيا وشمال الغرب، واليه تنتسب عشيرة بارزان ورئيسها مصطفى البرزاني.

وعلى الرغم من ان الاكراد في كلا القسمين يتكلمون بلهجتين متباعدتين اقرب الى لغتين منفصلتين، الا ان اياً من القسمين لم تظهر فيه حساسية غير معتادة تجاه الطرف الآخر، وان غالبية الإشكالات والمشاكل التي حصلت تتعلق بخلافات عشائرية وثأرية دموية بين البرزانيين وعشائر اخرى، وبخاصة عشيرة الزيبارية التي اتخذت موقفاً موالياً للحكومة المركزية في بغداد كنتيجة طبيعية للعداوات مع البرزانيين، وامتد الحال الى عشيرة السورجية من خلال قتل مسعود البرزاني لحسين آغا السورجي الشيخ الاكبر للسورجية يوم ١٩٩٦/٦/١٦.

◘◘ من براغ الى بغداد

بعد التغيير الجذري في نظام الحكم الحاصل في ١٤ تموز - يوليو ١٩٥٨، حاول الاكراد استغلال الظروف الناشئة على الساحة الوطنية والاقليمية فتوجه السيد ابراهيم أحمد السكرتير العام للحزب الديموقراطي الكردستاني الى بغداد طالباً مقابلة العميد الركن عبد السلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء وزير الداخلية، ملتمساً الموافقة على عودة مصطفى البرزاني الى العراق، فاشار عليه عبد السلام ان تكون عودة البرزاني من براغ الى بغداد عن طريق القاهرة لملاقاة الرئيس جمال عبد الناصر، والوقوف على رأيه بخصوص المسألة الكردية، ويقول السيد ابراهيم أحمد ان عبد السلام كان يؤشر بيده نحو صورة لعبد الناصر معلقة في مكتبه ويقول: اذهبوا واستمعوا الى اقوال هذا الرجل وكل ما سيقوله لكم سننفذه كلياً.

وبعد اقل من ثلاثة اشهر من سقوط الحكم الملكي وجد السيد ابراهيم أحمد نفسه على متن طائرة واحدة مع مصطفى وهما في طريقهما من براغ الى القاهرة حيث التقيا عبد الناصر - الى بغداد، وبعد ثلاثة ايام من وصولهما بغداد تمت مقابلتهما في وزارة الدفاع - مكتب عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء - وزير الدفاع وفي نهاية الاجتماع طلب قاسم من البرزاني الحذر من السيد ابراهيم أحمد لانه ينسق مع المجموعات القومية العربية المناوئة للخط الذي يتبناه عبد الكريم، وفور الخروج من الاجتماع اخذت علامات التبدل تظهر على وجه وتصرفات البرزاني تجاه السيد ابراهيم أحمد الذي كان السبب في عودته الى العراق ومساعدته في مراحل سابقة.

◘◘ شخصية البرزاني

ويبدو ان قيادة الحزب الديموقراطي الكردستاني وبشكل خاص السيد ابراهيم احمد، والسيد جلال الطالباني وجدا في مصطفى البرزاني الذي عين رئيساً للحزب الديموقراطي الكردستاني شخصاً عشائرياً وذا ثقافة محدودة، وان التذبذب

في حياته من رئيس عشيرة في كردستان الى جنرال في جمهورية مهاباد ثم "قصاب " في الاتحاد السوفيتي وابتعاده طويلاً عن المنطقة اخفت الملامح الحقيقية لشخصيته.

فبدأت المعارضة للبرزاني داخل الحزب، فضلاً عن المشاكل العشائرية التي رفض مصطفى البرزاني نصيحة عبد الكريم قاسم اليه في لقائهما الاول في وزارة الدفاع لتجاوزها، وفي المرحلة الاولى من عودة البرزاني الى العراق كانت علاقته جيدة مع عبد الكريم قاسم، ولذلك قام بتزويد قاسم باسماء الضباط المقرر اشتراكهم في المحاولة الانقلابية المعروفة بحركة الشواف التي تمت بتدبير من قبل المخابرات المركزية الاميركية، علماً بان البرزاني كان قد ابلغ ايضاً بالمشاركة في العملية، لتكون حركة عراقية (عربية - كردية)، ولذلك تيسرت معلومات مسبقة لدى عبد الكريم قاسم عن المؤامرة وتصرف تجاهها بهدوء، حيث لم يبدر من قاسم رد فعل أو بوادر تحسس اثناء لقائه الشواف في وزارة الدفاع قبل ثلاثة ايام فقط من تنفيذ العملية.

لقد دأب مسعود البرزاني في عام ١٩٩٥ على القول ان والده اوصاه بعدم مساعدة العرب في العراق للتخلص من حاكم لا يريدونه في بغداد وانه (والده) قد اخطأ في السابق لتعاونه في هذا الاتجاه اما واقع الحال وحادثة الشواف فتعطي ادلة اخرى.

وعلى أية حال فقد تدهورت العلاقة بين البرزاني من جهة والسيد ابراهيم أحمد والطالباني من جهة اخرى وصولاً الى انفصام العلاقة كليا في عام ١٩٦٤، فابتدأ الصراع المسلح بين الطرفين منذ ذلك الحين، وان فترات التوقف لم تكن إلا نتاج ضغوطات أو مسائل ظرفية.

لقد تبلورت الحركة الكردية في العراق واخذت ابعاداً مهمة منذ عام ١٩٦١، وشكلت اعباء كبيرة على الدولة العراقية بصورة عامة، فاضعفت موقفها تجاه ايران لفترة طويلة، حيث تمتعت ايران ومازالت بنفوذ في كردستان العراق يتخذ اشكالاً مختلفة (ومباشرة)، وادت الحركة الكردية الى هدر مبالغ طائلة

ترتبت على انتشار واسع للقوات المسلحة على الغالبية العظمى للاراضي المهمة والطرق الرئيسية وشبه الرئيسية وما يتطلبه ذلك من صرف لمواد التحصين والانشاءات الهندسية وصرف غير اعتيادي لمواد تموين القتال، كما ان ذلك الانتشار ادى الى اضعاف القدرة القتالية الحركية والتنظيمية والمعنوية للتشكيلات القتالية، فاضطرت القيادة الى تشكيل العديد من الوحدات الخفيفة النظامية لمسك الربايا (نقاط حماية المرتفعات) وحماية طرق المواصلات وبعض من الاهداف المهمة كمحطات الطاقة الكهربائية وغيرها، وتطلب هذا استنزاف وتجميد وجبات اضافية من الجنود الالزاميين بدل انصرافهم الى الحياة العامة، كما اثر شكل وطبيعة الانتشار العسكري لمجابهة حرب العصابات على المستوى التدريبي للتشكيلات القتالية بدرجة حادة وسلبية، فان مثل هذا الانتشار لن يؤدي فقط الى حرمان القطعات من التدريبات الاجمالية التعبوية بمستوى الفرق: الالوية - الافواج والسرايا - بل تسبب في ضياع فرص التدريب الفردي ايضاً لمتطلبات الأمن وتوزيع الجنود على بقع صغيرة ومتناثرة.

لقد عنيت الاستخبارات العسكرية بمتابعة الوضع الامني للتشكيلات العسكرية ومتابعة اوضاع الحركات والتنظيمات الكردية وشؤون الفرسان التي سميت جحافلهم في ما بعد بـ "افواج الدفاع الوطني"، وجرى استحداث منظومة استخبارات المنطقة الشمالية في كركوك، ثم جرى نقل هذه المنظومة الى الموصل ونقل منظومة استخبارات المنطقة الشرقية من بعقوبة الى كركوك لأهمية المنطقة من الناحية الاستراتيجية، واسندت الى هاتين المنظومتين مهمة متابعة الحركات الكردية بشكل خاص وبأسبقية اولى، ومهمات تجسسية تجاه الدول المجاورة، وجرى تنظيم العمل شمالاً باسلوبين:

الاول: مباشرة وتجرى ادارته من بغداد لاختراق قيادة البارزاني آنذاك والتشكيلات والتجمعات الموالية له.

الثاني: غير مباشر يتم عبر منظومة استخبارات المنطقة الشمالية والشرقية.

وجرى تحديد المهمة الاساسية بما يأتي:

١- متابعة ورصد حجم واوضاع التنظيمات السياسية والقتالية.
٢- متابعة مستوى ونطاق وحجم التسليح ومصادر توريده.
٣- التنقلات والنوايا القتالية.
٤- العلاقات الخارجية وبخاصة مع ايران، تركيا، اسرائيل.
٥- حجم الخسائر المادية والبشرية التي تلحق بهم.
٦- التماسك القيادي والخلافات والمشاكل السياسية والفردية.
٧- الاتجاهات والعلاقات الحقيقية للعشائر الكردية.
٨- تنسيق وادارة الاتصالات مع اقطاب الحركة لتشجيعهم على التمرد على الحركة والعودة الى جانب الدولة من خلال الاغراء بمبالغ طائلة تصرف اليهم.

وكانت الاستخبارات تصرف اموالاً كثيرة في هذا الاتجاه ولا اعتقد بأن اوجه الصرف الكبير التي تمت خلال السبعينات بتوجيه من صدام كانت صحيحة لانها في النتيجة ادت الى اثراء مجموعات كبيرة من الاشخاص وجعلتهم طبقة متميزة، ومن العسير الاعتقاد بأن اولئك الاشخاص قطعوا علاقاتهم بالحركات الكردية على الرغم من ان الكثير من رؤساء العشائر اضطروا للعمل مع السلطة ليس حباً بالسلطة أو سعيا وراء المال والجاه فقط وانما بسبب العداوات الحادة مع عشيرة البارزاني الذي يرون انه يتصرف معهم بطريقة فوقية لصالحه ولصالح عشيرته، كما ان ذلك الصرف ادى في النتيجة الى وجود نقاط تأثير متعدد الاشكال محلياً وخارجياً ضد السلطة.

▫▫ جهاز البارستن

لقد شكل البرزاني جهازاً للمخابرات اطلق عليه تسمية "البارستن" وقد حظي هذا الجهاز بمساعدات تنظيمية وتدريبية من قبل جهاز السافاك (المخابرات الايرانية) وجهاز الموساد (المخابرات الاسرائيلية)، وقد اسندت الى هذا الجهاز مهمة الحصول على المعلومات عن العراق (عسكرياً - سياسياً - وتحديد

اهداف التخريب) بما في ذلك تهيئة المعلومات الميدانية للقيام بالغارات المحدودة، ونصب الكمائن وما الى ذلك، كما يمثل "الأمن" الشطر الآخر من مهمته، وما من شك في ان هذا الجهاز استخدم المعلومات المتاحة له لاغراضه الذاتية وغيرها.

في بداية عام ١٩٧٤، اصدرت مديرية الاستخبارات العسكرية العامة توجيهاً محدداً بضرورة توسيع الاختراق لدوائر تواجد البرزاني والعلاقة التنسيقية مع كل من الموساد والسافاك، ولتحقيق هذه المهمة تمت مراعاة النقاط التالية:

١- توسيع التواجد الاستخباراتي (السري) في كل من حاجي عمران، كلالة، جومان، ديلمان، ناوبردان، خليفان، ديانا، راوندوز، وتعتبر المناطق الخمس الاولى مهمة لعلاقتها بتحركات البرزاني فيما تظهر نشاطات سرية فعالة للبارستن في المناطق الاخرى (خليفان، ديانا، راوندوز).

٢- ضرورة "التشييك" على جهاز البارستن مباشرة.

٣- زرع مجموعات سرية داخل الوحدات الكردية المسلحة التي يجرى نشرها لحماية مقرات البرزاني.

٤- ولما كانت المناطق المذكورة ذات طابع كردي كامل فقد كان من المتعذر تماماً استخدام عناصر استخباراتية من غير الاكراد لارسالهم اليها، ولما كان دخول الاكراد وعملهم في الاستخبارات محرماً، الا في حالات استثنائية ونادرة جداً، وضمن نطاق محدود ومسيطر عليه لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة، فلم يعد هناك من مجال سوى انتخاب عناصر كردية وتدريبها واغرائها للقيام بهذه المهمات " المحفوفة بالخطر" وقد اسندت المهمة الى ضباط قسم الشمال (قبل ان يجرى تطوير القسم الى شعبة خاصة) وصدرت التوجيهات لفتح ملف خاص بالعملية اطلق عليه الاسم الرمزي "الهدهد". فقد اختارت الاستخبارات الآية الكريمة "وجئتك من سبأ بنبأ يقين" شعاراً لها مخطوطا على محيط النصف الاعلى من دائرة احيطت بصورة لهدهد

فيهـا خـط محيط النصـف الاسـفل مـن الدائـرة باسـم الدائـرة (مديريـة الاستخبارات العسكرية العامة).
وقد تم اختيار هذا الشعار من قصة النبي سليمان عليه السلام مع الهدهد، في توعده بمعاقبة الهدهد لتأخره عن الحضور: بسم الله الرحمن الرحيم "وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين، لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. قال سننظر أصدقت ام كنت من الكاذبين" صدق الله العظيم.

▫▫ عملية الهدهد

تولى ضابط من افضل ضباط الاستخبارات العملية مباشرة وتم اختيار خمسة عناصر من الاكراد لكل من المناطق الثمانية المستهدفة وتم توزيعهم الى ستة اماكن متباعدة في بغداد. وحرص ان تكون كل مجموعة من عشيرة واحدة أو منطقة واحدة، وعندما عرض الامر امام مدير الاستخبارات اصدر الموافقة على مجمل الخطة على ان يعاد توزيعهم (الاعداد) الى المجموعات بشكل غير متناسق عدديا تجنبا لتولد شكوك لدى الطرف المقابل. فتقرر دفعهم بوجبات متتابعة فرادى وازواجا، على ان لا تكون المحصلة عدداً خماسياً أو متساوياً، وبخاصة في المناطق الخمس المهمة، وحرص على تدريبهم تدريبا مكثفا على مواضيع اساسية منها :

١- زيادة في قابليتهم البدنية ووجدوا انهم يتمتعون بقدرة تحمل جيدة.
٢- اسلوب الحديث الواجب اتباعه في مناطق الاهداف.
٣- كيفية الحصول على المعلومات.
٤- اسلوب تعبير وارسال المعلومات السريعة وغير المستعجلة.
٥- معلومات عن عشيرة البرزاني ، معلومات عن آمري الفصائل المهمة.

٦- المهنة المطلوب التظاهر بها، وقد تم تدريب اربعة اشخاص منهم على الاسعافات الاولية وتلقينهم الادعاء بأنهم تعلموا ذلك خلال خدمتهم الوظيفية وعشرة منهم على الاتصالات اللاسلكية.

٧- دورة قصيرة في المتفجرات والتخريب واستخدام السموم.

٨- ضرورة التظاهر بالولاء التام للبرزاني شخصياً.

٩- تلقين عشرة منهم بأن لهم معارف في بغداد يعملون في سوق الشورجة. وفي منطقة باب الشيخ بعد اعطائهم اسماء هؤلاء الاشخاص ومواقعهم ومهنهم واجريت لهم مقابلة كل على انفراد وجرى تحذير الموجودين في بغداد من تسريب اي خبر عنهم وقيل لهم اذا سئلتم عن شخص بهذا الاسم وهذه الصورة فايدوا معرفتكم به وانه انسان جيد، وقد اتخذ هذا التدبير احترازاً لقيام البارستن بتدقيق المعلومات عن هؤلاء الاشخاص.

وتم دفع هؤلاء المدربين وتزويد كل منهم بمبلغ مناسب وغير متساو ١١٠-١٥٠ ديناراً أي حوالي ٣٠٠ - ٥٠٠ دولار وروعي ان لا تكون الاوراق النقدية جديدة أو متسلسلة الارقام أو من فئة نقدية واحدة، وخلال اربعة اشهر من بدء الاختبار تم استكمال تدريبهم وتوصيلهم الى مناطق الاهداف عبر مراحل زمنية وتوقيتات متباينة وجرى اختيار الاغطية المناسبة لكل منهم وتسريبهم، كل على انفراد، وباعداد لا تزيد عن اربعة اشخاص فحققت الصفحة الاولى من العملية نجاحاً تاماً، فقد تميزت تلك الفترة بالتحاقات غير قليلة من الاكراد الى مناطق سيطرة البرزاني ما جعل الكشف عنهم امرا معقداً، الا ان اثنين منهم اكتشف امرهما لتعرف شخص من "الشركة التي سبق ان عملوا فيها سوية" عليهما اثناء اعتقاله والتحقيق معه في منظومة استخبارات المنطقة الشمالية، ولحسن الحظ فقد تمكنا من الهرب والعودة الى بغداد قبل استكمال التحقيق معهما، كما تمكن البارستن من اكتشاف امر ثلاثة اشخاص آخرين بينهم اخوان وقام باعادة توجيههم ضدنا وتكليف احد الاخوين بالتردد الى بغداد للاتصال بالاستخبارات وتهديده بقتل اخيه الموجود لديهم اذا ما اخبر الاستخبارات بما حصل، ولكن

ولحسن الحظ فان الشخص الثالث كان مجهزا بكلمة رمزية تدل على اكتشافة من قبل الطرف المقابل، وانه يواصل اتصالاته معنا تحت اشرافهم وسيطرتهم.

▫▫ نجـاح العمليـة

وفي المحصلة نجحت العملية بدرجة جيدة وضمن الحدود والافق المخمنين لها.

وشمل النجاح مايلي:

١- تحديد عادات واوقات تردد ومناطق اقامة البرزاني وترتيبات الحماية وجرى تزويد عدد منهم بأجهزة لاسلكية بعد ضمانة استقرارهم واخذوا يعبرون الى بغداد معلومات مهمة وسريعة وتعرض البرزاني من جرائها لعدة غارات جوية وكاد يقتل في اكثر من واحدة منها وفي احدى المرات تم قصف منطقة ديلمان بقنابل ثقيلة من وزن طن وثلاثة اطنان، وحتى عام ١٩٧٧ التقط المصورون العسكريون قنبلة ثقيلة وقد انشطرت الى قسمين طولياً وكأنها "نصف حب ماء كبيرة" (الحب وعاء ماء من الفخار) حيث فقد احد النصفين وبقي الآخر قرب ديلمان.

٢- تحديد حركة وحدات المدفعية الثقيلة من ايران على محور حاجي عمران.

٣- الوفود الاسرائيلية والايرانية وكانت اسماء ضباط المخابرات الايرانية معروفة لكثرة ترددهم، فيما أعطي ضباط الموساد اسماء رمزية في التعامل بين الاكراد المحيطين بالبرزاني.

٤- الاهداف والنوايا الهجومية الكبيرة.

٥- وضع القوات، والروح المعنوية، وتوفر الارزاق، والعتاد.

٦- خسائر البيش مركة نتيجة القصف الجوي والمدفعي والمعارك على الارض.

واستمر الحال هكذا لعشرة اشخاص منهم حتى اتفاقية الجزائر وانهيار حركة البرزاني في آذار ١٩٧٥.

◻◻ اجراءات المعالجة (المجابهة)

في المرحلة التي سبقت انقلاب ١٧ يوليو - تموز ١٩٦٨ اقتصرت اجراءات الدولة في مجابهة الحركات الكردية المسلحة على استخدام القوات المسلحة دون المساس بأمن وسلامة المدنيين والقرى (قدر الامكان) واستمرار الاتصال مع القيادات الكردية لمحاولة حل الازمة وتشكيل مجموعات من الفرسان من العرب والاكراد، فرسان خالد بن الوليد للعرب.. وفرسان صلاح الدين للاكراد.. وهي عبارة عن مجموعات من متطوعي العشائر للقتال الى جانب السلطة مقابل مبالغ مالية تدفع اليهم، وباستثناء ما كان يقوم به عدد محدود من القادة العسكريين (من استخدام قاس نسبياً للقوة) فقد اقتصرت اجراءات الدولة على تصرفات اعتيادية لفرض السيطرة على المنطقة.

اما بعد انقلاب ١٩٦٨ فقد تغيرت اساليب المجابهة جذرياً وفي مايلي اهم الاجراءات المتخذة بهذا الصدد:

١- تم تشكيل هيئة عليا مختصة بمعالجة المشكلة الكردية سُميت "اللجنة العليا لشؤون الشمال" وتولى صدام رئاسة اللجنة مباشرة، فيما شغل عدد من اعضاء القيادة والكوادر سكرتارية اللجنة ومنهم غانم عبد الجليل عضو القيادة القطرية للحزب، اعدم بتهمة التآمر، خالد عبد عثمان الكبيسي عضو قيادة فرع في الحزب، اعدم بتهمة التآمر، العميد (امن) عبد الرحمن عزيز حسن حكم عليه بالسجن المؤبد ثم خفض الى سبع سنوات.

وقد شغل الاخير منصبه بعد تخويل علي حسن المجيد تنفيذ سياسة الدولة في المنطقة الشمالية.

٢-استخدام القوات المسلحة بنطاق واسع لتدمير الحركة الكردية.

٣- استخدام الاموال لإستمالة عدد كبير من رؤساء وافراد العشائر الكردية، ولم يكن المال وحده الدافع الحقيقي بل الكره الذي تحمله غالبية العشائر الكردية الرئيسية للبرزاني كما اشرنا.

٤- الاتفاق مع ايران على حل المشاكل الحدودية بموجب اتفاقية الجزائر في آذار ١٩٧٥.

٥- نشاطات استخبارية مكثفة للتغلغل في صفوف الحركات الكردية واستقطاب عناصر مهمة فيها.

٦- استخدام العوامل الكيمياوية من خلال القصف الجوي والصاروخي ضد قصبة حلبجة التي حصلت فيها ٥٠٠٠ اصابة يوم ١٩٨٨/٣/١٦ بقوة ٥٠ طائرة مقاتلة وعشرات الغارات الجوية ورميات المدفعية والصواريخ الكيماوية على اهداف اخرى، وقد صدرت تعليمات من القيادة الى كافة قيادات الجيش والاجهزة الخاصة باستخدام مصطلحات (العتاد الخاص، الضربات الخاصة، السلاح الخاص) عند الاشارة الى الضربات الكيماوية الا ان بعض المفاصل كانت ترتكب خطأ عفويا في الاشارة الى السلاح الكيماوي أو في الربط بين استخدام ضربة خاصة - وقيام الحركات الكردية باستخدام وسائل الحماية الكيماوية.

ويبين الكتاب - الخطاب المرقم ٤٠٠٨ في ٢٠ حزيران - يونيو ١٩٨٧ الصادر عن مكتب قيادة مكتب تنظيم الشمال بصورة واضحة اصدار التعليمات الى قيادات الفيالق لاعداد ضربات خاصة، اي كيماوية.

وفي ٢٠ حزيران ١٩٨٧، اصدر علي حسن المجيد قراراً طلب فيه من قيادات الفيالق الاول والثاني والخامس، تنفيذه وجاء في القرار:

بالنظر لانتهاء الفترة المعلنة رسمياً لتجميع هذه القرى والتي سينتهي موعدها يوم ٢١ حزيران ١٩٨٧ قررنا العمل ابتداء من يوم ٢٢ حزيران ١٩٨٧ وصعوداً بما يلي: (١) تعتبر جميع القرى المحذورة امنياً والتي لم تزل لحد الان اماكن لتواجد المخربين عملاء ايران وسليلي الخيانة* وامثالهم من خونة العراق.

---

* سليلي الخيانة: الاسم الذي اطلقه صدام شخصيا على عائلة البرزاني.

(٢) يحرم التواجد البشري والحيواني فيها نهائياً وتعتبر منطقة عمليات محرمة ويكون الرمي فيها حراً غير مقيد باية تعليمات ما لم تصدر من مقرنا. (٣) يحرم السفر منها واليها أو الزراعة والاستثمار الزراعي أو الصناعي والحيواني وعلى جميع الاجهزة المختصة متابعة هذا الموضوع بجدية كل ضمن اختصاصه. (٤) **تعد قيادات الفيالق ضربات خاصة** بين فترة واخرى بالمدفعية والسمتيات والطائرات لقتل اكبر عدد ممكن ممن يتواجد ضمن هذه المحرمات وخلال جميع الاوقات ليلاً ونهاراً وعلامنا . (٥) يحجز جميع من يلقى عليه القبض لتواجده ضمن قرى هذه المنطقة وتحقق معه الاجهزة الأمنية **وينفذ حكم الاعدام بمن يتجاوز عمره ١٥ سنة داخل صعوداً الى عمر ٧٠ سنة داخل،** بعد الاستفادة من معلوماته وإعلامنا. (٦) تقوم الاجهزة الحكومية أو الحزبية بالتحقيق مع من يسلم نفسه الى الاجهزة الحكومية أو الحزبية لمدة اقصاها ثلاثة ايام. واذا احتاج التحقيق لمدة اقصاها عشرة ايام لا بد من اعلامنا عن مثل هذه الحالات واذا استوجب التحقيق اكثر من هذه المدة عليهم اخذ موافقتنا هاتفياً أو برقياً أو عن طريق الرفيق طاهر العاني. (٧) كل ما يحصل عليه مستشارو افواج الدفاع الوطني ومقاتلوهم يؤول اليهم مجاناً ما عدا الاسلحة الثقيلة والمساندة والمتوسطة اما الاسلحة الخفيفة فتبقى لديهم ويتم اعلامنا باعداد هذه الاسلحة فقط وعلى قيادة الجحافل ان تنشط لتبليغ جميع المستشارين وامراء السرايا والمفارز واعلامنا بالتفصيل عن نشاطاتهم ضمن افواج الدفاع الوطني.

كما بين تقرير الاستخبارات الصادر بكتاب مديرية الاستخبارات العسكرية العامة (الشعبة الثالثة - شعبة الشمال) المرقم ٩٨٧٩ والمؤرخ في ١٨ ايار - مايو ١٩٨٨ الذي يحمل درجة كتمان سري وشخصي في الصفحة الرابعة منه (الفقرة ج) انه وبعد "الضربات الخاصة" التي تم توجيهها الى القرى التي تتواجد فيها مقرات وقواعد العملاء وزعت تنظيماتهم كميات من المواد الطبية المضادة للضربات الكيماوية.. (الوثيقة رقم ٢) وموقعة من قبل العقيد الركن أحمد رضا

غثيث مدير الشعبة الثالثة سابقاً وحالياً برتبة لواء ركن مديراً للمعدات الفنية.
وتشير الوثيقة رقم "٣" المتضمنة كتاب مركز استخبارات كلار المعنون الى منظومة استخبارات المنطقة الشرقية (سري للغاية ٤٠٤ في ٢٦ حزيران - يونيو ١٩٨٨) في الصفحة السادسة من التقرير الفصلي عن "المخربين" بصورة واضحة الى قيام طائراتنا بقصف مقرات "التخريب" خلال شهر آذار - مارس ١٩٨٨ بضربة "كيمياوية" نتج عنها مقتل خمسين "مخرباً".

٧- اصدار قرار من مجلس قيادة الثورة برقم ١٦٠ في ٢٩ آذار- مارس ١٩٨٧ بتخويل علي حسن المجيد تمثيل مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية للحزب في تنفيذ سياستهما في عموم المنطقة الشمالية "بضمنها منطقة كردستان" لحماية الأمن والنظام، ووضعت تحت سيطرته جميع اجهزة الدولة المدنية والعسكرية والأمنية وبوجه خاص الصلاحيات المنوطة بمجلس الأمن القومي ولجنة شؤون الشمال، وبذلك وضعت اجهزة المخابرات والأمن والاستخبارات العسكرية المحلية تحت امرته وألزمت القيادات العسكرية في المنطقة بتنفيذ اوامره ويعتبر هذا اوسع واشمل واقوى تخويل تم منحه لغير صدام حصرا.

٨- ترحيل سكان القرى والمدن الصغيرة (الاقضية والنواحي) الى مجمعات سكنية محددة تخضع لسيطرة الاجهزة الامنية والقوات المسلحة وتقرر بالامر الصادر من علي حسن المجيد بكتاب قيادة مكتب تنظيم الشمال المرقم ٣٦٥٠ في ٣ حزيران - يونيو ١٩٨٧ (الوثيقة رقم ٤) وفيه يشير الى:

* المنع البات لوصول أية مادة غذائية أو بشرية أو آلية الى القرى المحذورة.
* على القوى العسكرية كل ضمن قاطعه قتل اي انسان أو حيوان يتواجد ضمن هذه المناطق وتعتبر محرمة تحريماً كاملاً، وبذلك يتم فرض حصار شامل على الغذاء.

٩- تكثيف وتوسيع عمليات الاعدام الفوري بموجب الصلاحيات المناطة الى علي حسن المجيد من دون الحاجة الى احالتهم الى محاكم التحقيق ويلاحظ في الوثيقة رقم ٥ (كتاب قيادة مكتب تنظيم الشمال سري وشخصي ١٤٠٩ في ١٩ شباط -

فبراير ١٩٨٩) صدور الامر الى منظومة استخبارات المنطقة الشمالية تنفيذ حكم الاعدام بحق جميع المجرمين ولا داعي لاحالتهم الى محكمة تحقيق الاستخبارات.

ويلاحظ في الوثيقة رقم ٦ (كتاب منظومة استخبارات المنطقة الشمالية سري وشخصي ٣٢٤ في ٢٣ شباط ١٩٨٩) انه وتنفيذاً لأمر قيادة مكتب تنظيم الشمال تم تنفيذ حكم الاعدام بستة اشخاص وهم قادر خدر حمد، معروف الشيخ اسماعيل، خاجي آغا بايزبالو، محمد عبدالله علي، خالد أحمد عبدالله وعبدالله آغا عبدالله.

وجرى توقيع هذا الكتاب من قبل العقيد الركن وليد نايف شبيب وهو حالياً برتبة لواء ركن، وما من شك وحسب معرفتي باللواء وليد فانه كان مرغماً على تنفيذ الامر أو كان سيطبق عليه ويطبقه غيره.

وكما مبين في الوثيقة رقم ٧ (كتاب قيادة مكتبة تنظيم الشمال ٤٠٠٨ في ٢٠ يونيو - حزيران ١٩٨٧) تقرر تنفيذ حكم الاعدام بمن يتجاوز عمره ١٥ سنة داخل صعوداً الى عمر ٧٠ سنة داخل اذا ما قبض عليهم في المناطق المحرمة.

١٠- في الفترة من ٢٣ فبراير- شباط ١٩٨٨ وحتى ٢٦آب - اغسطس ٨٨ شنت ثماني عمليات قتالية واسعة على المناطق الكردية سميت عمليات الانفال (١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨) وشملت في قاطع شمال السليمانية (ياغ سمر، سركلو، بركلو، ماوت، شرق دوكان) مستهدفة بأسبقية اولى مقرات الاتحاد الوطني الكردستاني الرئيسية حيث كان الطالباني وقيادته يتولون ادارة نشاطاتهم من مناطق ياغ سمر وبركلو وسركلو.

كما شملت المرحلة الثانية قاطع قره داغ والثالثة مناطق كرميان والرابعة جنوب غرب دوكان فيما استهدفت العمليات الثلاث النهائية مناطق قنديل - شقلاوة وشمال غرب دوكان وسبيلك وقد استخدمت العوامل الكيمياوية خلال هذه العمليات استخداماً واسعاً وبخاصة في القواطع العائدة الى الاتحاد الوطني الكردستاني وتمثل الغالبية العظمى من مناطق الحركات الكردية المسلحة، فيما

كان مسعود البرزاني متواجدا في مقره داخل الاراضي الايرانية مع غالبية البرزانيين.

وتم خلال هذه العمليات تهجير وتدمير عدد كبير من القرى وبلغ عدد المفقودين استناداً الى بعض من الاحصائيات حوالي ١٨٠٠٠٠ شخص انقطعت عنهم المعلومات كلياً، ومع التسليم في احتمال وجود نوع من المبالغة في هذه الاحصائية، الا ان اعدادهم من دون شك بلغت عشرات الالاف جرى التعامل مع اغلبهم ميدانياً طبقاً للصلاحية المخولة الى علي حسن المجيد.

❋ ❋ ❋

العلاقــات الكردية - الكردية

ان من الصعب الاعتقاد ان الطالباني والبرزاني سيتصالحان ويتفقان اتفاقاً حقيقياً في يوم ما. وتعود الاسباب الاساسية الى ما يأتي:

* يحمل مسعود كرها كبيرا للطالباني ولا يخفي ذلك بقوله ا"انه عدونا الاول".
* تشكل مشكلة واردات ابراهيم الخليل المعضلة الرئيسية الكبرى في المرحلة الحالية فيحصل مسعود على مبلغ يتراوح بين مليون ومليون ونصف المليون دولار يومياً من رسوم المرور التجاري من نقطة ابراهيم الخليل الحدودية مع تركيا، ومن تجارة السجائر والمشروبات الكحولية التي يجري تهريبها الى ايران، ويعتبر هذا المبلغ رقماً خيالياً بالنسبة للوضع الكردي حيث يوفر مسعود منه ما لا يقل عن ثلاثين مليون دولار شهرياً.

وبالطبع فان هذا المبلغ لا يخضع لضوابط نظامية كما هو الحال في الدول بل يعتبر في المحصلة من الاموال الخاصة، أي تؤول عائداته الى مسعود، وفي الوقت الذي يقع فيه الطالباني وحزبه (الاتحاد الوطني الكردستاني) تحت ضغوط استثنائية في المجالات الاقتصادية فان مشكلة الواردات تشكل السبب الاكثر خطورة ودفعاً نحو القتال، ويرفض مسعود بشكل جدي وضع المبلغ تحت تصرف جهة محايدة وحتى الحكومة الاقليمية عندما كان الطرفان متآلفين مرحليا ويرى الاتحاد ان استمرار مسعود في الاستحواذ على الاموال يعطيه ثقلا مستقبلياً وفي الحقيقة فان هذا الثقل لن يكون في صالح الشعب العراقي بل في الضد منه.

يحاول مسعود كسب الوقت لاعادة ترتيب اوضاعه مستغلاً سوء الوضع المالي للطرف الآخر تمهيداً لخطوة اخرى نحو فرض الزعامة الكردية، وهذا شيء يعارضه الاتحاد بقوة ويسيء الى مصالحنا الوطنية.

□□ المحاولات الاميركية - البريطانية

لقد حاول الاميركيون والبريطانيون تهدئة الاوضاع ومنع عودة القتال وكان همهم المرحلي عقد اجتماع - ثم وقف القتال، والمحافظة على وقف القتال - على امل التفاهم مستقبلاً، كما انهم لم يوجهوا ضغطاً قوياً على مسعود، تجنباً لدفعه الى توقيع اتفاقاته الجاهزة مع صدام، كما ان الاتراك يناصرونه لمشاركته اياهم ضرب حزب العمال الكردستاني - التركي ووصل بهم الامر الى تقديم اسناد جوي قريب الى مسعود في قتاله الاخير مع الاتحاد بعد ان شارف الاخير على احتلال مقرات مسعود الرئيسية منتصف شهر اكتوبر تشرين أول ١٩٩٧ وقد جرى هذا كله في وقت لم تعد علاقة مسعود مع النظام في بغداد خافية على احد بعد استقدامه عدة فرق من الحرس الجمهوري وقوات الجيش الاخرى لاجتياح اربيل يوم ١٩٩٦/٨/٣١.

□□ المعادلة الصعبة

تعتبر قوات الاتحاد الوطني الكردستاني ذات صفة عقائدية شبابية ثورية وتتولى قيادتها مجموعة من المتمرسين في القتال الذين يدينون للاتحاد والطالباني بولاء عقائدي، وتعتبر قوات الاتحاد متفوقة تفوقاً كبيراً على قوات مسعود (الحزب الديموقراطي الكردستاني) في اساليب القتال وسرعة الحركة، ونستطيع ان نقول انها قوة هجومية اكثر مما هي دفاعية، ولو تقاتل الطرفان بمعزل عن تدخلات النظام والاتراك.. والايرانيين ايضاً حيث ساندوا مسعود في مراحل سابقة وبخاصة في ١٩٩٤ فان الغلبة ستكون للاتحاد بسرعة قد لا تكون متوقعة لاحد.

في عام ١٩٩٥ قال الطالباني لاحد الاطراف الخارجية المهمة "ان مسعود يتلقى دعماً قوياً من صدام واذا بقيت العزلة أو الطوق مفروضاً علينا فان لدينا جناحين نستطيع من خلالهما الطيران.." وكانت هذه رسالة تهديدية بان بغداد ليست ببعيدة.

والآن فالتاريخ يجدد نفسه، فان استمرار الضغط على الاتحاد الوطني الكردستاني من دون الزام الطرف الآخر (مسعود) بحل معقول ومنطقي وبخاصة في الجوانب المالية (خشية اندفاعه بشكل اسرع نحو بغداد) فان مثل هذا الموقف، وبعد ان حرم الاتحاد من الدعم الخارجي الا من دعم ايراني محدود جداً وغير مالي، ان مثل هذا الضغط قد يدفعه الى ما هو مكروه له ومكروه لنا جميعاً، لان الاتحاد لا يريد ان يموت، وهو يرى في الوضع الراهن اماتة بطيئة رغم قوته العسكرية، فلم يدمر الاتحاد السوفيتي عسكرياً بل اقتصادياً، فقد تكون المعادلة الصعبة "طالما ان قوة مسعود تكمن في توجهه الى بغداد فليكن الامر كذلك"، وهذا هو ما نخشاه رغم ثقتي بأن الطالباني سيبقى عدوا للطاغية حتى نهاية المطاف.

لقد اتاحت لي الظروف التعرف الدقيق على السيد الطالباني فانه عدو حقيقي لصدام وانه رائد من رواد الديموقراطية والتحرر، وقد لا يكره صدام احد من غير العرب اكثر مما يكرهه هو، وبالتأكيد فانه اكثر الاكراد كرها لدى صدام، لقد جاء الى بغداد عام ١٩٩١ لكسب الوقت، جاء ليتحاور، ويتآمر (الكفاح) ضد صدام حتى النهاية، وان علينا وعلى الدول ذات الاهتمام المباشر في العراق النظر الى ظرفه بعين جدية، ان من مصلحتنا الوطنية ان يكون الاتحاد قوياً.

◻◻ الملعب الكردي

لقد تحول العراق الى مجموعة من الملاعب الكبرى والاقليمية فالملعب المركزي يتمثل في قرارات مجلس الأمن وهي مجموعة القرارات والضوابط الناشئة عن حرب الخليج الثانية التي تسبب فيها صدام شخصياً، والهادفة احتواء القدرات

العراقية في ما يتعلق بالجانب العسكري وما يتصل بالصناعات المتعلقة بالقدرة القتالية تمهيداً لصفحة اخرى لم تظهر مرتسماتها الحقيقية حتى الآن. وهي على أية حال قرارات لا تمثل اهدافنا وتطلعاتنا في اسقاط صدام الا انها يمكن ان تكون عناصر مساعدة لذلك، ويعتبر مجال لجنة التفتيش عن اسلحة الدمار الشامل وازالتها، والقضية الكردية، وحدود حظر الطيران، وتطبيق القرار ٩٨٦ (النفط مقابل الغذاء والدواء) العناصر الاساسية التي تفرض نفسها على احداث الساعة وابقاء الموقف ساخناً، فضلاً عن موضوع الاسرى الكويتيين والمفقودات من المواد والمعدات الكويتية التي استحوذ عليها النظام.

ويبدو الملعب الكردي ساخناً بقوة طيلة السنوات الست الماضية وتعود اهم اسباب هذه السخونة الى المشاكل المحلية الكردية، والتدخلات الخارجية الاقليمية وغير الاقليمية، واصابع النظام الممتدة الى المنطقة.

وثمة دلائل تشير الى ان الوضع سيبقى هكذا حتى الانهاء الكامل والجذري للقضية العراقية بكل تداعياتها وتعقيداتها وتشابكاتها المحلية والاقليمية والدولية، والتي ستستغرق وقتاً ان لم يجر حسمها داخل العراق بصورة مفاجئة.

وفي الوقت الذي يريد فيه الاميركيون ومعهم بريطانيا ان يكونوا المتحكمين الفعليين في القضية الكردية (في كردستان العراق) فان الاتراك والايرانيين اظهروا انهم لاعبون حقيقيون وفعالون ايضاً على المساحة الجغرافية بكاملها تقريباً، فاجهزة ونفوذ البلدين موجودة في عموم المنطقة، اما الدور العربي فيبدو غائباً تماماً عن المسرح المباشر.

▫▫ الدور الايراني في القضية الكردية

يرجع الدعم الايراني للقضية الكردية في العراق منذ البدء الى عدم تسوية المطالبات بين البلدين، فالغاء اتفاقية الحدود لم يكن وليد عام ١٩٦٩ الذي اعلن فيه الالغاء، وقد رأى الشاه في مصطفى البرزاني الشخص المناسب لتنفيذ طلباته وفقاً للمصالح الايرانية، فبعد تصاعد الخلافات بين البرزاني وكتلة السيد ابراهيم

أحمد والطالباني، التقى السيد ابراهيم، الشاه في طهران طالبا منه المساعدة فما كان من الشاه الا ان كشف عن حقيقة العلاقة التي يريدها بقوله: "انت تمثل اتجاها حزبياً ولديكم قيادة أو مكتب سياسي، وما اطلبه منك تضطر لمناقشته في المكتب لاتخاذ قرار حوله، وهذا لا يتناسب والمتطلبات الايرانية.. فيما يتعامل معنا البرزاني على اساس فردي عشائري فينفذ ما نقوله له دونما حاجة للتداول مع اعضاء المكتب" وعلى الرغم من ان الصورة قد لا تكون داكنة الى هذا الحد المظلم، الا انها تعبر عن حالة يصبح الخطأ في رسم حدودها محدوداً. وبعد سقوط الشاه وحصول الحرب العراقية الايرانية تجذر الموقف الايراني من القضية الكردية من جديد وتم تشكيل "مقر عمليات رمضان للحروب غير النظامية" وهو مقر يعود الى الحرس الثوري الايراني وتولى قيادته "ذو القدر" ثاني اكبر شخصية في قيادة الحرس الثوري في المرحلة الحالية، ويتولى هذا المقر عمليات التنسيق والاشراف والمتابعة مع قوى المعارضة العراقية من منظمات اسلامية (شيعية) وكردية، وخلال الحرب العراقية - الايرانية حرص هذا المقر ان يكون له تواجد داخل العراق في المناطق الجبلية.

ثم تطور الموقف تطورا كبيراً بعد هزيمة صدام في الكويت، واخذ هذا المقر (مقر عمليات رمضان) دورا اكبر من ذي قبل، كما نشطت المخابرات الايرانية نشاطاً كبيراً هي الاخرى في عموم كردستان العراق وعلى طرفي الصراع الكردي - الكردي فيما بعد، على حد سواء، بل ان العلاقة بين الايرانيين ومسعود كانت اكثر قوة من علاقتهم مع الاتحاد الوطني الكردستاني.

وثمة من يتساءل عن مبررات ودوافع التدخل الايراني في المرحلة الحالية، ومدى جدوى وتأثيرات هذا التدخل، ولماذا لا تمارس الولايات المتحدة الاميركية ضغوطاً حقيقية على ايران لوقف تدخلاتها وقفاً شاملاً، طالما ان من غير المسموح ان يكون لايران دور فاعل أو ذراع طويلة في العراق؟

مما لاشك فيه ان أيا من المشاكل العراقية - الايرانية لم تجر تسويته بشكل جدي ونهائي ومنها:

١- استحواذ ايران على ١٤٨ طائرة عراقية التي ارسلها صدام الى ايران تخلصاً من القصف الجوي في حرب الكويت وترفض ايران الاعتراف بوصول طائرات القتال والاكتفاء بالتصريح بان لديها ٢٢ طائرة مدنية.

٢- وجود عدة الاف من الاسرى العراقيين، كان عددهم بحدود عشرين الف شخص ويبدو انه قد انخفض حالياً.

٣- رعاية صدام لمنظمة مجاهدي خلق الايرانية التي تشكل تهديداً جدياً للنظام وامدادها بكل اسباب القوة والاستمرار.

٤- مطالبة ايران النظام في بغداد بعدة الاف من الاسرى الايرانيين فيما يصر النظام على عدم وجود سوى اسير واحد هو الملازم الاول حسين على لشكري الذي اسقطت طائرته داخل الاراضي العراقية قبل يوم ٢٢ ايلول - سبتمبر ١٩٨٠ والحقيقة ليست كذلك.

كما ان ايران تشعر بضرورة ان يكون لها دور في العراق طالما انه واقع وسط الفوضى وبخاصة مايتعلق بالمنطقة الكردية، نظرا لانها عانت من صدام ما عانته، ولا تريد ان تعاني من ذلك مرة اخرى وهذا يتطلب ان يكون لها نفوذ حقيقي تستطيع التأثير فيه على النظام حالياً وعلى اطراف اخرى ايضاً.

٥- وجود احتكاك سلبي في العلاقة بين ايران الاسلامية الشيعية وبين تركيا العلمانية التي تعاني من اتجاهين مضادين هما حزب العمال الكردستاني، والتيار الاسلامي داخل تركيا الذي يهدد استمرارية النظام العلماني الاتاتوركي الذي تحرسه القوات المسلحة التركية. وان وجود كتلة قوية من حزب العمال الكردستاني (التركي) في شمالي العراق وخطوط امداد معينة له عبر الحدود مع ايران يمثل نقطة احتكاك (خفيفة حتى الآن) بين الدولتين.

٦- تحاول ايران مجابهة العلاقة التنسيقية بين اسرائيل وتركيا بتوجيه ضغوط على تركيا من الساحة العراقية وغيرها.

٧- اشعار الاميركيين بانها موجودة في صلب القضية الكردية العامة وفي جنوب العراق وفي لبنان كما هي في الخليج وكذلك لا بد للأميركيين من ادراك

المواقف جدياً وجوهرياً، الامر الذي يسهل التعامل مع ايران وهي في موقع قوي وعلى انها اكبر قوة اقليمية، وحتى الآن يبدو هنالك تجاذب ايجابي محدود بين اميركا وايران.
وعلى المدى البعيد فان ايران تريد ان ترى انتشاراً لافكارها ونشاطاتها يدل على نجاح خارجي.
وتنظر الولايات المتحدة الاميركية على ما يبدو الى التحرك الايراني على انه مازال ضمن دائرة السيطرة الاستراتيجية، وما يدل على صواب هذا التقدير بقاء التدخل الايراني في شمالي العراق بنطاقه المحدود، والا فبامكانها تغيير المعادلات في الصراع الكردي - الكردي سريعاً، وتحجيم أو استنزاف النشاطات التركية المسلحة استنزافاً كبيراً، لاسيما ان قرار تركيا بتصعيد المجابهة المسلحة مع ايران يعتبر من القرارات المعقدة جداً وربما المستحيلة وفق المعطيات الحالية.
وطبقاً لتوازن القوى الاقليمية ونقاط واعماق التأثير فان التدخل الايراني يمكن وصفه بانه محدود، ومازالت امامنا فسحة من الوقت لنرى درجات من التصعيد اللاحق، والملاحظ على صدام عدم انزعاجه من الدور الايراني فحتى عام ١٩٩٤ (قبيل مغادرتي العراق في ١٩٩٤/١١/٢٣) حرص على محاولة متابعة النشاط الايراني، وتجسيده وابراز مخاطره، آملا من ذلك اثارة حفيظة الغرب والعرب وجذب الانتباه الى ايران. ويلاحظ استمراره بهذا النهج، ويستثني من هذا مرحلة عودة الاتحاد الوطني الكردستاني الى السليمانية بعد تراجعهم صوب الحدود الايرانية فقد كانت هذه العودة مزعجة لصدام تماماً لانه كان يعتقد ان كل شيء قد انتهى.

▫▫ الدور التركي

مازالت تركيا تحظى بموقع متقدم من التجارة مع العراق، رغم الاوضاع المالية المقيدة جراء العقوبات التجارية، وقد شهدت مرحلة الثمانينات والنصف الثاني

من السبعينات ازدهارا غير مسبوق للعلاقات التجارية بين البلدين وانتعشت تجارة الترانزيت وشركات النقل التركية بطريقة مذهلة، فعلى مدار الساعة وعلى طول المسافات البعيدة بين نقطة ابراهيم الخليل شمالاً والمنشآت المهمة والمخازن جنوبي بغداد على امتداد اكثر من ستمائة كيلومتر قد لاتختفي ارتال ومجموعات السيارات من امام الانظار، ولم تكن هنالك من مشاكل حقيقية عالقة بين البلدين.

وفجأة وضع صدام العالم على كف الخطر باجتياحه الكويت، فأصيب الاقتصاد التركي هو الآخر بضربة قوية لتوقف "التجارة" مع العراق أو انخفاضها الى ادنى المعدلات على الرغم من ان تركيا احتفظت بموقع متقدم مقارنة بالاخرين.

اما الادعاءات التركية القديمة بولاية الموصل بامتداداتها شرقاً نحو النفط في كركوك ووجود مجموعة من المواطنين العراقيين من اصول تركمانية في كركوك فقد تحول الحديث عنها الى شيء من التاريخ، ولم يحاول الاتراك اعادة ملء الفراغ في شمالي العراق الناجم عن خروج المنطقة الكردية عن سيطرة النظام، وما ترتب على غياب حكومة موحدة، من انتشار واسع لحزب العمال الكردستاني التركي وبما يمثله من تهديد جدي متواصل للدولة التركية. واقتصر الدور التركي حالياً على مايأتي:

* تقديم تسهيلات محدودة لاطراف معينة من المعارضة.
* تقديم الدعم ومساندة التركمان من العراقيين ممن شكلوا منظمات سياسية.
* تقديم تسهيلات ومساعدات مالية بسيطة الى بعض من اطراف كردية اسلامية مسلحة.
* التنسيق مع مسعود البرزاني تنسيقاً قوياً ومباشراً ودعمه مالياً وعسكرياً وتجهيزه بالاعتدة واسلحة معينة مقابل التعاون والتحالف معهم لمقاتلة حزب العمال الكردستاني التركي في مناطق نفوذه.
* تنفيذ سلسلة عمليات قتالية واسعة في شمالي العراق لضرب حزب العمال.. ولم تؤد العمليات المشتركة مع مسعود الى طرد حزب العمال من المنطقة كما

اننا لا نستطيع القول ان مشاركة مسعود المتكررة في القتال ضد هذا الحـزب قد اوجدت عداء ثأريا لا يمكن تجاوزه، فقد اثبتت الاحـداث ان حـزب العمـال يتميز في التكيف مع الحوار الكردي - الكردي فتارة يتهم مسعود بالخيانة القومية وتارة اخـرى يتفهم خطوته في التنسيق مـع صـدام لاجتيـاح اربيـل فـي ١٩٩٦/٨/٣١، وهـذا فن في السياسة والمناورة والتكتيك لم يكن مألوفاً لدينا على الساحة العربية، فقد تركت قساوة الصحراء في نفوسنا ما لم تتركه ثلوج وصقيع وجبال كردستان.

▫▫ دور النـظام

بنى قرار الانسحاب التام من كردستان العراق لجملة من العوامل التي اشرنا اليها سابقاً وهـي صعوبـة السيطرة علـى الوضـع الامنـي فـي ظـل هزيمـة صـدام فـي الكويت، ولالقاء عبء على الاحزاب الكردية في ادارة المنطقـة، لتوقعـه حصـول قتال كردي - كردي في المنطقة يعكس عـدم قـدرة العراقييـن علـى التعـايش مـع الحياة الديموقراطية وان استمراره في الحكم يعد السبيل الوحيد للابقاء على وحدة العراق وتجنب الحرب الاهلية ولتجنب الضغوط الاميركية والبريطانيـة... حـول المنـاطق الآمنـة، الا ان السبب الرئيسـي كـان صـعوبـة السـيطرة علـى الوضـع الأمنـي..".

.لقد كان القرار اختيارياً تحت وطأة الظروف وفي ظـلال الهزيمـة، الا انـه تسـبب في خـروج طويل علـى سـلطة النظـام، مـاتبقى سـيادته مثلومـة فـي هـذه المنطقـة فضـلاً عن اتجاهـات اخرى عديدة الا ان ثلمة الشمال تفـوق عملياً دخـول مفتشـي الاسلحة منازل اعضاء القيادة في النظام ومنهم عزة الدوري وسكرتير صدام.

ان المؤشـرات والمعلومـات الـواردة تـدل علـى ان العمليـات التركيـة فـي شـمـالي العراق تجري بعلم مسبق من قبـل صدام شخصياً فما زال هنالك تنسيق مخابراتي (محدود) بين بغداد وانقرة ويجري من خلال هذه القناة تمرير المواقف فضلاً عما يجري عن الطـريق الدبلوماسي، كمـا ان كافة العمليـات العسكرية التركيـة تمت بتنسيق واتفـاق مسبق مـع مسـعود البـرزاني الـذي لايسـتطيع اخفــاء التحضـيـر

للعمليات عن النظام في بغداد سواء عن طريق التراسل التحريري المباشر مع جهاز المخابرات أو عن طريق محطة الارتباط اللاسلكي المشتركة بين الاستخبارات - المخابرات ومسعود.

ولذلك فان كل ما يصدر من بيانات رنانة في بغداد عقب أية عملية تحصل لا يتعدى كونه مزايدة فارغة واستدرارا للعطف ومحاولة لتحريك الموقف السياسي على امل عودة الحياة الى النظام.

ان النظام يمارس دورين اساسيين معا، هما تقديم تسهيلات لحزب العمال الكردستاني، وتنسيق مع الاتراك ومسعود لضربه، ويحاول توسيع منافذ الدخول الى السياسة السورية عبر بوابة التهديد التركي لشمالي العراق.

ويحاول صدام الحديث بالحاح مع الفصائل الكردية ونجح مع مسعود، ولا يعود مثل هذا النجاح الذي بقي مبتوراً الى براعة وقوة الطرف المقابل الذي اندفع اليه مستنجداً به ضد غريمهما الكردي الآخر.. ولكن سيبقى نجاح النظام في المنطقة الكردية محدداً في دائرة لا يمكن لاحد تجاوزها طالما بقي النظام منبوذاً فالحياة لا تعود اليه من الشمال، بقدر ما يمكن ايذاؤه من الشمال لو صدقت النوايا وجدّت التوجهات.

وهكذا تعيش المنطقة في اضطراب وغليان ومع هذا كله فان بقاء المنطقة الكردية خارج سلطة النظام يعتبر خطوة مهمة للمصالح الوطنية العراقية والكردية ولا بد لها من ان تعود قاعدة وطنية للثوار والمجاهدين ضد الطاغية.

ويرجح ان يستمر النظام باستراتيجيته الحالية في المنطقة الشمالية، حيث لايمتلك خيارات كثيرة وقد ازداد حذره بعد اجتياح مدينة اربيل وما سببته من زيادة منطقة حظر الطيران الجنوبية يرافقها عدم قدرة مسعود على ابرام اتفاق علني مع النظام رغم اتصالاته وتنسيقاته العليا مع النظام التي لم تعد خافية على احد.

□□ وما الدور المطلوب؟

كما قلنا في العديد من المناسبات فان الغربيين يريدون ان يروا صدام وقد غاب عن السلطة ولكنهم، ولحساسيات تتعلق بالنفوذ الايراني فانهم يسعون الى ان يكون هذا الغياب عن طريق انقلاب عسكري، ولا نجد انفسنا في ضرورة لمعارضة هذا الاتجاه، الا اننا نرى ضرورة تهيئة مستلزمات وظروف عمل مناسبة لاحداث التغيير ومثل هذه المستلزمات ليست موجودة حتى الآن.

ان العودة الى كردستان العراقية مهمة وضرورية لقوى المعارضة الفاعلة، وان التعويل على مشاريع لم تثبت جدواها تعتبر احباطاً مستمراً داخل وخارج العراق، فالذين يتحدثون بهذا الشأن من العراقيين لايمتلكون معرفة حقيقية بواقع الجيش، فالاموال وحدها لا تكفي لا سيما اذا ما صرفت بطرق تدعو الى الريبة والشك والذين لا يمتلكون رصيداً بين صفوف العسكريين فكيف يمكن ان يكون لهم تأثير داخل الجيش؟ فعليهم اولاً بناء مصداقية لأقوالهم، وهذه ليست تحت أي حال دعوة لقيادة عسكرية خالصة فلا بد من العودة الى كردستان واعادة تكوين تحالف وطني في شمال العراق يبدأ بسلسلة نشيطة من اتصالات الداخل واعادة تنشيط الاعلام الموجه داخل العراق وتهيئة الظروف المناسبة لاحداث التغيير ويعتبر عندئذ الانقلاب العسكري احد المسالك الرئيسية المطروحة الى جانب مسالك اخرى يتفق عليها مسبقاً مع مراعاة ضرورة ضبط الأمن ومنع الانفلات ومنع ايذاء الابرياء.

وعندئذ نستطيع ان نرى املاً قوياً وساطعاً بسقوط عاجل للطاغية، والا فان المعاناة ستستمر الى وقت اطول.

□□ كيف ينظر صدام الى الاكراد؟

تتسم نظرة صدام الى الاكراد دائماً بثلاثة اتجاهات:

* اتجاه ينطلق من مصالح ذاتية مادية ازاء الدولة وعداوات عشائرية مع البرزاني.

* اتجاه يمكن استقطابه وتسخيره لأغراض الدولة مقابل اغراءات في تزعم الاكراد وتأمين مصالح ضيقة.
* اتجاه لا يمكن الوثوق به أو التعامل معه الا لاعتبارات مرحلية ويتمثل هذا الاتجاه بالاتحاد الوطني الكردستاني بزعامة الطالباني.

لم تكن مشكلة صدام الحقيقية في منح الاكراد حكماً ذاتياً فمثل هذا الحكم يمكن ان يساعده في تحويل ابعاد المشكلة الى الدول المجاورة، واستنزافها فعلياً، الا انه يخشى في ان تتحول كردستان الى نموذج ديموقراطي يسبب ارقاً ومشاكل "النظامه" في انتقال العدوى الديموقراطية الى وسط وجنوب العراق وتصبح ملاذاً للهاربين من تحت سلطته وقاعدة للتآمر عليه، كما يعتقد بان الاكراد اعتادوا الاتصالات الخارجية وليسوا مستعدين للتخلي عنها، وفي احدى زيارات الطالباني الى بغداد في مطلع الثمانينات اجتمع مع طارق عزيز فقال الاخير انهم وبعد ان يتفقوا سيقطعون رأس كل من يجري اتصالاً خارجياً عن غير طريق الدولة (وبالطبع لحسابها)، وقد رد عليه الطالباني سريعاً بانه جاء للتحاور والتفاوض، بناء على دعوة من النظام ولم يكن قد تم اسره في احد الوديان ليجري الحديث معه بهذه الصيغة، فما كان من فريدون عبد القادر الذي كان حاضرا الاجتماع الا ان رد عليه رداً عصبياً بما يعني ان عليه التحدث مع الطالباني باسلوب مؤدب، واعتذر طارق في انه لم يقصد الاساءة ومع ذلك تلقى اسلوباً غير معتاد.

□□ حصيلة الموقف بين النظام والاكراد

عندما وضعت الحرب العراقية - الايرانية اوزارها وتراجع الاكراد امام العمليات البرية والجوية والكيمياوية الواسعة شعر صدام بان كل شيء قد انتهى بنتيجة ايجابية جداً وان نصراً عسكرياً شاملاً قد تحقق على الارض فأصدر توجيهاً لتشكيل هيئة من المؤرخين والقادة لاعداد كتاب شامل اعطاهم فحواه بقوله "كيف حافظنا على العراق في اصعب واخطر الظروف".

ولنر الآن ما الذي تحقق بعد اجتياحه الكويت:

١- انحصرت عمليات الحركات الكردية المسلحة في السابق على المناطق الجبلية والطرق خارج المدن الرئيسية، وتم طردهم بأوسع استخدام للقوة متعددة الاشكال وعادوا هذه المرة الى كل المناطق السابقة مضافاً اليها المحافظات الرئيسية الثلاث السليمانية - اربيل - دهوك، وخرج هو منها كلياً.

٢- كان في السابق يضرب كما يريد وبأي سلاح يرغب ولم يعترض عليه احد، فيما هو الآن مقيد اليدين والرجلين.

٣- تحرك في ٣١ آب ١٩٩٦ لنجدة مسعود البرزاني وطرد الاتحاد الوطني الكردستاني والمعارضة من اربيل ثم السليمانية، وعاد الاتحاد ومعه المعارضة الى السليمانية من جديد، وتسبب من جراء تهوره في زيادة منطقة حظر الطيران الى مشارف بغداد.

٤- اتفق مع البرزاني على مشروع للحكم الذاتي الا ان مسعود لم يجرؤ حتى الآن على اعلان الاتفاق وتنفيذه لانه لم يستلم ضوءاً اخضر من الغرب.

٥- ازداد انتشار الاكراد في العالم وتغلغلوا في علاقاتهم مع كل دول الجوار والغرب بشكل يصعب تداركه.

٦- لم يكن الاكراد على علاقة وثيقة مع عرب العراق كما اصبحوا عليها بعد غزو الكويت وهذا هو احد المخاطر القاتلة للنظام اذا ماتيسرت اسباب العمل الصحيح.

❋ ❋ ❋

الوثيقة رقم (١)

الجمهورية العراقية



باسم الشعب
مجلس قيادة الثورة
رقم القرار/ ١٦٠
تاريخ القرار/ ٢٩/ ٣/ ١٩٨٧

قرار

استناداً الى احكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين، والفقرة (أ) من المادة الثالثة والاربعين من الدستور، وتنفيذاً" لما تقرر في الاجتماع المشترك لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في ١٩٨٧/٣/١٨ •

قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة في ٢٩/ ١٩٨٧/٣ مايلي :-

اولا • يقوم الرفيق علي حسن المجيد، عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، بتمثيل القيادة القطرية للحزب ومجلس قيادة الثورة في تنفيذ سياستهما في عموم المنطقة الشمالية وضمنها منطقة كردستان للحكم الذاتي بهدف حماية الامن والنظام وكفالة الاستقرار فيها وتطبيق قانون الحكم الذاتي في المنطقة •

ثانيا • يخول الرفيق عضو القيادة القطرية، لتحقيق اهداف هذا القرار، صلاحية التقرير الملزم لجميع اجهزة الدولة المدنية والعسكرية والامنية، وبوجه خاص الصلاحيات المنوطة بمجلس الامن القومي ولجنة شؤون الشمال •

ثالثا • ترتبط الجهات التالية في عموم المنطقة الشمالية بالرفيق عضو القيادة القطرية وتلتزم بالقرارات والتوجيهات الصادرة عنه التي تكون واجبة التنفيذ بموجب هذا القرار •

١- المجلس التنفيذي لمنطقة كردستان للحكم الذاتي •

٢- محافظو المحافظات ورؤساء الوحدات الادارية التابعين لوزارة الحكم المحلي •

تابع الوثيقة رقم (١)

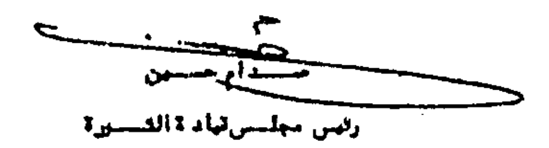


٣ـ اجهزة المخابرات وقوى الامن الداخلي والاستخبارات العسكرية •

٤ـ قيـــادات الجيـــش الشعبـــــــــــــــي •

رابعا • تلتزم القيادات العسكرية في المنطقة بأوامر الرفيق عضو القيـــادة القطريـــة بكل ما يتصل بـ (اولا ") من هذا القرار •

خامسا • يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وحتى اشعار آخر ، ويوقـــف العمل بالاحكام القانونية التي تتعارض واحكام هذا القـــرار •



صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثـــورة

الوثيقة رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة الجمهورية
السكرتير
مديرية الاستخبارات العسكرية العامة
العدد: م ٥ / ش ٣ / ق ٢ / ٩٨٧٩
التاريخ: ١٨ / آيار / ١٩٨٨

سري وشخصي

إلى / منظومة استخبارات المنطقة الشمالية
الموضوع / تقرير

طيا تقريرنا الخاص بالمنطقة الشمالية لشهر نيسان ٨٨ .
نرجو التفضل بالاطلاع .

المرفقات
(١) تقرير

العميد الركن
مدير الاستخبارات العسكرية العامة

(١ـ١)
سري وشخصي

ب. بعد أن تركز ثقل عمليات الاقتتال على زمرة عملاء ايران التي كبدتهم خسائر كبيرة تداولت تنظيمات الزمرة المذكورة مايشير الى أن الدولة تستهدف القضاء على زمرتهم دون زمر التخريب الاخرى .

جـ. بعد الضربات الخاصة التي تم توجيهها الى القرى التي تتواجد فيها مقرات وقواعد العملاء وزعت تنظيماتهم كميات من المواد الطبية المضادة للضربات الكيمياوية (أبر وحبوب) على اهالي تلك القرى والقرى المجاورة .

د. اسست قيادة العملاء مقرات لها قرب قصبة حلبجه لاغراض التنسيق مع قطعات العدو الايراني المتواجدة في سهل شهرزور وتتواجد مقراتهم حالياً في (مجمع زلمي ، مجمع عنب ، قرية جليلة ، قرية هاير) .

هـ. بعد عمليات الاقتتال عقدت قيادة زمرة عملاء ايران عدة لقاءات وتدارست موقف زمرتها على ضوء نتائج تلك العمليات وفيما يلي ابرز المواضيع التي تمت مناقشتها :-

اولا . اسباب هزائمهم امام قطعاتنا وتوصلوا الى أن الاسباب تتلخص بما يلي :-

(١) الوعود الكاذبة للنظام الايراني الذي كان قد وعدهم بارسال قطعات واسلحة واعتدة لهم في حالة تعرض قطعاتنا عليهم .

(٢) عدم اهتمام بعض مسؤولي زمرتهم واهمالهم اثناء العمليات .

(٣) كثافة القصف المدفعي لقطعاتنا واستخدام (العتاد الخاص) ادى الى وقوع خسائر كبيرة في صفوفهم .

(٤) توصلوا الى ضرورة اتباع صيغة المفارز الصغيرة في ممارسة نشاطهم التخريبي وعدم مواجهة القطعات بشكل مباشر .

(٦-٤)

الوثيقة رقم (٢)

سري للغاية

ب- خلال شهر آذار ١٩٨٨ قامت طائراتنا بقصف مقرات زمر المخربين في قريتي سوان (٤٥٩٦) وملكمار (٤٢٩٤) وتوجيه ضربه كيمياويه نتج عنها قتل (٥٠) مخرب وجرح (٢٠) مخرب آخر
جـ- بالساعه ١٩١٥ يوم ١٩/٦ قام شخص مجهول الهويه بقذف رمانه يدويه على دار المواطن صالح محمد عزيز في قضاء كلار محلة بنكرد ولم تحدث خسائر في الدار .

١٢ . العمليات الخاصـه

لا شيء يصدد عمليتنا

١٣ . الاستنتاجات

آ . توحيد اتحاد المخربين على تنظيماتهم الداخليه للقيام بأعمال تخريبيه داخل المدن .
ب . قيام النظام الايراني بابداء كل المساعدات اللازمه لكافة الحركات التخريبيه في المنطقه الشماليه بغية احتضانها والتأثير على قواعدها الباسله وعمالتها !
جـ . توسط قيام مخربي عملاء ايران السماح لافراد العدو الايراني الدخول الى الاراضي العراقيه وتخصيص عناصر خاصه بغية استطلاع المناطق المهمه وتصويرها .
د . لا يزال المخربين يستخدمون هويات وعدم تصريحات صادره من افواج الدفاع الوطني لتنفيذ مآربهم الدنيئه .
هـ . قيام مخربي عملاء ايران بالاتفاق مع باقي الحركات التخريبيه ومحاولة توحيد صفوفهم ضد السلطه الوطنيه في العراق .

١٤ . المقترحـات

آ . متابعة عناصر التنظيمات السريه للمخربين بغية القاء القبض عليهم ومنعهم من ايصال المعلومات الى المخربيـن .
ب . زرع الانشقاقات بين الحركات التخريبيه بغية الوصول الى حالة التصادم والتناحر فيما بينهم .
جـ . مواصلة القيام بعمليات عسكريه لضرب تواجد المخربين اينما كانوا والقضاء عليهم .
د . وضع ضوابط صارمه فيما يتعلق بهويات افواج الدفاع الوطني للحد من استخدامها من قبل العناصر المشبوهه والزام ضباط استخبارات تلك الافواج مسؤولية سوء استخدامها .
هـ . تشجيع المخربين عن طريق ذويهم بالعوده الى الصف الوطني وكسبهم الى جانب السلطه الوطنيـه .
و . مواصلة طائراتنا المعهود بها باستطلاع طرق تنقل المخربين باستمرار للحد من تنقلاتهم وشل حركتهم في المنطقـه .

يرجى التفضـل بالاطـلاع .

النقيـب
فتاح علي حسـن
آمر مركز استخبارات كـلار

(٦)
سري للغايـه

أمة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

حزب البعث العربي الاشتراكي
القطر العراقي
قيادة مكتب تنظيم الشمال

العدد/ ٢٨/ ٣٦٥٠
التاريخ ٣/ ٦/ ١٩٨٧

سري للغاية وشخصي

إلى/ محافظة ....
قيادة فيلق ١ - فيلق ٢ - فيلق ٥
قيادات فروع [illegible]
قيادة فرع صلاح الدين
قيادة فرع ديالى
مديرية أمن منطقة الحكم الذاتي
مديرية أمن محافظة
مديرية مخابرات ....
منظومة استخبارات ....

تحية وطنية

الموضوع/ قـــرار

١. يمنع منعاً باتاً وصول أية مادة غذائية أو بشرية أو آلية إلى القرى المحظورة أمنياً المشمولة بالمرحلة الثانية من ترحيل القرى. ويسمح بالعودة إلى الصف الوطني من يرغب منهم ولا يسمح الاتصال بهم من أقاربهم نهائياً إلا بعلم الأجهزة الأمنية.

٢. يمنع التواجد منعاً باتاً في المناطق المرحلة من القرى المحظورة أمنياً والمشمولة بالمرحلة الأولى ولغاية ١٩٨٧/٦/٢١ للمنطقة المشمولة بالمرحلة الثانية.

٣. بعد انتهاء الموسم الشتوي والذي يجب أن ينتهي قبل يوم ١٥ تموز بالنسبة إلى الحصاد، لا يجوز استثمار الزراعة فيها للموسم الشتوي والصيفي لبداية الموسم أيضاً.

٤/٦/١٩٨٧

تابع وثيقة رقم (٤)

امـــة عربية واحـــدة
ذات رســـالة خالـدة

حزب البعث العربي الاشتراكي
القطر العراقي
قيادة مكتب تنظيم الشمال
العدد

الى :

سرية وشخصية

- ٢ -

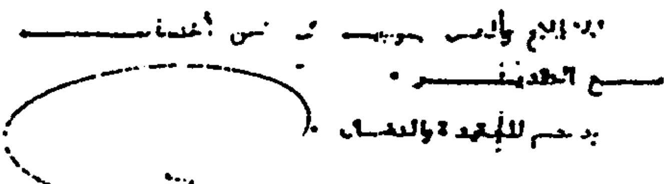
٤. يحرم كذلك رعي المواشي ضمن هذه المناطق .

٥. على القوات العسكرية كل ضمن قاطعه قتل أي انسان أو حيوان يتواجد ضمن هذه المناطق وتعتبر محرمـة تحريماً" كامـلا" .

٦. يبلـغ المشمولين بترحيلهم الى المجمعات بهـذا القرار ويتحملون مسؤولية مخالفتهم لـه .

يرجى الاطلاع وإجراء ما يلزم بموجبه كل ضمن اختصاصه مـع التقديـر .

دمتم للأمجاد والنضال .



الرفيق
علي حسن المجيد
أمين سر قيادة مكتب تنظيم الشمال

الوثيقة رقم (٥)

حزب البعث العربي الاشتراكي
القطر العراقي
قيادة مكتب تنظيم الشمال
السكرتاريه

امة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

(سري وشخصي)

العدد / ١٠٦٥
التاريخ ١٣ / رجب / ١٤٠٩
١٩ / ٢ / ١٩٨٩

الى : منظومة استخبارات المنطقة الشمالية

م / مطالعة

تحية رفاقية

كتابكم س٣ / ق٣ / ٢٢١ في ٥ / ٢ / ١٩٨٩

١. تم تنفيذ حكم الاعدام بحق جميع المجرمين الواردة اسمائهم بكتابكم اعلاه ولا داعي لاحالتهم الى محكمة تحقيق مديرية الاستخبارات العسكرية العامة .

٢. اما مايتعلق بعائلة المجرم الهارب عباس ناجي المتواجدة حاليا في اربيل فسوف يتم التوجيه بخصوص كيفية التصرف معها لاحقا .

يرجى اتخاذ مايلزم واعلامنا .. مع التقدير .

عبد الرحمن عزيز حسن
سكرتير لجنة شؤون العمال
١٩ / ٢ / ١٩٨٩

مكتب تنظيم سنجار
٢٢

وثيقة رقم (٦)

رئاسة الجمهورية
السكرتير

مديرية الاستخبارات العسكرية العامة
منظومة استخبارات المنطقة الشمالية



سري وشخصي

بالرقم / ش٣ / ق٣ / ٧٤٣
التاريخ ٢٣ / شباط / ١٩٨٩
١٧ رجب ١٤٠٩ هـ

الى / قيادة مكتب تنظيم الشمال / السكرتارية

الموضوع / تنفيذ حكم

كتابكم السري والشخصي ١٠٣٥ في ١٩ شباط ٨٩ .

بتاريخ ٢٣ شباط ٨٩ نفذنا حكم الاعدام بالمجرمين المبينه اسمائهم ادناه الوارده اسمائهم بكتابنا السري والشخصي ٢٢١ في ٥ شباط ٨٩ .

١. المجرم نادر حيدر محمد
٢. المجرم شيخ معروف شيخ اسماعيل
٣. المجرم حاجي آغا بايز بالسو
٤. المجرم محمد عبدالله علي
٥. المجرم خالد احمد عبدالله
٦. المجرم عبدالله آغا عبدالله

يرجى التفضل بالاطلاع ... مع التقدير .

العقيد الركن
مدير منظومة استخبارات المنطقة الشمالية
٢٣ / ٢ / ٨٩

(١ — ١)
سري وشخصي

الوثيقة رقم (٧)

قيادة مكتب تنظيم الشمال

مكتب السكرتارية

/ / ١٩

الرقم: ٢٨ / ٤٠٠٨

التاريخ: ٢٠ / ٦ / ١٩٨٧

من / قيادة مكتب تنظيم الشمال

الى / قيادة الفيلق الاول / قيادة الفيلق الثاني / قيادة الفيلق الخامس.

م / التعامل مع القرى المحظورة امنيا "

نظرا لانتهاء الفترة المعلنة رسميا "لتجميع هذه القرى والتي سينتهي موعدها يوم ٢١ حزيران ١٩٨٧ قررنا العمل بعدا" من يوم ٢٢ حزيران ١٩٨٧ صعودا " بما يلي: (١) تعتبر جميع القرى المحظورة امنيا "والتي لم تزال لحد الآن اماكن لتواجد المخربين عملاء ايران وسليلي الخيانة وامثالهم من خونة العراق (٠) (٢) يحرم التواجد البشري والحيواني فيها نهائيا "وتعتبر منطقة عمليات محرمة ويكون الرمي فيها حرا "غير مقيدا "بأية تعليمات ما لم تصدر من مقرنا (٠) (٣) يحرم السفر منها واليها او الزراعة والاستثمار الزراعي او الصناعي والحيواني وعلى جميع الاجهزة المختصة متابعة هذا الموضوع بجدية كل ضمن اختصاصه (٠) (٤) تعد قيادات الفيالق ضربات خاصة بين فترة واخرى بالمدفعية والسمتيات والطائرات لقتل اكبر عدد ممكن ممن يتواجد ضمن هذه المحرمات وخلال جميع الاوقات ليلا "ونهارا "واعلامنا (٠) (٥) يحجز جميع من يلقى عليه القبض لتواجده ضمن قرى هذه المنطقة ويحقق معه الاجهزة الامنية ويعدم من يتجاوز عمره (١٥) سنة داخل صعودا "الى عمر (٧٠) سنة داخل بعد الاستفادة من معلوماته واعلامنا (٠) (٦) تقوم الاجهزة المختصة بالتحقيق مع من يسلم نفسه الى الاجهزة الحكومية او الحزبية

((يتبع لطفا "))

تابع الوثيقة رقم (٧)

(٢)

لمدة اقصاها ثلاثة ايام واذا تطلب الامر فلمدة عشرة ايام لابد من اعلامنا عن مثل هذه الحالات واذا استوجب التحقيق ... هذه المدة عليهم اخذ موافقتنا هاتفيا " او برقيا " او عن طريق الرفيق طاهر العاني (٠) (٧) يحجز كل ما يحصل عليه مستشارو افواج الدفاع الوطني من الاسلحة ولا تترك لهم ويؤخذ منهم مجانا " ما عدا الاسلحة الثقيلة والساندة والمتوسطة اما الاسلحة الخفيفة فتبقى لديهم ويتم اعلامنا باعداد هذه الاسلحة فقط وعلى قيادة الجحافل ان تنشط لتبليغ جميع المستشارين وامراء السرايا والمفارز واعلامنا بالتفصيل عن نشاطاتهم ضمن افواج الدفاع الوطني (٠) مكرر رئاسة المجلس التشريعي (٠) رئاسة المجلس التنفيذي (٠) جهاز المخابرات (٠) رئاسة اركان الجيش (٠) محافظو (رؤساء اللجان الامنية) نينوى ، التأميم ، ديالى ، صلاح الدين ، السليمانية ، اربيل ، دهوك .

(٠) امناء سر فروع المحافظات اعلاه (٠) مديرية الاستخبارات العسكرية العامة (٠) مديرية الامن العامة (٠) مدير امن منطقة الحكم الذاتي (٠) منظومة استخبارات المنطقة الشمالية (٠) منظومة استخبارات المنطقة الشرقية (٠) مدراء امن محافظات ـ نينوى ، التأميم ، ديالى ، صلاح الدين ، السليمانية ، اربيل ، دهوك (٠) يرجى الاطلاع والتنفيذ كل ضمن اختصاصه (٠) انتهى .

الرفيق
علي حسن المجيد
عضو القيادة القطرية ـ امين سر مكتب تنظيم الشمال

الحرب النفسية الدوائر والنشاطات والوسائل الفنية

النشاطات النفسية.المعاكسة في حربي الخليج

الاستطلاع العميق والعمليات الخاصة خلف الخطوط

خطــوط العلاقــات الصداميــة

الميك ٢٥: أول مهمة لها كانت اسقاط طائرة وزير خارجية الجزائر

الغارة الجوية الايرانية على مطارات الوليد عبر الاجواء السورية

انعــدام الثقة بين صـــدام وسوريــا



تهريب الطائرات الايرانية

بعد مرور اكثر من عامين على ابتداء الحرب العراقية - الايرانية، ونتيجة تخبط وعجز النظام في بغداد امام تصلب واصرار القيادة الايرانية على مواصلة الحرب، ظهرت الحاجة الى اتباع سبل اضافية جديدة، تظهر تهديدات جدية لتلك القيادة، فجرى البحث في سلسلة من النشاطات المقترحة ذات الطابع الاستخباري، والنفسي، والسياسي، وغيرها.

ولكي توضع الفكرة موضع التنفيذ، جرى اعداد سلسلة من البحوث عن الثغرات المستمكنة في الاوضاع، والمواقف الايرانية، وبخاصة ما يتعلق منها بالقوات المسلحة الايرانية، التي اثرت فيها احداث الثورة على الشاه تأثيراً سلبياً حاداً، في المراحل الاولى للثورة.

وبعد حوالي الشهرين من تاريخ صدور التكليف، قدمت لجنة الدراسة موضوعين اساسيين هما:

١- العمل على اجراء اتصالات مع الطيارين الايرانيين وتهيئة الظروف المناسبة للاتفاق معهم على الهروب بطائراتهم الى العراق مقابل اغراءات مالية (وهو ما سنتناوله تباعاً).

٢- التوسع في استخدام وتطوير مجالات الحرب النفسية.

◻◻ منطلقات الفكرة

انبثقت فكرة الاتصال مع الطيارين الايرانيين من متابعة دقيقة لاوضاعهم الخاصة، وظروف ومراحل اعدادهم التدريبي، وكذلك الاوضاع العامة التي

مرت بها ايران وانعكست عليهم سلباً، وتشمل العديد من العوامل نذكر منها مايأتي:

١- لقد اولى شاه ايران محمد رضا بهلوي، اهتماماً خاصاً بالقوة الجوية ومتميزاً، من برامج تحديث، وتوسيع، وزيادة قدرات القوات المسلحة الايرانية. ولما كانت المستويات العلمية، ومراكز ومعاهد ومدارس التعليم الاختصاصي للطيران في ايران دون المستوى المطلوب لبدء انطلاقة مهمة في هذا المجال، كان لابد من ارسال الغالبية العظمى أو جميع المطلوب اعدادهم كطيارين، الى خارج ايران، وبخاصة الى الولايات المتحدة الاميركية، لاعدادهم وتدريبهم على طائرات القتال الاميركية التي تشكل كامل القوة الجوية القتالية الايرانية، والى ايطاليا، وبريطانيا وفرنسا (بصورة عامة) لوجود طائرات النقل والهليكوبتر من صناعات مختلفة ذات منشأ غربي عموماً.

وقد ادت هذه الخطوة الى تطبع الطيارين بطبائع وعادات المجتمعات والحضارات الغربية، بعيداً عن الافكار الدينية التي حرص الشاه على تكوين تجربة جديدة، في الابتعاد عنها، بعد تجربة كمال مصطفى اتاتورك في تركيا.

وقد ادت هذه الحقيقة الى عدم تقبل الغالبية العظمى من الطيارين تولي رجال الدين السلطة في ايران، لما سيترتب على هذا التحول الكبير من اثار قهرية عما تحقق لهم من انفتاح وامتيازات متعددة الاشكال. فالضابط الطيار والمهندس، والفني، الذين يذهبون للدراسة والتدريب في الخارج لا يحصلون على فترة مناسبة للترفيه (مقارنة بما هو سائد في ايران) فحسب، بل يحصلون على امتيازات مالية كبيرة، تترتب عن الفارق في استلام الرواتب الشهرية بالعملة الصعبة، بدل العملة المحلية، ومخصصات اضافية تعادل في المحصلة النهائية اضعاف ما يحصل عليه الضابط فيما لو قضوا المدة نفسها في ايران، واذا ما اخذنا درجة التضخم والتراجع في قيمة الريال (وهو اساس العملة الايرانية) مقابل الدولار الاميركي، تبرز ابعاد التراجع في مستوى معيشة الفرد بدرجة كبيرة، اثرت سلباً في معنويات وانطباعات واداء الطيارين الايرانيين.

□□ فقدان الثقة

٢- تعتبر القوة الجوية، عنصراً مهماً من عناصر الصراع المسلح، ولا يمكن اغفال تأثيراتها المتعددة، مهما كانت القدرة (الفعلية) في مستوى التأثير على مسار الحرب وان النجاح في تدريب عمليات هروب الطيارين الايرانيين بطائراتهم الى العراق، سيترتب عليه فقدان الثقة بالطيارين، على الجانب الايراني، وبالتالي تحديد وتقليص نطاق وعدد المهمات الجوية داخل العراق، وتقليص خسائرنا، وتأمين ظروف عمل افضل لمنشآتنا الصناعية وغيرها بعيداً عن التهديدات الجوية الايرانية.

٣- تولد العمليات الناجحة مجموعة من المردودات والمواقف المعنوية والسياسة، عراقية كانت ام ايرانية، اقليمية ام دولية وتتضمن ما يلي:
(أ) ارتفاعاً في الوضع المعنوي للقوات المسلحة والشعب العراقي (ب) تدهوراً وتراجعاً في المعنويات الايرانية (ج) انعكاساً ايجابياً لصالح قوة العراق، في نطاق العرب الاقربين، ودول العالم المختلفة غرباً وشرقاً بما يتيح فرصاً للتعاطي الايجابي لصالح العراق، بحكم ما تعكسه الحالة من جوانب التفوق الاستراتيجي في الحرب.

٣- للتوصل الى المزيد من المعلومات عما يلي: (أ) اساليب القتال والحرب الجوية والعقيدة الجوية الايرانية، (ب) مبادئ ومراحل واسس تخطيط العمليات الجوية الايرانية، (ج) طبيعة ومحتويات الخطط القتالية الجوية الايرانية، واساليب وقواعد الاشتباك الجوي، (د) الاهداف العراقية المحددة للمهام الجوية الايرانية، وطرق ووسائل واساليب التقرب من الاهداف، وتمييزها، ومهاجمتها، وتخصيص اعداد وانواع المقذوفات اللازمة لذلك، (هـ) حجم وماهية المعلومات المتيسرة عن الاهداف العراقية ومصادر المعلومات عنها، (و) ترتيب المخادعة والتضليل الجوي، (ز) اجراءات الحماية الجوية والثغرات في الدفاع الجوي الايراني.

هذا، فضلاً عن قوائم عدة من اهتمامات الاستخبارات في الحرب، واستخدام الطيارين لتكوين شبكات متعددة للحصول على المعلومات من داخل القوة الجوية الايرانية، واستثمار النتائج المتوقع الحصول عليها لجذب اهتمام اجهزة المخابرات والمؤسسات الصناعية العالمية (في مجال المجهود الحربي)، من خلال اتاحة الفرصة لهم للاطلاع المباشر القريب، والتحليل المختبري للصناعات العسكرية المهمة، ولاسيما ان الحرب الباردة كانت لاتزال مستمرة بين الكتلتين الشرقية والغربية، وبالطبع فان الثمن المطلوب مقابل هذه التسهيلات يأخذ افاقاً متعددة، منها تطوير العلاقة مع اجهزة المخابرات الرئيسية في العالم، والاحتكاك بالصناعات العسكرية العالمية.. الخ.

□□ متطلبات تنفيذ الفكرة

يستلزم تنفيذ هذه الفكرة مجموعة من المتطلبات منها:

١- توجيه نداءات الى الضباط الطيارين الايرانيين عبر برامج الاذاعة الموجهة الى ايران (باللغة الفارسية)، يدعون فيها للهروب بطائراتهم الى العراق مقابل مكافأة نقدية كبيرة، فقد جرى تخصيص مبلغ مليون دولار عن كل طائرة نفاثة ونصف مليون دولار عن كل طائرة هيلكوبتر، ولم تكن مسألة التخصيصات المالية لهذا الغرض مشكلة تستحق الاهتمام، فالصرف المالي لا قيمة له في نظر صدام، ولاتخضع ابواب الصرف الخاص الى اي من "المجلس الوطني - الصوري" أو مجلس الدفاع الاعلى.. فكل شيء ممكن تحقيقه بجرة قلم من صدام، وما على الدوائر والمؤسسات الحسابية الا التنفيذ، هذا اذا لم يكن الصرف من المخصصات غير المنظورة التي لا تخضع للحساب أو التدقيق.

٢- تكوين خلايا خارجية لتنسيق الاتصالات مع الضباط الطيارين الايرانيين ووضع خطط مفصلة لتوقيتات دخولهم الى العراق، وخطوط الطيران، وعلامات

الاتصال والذبذبات والترددات المطلوب تنظيم اجهزة اتصالات طائراتهم بموجبها.

٣- التنسيق مع قيادة القوة الجوية والدفاع الجوي في كل حالة وعملية، بصورة منفردة، ويتطلب الامر حالتين من الانتباه.

الاولى، تتعلق بتقييد وسائل الدفاع الجوي لتأمين سلامة الطائرات من نيران قواتنا.

والثانية، تتعلق بالتحسب والحذر من احتمال حصول حالة من حالات الاختراق الاستخباراتي المعادي المنظم من قبل المخابرات والقوة الجوية الايرانية باستغلال التسهيلات الناجمة عن تقييد وسائل دفاعنا الجوي للوصول الى هدف مهم وتدميره تحت غطاء عملية وهمية.

▭▭ اقناع الرئاسة

لقد فاتحنا رئاسة الجمهورية تحريريا، للموافقة على الفكرة، ولاصدار الامر لتنفيذ المستلزمات الاساسية للعمليات بصورة عامة وبخاصة لجهة الصرف المالي، وتخويلنا التنسيق مع القوة الجوية والدفاع الجوي بصدد تقييد الوسائل، أو رفع درجة الاستعداد للمجابهة عند الضرورة.. وما الى ذلك من الامور الفنية.. وقامت رئاسة الجمهورية باستطلاع رأي المخابرات بالمقترح بناء على توجيه مباشر من صدام.. ولمسألة واعتبارات نفسية وتنافسية بين الاجهزة المتماثلة، وبعد سلسلة من التبريرات امكن اقناع رئاسة الجمهورية ان يقوم كل طرف من الطرفين (المخابرات والاستخبارات) بايجاد كيان أو اتجاه عمل مستقل بهذا الصدد. وقد فشلت المخابرات في ما بعد في تحقيق أية نتائج تذكر في هذا المجال، عدا مرة واحدة ادعت فيها المخابرات انها قد نسقت مع احد طياري (F14A) للهروب بطائرته الا انه نفذ المهمة قبل موعدها المقرر بعدة ايام، واسقطت الطائرة من قبل مواقع الصواريخ ارض - جو للارتفاعات العالية في منطقة الكوت لعدم استكمال التنسيق مع القوة الجوية والدفاع الجوي الذي

يقتضي اجراؤه في مرحلة متأخرة لاعتبارات امنية، بيد ان اي دليل لم يتوفر عن صحة الادعاء، ولا سيما ان الطيار قتل داخل الطائرة اثناء تعرضها لاصابة مباشرة الى درجة لم يعثر على شيء من جثته، الا ان بقاء الطائرة على ارتفاع عال، رغم توغلها عشرات الكيلومترات داخل الاجواء العراقية، وعدم اجراء أية اتصالات راديوية مع وسائل دفاعنا الجوي، يعطيان تصوراً واضحاً عن عدم مصداقية الادعاء بوجود تنسيق مسبق معه.

▭▭المباشرة بالتنفيذ

وما ان باشرت اذاعة بغداد الموجهة باللغة الفارسية ببث النداءات المتكررة الى الطيارين الايرانيين، للهروب بطائراتهم الى العراق، والتأكيد لهم بأن المكافأة المالية قد جرى تحديدها من قبل اعلى جهة رسمية في الدولة، حتى بدأ العديد من الايرانيين خارج ايران اتصالاتهم المباشرة بملحقياتنا العسكرية ومحطاتنا الاستخباراتية العاملة في واجهات دبلوماسية وغيرها في الخارج لتقديم عروض وردت من العديد من الطيارين داخل ايران، فبدأت عجلة العملية تدور بسرعة واستجابة مذهلتين. والغريب في الامر، انه وعلى الرغم من عشرات العروض التي نجم منها في المحصلة النهائية ثماني عمليات، لم تحاول المخابرات الايرانية مخادعتنا ولو لمرة واحدة في عملية من هذا القبيل، واستبعد ان تكون قد فعلت ذلك ولم نتمكن من التوصل اليه، عدا ما يمكن افتراضه باحتمال حصول شيء ما وانقطع قبل ان يؤدي غرضاً مفيداً أو ملموساً.

لقد تم تهريب ثماني طائرات تابعة للقوة الجوية وطيران الجيش الايراني الى العراق بطياريها، وكان بينها فانتوم F4E (طائرة متعددة الاغراض - الدفاع الجوي والهجوم الارضي والقصف) وطائرة نقل عسكرية من طراز F27 فوكر فريندشب، وطائرات هليكوبتر، وطائرة فالكون ٢٠ للنقل الخاص واستلم الطيارون ومن معهم مستحقاتهم المالية المقررة طبقاً للنداءات الاذاعية ووفقاً لما جرى الاتفاق عليه خلال مراحل ترتيب العمليات.

وتجدر الاشارة هنا الى ان واحداً من ضباط ركن الاستخبارات الذين شاركوا في تخطيط وتنفيذ عدد من تلك العمليات بجدارة واضحة، لم ينج من الطغيان والاستبداد الصدامي، فما ان اوقفت رحى الحرب العراقية - الايرانية حتى حكم عليه بالاعدام (من قبل محكمة الثورة) هو وخمسة من ضباط الركن بعد ان سجلت اجهزة الأمن لهم احاديث يصفون بها صدام بـ "آمر الفوج"، لقيام التلفزيون الحكومي، بنقل زيارات "استعراضية" متكررة لصدام الى وحدات الحرس الخاص (المكلف بحمايته) في ساحة التدريب الفردي، وقد اثارت تلك الزيارات سخرية المواطنين، وعندما عرض تقرير المعلومات امام صدام كتب عليه بخط يده "تقطع رؤوسهم" ولم يعد امام محكمة الثورة سوى اصدار الحكم الرمزي بالاعدام، ومصادرة اموالهم المنقولة وغير المنقولة، فطردت عوائلهم من مساكنها الشخصية التي جرى شمولها بقرار المصادرة، ولكن ولحسن حظ هؤلاء الضباط فقد ارجئ تنفيذ حكم الاعدام فيهم، بعد توسط الفريق الركن اياد فتيح الراوي (قائد الحرس الجمهوري) والفريق الركن اسماعيل تايه النعيمي لاثنين من الضباط من ابناء عمومتهما المباشرين واحدهما شقيق زوجة الفريق اياد، ومع ان صدام لم تعرف عنه الاستجابة أو السماح لمثل هذه التوسطات المتعلقة بأمور تتعلق بأمنه الشخصي لتأخذ طريقها الى حيز التنفيذ، فقد شاءت الاقدار ان يصدر صدام عفواً عاماً بعد اجتياح الكويت، فأطلق سراح الضباط كافة.

وعلى اي حال، فان الضابط الذي اشرنا الى انه شارك بنشاط في عمليات هروب الطائرات الى العراق، يعمل الآن كاتباً بسيطاً في احد معامل البسكويت الاهلية براتب لا يزيد عن عشرة دولارات شهرياً لاعالة عائلته بعد ان كان يشغل منصب ملحق عسكري في لندن عام ١٩٨٧، ومديراً لشعبة الخدمة السرية في الاستخبارات (التجسس الخارجي) ومديراً لمنظومة استخبارات المنطقة الشرقية.

والآن، ومرة اخرى سيطرح السؤال التقليدي، اذن من مع صدام؟! فيوماً بعد يوم تتراكم الاجابات وتكشف عن نفسها.

وعلى أية حال، سنأخذ هنا قصة تهريب طائرة الفالكون لما احتوته من مداخلات وحملة دعائية.

▭▭ قصة عائلة الجاف

بعد اطاحة عبد الرحمن محمد عارف، اقدم شاه ايران على الغاء اتفاقية الحدود العراقية - الايرانية لعام ١٩٣٧، واعلانه من طرف واحد تعديل خط الحدود من الضفة الشرقية لشط العرب الى خط الثالوك، وهو مسار خط الاعماق في منتصف الشط ، ولرفض العراق هذا التجاوز والتصرف غير القانوني، تدهورت العلاقة بين البلدين، فضاعف الشاه مساندته المادية للحركة الكردية المسلحة شمالي العراق.

وبعد مرور فترة قصيرة على ذلك، هربت الى ايران مجموعة صغيرة من عشيرة الجاف الكردية العراقية، علماً انه تتواجد في ايران (ايضاً) عشيرة كردية ايرانية بهذا الاسم، وكان من بين المجموعة التي هربت من العراق ومن غير سبب مبرر (الا اذا كانت لهم علاقة سرية مع السافاك) سردار الجاف، وخسرو محمد سعيد الجاف وغيرهما، وعلى الفور تم استقبالهم وتيسير امورهم من قبل المخابرات الايرانية، وخلال فترة قصيرة ازداد تقرب سردار الجاف من البلاط الشاهنشاهي، وهيئة المراسم، واخذ يتجول في بعض من المناطق الحساسة في ايران، فأصبحت عائلة الجاف الهاربة الى ايران في موقع استشاري، وتوطدت علاقاتهم مع السافاك وشاركوا في الاعداد لعمليات تخريبية داخل العراق، فأصبح وضع هذه العائلة مرتبطا بشكل واضح مع المخابرات الايرانية ونظام الشاه. وفي مرحلة تدهور الاوضاع الامنية داخل ايران نتيجة الصراع مع الشاه لم يكن هنالك من مجال امامهم سوى الوقوف الى جانب السافاك ضد القوى المناوئة للنظام.

وفور سقوط الشاه في شباط - فبراير ١٩٧٩ قبض على سالار الجاف وهو ابرز شخصية في العائلة واعدم شنقاً في مدينة طهران، فيما فر الآخرون من افراد العائلة (بأنفسهم) الى العراق.
ونتيجة توقع تدهور حتمي في العلاقة بين العراق، وايران وافق صدام على مقترح المخابرات في التعامل معهم ورعايتهم، ولم تمض الا اشهر معدودات حتى اغدقت الاموال العراقية عليهم الى درجة اصبحوا فيها من اكثر العوائل العراقية ثراء، واستحدثت لهم شركة هندسية واخرى تجارية باسم "شركة القادسية" وهي واجهة للمخابرات في الاعمال الخارجية والداخلية، وجرى تسليح المئات من عشيرة الجاف "العراقية" من قبل الحكومة - حيث لاشيء يقف حائلاً امام المال في مثل هذه الحالة - وصرفت لهم رواتب شهرية مجزية على امل القيام بعمليات تخريبية داخل ايران، الا ان ادوارهم الحقيقية كانت في حدودها الدنيا، واصبح سردار الجاف من الشخصيات الكردية البارزة حيث ارتبط بجهاز المخابرات فيما ارتبط ابن عمه خسرو الجاف بالاستخبارات والذي استمر حاله عسيراً (مقارنة بابن عمه) حتى ربيع عام ١٩٨٦،حين طلب الموافقة على السفر الى المانيا (الغربية) للقاء المدعو علي قاضي، شقيق زوجة سردار الجاف وابن القاضي محمد مؤسس جمهورية مهاباد الكردية في ايران التي لم تدم سوى فترة قصيرة من عام ١٩٤٦، وهرب علي قاضي الى المانيا بعد اعدام والده وحصل على الجنسية الالمانية واشترى بيتاً فسيحاً قرب مدينة بون، فوافقت الاستخبارات على طلب خسرو الجاف، وبعد فترة تزيد على عشرين يوماً عاد الى العراق حاملاً معه معلومات عن وجود طيار ايراني يدعى علي اكبر محمدي، يعمل طيارا خاصا على طائرة نقل خاص من طراز (FALCON-20) فرنسية الصنع، ضمن سرب خاص يعود الى القوة الجوية، وهو معروف انه الطيار الخاص لرئيس مجلس الشورى - البرلمان - آنذاك (علي اكبر هاشمي رفسنجاني)، وقد اتصل هذا الطيار باحد اصدقائه المطرب الايراني (...) الذي

فضل العيش في المانيا بعد سقوط الشاه، للاتصال مع المعنيين لترتيب هروبه الى العراق، ونظرا لمعرفة هذا المطرب بعلاقة علي قاضي مع الاستخبارات العراقية وجد من المناسب اخباره بالمعلومات كمشروع مشترك للافادة المالية، والتقيا الملحق العسكري العقيد الركن بسام عبد الكريم - الذي حكم هو الآخر في ما بعد بالسجن لعدة سنوات.

وفي الوقت الذي كان خسرو الجاف يقدم عرضاً بتقريره التحريري عن مهمته، وصل إليّ تقرير آخر اعده الملحق العسكري عن لقائه مع الاثنين.

وفي اليوم التالي، اجتمع الضباط المختصون لدراسة التقريرين وتقديم التوجيه بصددهما، ومثل هذا الاسلوب في العمل حرصنا على تطبيقه (في الحالات غير المستعجلة)، لتنمية قدرات وتدريب وممارسة الضباط، وقد اوصت اللجنة بعزل خسرو الجاف من القيام بدور ما في هذه العملية، لان تقارير المراقبة على هاتفه اعطت تأكيدات وافية على انه يتحدث لزوجته بكل شيء يحصل معه، ولا تتردد زوجته هي الاخرى بنقل الكثير من المحادثات الى الآخرين من دون اي التزام. فغالباً ما كنا نمرر الاشاعات بواسطة هذه القناة بطريقة غير مباشرة، فتصبح حديث الناس ونوصل ما نريد ايصاله الى المخابرات المختلفة، بما فيها العراقية.

ولقطع دابر الاتصال بين خسرو الجاف وعلي قاضي، أو بينهما وبين اية جهة اخرى (مثلاً، المخابرات - التي لم توفق بانجاح عملية واحدة من هذه العمليات الخاصة)، اخبرنا خسرو ان المعلومات المتوفرة لدينا تعطي ادلة على علاقة المطرب الإيراني (...) مع المخابرات الايرانية، وان عليه كتمان وترك العملية كلياً، ريثما نتمكن من التوصل الى نتيجة ما، كما طلبنا من علي قاضي الذي كان يتقاضى راتباً شهرياً من الملحقية العسكرية في بون قدره الفا مارك مقابل نشاطاته عن ايران، باعطاء الفكرة نفسها الى خسرو وعدم التحدث بالامر مع سردار الجاف لعلاقته مع المخابرات.

▭▭ عمليــة الفالكـون

وخلال هذه المرحلة بالذات ورد الينا تقرير من المخـابرات بتوقيـع اللـواء فـاضل براك يفيد بوجود علاقات للمدعو علي قاضي مع اجهزة مخابرات عدة في العـالم وكذلك الامر بالنسبة الى سردار الجـاف الـذي ظهـرت معلومـات وافيـة عنـه فـي كتاب "وكر الجاسوسـية" الـذي صـدر فـي طهـران بعـد الاسـتيلاء علـى السـفارة الاميركية هنـاك، وقد اراد البراك بهذا الكتـاب توجيـه اتهـام الـى بـرزان ابراهيـم الحسن لموافقتـه على اعطاء دور واسع لسردار اثناء توليه مسؤولية المخـابرات، كمـا يدل تقريـر البراك ايضـا علـى تسـرب معلومـات اليـه عـن عمليـة الفـالكون الجاري تدبيرها.

وعلى الجانب الآخر تم اشعار رئاسة الجمهورية، بموجـز عـن العمليـة موضـوع البحث واعطيت الاشارة للمباشرة بالتنفيذ الفعلي.

ومـع حـرارة تمـوز - يوليـو ١٩٨٦ الشـديدة، باشـرت الاسـتخبارات سلسلة مـن النشاطات السرية المتعددة وقبل بضعة ايام من الموعد المقـرر وفـي مطلـع آب - اغسطس ١٩٨٧ وصلت عائلة الطيـار علي اكبر محمدي الى بغداد والمؤلفة مـن زوجته التي سبق لهـا العمـل مضيفـة علـى طـائرات الخطـوط الجويـة الايرانيـة، وابنتهما دلاور البالغة من العمر حوالي ثلاث سنوات، وكذلك المطرب الايرانـي، وعلي قاضي، وجرى تدقيق الوثائق والمستمسكات الثبوتية والتأكد من سلامتها.

▭▭ يـوم التنفيـذ

وفي صباح اليوم المقرر، توجهت بطائرة هليكوبتر الـى قـاعدة الموصـل الجويـة مع مجموعـة مشتركة من الاستخبارات والقوة الجوية، وفي تمـام الوقـت المقـرر بدأ الطيار علي اكبر محمدي الاتصال عبر الترددات والكلمات الرمزية وعلامات التعريف المقـررة، كمـا رصـد طيارونـا المكلفون بمهمـة الحمايـة الجويـة تقـرب طائرة الفالكـون على ارتفـاع منخفض جداً، وهبط الطيـار بطائرتـه بسـلام وكـان معه شقيق زوجته البـالغ مـن العمـر حوالـي العشـرين عامـاً، وتـم اخلاؤهمـا الـى

مطار المثنى في بغداد، حيث كانت مجموعة من المصورين ومراسلي الصحف ووكالات الانباء بانتظارنا، وتمت الاستفادة من صورة فوتوغرافية سبق ان التقطت للطيار واقفاً الى جانب رفسنجاني، للادعاء بانه الطيار الخاص لرفسنجاني وان الطائرة التي هبطت على ارض المثنى ليست الا طائرة رفسنجاني شخصياً، وفي الحقيقة فان الامر ليس كذلك الا ان الصورة اعطت مصداقية عالية للحملة الاعلامية.

لقد كانت هذه العملية ضرورية للموقف المعنوي السياسي بعد ستة اشهر من سقوط الفاو بأيدي الايرانيين وما تركه ذلك السقوط من اثار معنوية سيئة عراقياً، واقليمياً، ودولياً.

وفي ختام العملية عقد اجتماع في بغداد جرى خلاله تسليم الطيار محمدي مبلغ تسعمائة الف دولار اميريكي نقداً، ومائة الف دولار الى كل من المطرب الايراني وعلي قاضي محمد على ان يعطي خسرو الجاف مبلغاً بسيطاً منها.

وفي تصرف غير لائق ولم يكن مسبوقاً، انفجر علي قاضي معترضاً على مقدار المكافأة التي رأى حصته فيها قليلة جداً، فيما رأيناها مناسبة تماماً لمجهوده البسيط فلم يكن الموضوع كله من فعل مبادراته حيث ادى المطرب الايراني دورا اكثر اهمية فاستلم مبلغاً قدره خمسة وستين الف دولار.

وحاولنا تهدئة علي قاضي وافهامه باننا اوفينا بتعهداتنا كاملة وجرى تكريمه بمبلغ خمسة وثلاثين الف دولار، واذا ما افترضنا انه سيعطي خمسة الاف دولار الى خسرو الجاف فسيبقى له مبلغ كبير، لاسيما انه يستلم راتباً شهرياً مستمراً، الا انه لم يستطع تفهم الموقف، ولسوء حظه وغبائه ايضاً انه كان مطلعاً على جانب (محدد) نتيجة تصرف خاطئ من احد ضباط الاستخبارات ومن شأنه ان يلحق ضرراً بأمننا الوطني آنذاك واذا ما تركت له حرية السفر، فقد يستخدم ذلك الجانب لابتزازنا، أو للاضرار بنا، فلم يعد امامنا مجال واسع من الخيارات، فجرى تأليف لجنة من العميد الركن عبد الرحيم عبد الغني السوس الذي اعدم مطلع عام ١٩٩٠ لانتمائه الى تجمع سياسي مناوئ والعميد طارق صالح،

والعقيد الركن أحمد نايف (الذي توفي هو الآخر فيما بعد في دولة الامارات اثناء تنسيبه بمهمة استخباراتية سنأتي اليها فيما بعد)، وجاء رأي اللجنة بالتوصية الى رئاسة الجمهورية لتصفيته (اي اعدامه) الا اني تحفظت على القرار لانه لم يرتكب جريمة تستحق هذا العقاب وان اطلاعه على نقطة حساسة يعتبر من مسؤولية الضابط المعني الذي اثبت هو الآخر غباء، ولما لم يكن بوسعنا تبرئة ساحته فقد جرى تقديم عدد من الخيارات تتضمن:

١- زيادة المكافأة المالية له ويعتقد ان من غير المتوقع موافقته على اقل من مائة الف دولار.

٢- أو حجزه وقتياً في العراق.

٣- او السماح له بالسفر الى المانيا، مع وجود احتمالات لمحاولته ابتزازنا بعد ذلك أو ايذاء الأمن الوطني.

وحصلت موافقة الرئاسة على المقترح الثاني على ان يجري تنفيذ ذلك بطريقة سرية تجنباً لاية حملات اعلامية أو سياسية وجرى تكليف العميد الركن عبد الرحيم عبد الغني باكمال معاملة السفر المعتادة ومرافقته بصحبة خسرو الجاف، ولدى مغادرته بناية المطار نحو الطائرة وعودة العميد عبد الرحيم وخسرو من المطار تم استصحابه من قبل مجموعة اخرى وحجزه في احد الدور الخاصة التابعة للاستخبارات العسكرية العامة.

وابتداء من اليوم التالي، بدأ سردار الجاف التحرك لمعرفة مصير قاضي وذلك لعدم وصوله الى مطار كولن في المانيا، ورغم علاقاته الواسعة لم يحصل على أية نتيجة الا بعد مرور عدة اشهر على حجز علي قاضي.

▭▭ . ودفن في النجف

لقد سافر المطرب الايراني الى مكان اقامته في المانيا بطريقة منفصلة مصطحباً معه مكافأته المالية التي اصبحت مائة الف دولار (وكما يقولون: مصائب قوم عند قوم فوائد)، وسافر الطيار محمدي وافراد عائلته الى سويسرا ومعهم المكافأة

المالية، ثم اغتيل هناك من قبل عناصر مجهولة، وطلبت زوجته الموافقة على جلب جثته الى مدينة النجف العراقية ودفنها هنالك فكان لها ما ارادت، وبقي علي قاضي محجوزاً في ظروف صحية وغذائية وانسانية جيدة، وجرى السماح لعدد محدود من اهله بمراجعته اسبوعياً، كما حاول سردار الجاف التوسط بكل اتجاه ابتداء من عزة الدوري - نائب رئيس مجلس قيادة الثورة - وحتى برزان فلم تنقطع رسائله من جنيف، التي اقر فيها ان سردار الجاف كان عميلاً للعديد من مخابرات العالم كما هو حال غالبية رؤساء العشائر المهمين!، الا انه لايستطيع الاحتكاك بالعصب الحساس للدولة ويقصد (والكلام لبرزان) أمن النظام، ولم يأت برزان بشيء من عنده، فان كل شيء يمكن غض النظر عنه الا أمن صدام واهله وما يهدد نظامه.



الحــرب النفسيــة

تعتبر الحـرب النفسـية احدى وسـائل الصـراع الرئيسـية، وتسـتهدف التـأثير فـي الروح المعنوية للطرف الآخر وتعقيد عملية اتخاذ القرار.

وتتوقف اهمية الحرب النفسية ونطـاق نجاحهـا علـى العديـد مـن العوامـل المهمـة ومنها:

١- توفر وسائل اعلام ووسائط ايصال مادة الحـرب النفسـية بكفـاءة الـى الطـرف المقابل.

٢- مصداقية المادة الاعلامية و/ أو مهارة صياغة الفقرات الحساسة.

٣- قناعة الطرف المقابل بقـدرة ومصداقيـة الطـرف القـائم بشـن الحـرب النفسـية وطبيعة الموقف على الارض.

٤- الوضـع المعنوي العـام فـي الطـرف الموجهـة الحـرب النفسـية ضـده وعلاقـة الشعب والقوات المسلحة بالنظام ورئيسه.

٥- مشروعية الموقف وعدالة القضية، فكلمـا كـانت المؤشـرات لصـالح الطـرف الموجهـة الحـرب النفسـية ضـده مهـدت السـبل الكفيلـة بتـأمين نسـبة عاليـة مـن الحصانة المطلوبة، والعكس للحالة الأخرى.

لقد اولى العراق اهتماماً واضحاً بالحرب النفسية بشـطريها الدفـاعي (الحمـايوي) والتعرضي (الهجومي)، وشكلت الحرب العراقية - الايرانية بكـل مآسـيها تجربـة عملية حيّة باتجاهات شاملة، وفي الفترات التي سبقت تلـك الحـرب لـم تكـن لـدى

العراق تجربة أو دراسات فعليه من هذا القبيل كما ان اجهزة الحماية كانت تعمل بوسائل قديمة ومحدودة العدد وذات قدرة عملية متدنية، وعلى الرغم من ان الحرب اعطت دوافع الاهتمام فلم يجر العمل لتشكيل مؤسسة أو هيئة (عليا) دائمة ومتماسكة لهذه الاغراض، وهي حالة تدعو الحاجة اليها طالما بقي العراق ضمن دائرة الصراع، ومن العبث الاخذ بالافتراضات التي تقول ان هذه الحرب، هي خاتمة حروب العراق اذا ما بقي صدام وبقيت آثاره المباشرة مستمرة، واقصد هنا افراد عائلته، رغم القناعة التامة ان احداً من اهله لن يستطيع الامساك بالحكم لاسباب كثيرة، منها وابسطها ما يتعلق بتطور الحياة نفسها.

▫▫ دوائر الحرب النفسية

نتيجة الحرب مع ايران والشعور بوجود فراغ كبير في مجالات الحرب النفسية جرى تشكيل لجنة برئاسة وزير الاعلام وعضوية ممثلين من الاستخبارات ودائرة التوجيه السياسي، والمخابرات، والأمن العام، على ان يستدعى ممثلون عن وزارة الخارجية، وغيرها من دوائر الدولة عند الحاجة، وغالباً ما تجتمع فعلياً بين اسبوع وآخر واطلقت عليها تسمية لجنة الحرب النفسية، وتتولى تنفيذ الاعمال التالية:

١- متابعة نشاطات الاعلام الايراني واطر ونشاطات الحرب النفسية الايرانية.

٢- دراسة تقارير الاستخبارات والمخابرات حول مستجدات الحرب النفسية المعادية.

٣- دراسة التقارير المتضمنة مقترحات مجابهة اساليب ونشاطات الحرب النفسية.

٤- دراسة التقارير والمقترحات التي يقدمها كل طرف بصورة مستمرة والمتضمنة مواد الحرب النفسية الهجومية وتستند بصورة خاصة إلى المعلومات

٤- استغلال المكتسبات العسكرية التي تتحقق لصالح ايران في عدد من المعارك واستثمار المقابلات السريعة مع الاعداد الكبيرة من الاسرى.
٥- الاستناد الى منطلقات دينية والتحدث بمنطق الثورة الاسلامية. ومشكلتهم في هذا تعود الى ان غالبية قادة الجيش والاجهزة المهمة هم لا يتأثرون بهذا الجانب من الحرب النفسية، بقدر ما تولد لديهم انطباعات مضادة.

وهناك معادلة وقناعة لدى العراقيين مفادها ان الغرب ومعه عرب الخليج لن يسمحوا لايران باجتياح واسع للعراق ولذلك لا خوف على المرحلة النهائية، فلم يكن احد يعتقد ان العراق سيسقط، الا ان الامر تطلب لتحقيقه المزيد من الدماء والاموال العراقية.

▫▫ النشاطات العراقية

استندت النشاطات العراقية على ما يأتي:
١- استخدام الاسلحة الكيماوية والتلويح باستخدامها ضد المدن الايرانية.
٢- الاستخدام الواسع لصواريخ ارض - ارض والقوة الجوية ضد المدن الايرانية.
٣- مساندة منظمة مجاهدي خلق وتجهيزها وتسليحها وتزويدها بالوسائل الاعلامية اللازمة.
٤-استخدام وسائل ايصال الاعلام والحرب النفسية المختلفة بالطائرات والمدفعية علماً بأن الايرانيين استخدموا قنابل المدفعية لقذف المنشورات على قواتنا ايضاً.
٥-التركيز على الخميني ورجال الدين بصورة خاصة وتحريض الشعوب الايرانية على الثورة (الاذربيجانيون - البلوش - العرب - الاكراد) والحديث عن الفرس من منطلق حضاري وليس معاداة كل ماهو فارسي.
٦- استخدام المعلومات التي تدل على عمق الاختراقات الاستخبارية وسرعة الحصول على المعلومات لاحباط الطرف الآخر واظهار قوة ذراع الاستخبارات.

▫▫ الاجهزة الفنية والوسائل

بحكم الصيغ الدكتاتورية المتبعة في استراتيجية وامن النظام فقد تم استيراد اجهزة ومعدات ضخمة للتشويش الالكتروني وانشئت محطات بث استراتيجية ضخمة في منطقة اسطبلات شمال بغداد (مائة كيلومتر على طريق الموصل) واستحدثت محطة كبيرة للتجويل الكهربائي لتأمين الطاقة الكهربائية لهذه المرسلات كما تم توزيع محطات للتشويش في كل القواطع الشمالية - الشرقية - الجنوبية والغربية.

وتتولى مديرية المعدات الفنية ووزارة الاعلام والاستخبارات العسكرية العامة وضع خطط التشويش الاستراتيجي، فيما تتحدد مسؤولية التشويش على معدات الاتصال اللاسلكية، بمديرية الاستخبارات العسكرية (حصرا) لضمان تدفق المعلومات من المحطات المعادية المهمة، على ان يتم شلها في الوقت المناسب..

وكان هذا احد اهم سببين لربط مديرية المعدات الفنية بالاستخبارات العسكرية العامة.

وقبيل حرب الخليج الثانية توفرت للعراق قدرة هائلة للتشويش على عشرات الاهداف الاستراتيجية في آن واحد ولم يخسر العراق كثيراً من معدات التشويش في هذه الحرب، فقد اخضعت محطات لندن - وصوت اميركا- ومونتي كارلو لتشويش شبه متواصل لفترات طويلة لكونها تحظى باهتمام كبير لدى الشعب العراقي.

استخدمت المدفعية وحاويات الطائرات لتذف المنشورات في الحرب مع ايران، كما اشرنا الا ان تأثيرها لم يتعد النتائج المحدودة.

▫▫ النشاطات النفسية المعاكسة في حرب الخليج الثانية:

*** النشاطات العراقية**

بحكم معادلات الصراع والنتائج المتوقعة، أو المفترض ان تسفر عنها نتيجة الحرب، فلم تتح للعراق القدرة على التأثير المعنوي الفعال على الطرف أو الاطراف المقابلة، كما ان ادراك الشعب العراقي وقواته المسلحة حجم الكارثة

التي ستحيق بالعراق نتيجة اصرار صدام على التمسك بالكويت جعلته في موضع تقبل كامل لمادة وهدف الحرب النفسية المقابلة.

ورغم هذا فقد تيسرت فرص من التأثير النفسي على الطرف الآخر تسبب بها الاعلام الغربي احيانا، وعدد من الكتاب والمحللين احياناً اخرى لهدف متعمد اوغير متعمد.

ومن بين ماحظي بمثل هذا النشاط المؤثر:

١- التخمينات الاولية المبالغ بها جداً للخسائر البشرية.

٢- التأكيد على امتلاك العراق للاسلحة الكيماوية والصواريخ بعيدة المدى المزودة برؤوس كيمياوية وعدم تورعه في استخدامها ضد الاهداف المدنية والمبالغة بتأثير الصواريخ ارض - ارض التقليدية ما جعل القلق يساور ملايين المدنيين في الخليج وهجرهم لمدنهم في مراحل الحرب الاولى.

٣- اصرار صدام على عدم الانسحاب من الكويت اعطى انطباعاً بان في جعبته شيئاً خطيراً سيستخدمه عندما يضطر اليه.

٤- احتجاز الرهائن الغربيين وما شكله من ضغط نفسي شديد على الرأي العام الغربي وتخطيط العمليات.

وشكلت العوامل المذكورة بحجمها ضغطاً معنوياً معيناً وحرباً نفسية اثرت بدرجة محدودة في بعض الاتجاهات.

▫▫نشاطات الحلفاء

لا شك ان للدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا باعا طويلا وخبرة هائلة في الحرب النفسية، بحكم متطلبات الحرب العالمية الثانية وامتلاكها لوسائل اعلامية عملاقة ومؤسسات حرة واخرى موجهة، ومراكز دراسات استراتيجية وإلماما شاملا بالاوضاع النفسية للمنطقة وبخاصة مايتعلق منها بالخبرة البريطانية التي تمتعت بنفوذ امتد لعقود طويلة من الزمن وتغلغلهم

في مفاصل السكان الدقيقة والعادات والتقاليد الاجتماعية والمؤثرات المباشرة على الافراد والمجتمع. ولقد تيسرت للحلفاء قوة نفسية هائلة تمثلت في ما يلي:

١- وسائل ايصال مادة الحرب النفسية.

٢- التفوق العسكري المطلق والهائل.

٣- الاصرار الواضح على اخراج صدام من الكويت.

٤- القدرة الاقتصادية الهائلة.

٥- التفوق التكنولوجي الغربي على القدرة التكنولوجية العراقية.

٦- الاجماع الدولي.

٧- قدرة الخنق الاقتصادي والاستراتيجي الشامل للعراق.

٨- عزل النظام دولياً.

٩- عدائية الدول المحيطة بالعراق للنظام عدا الاردن (آنذاك).

١٠- التقبل الشعبي العام داخل العراق للدعاية الغربية وتصديقها.

١١- الكره الشعبي لصدام ونظامه.

١٢- الخوف من القادم (المجهول).

١٣- استعراض القوة.

١٤- التصريحات الاميركية والبريطانية المتشددة.

□□ وسائل الايصال الاعلامي والنفسي

١- تعتبر اذاعات لندن وصوت اميركا ومونتي كارلو الموجهة باللغة العربية موضع متابعة واهتمام شديدين من قبل كافة العراقيين على حد سواء، وباستثناء اذاعة الكويت ببرامج الساعة السابعة صباحاً وفترة الظهيرة في الساعة الواحدة، فان العراقيين لم يعتادوا (الا في احيان قليلة جداً اذاعة الاردن) الاستماع الى الاذاعات العربية كافة.

ومنذ الساعة السادسة والنصف صباحاً حتى التاسعة والنصف، وبخاصة منها الساعة السابعة صباحاً، ومنذ الساعة الثالثة والنصف عصراً وحتى منتصف الليل

تواصل الغالبية العظمى من العراقيين الاستماع الى هذه الاذاعات، ولادراك النظام لخطورة البرامج التي تبثها هذه الاذاعات في احاطة العراقيين بحقيقة الموقف الاستراتيجي خلال حرب الخليج الثانية وعقبها مباشرة، فقد تم وضعها تحت التشويش الشامل لفترة طويلة، فضلاً عن اذاعة الحرية المعارضة التي اكتسبت شهرة عظيمة داخل العراق في ١٩٩٤ و١٩٩٥ وكان العراقيون يقضون لياليهم بالاستماع اليها، وان قسماً كبيراً منهم كان يواصل استماعه حتى الصباح. وقد استغللت هذه الاذاعة استغلالاً كبيراً في فترة وجودي داخل العراق حيث كنت ارسل معلومات مهمة عن النظام وبيانات الى القوات المسلحة وغيرها لبثها تحت اسم "حركة ثوار الشعب" وقد تمتعت هذه الاذاعة بامتياز جيد من حيث حزمة البث الواسعة على تردد يتراوح بين ١٣٢٤ و١٣٤٤ تقريباً وبذلك تستطيع الافلات من حزم التشويش، كما ان اذاعة الجمهورية العراقية - صوت الشعب العراقي حظيت باهتمام في المنطقتين الجنوبية والوسطى، الا ان مداها لم يصل بصورة جيدة الى الشمال.

٢- على الرغم من ان صحون الاتصال بالاقمار الصناعية (الستلايت) لشبكات التلفزيون - القنوات الفضائية - ممنوعة داخل العراق الا ان فسحة الممنوعات التي شملت كل شيء جعلت الالتزام الشعبي محدوداً وقد تمكن العراقيون من التقاط قنوات مهمة ادت الى نقل جوانب من الحرب النفسية.

٣- استخدام الحلفاء للمقذوفات الصاروخية من السمتيات وغيرها والطائرات النفاثة لالقاء المنشورات الدعائية المختلفة، وخلال الحملة الجوية اتبعت وسائل تحذيرية بالقاء منشورات تحذر الجنود والضباط بضرورة مغادرة مواضع قواتهم، والا فانهم سيتعرضون للهلاك لان طائراتهم ستقصف مواضع فرقتهم (وتسمى الفرقة المعنية) ويتبع ذلك قصف شديد بالفعل ولم يكن هذا الاسلوب غريباً عنا فقد استخدمنا الطريقة نفسها في معركة شمال دربندخان في منتصف آذار ١٩٨٨ لاغراض الردع والاحباط النفسي ولاغراض المخادعة لخدمة عمليات الفاو ايضاً، وكانت وسيلة الردع في تلك الحالة استخدام الاسلحة

الكيماوية فيما كانت وسيلة الردع والحرب النفسية للحلفاء التفوق القتالي الساحق والقدرة التقنية غير الاعتيادية مقارنة بما لدينا.

▫▫ تحديد الهدف

١- استهدف الحلفاء، اتخاذ موقف واضح وصارم بحتمية خروج صدام من الكويت كما بدا واضحاً الفصل بين صدام والشعب العراقي، وحتى بين صدام والنظام في احيان كثيرة، وتبلور وتطور الاتجاه الاخير بمرور الوقت اي انهم وضعوا تغيير صدام شرطاً للتعامل مع العراق، ومن دون شك فانهم تآمروا على صدام ودبروا لقتله ايضاً وبصرف النظر عن الادعاءات الاخرى، الا انهم لم ينجحوا في هذا حتى الآن، ويعود هذا الفشل للطرق التي اتبعوها وعدم توفقهم في التعامل الفعال مع المعارضة العراقية، والقسم الآخر ايضاً الى تعدد اتجاهات المعارضة.

٢- هنالك من يدعي أو يفترض ان استهداف الغرب لصدام ومحاولة اسقاطه ادت أو ستؤدي الى التفاف شعبي حوله، وللحقيقة فان اصحاب هذا الرأي يرتكبون خطأ فادحاً يتهمون فيه بالسذاجة والسطحية وعدم الالمام بطبيعة الشعب العراقي وعلاقته الدموية بصدام، أو ان يتهموا بالتآمر على الشعب العراقي، وقد تآمر علينا سراً وعلناً كثيرون من العرب النفعيين الذين تلتقي مصالحهم مع الطاغية، خوفاً من التحولات الانسانية في العراق.

▫▫ تماسك النظام

لقد تعرض النظام لحرب نفسية مدمرة الا انه احتفظ بتماسك البقاء نتيجة ضعف جدية التحرك المعادي له على الارض وضعف الاسناد الخارجي للمعارضة الخارجية وامتداداتها الداخلية، وان الحرب النفسية وحدها ليست كافية لتحقيق الهدف، بل انها وسيلة مساعدة ذات تأثير فعال.

كما ان صدام خبير باساليب وطرق الحرب النفسية التي يوجهها الى العراقيين واعضاء القيادات، ويعرف كيف يجعلهم في حالة من القلق المستمر، وهذا عامل مساعد لقلب هؤلاء عليه وتحريضهم للتحرك وعدم الركون الى القلق، كما انه وبحكم ما عرف عنه من تهور وعدم ترو وعدم اهتمام بأرواح ودماء العراقيين، فان تهديداته الخارجية غالباً ما تتحول الى مادة نشيطة من مواد الحرب النفسية.

لقد ورثت مجتمعاتنا الخوف من المجهول نتيجة خطأ في طرق التربية، فيخشى بعضنا الظلام خوفاً من الشياطين، ويخشى بعض آخر ركوب الطائرات خشية سقوطها لأنهم يجهلون طريقة صنعها.

وامثال هؤلاء هم الاكثر عرضة لاثار الحرب النفسية، كما ان الطغاة المتكبرين غالباً ما يكونون عرضة للانسياق وراء الحرب النفسية والوقوع تحت تأثيراتها بطريقة اخرى تتعلق باثارة روح التحدي، وليس من مثل قريب افضل من الطريقة التي اتبعها الرئيس الاميركي جورج بوش في اثارة الكبرياء الاجوف لدى الطاغية في انه يريد ان يعطيه فرصة مناسبة للانسحاب والمحافظة على ماء وجهه لانه سيتعرض الى هزيمة ساحقة، كما انه حرص على استخدام كل ما بوسعه من الوصف المؤنب لصدام لدفعه الى التعنت والبقاء في الكويت بعد ان استكملت القوات استعداداتها للحرب ونجحت الجهود الاميركية - البريطانية في تهيئة اكبر حشد غربي وعربي بالتنسيق مع السعودية ومصر والحصول على تفويض من الامم المتحدة باستخدام القوة، فأخذت صدام العزة في الاثم ورفض الانسحاب للشعور بحتمية التحدي فانساق وراء الحرب النفسية.

❋❋❋



الاستطلاع العميق والعمليات الخاصة خلف الخطوط

لقد درسنا في التاريخ العسكري معلومات عن اساليب استخدام عناصر الاستطلاع العميق وخلف الخطوط القتالية للوحدات الخاصة البريطانية في الحرب العالمية الثانية، الا ان احداً، على مايبدو، لم يحاول نقل هذه التجربة الحيوية الى قواتنا خلال ثلاث وستين سنة من تاريخ الجيش العراقي.

وفي مطلع عام ١٩٨٢، وبينما كنا منهمكين بدراسة ابعاد وتأثيرات عملية الاغمار الواسعة بالمياه التي تديرها القوات الايرانية جنوب وجنوب غرب الاحواز، ثم تطور الهواجس الى معلومات اخذت تتوارد بعد الفراغ من معارك دزفول - الشوش نهاية مارس - آذار من ذلك العام، رن هاتف البدالة الخاصة في الطابق تحت الارضي من بناء القصر الجمهوري الرئيسي واذا بالفريق أول الركن عبد الجواد ذنون يطلب مني الحضور الفوري الى غرفة العمليات الخاصة في الطابق الارضي والقريبة من مكتب رئيس الجمهورية، فوجدت حضوراً متكاملاً لاعضاء القيادة العامة للقوات المسلحة وتولى رئيس اركان الجيش الفريق أول الركن عبد الجبار خليل شنشل ادارة النقاش معي حول رؤية الاستخبارات للنوايا الايرانية القادمة وجرى البحث باهتمام كبير عما يجري خلف شريط من الارض المغمورة، ترك الايرانيون فاصلة بينه وبين الضفة الغربية لنهر الكارون بشكل اعطى تصورا بان غاية هذا الجزء من الاغمار تكوين مانع طبيعي امام منطقة حساسة لتأمين عبور تدريجي بسيط للقوات الايرانية لتشكيل رأس جسر في مرحلة لاحقة يتم قبلها تجفيف هذا الشريط المائي تمهيداً للعمل

الواسع، وقد ظهر ان لدينا مشكلة حقيقية في استطلاع مثل هذه المناطق وهنا بادرني الفريق شنشل بالسؤال:

"الا توجد لديكم مجموعات استطلاع صغيرة مدربة تدريباً راقياً ومزودة باجهزة اتصال لاسلكي صغيرة الحجم يجري دفعها لغرض استطلاع هذه المناطق ومشاهدة ما يجري مباشرة ونقل اخبار سريعة الينا؟"، ولم اجد مناسباً في ذلك الوقت ان انفي أو اؤيد وجود مثل هذه المجموعات، كي لا اجد من اعضاء القيادة من يبحث عن ثغرة في اعمالنا ويتندر في الحديث عنها هنا وهناك منْ وراء الظهور، فقلت له اننا سنزوده بتقرير مفصل عن مسرح العمليات ونوايا العمليات المرتقبة للقوات الايرانية.

▫▫ اشارة البدء

لقد كانت مداخلة الفريق شنشل بمثابة اشارة البدء لدورة تكوين هذه الفكرة وكانت ملاحظة دقيقة في الاتجاه الصحيح.

وغلبت على الفكرة اهتمامات الحرب وسيرة المعارك الخطيرة المتتابعة فلم يأت الوقت المناسب حتى مطلع عام ١٩٨٤ عندما سافرنا بمهمة رسمية الى القاهرة ضمن الاجتماعات الدورية المقررة مع المخابرات الحربية المصرية ضمن وفد ضم اللواء الركن محمود شكر شاهين وضباطاً مختصين بالاستخبارات النفسية، واجهزة الاتصالات السرية للوكلاء، واسرائيل، وقد عرضت علينا المخابرات المصرية برنامج الزيارة لأفرع القوات المسلحة المصرية وبقايا خط بارليف وساحة عمليات سيناء وقيادة الجيش الثالث، واستدرجوا اللواء محمود لزيارة قبر السادات وقراءة الفاتحة على روحه وغطوا ذلك بالطبع بتصوير فيديوي وفوتوغرافي وصوتي ولم نكن قد استحصلنا الموافقة على مثل هذه الزيارة، فيما كان الاعلام العراقي وصدام شخصياً مستمرين بقدح السادات بالاوصاف المعروفة (زيارة العار وغيرها) وكان الاخوة المصريون في هذه الخطوة كمن يقول: كفوا عن ضجيجكم يا من تنتمون الى البعثيين العراقيين، فهذا هو واقعكم

السري، انتم هنا في القاهرة، وتقرأون الفاتحة على روح من تتهمونه بالخيانة.

وعلى أية حال، طلبنا من المصريين ان ينظموا لنا زيارة خاصة الى وحدات الاستطلاع العميق، وشرح تنظيمها ومهماتها وعملياتها خلال فترة الصراع مع اسرائيل، فاستجابوا لطلبنا بطريقة جيدة وكانوا متقدمين علينا في هذا الاتجاه، فنحن لم نتبن اساساً مثل هذه العمليات، وتركت فكرة الاستطلاع في قواتنا المسلحة لدوريات القتال والاستطلاع الصغيرة وفي مساحات المجابهة وليس التسلل والتغلغل خلف الخطوط ، واستطلعنا موقف المخابرات الحربية المصرية في ارسال مجموعة صغيرة من الضباط الى بغداد لمساعدتنا في تنظيم وحدة استطلاع عميق يراعى فيها التباين بين ساحتي العمليات فوافقوا على الفكرة فوراً ويبدو انهم كانوا يحملون تخويلاً واسعاً للتعاون معنا لحاجتهم الملحة لمثل هذا التعاون لاعتبارات سياسية عليا.

▫▫ سؤال عن الزيارة

وعدنا الى بغداد وبعد ثلاثة ايام تقريباً استدعيت للحضور إلى مكتب وزير الدفاع الفريق عدنان خير الله (في القصر الجمهوري)، واذا به يبادرني بان اشرح له الاسباب التي ادت باللواء محمود شكر شاهين الى زيارة قبر السادات وقد كان واضحاً انه حصل على معلومات وافية لم يشأ الكشف عن مصدرها بالطبع، فحاولت ان اخفف من وطأة الحدث بقولي انه استدرج بغتة، فلم تكن الزيارة داخلة في البرنامج التحريري الذي قدم الينا وفوجئنا، اثناء مواصلة طريقنا الى ادارة الحرب الالكترونية بتوقف الرتل جوار قبر السادات، ولم تمنع الفريق عدنان العلاقة الوثيقة القديمة التي تربطه باللواء محمود وتردده الى مزرعة والده الكبيرة في منطقة الفحامة على ضفاف دجلة الشرقية شمال بغداد، فقال: "محمود انسان بسيط وعلى الفطرة، انه يتصرف كالاطفال في عفويته"، اضاف "كان ابوه قبل ان يصبح ثريا حافي القدمين ويركب حماراً أجرب واعطيناه ما اعطيناه وعيناه في افضل المواقع ويضعنا أمام "السيد الرئيس" بهذا الموقف الحرج،

ورغم ذلك فان ما انتظرنـــاه منك ان تقول اذا مـا استدعاك الرئيس بانـه فوجـئ بطريقة مبيتة"، الا ان صدام اكتفى على مايبدو بتأنيبه مباشرة فقد شاهدته بعد حوالي الساعتين وهو يدمدم ويلعن الساعة التي اتت به الى الاستخبارات ويشير الى صدام بكلمة (هذا) "هذا ذبحنـــي، سواها جريمـة.."، كما وجه لوما خاصا للمصريين على الطريقة العراقية.

◘◘ تشكيل الوحدات الخاصة

حتى عام ١٩٨٤ لم تكن في العراق وحدات للاستطلاع العميق والواجبات الخاصة فيما شكلت المخابرات العامة وحدة للعمليات الخاصة سخرت لتأمين الحراسة الشخصية ولتنفيذ الاغتيالات السياسية داخل العراق وخارجه.

ولا تعتبر ألوية المظليين والصاعقة التي شكلت في الستينات وغيرت تسميتها الى القوات الخاصة ذات علاقة بالاستطلاع العميق والواجبات الخاصة التي نقصدها، بل اعدت كوحدات قتال مدربة تدريبا قتاليا عاليا وتتطلب قابلية بدنية عالية.

وفي ربيع ١٩٨٤ بوشر بتشكيل الوحدة ٩٩٩ باشراف العميد اركان حرب "فؤاد-" من المخابرات الحربية المصرية، واخترت لهم مهمة الاستطلاع العميق الاولى في قاطع شمال مدينة العمارة (محافظة ميسان) حيث توغلت المجموعة في منطقة وعرة داخل الاراضي الايرانية لمسافة تزيد على عشرة كيلومترات وبدأت بتزويدنا بمعلومات عن حركة القوات الايرانية بواسطة جهاز لاسلكي استصحبته المجموعة، وقد لاحظت في المهمة الاولى ان لا تكون في منطقة خطيرة وان تكون كثافة انتشار القوات الايرانية على اقلها تجنبا لاحتمالات الفشل في العملية الافتتاحية.

وهكذا تطورت هذه الوحدة خطوة واسعة وراء اخرى فأصبحت تضم حوالي (٨٠٠) ثمانمائة شخص مدربين تدريبا جيدا ومنتخبين من افراد وضباط القوات الخاصة، وتم تكليفهم بالعديد من مهمات الاستطلاع العميق عبر الاهوار والمناطق الجبلية وعبر شط العرب مستخدمين تجهيزات الضفادع البشرية

وحققوا نتائج لابأس بها وعلى الرغم من انها لا تمثل الطموح الا انها تعد تطوراً مهماً بالنسبة الينا.

وبعد استكمال تشكيل الوحدة ٩٩٩ بوشر بتشكيل الوحدة ٨٨٨ الاكثر اهمية وخطورة وحساسية وسميت "وحدة الواجبات الخاصة".

شكلت الوحدة ٨٨٨ من اربع سرايا هي: سرية ايران، سرية تركيا، سرية اسرائيل، سرية الخليج، ويبلغ تعدادها القتالي حوالي ستمائة شخص تم اختيارهم بشكل دقيق من عناصر القوات الخاصة والاستخبارات وادخلوا دورات مركزة باللغات الفارسية والتركية والعبرية ودوائر أمنية واستخباراتية والتخريب الفني باستخدام المتفجرات وغيرها.

اعتمدت فكرة تشكيل الوحدة (التي لم يكن للمدربين المصريين علاقة بها حيث اقتصر دورهم على تشكيل الوحدة ٩٩٩)، على ما يأتي:

١- استكمال تدريبهم والمامهم باللغات والعادات كل في قاطع اتجاهه.

٢- تزويدهم بمعلومات مفصلة عن الارض والسكان.. الخ عن البلد الهدف.

٣- الاندفاع بعيداً خلف الخطوط والاستعداد للعمل في مناطق جبلية أو منطقة خطرة واستهداف تقاطعات ومحاور الطرق الرئيسية.

٤- الالمام بمبادئ وطرق الحرب النفسية.

٥- الحصول على وثائق مفصلة، حقيقية ومزورة تساعدهم على التعايش في المجتمعات المكلفين العمل فيها.

٦- تأمين قواعد وظروف اتصال مناسبة مع المركز.

٧- القيام بكل أو احد المهمات التالية: جمع المعلومات، تخريب بعض الاهداف، توزيع النشرات لاغراض الحرب النفسية، تكوين قاعدة امنية لمجموعات اخرى، تأمين حماية عناصر مهمة يتم دفعها. وتقديم التسهيلات اللازمة، اعمال اخرى.

▫▫ اطارات العمليات في حرب الخليج الاولى

قامت الوحدتان ٨٨٨ و ٩٩٩ بسلسلة كبيرة من النشاطات في الحرب مع ايران من بينها:

١- التغلغل بين المواضع الدفاعية الى مناطق خلفية ومراقبة تحركات ونشاطات واوضاع القوات الايرانية، وتمكنت القوات الايرانية من القبض على ثلاثة عناصر من الوحدة ٩٩٩ في عام ١٩٨٦ في منطقة جنانه شرق العمارة ولم يعرف مصيرهم حتى انتهاء تبادل الاسرى ولم تعترف ايران بهم.

٢- عبور شط العرب العديد من المرات واختراق ساتر الدفاعات الايرانية على حافة النهر ومراقبة خطوط المواصلات المؤدية الى الفاو وعملوا بطريقة جيدة ضمن خطط الخداع الاستراتيجي ومراقبة مدى تأثر الايرانيين بخطط المخادعة.

٣- تنفيذ سلسلة من نشاطات التخريب في المناطق الوسطى والشمالية الايرانية شملت عدداً من الجسور والقناطر ومستودعات الاعتدة وخطوط الضغط العالي (الكهربائية).

٤- اختطاف عدد من افراد القوات الايرانية في مواقع منتخبة للحصول على المعلومات.

٥- القيام بعمليات اخرى.

▫▫ دور الوحدة٨٨٨ في حرب الخليج الثانية

أقتصر دور الوحدة ٨٨٨ على الانفتاح على طول الحدود العراقية السعودية على شكل مجموعات صغيرة في البقع والاتجاهات المهمة لتأمين الرصد، كما تم تكليفهم بواجبات استطلاع داخل الاراضي السعودية على طريق رفحا - عرعر وتمكنوا من رصد تحركات القوات الغربية وبخاصة الفرقة ٨٢ والفرقة ١٠١ (الفرقتان المحمولتان جواً) وساعدت هذه المعلومات على تأكيد تحليل النوايا والخطط المقابلة في الاندفاع الى نهر الفرات لعزل وتدمير القوات المسلحة

جنوب وغرب الفرات، بعد تدمير كافة الجسور الكائنة على طرق الانسحاب والتعزيز.
وقد تلقت هذه الوحدة ضربة شديدة من طيران الحلفاء ألحق بها خسائر كبيرة. واصابة آمرها العقيد ثائر حسام الدين بحروق طفيفة نتيجة اصابة عجلة اللاندكروزر التي كان يتنقل بواسطتها بعدد من الشظايا واشتعال خزانات البنزين الاضافية.
وتقرر الغاء الوحدتين ٨٨٨ و٩٩٩ وتشكيل وحدة جديدة اخذت الرقم ٩٩٩ وربطت بالشعبة الاولى في الاستخبارات (شعبة الخدمة السرية والتجسس الخارجي).

▫▫ تكليف الوحدة بمهاجمة موظفي الامم المتحدة

وفي بداية عام ١٩٩٤ استدعى وزير الدفاع علي حسن المجيد مستشاري افواج الدفاع الوطني (رؤساء العشائر الكردية) الى مكتبه في وزارة الدفاع وابلغهم توجيهاً محدداً من صدام يطلب فيه القيام بعمليات خاصة تستهدف ضرب موظفي الامم المتحدة في شمالي العراق وان الدولة ستدفع مكافآت مجزية عن كل عملية تنفذ ويقتل أو يجرح فيها احد موظفي الامم المتحدة، اضافة الى ان الفوج الذي ينفذ عمليات اكثر سيحظى باهتمام كبير.
كما صدر توجيه من الوزارة خلال تلك الفترة التي ربطت فيه الاستخبارات بوزارة الدفاع (وقتياً) لتكليف الوحدة ٩٩٩ بهذه المهمة ايضاً وقد امكن تنفيذ عدد محدود من هذه العمليات بتوجيه واشراف قريب من منظومة استخبارات المنطقة الشرقية.
وتم دفع المجموعات بعد تزويدها بوثائق مزورة وجرى تسريبهم من خارج سيطرات الطرق الرئيسية فيما قامت مجموعات اخرى بتأمين ايصال المتفجرات اليهم كما استخدمت في بعض الاحيان احواض وسيارات نقل الوقود المتوجهة من الموصل الى محافظة دهوك الى وكر تم استئجاره في مدينة دهوك.

▫▫تكليف الوحدة ٨٨٨ باغتيال الطالباني

في يوم ١٢ أيار - مايو ١٩٩١ اتصل عبد حميد سكرتير صدام طالباً حضوري الى مكتبه في القصر الجمهوري الثاني (بناية المجلس الوطني التي أشغلت منذ البداية مقراً لصدام عندما كان نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة)، وبعد انتظار دام حوالي نصف ساعة وصل طارق عزيز ودخلنا سوية الى مكتب صدام ورافقنا عبد حميد حيث تولى كتابة ما يدور خلال هذا الاجتماع الذي قدم خلاله طارق عزيز سرداً للمفاوضات التي تمت في نيسان – ابريل ٩١ مع وفد الجبهة الكردستانية برئاسة السيد الطالباني والمفاوضات الجارية مع الوفد الثاني برئاسة مسعود البارزاني... موجها كلامه الى صدام:" سيادة الرئيس لقد كانت الجولة الاولى من المفاوضات بمثابة المرحلة الافتتاحية وحاول الطالباني كعادته المناورة السياسية كسباً للوقت على ما يبدو ريثما يتمكنون من احتواء الاضرار الناجمة عن هزيمتهم وبعد مغادرته بغداد لاحظنا اتباعه سلوكاً اكثر تشدداً وتصريحات تنم عن نوايا مبيتة، ولاحظنا في الوفد الثاني برئاسة مسعود توجهاً للاتفاق معنا ويبدو ان الصراع بين الطالباني ومصطفى البارزاني امتدت شرارته الى مسعود وانه بحاجة الى مساندتنا، الا ان صلاته هو الاخر عديدة مع اميركا وبريطانيا وايران وتركيا واسرائيل فاذا ساعدناه جديا فربما ينتقل الى جانبنا " وتوجه صدام اليّ لابداء رأيي فأشرت له بأن معلوماتنا تؤكد وجود حالة من الصراع الخفي وآخر اوجه الصراع ان ازاد بروراي عضو المكتب السياسي للحزب عندما جاء قبل وصول الوفد الثاني قدم رجاء متكرراً ان نعطي اهتماماً متميزاً الى مسعود اكثر مما اعطينا الى الطالباني وهذه اشارة واضحة تدل على التنافس المستمر الذي ما كان له ان يظهر في هذه العجالة من الامر لو انهم تركوا خلافاتهم خلفهم، واضفت بأني اعتقد ان الاكراد يريدون الاتفاق معنا على مشروع متطور عن قانون الحكم الذاتي لسنة ١٩٧٠ الا انهم لم يجدوا منا ما يدعم جديتنا في تجسيد حالة الترحيب الى مسألة جدية في اتفاق صحيح وان الطالباني سألني علناً "بالله عليك هل انتم جديون معنا؟" فأجبته وهل تلاحظ غير

الجدية لدينا؟! واضفت انني اعتقد بأن مسألة الاكراد ستأخذ بُعداً انسانياً وسياسياً خطيراً ان لم يتم احتواؤها بطريقة صحيحة.

فبدأ صدام الحديث مطولاً عن القضية الكردية وموقف مصطفى البارزاني وعلاقاته مع اميركا واسرائيل.. وكيف ربط مصيره مع الشاه، وقال الا انني اعتقد ان مسعود هو اهون الشرين وان مشكلة الزعامة بينهما لا تنتهي الا بانتهاء احدهما، وتوجه الي في حالة لم تكن مسبوقة بقوله "وما رأيك يا لواء وفيق في ان يجري التخلص من جلال؟" وقبل ان اجيب خطر في بالي سريعاً ما قاله لي احد ضباط جهاز المخابرات من أنهم التقطوا رسالة لاسلكية قبل اربعة ايام وردت اليّ من السيد الطالباني وأرسلوها الى جهاز الأمن الخاص وطلب "قصي" الذي كان يشغل منصب نائب مدير الجهاز من المخابرات متابعة المعلومات، فأجبت صدام بأني اعتقد ان تصفية الطالباني لن تكون في صالحنا، وعلينا ان لا نتوقع بأن نوشيروان مصطفى، وكوسرت سيتبعان خطاً مرنا معنا، فقال انا لا اثق بهما ايضاً ولكن الاسبقية جلال.. وسكت قليلاً ثم قال هل تعتقد بان الوحدة ٨٨٨ مؤهلة للقيام بهذه المهمة؟.. فبينت له بأنه يحتفظ بحماية قوية ولم ننجح حتى الآن في اختراق مقره.. فالتفت الى عزة الدوري الذي جاء متأخراً بقوله لقد اخطأنا في عدم انهاء الامر بهدوء عندما كان في بغداد، ويقصد باعطانه جرعة سامة "غير الثاليوم" بطيئة التأثير.

وعاد والتفت اليّ "اعملوا ما يلزم لهذا الغرض وبالوحدة ٨٨٨" وللحقيقة الراسخة اننا لم نقدم على مثل هذا العمل من قبل مطلقاً، وبالطبع لم يكن صدام يعلم بأنني والسيد الطالباني قد وصلنا الى حالة جيدة من التفاهم هدفها النهائي تخليص الشعب منه..

وفي اليوم التالي استدعيت آمر الوحدة وهو من الضباط الشجعان والاوفياء واحطته بمعلومات اولية عن رغبة صدام وقلت له "لا تتخذ حالياً أية اجراءات وكن على بينة من الامر فقط حالياً" وكان الوقت كفيلاً في افشال هذه النية فلم

يكتف صدام بقتل واحد أو اثنين أو مائة بـل ان غايتـه قتـل ارادة الرجـال للقضـاء على معارضيه عربا كانوا أم اكراداً، شيعة ام سنة.

❋ ❋ ❋

علاقــات صــدام

ان المتابع لخط العلاقات الذي ينتهجه صدام لا يجد عنـاء فـي التوصـل الـى حـال الانتقال الدراماتيكي في توجهاته الداخلية والخارجية باتجاهين متضـادين، وعلـى الرغم من انه يتحلى في حالات غـير قليلـة بـالصبر، وبخاصـة مـا يتعلـق برصـد تحركات ونشاطات اعدائه المستمر من دون انقطاع أو تخفيف، فانه غالباً ما يلجأ الى قرارات متهورة وسريعة تتميز بدرجة عالية من العدائية.

ان مفهوم عدم وجود صديق دائم بل مصالح دائمة، يتجسد جلياً فـي سـجل صـدام الخارجي والداخلي بل حتى داخل دائرة العائلة، ولا تنطبق هنا القاعدة ذاتها علـى الشطر الآخر المتعـارف عليـه مـن المفهوم (عدم وجـود عـدو دائـم بـل مصـالح دائمة).

ومن السذاجـة ان يعتقد احد انه قادر على كسب صداقة صـدام وثقتـه بعـد مرحلـة من العداء مهما كانت قصيرة، لانه يفهم التراجع والتغيير لدى الطرف الآخر بأنه نابـع من الشعور بالضعف أو الهزيمة وهو بالتأكيد لا يضع نفسه هنا في موضـع السذاجة ويقبل هذا التغيير بشكل عفوي، الا اذا كان مضطرا له مرحلياً ولاسـباب قاهرة.

واذا ما اخذنا هذه الحقيقة على المستويات شبه العابرة والبسيطة فلنا ان ندرك حقيقة الموقف اذا ما كـان الأمر متعلقاً بجراح خطـيرة وموقـف يعتبره صـدام عدائيـاً.

ومثـال ذلـك انـه لا يفهم تـبريرات الموقـف المصــري والسـوري بارسـال قـوات للمساهمة في اخراجـه مـن الكويـت وتهيئـة قـوة الدفـع الاسـتراتيجي لبنـاء التحـالف

الدولي ضده، وكذلك المبادرة السعودية بقبول الحشد على اراضيها والامساك بالقضية الكويتية بقوة ولا يختلف الامر كثيرا بالنسبة لاقطار الخليج الاخرى.
انه يفهم السياسة وفق نظرية الابيض والاسود الا في حالات نادرة تتعلق بالقدرة المتيسرة على تحقيق هدف ما، ولعل من المناسب ان نتطرق الى امثلة مختلفة في مراحلها وابعادها وماهيتها طبقاً لاقواله وتصرفاته.

▫▫ خلال الحرب مع ايران

لقد ارادت الجزائر في المرحلة الاولى من الحرب مع ايران التوسط لحل الخلافات بين البلدين تمهيداً لانهاء الصراع الدموي باعتبارها كانت الراعية لاتفاقية الجزائر التي وقعها الشاه وصدام، يوم ١٩٧٥/٣/٦ ولأنها تتمتع بعلاقات طيبة مع ايران والعراق، الا انهم اثاروا حفيظة صدام فقال انهم تنكروا لموقف العراق المساند للثورة الجزائرية، كما كان يردد وباستمرار ان من المستحيل تقبل ان يكون العرب وسطاء بيننا وبين ايران لان الواجب الاخلاقي يحتم عليهم الانحياز الى جانب العراق بالوسائل القتالية وغيرها، وكانت التوجيهات ترد الينا بصورة مستمرة لمتابعة النشاطات العربية حول الحرب مع ايران وبخاصة الموقف الليبي والسوري المساند لايران نسبياً، والموقف الجزائري ايضاً.

▫▫ مقتل وزير

وبلغ تهوره مرحلة خطيرة عندما كان يتابع شاشة التأشير الآني للتنقلات والحركات الجوية الايرانية - العراقية الكائنة في مركز القيادة الرئيسي في القصر الجمهوري، في الوقت الذي كان قائد القوة الجوية والدفاع الجوي الفريق الطيار الركن محمد جسام حنش الجبوري يشرف على قيادة اختراق جوي عميق في شمال غرب ايران عندما رصدت طائرة نقل متجهة من طهران صوب الاجواء التركية، ولم تكن الطائرة الا تلك التي تقل على متنها وزير خارجية الجزائر الذي كلفته حكومته بالتوسط بين الطرفين. ولم تمض الا دقائق معدودات

فحققت طائرة الميغ ٢٥ أول اصابة لها منذ دخولها الحديث جداً في القوة الجوية العراقية فاسقطت طائرة وزير الخارجية بضربة مباشرة بصاروخ جو - جو لتتحول الى كتلة من نار واجزاء متناثرة. وبينما كنا نتابع الموقف في الخط الذي يليه وضع عامل التأشير على الشاشة اشارة الاشتباك واسقاط هدف جوي كبير فالتفت العقيد نزار الى صدام مبلغاً اياه بان طائرة الميغ ٢٥ أسقطت أول هدف لها منذ دخولها الخدمة، فرد صدام بكلمته المعتادة "عفية، عفية" تعبيراً عن الشكر والرضا، وغادر المكان.

ولم يمض الا وقت محدود جداً حتى تناقلت وكالات الانباء خبر سقوط الطائرة، واخذ حامد يوسف حمادي ومرافقو صدام يتابعون الموقف بغبطةٍ وارتياح انتقاماً منه وردعاً للجزائر لايقاف وساطتها.

على الرغم من انني لا امتلك معلومات عن ان صدام هو الذي اصدر الامر الى القوة الجوية لاسقاط الطائرة بالتنسيق مع وزارة الاعلام والخارجية والطيران حول موعد مغادرة الطائرة، الا ان المؤشرات تدل على هذه الحقيقة ومنها:

أ- تولي قائد القوة الجوية الاشراف شخصياً على قيادة العملية.

ب- وجود صدام في غرفة الشاشة الجوية في مركز القيادة الرئيسي في الوقت الذي نفذت فيه العملية.

ج- تباشير الفرح التي ملأت وجهه ووجه مرافقيه.

د- انزعاجه من الوساطة الجزائرية.

هـ- ان وصول ومغادرة وزير الخارجية الجزائري طهران كان معروفاً لدى العراق بشكل تقريبي كما ان الجانب الاخلاقي يقتضي مراعاة الحذر والانتباه، وبخاصة ان خط الملاحة الجوية بين طهران وتركيا معلوم لدى القوة الجوية تفصيلاً.

□□ كره الملك حسين

عندما بدأت الحرب العراقية - الايرانية وقف الاردن الى جانب العراق بطريقة متميزة، منها ارسال كتيبة اليرموك مع المتطوعين من الجيش العربي الاردني الى قاطع الاحواز، وتأمين مشتريات عسكرية غربية وغيرها للعراق، وتأمين معلومات عسكرية عن ايران من مصادر مهمة جداً، وزيارات العاهل الاردني المتكررة الى جبهات القتال، ولم يسبق للاردن ان اتخذ موقفاً سلبياً من العراق فيما وقف النظام المتسلط على شعبنا موقفاً معادياً للاردن خلال احداث ايلول ١٩٧٠ التي مارست فيها الدولة الاردنية مهمتها لضمان سيادتها.

ومع ذلك، فان صدام دأب على الاحتفاظ بغاطس من الكراهية للعاهل الاردني لاسباب مازالت خاضعة للاجتهادات فقط. واثناء سقوط الفاو في فبراير - شباط ١٩٨٦ وبينما كان صدام يتنقل جواً بطائرة هليكوبتر ومعه مدير الحركات العسكرية آنذاك العميد الركن صابر الدوري، اخذ صدام يتحدث عن المواقف العربية من الحرب، وتطرق الى الموقف الاردني، فبدل الاشادة بالمساندة الاردنية التي كانت من بين ما كانت بوابة التفاهم العراقي - الاميركي بعد قطيعة علنية طويلة، (بدل الاشادة) أخذ يلعن الظروف التي اضطرته للتعامل مع الملك حسين، وعندما اختار الاردن موقفاً صحيحاً في اغسطس -آب ١٩٩٥ بالانحياز العلني الى جانب الشعب العراقي استخدم صدام ألفاظا غير لائقة تجاه العاهل الاردني الذي دأب على اختيار الكلمات والتعابير السياسية الخالية من الالفاظ التي يتداولها صدام رغم قوة التصريح الاردني والمطالبة العلنية بتغيير الحكم في العراق.

□□ مع سوريا

وتتجسد العلاقات بين سوريا وصدام بشكل لا يدع مجال شك لاحد في ان الطرفين لا يمكن لهما ان يسيرا على طريق واحد وان الحديث عن تحالف سوري - عراقي، أو سوري - عراقي - ايراني لمجابهة التحالف الاسرائيلي -

التركي يتصف بالخيالية المفرطة، فكلاهما لا يثق بالآخر، وان كانت سوريا لا تثق في ان صدام لا يتآمر عليها في أول فرصة تتاح امامه، فان صدام لم يعتد على الاكتفاء بتوفر القناعة للاحتراس فحسب، بل بنقل المخاوف عملياً الى ساحة الطرف الآخر بالسبق بالتآمر.

ولعل الامثلة التالية تعطينا صورة نسبية عن حقيقة العلاقة بين الطرفين.

أ- عندما كان صدام نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة قام بزيارة رسمية الى سوريا وخلافاً للبروتوكولات الدبلوماسية - الرسمية كان الرئيس الاسد على رأس مستقبليه في المطار وأسكن في دار الضيافة، وكالمعتاد فان وجبات الطعام يجري تقديمها من قبل الدولة المضيفة، الا ان الملفت للانتباه رفض صدام تناول الطعام من اي من تلك الوجبات وعمد الى ارسال مرافقيه الى السوق ليجلبوا له دجاجاً مشوياً، يُخرج من الشواية ويغلف امامهم ويجلب بأيديهم.

ب- وفي احدى المرات، وللبحث في مسألة معلقة في الثمانينات، تقرر عقد اجتماع لمسؤولين من البلدين على خط الحدود، وبمبادرة من السوريين قاموا بنصب خيمة كبيرة على مسافة بضعة امتار داخل الاراضي السورية وحضر من الطرف السوري العماد علي دوبا مدير المخابرات العسكرية، وعلي حسن المجيد عن الطرف الآخر، وفور وصول علي حسن المجيد بحماية قوة غير اعتيادية من افراد الحرس الخاص وبعضهم يحمل على كتفه قاذفات صواريخ ضد الدبابات خفيفة (RBG)، رفض الاجتماع في الخيمة السورية وداخل الاراضي السورية واصر على الاجتماع داخل الكرفان السيار الذي اصطحبه معه واوقف على خط الحدود مباشرة.

وخلال الاجتماع الذي غابت المودة عنه تماماً جاء الجندي المراسل (العراقي) حاملاً القهوة والتفت علي حسن الى الوفد السوري مستفسراً عما اذا كانوا يرغبون شرب القهوة ولسان حاله وايماءاته تدل على انه يقول لهم انه لايطمئن ان يشرب قهوتهم فهل يطمئنوا هم للشرب من قهوته - ويبدو ان رفضه الاجتماع

في الخيمة يعود بأحد اسبابه الى انه يتجنب شرب قهوة.. فقالوا له نعم نشرب القهوة.

وانتهى الاجتماع وخرج علي حسن المجيد متكبراً وناظراً الى انتشار غير طبيعي من قوة الحماية ورافعاً يده اليمنى الى الاعلى موعزاً الى قوة الحماية بطريقة خطابية بصوت عال (-الى بغداد..).

وتستخلص من هاتين الحادثتين ادلة واضحة على استحالة الثقة بين الطرفين، فاذا كان الرئيس الاسد يتعمد استقبال صدام شخصياً خلافاً للبروتوكولات، ويمتنع صدام خلال الزيارة من تناول طعام الضيافة، عدا بالطبع الدعوات الرسمية التي بامكانه اختيار مايريد من طعام يطمئن اليه مما هو على المائدة، خشية ان يدسوا له سماً، وكما يقول المثل "فالاناء ينضح مما فيه".

واذا كان علي حسن المجيد يتفادى هو الآخر دخول الاراضي السورية لتجنب شرب الماء أو القهوة السورية ، وهذا بالطبع بتوجيه مباشر من صدام لانه (علي حسن المجيد) رغم اتصافه بالاجرام فلا يمتلك حساً امنياً الى هذه الدرجة من التوقع فكيف لهما ان يتفقا على المضي في طريق التحالف - التعاون أو دون ذلك، اللهم الا لتحييد كل منهما الآخر وهذا هو الآخر محفوف بالشكوك.

ومادمنا ايضاً بصدد القهوة والسموم، ففي احد الاجتماعات، التي تمت بين الوفد الكردي ووفد مشترك برئاسة عزة الدوري ويضم طارق عزيز، الفريق صابر، واللواء وفيق السامرائي في وزارة الداخلية ببغداد عام ١٩٩١، اراد السيد الطالباني انعاش جو المناقشات فقال موجها كلامه الى عزة الدوري.. نحن شجعان ودليل شجاعتنا اننا نشرب القهوة في وزارة الداخلية، واشار بيده الى علي حسن المجيد (وزير الداخلية) الذي كان حاضراً اللقاء.

ترى أية قيادة، التي تلبس مثل هذا الثوب؟

□□ "عمليـة الوليـد"

ج- خلال الحرب العراقية الايرانية وفـي منتصـف عـام ١٩٨٢ تم اسقاط مقاتلـة ايرانية من طراز فانتوم (F4E) وتم اسر قائدها الملازم الاول الطيار علي عباس كوه بايه، واعترف خلال الاستنطاق بأن طائرته شـاركت ضمـن الغـارة الجويـة الايرانية التي مرت عبر الاجـواء السـورية واستهدفت مطـارات الوليد فـي عـام ١٩٨١.

لقد رصدت وسائل المراقبـة الرادارية كثافـة غير اعتياديـة للمظـلات "طـائرات الحماية الجوية" الايرانية في منطقة شمـال غـرب ايـران ودخلـت وسـائل الدفـاع الجوي من مدفعية وصـواريـخ وطـائرات مقاتلة بحالة استعداد قتالي عال لمجابهـة احتمالات التهديد الايراني على منشآتنا شمال وشمال شرق البلاد وتحولت غرفـة الشاشة الجوية في القصر الجمهوري الى خلية من ضبـاط ركن القيادة المتطلعيـن لمعرفة حقيقة ما يجري وما يبيت من هذا النشاط الجوي الايراني غير المسـبوق، وتحركت حزمة الطائرات مـن شاشـة العمليـات الجويـة والدفـاع الجـوي لتختفـي قرب الاجواء التركيـة كليـة، وبعـد اقـل مـن سـاعة زمنيـة وردت معلومـات تفيـد بوقوع غارة جوية واسعة على مطارات الوليد والمقصود بمطـارات الوليـد قـاعدة (H3) الجوية ومطارات وشقق جوية ثانوية وانتهت الغارة بتدمـير طـائرة واحـدة من طائراتنا (ميغ ٢١) واشتعال النار ببراميل مملوءة بالاسفلت، فـي مـا اصيبت احدى الطائرات المغيرة، وقد اذاعت ايران بياناً بالعملية وبقيت معلوماتنا ناقصـة عنها حتى اسر الطيار الذي سرد القصةُ كاملة، نأخذ منها بعض المقتطفات.

تـم التخطيـط للعمليـة بتوجيـه اعلـى مـن القيـادة وحلقـت الطـائرات مـن قـاعدة شاهروخي فـي همـدان التـي ابدلـت تسـميتها بعد سقوط الشـاه الـى قـاعدة "حـر الرياح" وتوجهـت الـى شمـال غـرب ايـران حيـث جـرى تزويدهـا بـالوقود جـواً بطائرات الارضاع الجوي من طـراز ٧٤٧. (وهي الحالة التي اكتشفت من قبـل وسـائل المراقبـة الراداريـة لدفاعنـا الجـوي) وبعـد التـزود بـالوقود انحـدرت قـوة الضربة الى ارتفاع واطئ جداً واتبعـت خطـاً للطـيران بمحـاذاة الحـدود العراقيـة

التركية، حتى جنوب نقطة السلوبي الحدودية التركية ثم دخلت الاجواء السورية وعادت الى الطيران على مستوى عال حيث كانت طائرة ارضاع جوي اخرى بانتظارها لاعادة التزود بالوقود فأغاروا على مطارات الوليد واصيبت لهم طائرة فانتوم واحدة اضطرت للهبوط في احدى القواعد الجوية السورية وقد صعدت القوة الجوية السورية من دورياتها الجوية المسلحة خلال فترة الغارة.

لقد احطنا رئاسة الجمهورية بالطبع بتقرير الاستنطاق واصدر صدام امراً بتكليف عبد الجبار محسن وكيل وزير الاعلام (الذي اصبح في ما بعد عضواً في المكتب السياسي ومديراً لدائرة التوجيه ومنح رتبة لواء وهو شخص مدني - بقي مستمراً بممارسة صلاحية الرتبة دون ارتداء الرتبة العسكرية) لاجراء مقابلة تلفزيونية مع الطيار الايراني وحضر الى البناء القديم للاستخبارات محملاً باسئلة وتوجيهات محددة من رئاسة الجمهورية.

◻◻ الموقف السوري

ومن المحتمل فان الاسباب التي دعت القيادة السورية للموافقة على فكرة القصف الجوي تعود الى:

اولاً: لقد استبشرت سوريا خيراً بالثورة الايرانية التي غيرت الموقف الايراني من مؤيد لاسرائيل الى مساند للقضية العربية المتعلقة بفلسطين والاراضي العربية المحتلة ومنها مرتفعات الجولان، وجاءت الحرب العراقية - الايرانية بمثابة ضربة للآمال السورية، فلم تؤد هذه الحرب الى حرمان سوريا من الدور الايراني فحسب بل حولت اهتمامات الخليج وصرفت مساعداته الى الساحة العراقية - الايرانية،وبذلك تحول الصراع العربي - الاسرائيلي الى خلف الواجهة الامامية.

ثانياً: تولى صدام ضرب مشروع الوحدة العراقية السورية عام ١٩٧٩ التي علقت سوريا اهمية كبيرة عليه.

ثالثاً: تدخل صدام في الاتجاه المعاكس للدور السوري في لبنان .

رابعاً: والادهى من هذا كله حملة التفجيرات داخل سوريا والتي مولتها المخابرات العراقية وحملة محاولة زعزعة الوضع الداخلي السوري.

خامساً: توجيه رسالة واضحة الى صدام من ان تدخله في الشؤون السورية وتحويله الاهتمام عن ساحة الصراع لن يدع القيادة السورية تقف مكتوفة اليدين، وفي احد خطب الرئيس الاسد اشار بوضوح الى الحرب العراقية - الايرانية بقوله "ولولا شعب العراق العزيز، ولولا جيش العراق العزيز لكان لنا موقف آخر" وفهم المحللون في العراق المقصود بذلك الاستعداد للمشاركة في الحرب.

وعلى اي حال فليس من المتوقع ان تكون اهداف اي من الطرفين من انفتاحهما (المحدود حتى الآن) اكثر من:

سوريا:

* تخفيف حالة العداء مع صدام تجنباً لاحتمالات استخدامه ضدها في مرحلة ما مهما كانت هذه الاحتمالات محدودة.
* عرقلة سقوط صدام بيد مجموعة قد تناصب سوريا العداء، فابقاؤه ضعيفاً افضل.
* ايجاد منفذ للمنتوجات السورية في الاسواق العراقية.
* التلويح بورقة التحالف السوري - العراقي - الايراني رغم ان احداً لايتوقع لهذا التحالف الاقتراب من دائرة النور.
* الرغبة في تواجد معين داخل العراق.

عراقياً:

* تسويق مسألة الانفتاح السوري - العراقي داخلياً وخارجياً وبخاصة خليجياً لاسيما ان الغرب لم يعط حتى الآن اهتماماً واضحاً بما جرى.
* ايجاد منفذ بديل عن الاردن (وربما تركيا اذا ما تعقدت الظروف)، وليس من المتوقع تفريط صدام بتركيا مقابل سوريا.

* كمصب فرعي في المصب العام الساعي لفك العزلة الدولية.

* كمحصلة، فان السوريين والعراقيين لا يتوقعون ولا يترقبون آفاقاً مهمة وهذا لا يمنع تطوراً نسبياً قد يصل الى حد اعادة التمثيل الدبلوماسي الا ان صدام على الاقل لن ينسى اندحاره في الكويت ولن يكف عن التآمر.

وعلى أية حال فهنالك من المسائل المعقدة فعليا التي لا تسمح بالانفتاح غير المقيد.

▫▫ العلاقات في فترة ما بعد الكويت

المعروف ان علاقات صدام بكل من الملك فهد والرئيس مبارك، (ورئيس دولة الامارات الشيخ زايد الى حد ما) اتسمت بالصداقة، الا انه استخدم ضدهم كل الالفاظ النابية سواء ما قاله امام عدسات التلفزيون أو بتوجيهات مباشرة منه تداولتها وسائل الاعلام، فهل لنا ان نصدق مديح كاتب صحفي بائس تحت سلطة صدام للشيخ زايد؟ بعد ان قابلوا مواقفه القومية بدعم العراق بمزيد من الشتائم والتهمة بالتآمر، ام ان للمديح غاية تكتيكية؟.



صدام يلبس الرئيس المصري حسني مبارك عباءة عراقية في مطلع عام ١٩٨٨ وبعد أقل من ثلاث سنوات وجّه كل من الطرفين (احدهما الى الآخر) انتقادات واتهامات لاذعة، ترى ماذا بعد ذلك؟

الحرس الجمهوري

فكرة التشكيل – التطور

التدريب والتصنيف القتالي

السياسة وفلسفة الـــولاء

الحرس الجمهوري في حرب الكويت

الانسحاب الفوضوي

مرحلة الدفاع الاستراتيجي

الحرس الثوري الايراني

النشأة والتـــطور

مجابهة الحركـــات الانفصالية

الحرس الثوري في الحـــرب

أسلـــوب الكتـــل البشرية

فلسفة العقيـــدة والـــولاء

قـوات الحرس الجمهـوري

اطلقت تسمية "الحرس" على اشكال متعددة من القوى المسلحة في العالم وتراوحت تلك القوى بين نطاق حزبي، وحرس لحماية نظام، وحرس لاغراض الأمن الوطني فالولايات المتحدة الاميركية استخدمت تسمية الحرس الوطني، وكذلك المملكة العربية السعودية، وفي ايران استخدمت تسمية الحرس الامبراطوري ومن ثم الحرس الثوري، وفي العراق الحرس القومي (عام ١٩٦٣)، والحرس الجمهوري والحرس الخاص حالياً، وفي دول اخرى الحرس الملكي،... الاميري.

وعند المقارنة بين الحرس الجمهوري في العراق والحرس الثوري الايراني، نجد اختلافات عدة وكبيرة في فلسفة ومفاهيم ومبررات ودوافع وتنظيم كل منهما. كما ان احداث الحرب العراقية - الايرانية، وحرب الكويت والاضطراب في الأمن الاقليمي، جعلت من هاتين القوتين موضع اهتمام تعدى اثره النطاق الاقليمي، وفرض هذا الاهتمام ظهور دراسات تاريخية، واخرى لتحديد الاحتمالات للنشاطات المقبلة، واستخلاص الدروس المفيدة على المستويين الاستراتيجي والعملياتي.

◻◻ فكرة تشكيل الحرس

خلال الحكم الملكي، لم تكن في العراق الا وحدة صغيرة من الحرس الملكي، تقتصر مهماتها على تأمين حراسة بسيطة للقصور والمرافق الملكية على

بساطتها وقلة اعدادها، وعلى الرغم من بقاء عبد الكريم قاسم رئيساً للعراق لاكثر من اربع سنوات ونصف السنة، فلم يجر تشكيل حرس جمهوري أو حرس خاص له، بل اعتمد على عناصر الانضباط العسكري وحراسة وزارة الدفاع، وفرز قوة حراسة صغيرة جداً، حيث قضى فترة الحكم كلها في مكتبه بوزارة الدفاع الذي يحتوي على غرفة منامة بسيطة.

وبعد سقوط عبد الكريم قاسم ومقتله، جرى تشكيل الحرس القومي كقوة مسلحة شعبية من البعثيين (حصرا) لحماية نظام الحكم، وجرى حل القوة فور حدوث حركة ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣، التي اطاحت بحكم حزب البعث العربي الاشتراكي، فتوجه رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف نحو تشكيل قوة خاصة بمثابة حرس جمهوري. وحتى عام ١٩٦٨ اقتصر تأليف القوة على لواء مشاة حرس جمهوري وكتيبة دبابات، اي من حوالي ثلاثة الاف شخص. واستمرت الحال هكذا بعد انقلاب ١٧ تموز يوليو ١٩٦٨، وحتى عام ١٩٨٢، فلم تزد قوة الحرس الجمهوري عن لواءين مدرعين جرى دفعهما في معارك زرباطية لمجابهة هجوم نفذته قوات الحرس الثوري الايراني ادى الى احتلال اراض عراقية وعزل الفوج الاول (لواء المشاة٤١٧) واسره.

ومع تطور الحرب، وازدياد عمق الصراع، وتوسع احتمالات التهديد الايراني اتخذ صدام قرارا بالتوسع في تشكيلات الحرس من الناحية العددية والتسليح والتجهيز. ومع ان صدام كان يعطي غطاء لمخاوفه على النظام، امام اعضاء القيادة بقوله "نريد الحرس للحرب لاننا نسقط على الجبهة وليس من الداخل"، الا انه كان يرافق استحداث وحدات الحرس الجديدة باستحداث وتوسيع قوات الحماية الشخصية وقوات الطوارئ الخاصة ثم الحرس الخاص وصولاً الى تشكيل قيادة الحرس الخاص. وهي قيادة القوات المكلفة بحمايته الشخصية وافراد عائلته والمرافق الحساسة جداً.

وتم استحداث قيادة قوات الحرس الجمهوري التي ضمت في المرحلة الاولى عدة الوية ثم عدة فرق مدرعة وآلية ومشاة، وهي فرقة حمورابي (مشاة)، فرقة العابد (مشاة)، فرقة عدنان (مشاة)، فرقة بغداد (مشاة)، فرقة نبوخذ نصر (مشاة)، فرقة المصطفى (مشاة - الغيت لاحقا)، فرقة المدينة المنورة المدرعة، فرقة النداء المدرعة، فرقة توكلنا على الله المدرعة، التي الغيت بعد تدميرها في ام هزائم صدام.

وبعد الحرب جرت اعادة تنظيم الحرس حيث تشكلت هيئة اركان للحرس الجمهوري وعين الفريق ابراهيم عبد الستار التكريتي رئيساً لهيئة الاركان، وجرى تشكيل قيادة الفيلق الاول حرس جمهوري في تكريت واطلقت عليه تسمية "قيادة الله اكبر"، وعين الفريق الركن كمال مصطفى التكريتي قائداً للفيلق.

وجرى تشكيل قيادة الفيلق الثاني حرس جمهوري في الصويرة واطلقت عليه تسمية "قيادة الفتح المبين"، وعين اللواء الركن محمود اللهيبي قائداً للفيلق وهذا جرى في عام ١٩٩٥، وفضلاً عن ذلك هناك قيادة الحرس الخاص، و"فدائيو صدام" والتي يضم كل منها حوالي ٢٠٠٠٠ مسلح، الا ان فدائيي صدام تعتبر قوة هزيلة ولا تشكل خطراً حقيقياً في كل المقاييس والاتجاهات.

▫▫ التسليح والتجهيز

روعي ومنذ البداية اعطاء الحرس الجمهوري الافضلية والاسبقية في التسليح والتجهيز على حساب القوات المسلحة الاخرى، فلا تدخل المعدات الحديثة في الجيش الا والحرس الجمهوري قد اخذ الدفعات الاولى والقسم الرئيسي منها، ومثال ذلك:

١- تخصيص القسم الاكبر من الدبابات الحديثة T72 للحرس فيما ابقيت بعد هزيمة صدام في الكويت الدبابات القديمة من طراز T55 وT62 الروسية وT59 الصينية من حصة الجيش.

٢- ادخلت المدفعية ذاتية الحركة الفرنسية من عيار ١٥٥ ملم الخدمة للمرة الاولى في وحدات الحرس الجمهوري.
٣- خصصت بطاريات صواريخ ارض - جو (آلية) للحرس الجمهوري بكثافة عالية ومن الانواع الاكثر حداثة وتطوراً، فيما كانت وحدات الجيش تحتفظ بانواع قديمة أو اعداد غير كافية من المعدات الحديثة.
٤- جرى تمييز قوات الحرس بنوعية افضل من الارزاق ، والمخصصات المالية الاضافية على الرواتب الشهرية، والتجهيزات المختلفة ابتداء من الملابس.
٥- تواصل الحرص على اكمال الملاكات (المواقع، المناصب، الوظائف) من المعدات والاشخاص بدرجة مثالية فيما تعاني القوات الاخرى من نقص شبه مستمر بكافة الاتجاهات نتيجة التوسع السريع وغير المبرمج في القوات المسلحة، واعطيت افضلية سد النقص مؤخراً الى الحرس الجمهوري.
٦- تخصيص خطوط الاعتدة المقررة وفقاً لحسابات وجداول الركن النظامية فضلاً عن وضع كميات اخرى تحت تصرف الحرس ولذلك نرى كثافة نارية هائلة في عمليات الحرس الجمهوري القتالية.

▫▫ التدريب القتالي

قسمت السنة التدريبية في الجيش طبقاً للعقيدة الغربية (واخذا بالمقاييس البريطانية التي شكل الجيش العراقي بموجبها)، الى خمس فترات متوالية:

الفترة الاولى: وتبدأ من بداية السنة الميلادية للتدريب الفردي (تعليم المشاة والاسلحة الفردية).

الفترة الثانية: التدريب التعبوي بالمستويات الدنيا (المناورات التعبوية للوحدات الفرعية الحضائر، الفصائل، السرايا، واحياناً الافواج).

الفترة الثالثة: التدريب الفردي (قصيرة).

الفترة الرابعة: التدريب التعبوي لتشكيلات القتال الاساسية الكبيرة.

الفترة الاخيرة: اعادة التنظيم وترتيب القوات، وهي فترة قصيرة جداً.

وتعتبر هذه الفترات ضرورية في البناء النفسي والعسكري للقوات، وفي الوقت الذي حرم فيه القسم الاكبر من تشكيلات الجيش من هذه المناهج بالغة الحيوية لانتشار التشكيلات وبخاصة المشاة منها انتشارا واسعاً لاغراض الأمن الداخلي، والمدرعة ايضاً خلال حرب السنوات الثماني فلم تتح لها فرصة مناسبة للاعداد القتالي التدريبي الصحيح، لاسيما ان نسبة غير قليلة من الجنود من مستويات ثقافية بسيطة وقابلية بدنية ضعيفة نتيجة سوء التغذية حتى خلال مراحل شبه البحبوحة التي عاشها العراقيون مقابل دول اخرى (فقيرة)، فيما انفردت تشكيلات الحرس في التخلص من حالة الانتشار وابقيت متحررة خارج المواضع الدفاعية عموماً (الا في حالات استثنائية وقصيرة جداً زمنياً)، وقد وفر لها هذا الوضع:

*فسحة كافية من الوقت للتنظيم والتدريب.

*البقاء خارج الوضع الدفاعي الممل بل والقاتل نفسياً نتيجة البقاء الطويل تحت مطارق النيران المقابلة.

*الاحتفاظ بروح معنوية جيدة

وتجدر الاشارة هنا الى ان صدام حرص على استمرار هذا الوضع واسلوب التعامل التمايزي حتى الآن.

▫▫ التصنيف القتالي والمقارنة

تختلف الوحدات والتشكيلات في الوصف من ناحية التصنيف القتالي عن المعدات، فما اعتدنا الاستماع اليه من ان هذه الطائرة هجومية وتلك طائرة دفاعية، لا يمكن الاخذ بمقياسه على التشكيلات النظامية التي يجب اعدادها وتدريبها لمرحلتي "الدفاع والهجوم"، ولكن وبحكم المعطيات المشار اليها وبخاصة مايتعلق منها باستمرار بقاء تشكيلات الحرس متحررة من الانتشار الدفاعي فقد تميزت بزجها في العمليات الهجومية على الاغلب، ولذلك لم تحصل على قدرة مناسبة من التعايش مع حالة القتال المستمر في المواضع، واكتفي

بزجها في العمليات الهجومية، أو ضد الهجمات الرئيسية المعادية، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان تكامل التجهيز والتسليح وكفاءته مقابل ماهو متاح لتشكيلات القسم الاكبر من تشكيلات الجيش جعل اطلاق الصفة الهجومية.. على تشكيلات الحرس الجمهوري ممكناً الى حد معقول.

وعندما نقارن قطعات الحرس الجمهوري بالتشكيلات النظامية الاخرى لابد ان نجد تفوقاً ذا مؤشر عام لصالح الحرس من حيث القدرة القتالية نتيجة تفوق ونسب تكامل التسليح والتجهيز والمشاركة في التدريبات القتالية، الا ان درجة القياس لا يمكن حسابها وفق مقاييس كمبيوترية، فالتباين بين الفرقة المدرعة الثالثة والفرقة المدرعة السادسة، والفرقة المدرعة العاشرة مع فرقة "المدينة المنورة" المدرعة ليس كبيراً كما انها لا تقل قدرة عن فرقة "النداء" المدرعة التابعة للحرس ان لم تكن متفوقة عليها بحكم الهوة في التقاليد، حيث لم تكون فرقة النداء التي استحدثت بعد اجتياح الكويت تقاليد معنوية ولم تسجل لها حتى الآن أية مواقف قتالية، اما اذا قارنا الفرق المدرعة للجيش بفرق المشاة للحرس الجمهوري فستكون نتيجة المقارنة لصالح الفرق المدرعة رغم النواقص في التجهيزات، هذا اضافة الى ان تشكيلات الجيش لا تشعر بعقدة الاتهام بالولاء للطاغية التي لصقها بقطعات الحرس، وقناعتي ان ليس من الحكمة اتهام الحرس الجمهوري بأنهم حراس صدام ففي هذا تجنّ عليهم وترويج لنوازع هدام العراق.

▫▫ السياسة وفلسفة الولاء

لم يكن عبد الكريم قاسم زعيما دكتاتورياً مستبداً، بل كان قائداً عسكرياً محترفاً تخطى الخطوط الامامية للمواقع القيادية في الجيش دفعة واحدة، من آمر لواء مشاة التاسع* عشر الى الموقع الاول في الجيش والدولة، ولذلك وجد نفسه وجهاً لوجه امام التحديات السياسية الخارجية والداخلية والفوضى العارمة والتذبذب في مواقف عدد من الاحزاب والصراع على السلطة. ولانه لم يحمل فكراً قومياً لشكوك في امتدادات انسابه، ولا توجهات طائفية لاخذه من مشربين عن طريق

الوالدين، فقد تبنى خياراً وطنياً لـم يمنعـه مـن تقديـم العـون الـى ثـورة الاسـتقلال الجزائرية بطريقـة متميزة عن كـل مـا قدمـه العـرب، ومسـاندته الجديـة للقضيـة الفلسطينية حيث شارك في القتـال من اجـل منـع قيام دولـة اسـرائيل فـي معـارك ١٩٤٨، وكان من شأن ذلك الخيـار ان يبعده عن فكرة تشكيل حـزب أو تجمـع سياسي موالٍ له مع ان الشيوعيين كانوا وعلى السائد من المؤيدين لـه ولـو نكايـة بالبعثيين وتسلقاً للطريق نحو السلطة.

وبصفة غالبـة كـان الاكراد الفيليون الذين تتحدر امه منهم (كما كان يقال) ونسـبة غالبة من جنوب العراق اضافة للنشاط الشيوعي في الموصل - وكركـوك يقفـون في الاتجـاه العام الى جانب قاسم. وباستثناء اعضاء الحـزب الشيوعي فقد بقيت المنطقة الوسطى في الخندق المقابل مع امتداداتهـا البعثيـة وبخاصـة فـي محافظـة الناصرية - ولم يدفع الطوفان الشعبي الموالي والمضاد وتظاهرات التأييد: "اعـدم بقـه وشـعب يسانـدكم بقـه وقواويـد بعثيـة" أو "مـاكو مؤامـرة تصـير والحبـال موجودة" لم يدفع قاسم لاتبـاع خـط اجرامـي واكتفـى بـاقل مـا يمكـن مـن احكـام الاعدام بكبار الضباط الذين تمردوا عليه.

لقد ولدت الاوضاع المذكـورة شـعار عبد الكريم قاسم المعـروف "الجيش فـوق الميول والاتجـاهات" الا انه لم يتمتع بحس امني فعال فاعتمد على مجموعـة مـن الضباط الجهلاء باجراءات الأمن واعمـال الاسـتخبارات فتركوه عرضـة للتـآمر رغم ولائهم المطلق له.

◻◻ الجيش للبعث

وبعد بضع سنين من سقوط قاسم عاد حزب البعث مرة اخرى الى السلطة وجـاء معه هذه المرة صدام بما يحمله من احقاد وشكوك جعلته يمتلك حسـاً امنيـاً لامفـر منه في بنـاء النظام السياسي الذي يريده على طريقته الدراماتيكية الشـاذة فـأصدر قانوناً يقضي بتنفيذ حكم الاعدام بكل من ينتمي (من افراد القوات المسلحة) الى حزب غير حزب البعث وبذلك جرى تسييس الجيش لصالح الحـزب طموحـاً فـي

الوصول الى تكوين وبناء الجيش العقائدي، ولكن الزمن كان كفيلاً باكتشاف السراب الذي سعى وراءه البعثيون لاقامة دولة البعث بكل ممارساتها وتطبيقاتها العملية للنظريات السياسية في الديموقراطية والانتخاب الحر ضمن مؤسسات الحزب، وصولا الى رئاسة الدولة، **فتحولت الدولة من دولة البعث المنشودة الى جمهورية التكارتة وهي "تهمة عاطفية خاطئة" الى "جمهورية العوجة" وصولاً - على انقاض التفتت - الى جمهورية صدام، دكتاتورية الفرد الواحد الاجرامية.**

وكان الزمن كفيلاً باكتشاف السراب الذي جرى نحوه صدام لاهثاً في صنع الولاء الدائم له، فتبين له ان العراقيين "متآمرون"، ولا يجف دم حتى ينزف دم آخر من "رفاقه" في قيادة الحزب والدولة وقادة الجيش والاجهزة على يديه المجرمتين.

▫▫ السياسة ممنوعة

هذا كله جعل صدام يتصرف ازاء الحرس الجمهوري بما يتعلق بالسياسة وفلسفة الولاء طبقاً لما يلي:

١- الفصل بين السياسة ومفهوم الانتماء الحزبي فصلاً جذرياً، ففي الوقت الذي يعتبر الانتماء الحزبي مسألة تنظيمية سطحية لمحاولة كسب الولاء واملاء الفراغ السياسي ولمجابهة الاحزاب الاخرى والشعور بالانتماء الى النظام البعثي (المستهدف)، فان المشاركة في التحليل السياسي تعتبر خرقاً للاهتمامات والمسؤوليات، **والمعروف ان الاستخبارات تعتبر مفصلاً ذا ارتباطات سياسية بحكم اتصالاتها الخارجية واتجاهات عملها متعددة الاشكال، الا ان صدام وردا على احد المقترحات الواردة في أحد تقارير الاستخبارات حول الموقف السياسي بعد غزو الكويت اضطر للعودة بالاستخبارات الى نقطة الابتداء بتعليقه الرسمي "لا تتدخلوا بالسياسة واتركوا السياسة للسياسيين"، لان استمرار ابداء الملاحظات السياسية بتقارير تعطى نسخ منها الى مفاصل القيادة**

الرئيسية، يعني تثقيفاً وتشجيعاً للآخرين على ابداء الرأي الذي سيسوق رويداً رويداً الى الابتعاد عن النظام.

واذا كان رأي صدام بممارسة السياسة من قبل الاستخبارات هكذا وهي من صلب واجباتها فكيف لنا ان نتوقع قائداً عسكرياً مسموحاً له التدخل في السياسة.

٢- باستثناء الاستخبارات، ووزير الدفاع، ورئيس اركان الجيش فلا يحضر اي من قادة الجيش اجتماعات سياسية على مستوى الدولة، الا في حالات نادرة جداً، وقد لاتكون موجودة على الاطلاق. وهذا يعني عدم جواز التدخل بالشؤون السياسية الداخلية والخارجية على حد سواء، ويعود السبب في هذا الى الخشية من ان يأخذ القادة العسكريون دوراً سياسياً يؤدي الى ادوار منافسة أو بدائل مطروحة عن صدام، وحتى وزير الدفاع عندما لايكون من عائلة صدام فعليه ان يحترم قواعد السلوك في البقاء مستمعاً حتى يطلب منه صدام الحديث عن مسألة محسوبة مسبقاً.

▫▫ اجراءات مشددة

ان عدم الثقة بالآخرين، والاستمرار بتغيير مواقع المسؤولين واعفائهم الفوري من مناصبهم خشية التآمر، وتناثر عمليات اعدام القادة لأتفه الاسباب، جعل الحديث عن الولاء المستمر لقادة الجيش لصدام هراء مابعده هراء، وجهلاً قاتلاً بحقيقة الاوضاع السائدة هناك، والجدير بالملاحظة ان قوات الحرس الجمهوري تخضع لقواعد وسياقات واجراءات امنية مشددة مقارنة حتى مع القوات المسلحة الاخرى ومنها:

١- اجراء تنقلات الضباط المهمين وغيرهم بموافقة مكتب شؤون الحرس الجمهوري في القصر الجمهوري بعد استحصال موافقة الأمن الخاص.

٢- تتم الموافقة على حركة وتغيير مواقع قوات الحرس الجمهوري بموافقة صدام حصراً، ولا سلطة للجيش (وزير الدفاع - رئيس اركان الجيش) عليها.

٣- تمنع حركة وحدات الحرس الجمهوري (داخل بغداد) عند صدور الامر بحركتها من القواطع الكائنة شمال بغداد الى جنوبها وبالعكس الا في حالات نادرة ومحدودة جداً وبعد اتخاذ تدابير امنية مشددة.

٤- يمنع توزيع الاعتدة على المقاتلين في حالة حركة الوحدات على طريق قريبة من بغداد.

٥- لاعلاقة ملزمة لرئيس اركان الحرس (قائد الحرس) بهيئة أمن الحرس الذين يرتبطون بالأمن الخاص مباشرة، وليست له سلطة ملزمة ايضاً على هيئة استخبارات الحرس.

٦- يمنع قائد الحرس الجمهوري من حمل المسدس الشخصي عند دخوله القصر الجمهوري (على الدوام) فيما يعتبر حمل المسدس تقليداً معروفاً وبخاصة في ظروف الحرب ولقادة الحرس والاجهزة الخاصة في الظروف الاعتيادية.

٧- يمنع قادة الحرس من اعطاء أية تصريحات أو اجراء أية مقابلات أو كتابة مقالات أو اصدار اي كتب أو مطبوعات شخصية، ولذلك نادراً جداً أو غريباً جداً ان نجد كتاباً لضابط في الجيش بوجود صدام، وان اجراء المقابلات لايتم الا بامر صدام لهدف محدد وتكاد لا تذكر، وان اجريت فغالباً ما تكون وهمية ولاعلاقة للقائد المعني بها حيث تكتب من قبل المعنيين في القصر.

٨ - وخلاصة الامر، فان الاعتقاد بان الحرس الجمهوري يعتبر قوة موالية لصدام اعتقاد مبني على معلومات خاطئة، الا ان حقيقة الامر ان سيطرة صدام عليه تعتبر أكثر احكاماً من الخيوط والنهايات السائبة داخل الجيش وان عدداً محدوداً من قادة الحرس اشترى صدام ضمائرهم في ركونهم الى عدم التآمر عليه.

كما جرت الاشارةاليه فقد دُئِبَ على زج قوات الحرس الجمهوري في عمليات صد الهجمات الرئيسية للقوات الايرانية الى جانب القوات الاخرى وليس بطريقة منفصلة فلم تكن قوات الحرس الجمهوري كافية للدفاع عن احد القواطع الرئيسية وافشال النوايا الايرانية الرئيسية افشالاً تاماً. ومثل تلك العمليات

استلزمت جهداً كبيراً بل وهائلاً للدفاع ازاءها، بخاصة تلك التي استهدفت احتلال مدينة البصرة وسقوط الفاو، كما استخدمت هذه القوات بكثافة عالية خلال عمليات التحرير الكبرى الا ان الفضل لم يكن يعود اليها وحدها، بقدر ما عاد الى عمليات المخادعة الاستراتيجية التي انجر الايرانيون وراءها انجراراً غريباً وبفضل تشكيلات الجيش الاخرى ومنها الفرق المدرعة الثالثة والسادسة والعاشرة والثانية عشرة والفرقة الآلية الاولى والفرقة الآلية الخامسة.

صممت فكرة عمليات قوات الحرس الجمهوري في الحرب مع ايران على حشد اكبر قوة مدرعة ممكنة وباسناد مدفعي كثيف واسناد جوي نادراً ما يخصص لقطعات الجيش وبضربات كيماوية واسعة وكثيفة الامر الذي يفتح الطريق امام قوات الحرس التي تكون الاستخبارات قد زودتها بمعلومات ممتازة واخضعت الايرانيين لخطط مخادعة كفوءة وفعالة.

-اما في حرب الكويت فقد اعتمدت الاستراتيجية التالية:

◻◻ عمليـة الاجتيـاح

أ-اتخاذ المفاوضات السياسية مع الوفد الكويتي بضيافة الحكومة السعودية (في جدة) غطـاء لحشد القوة، لما يمكن تفسيره بانه احد اساليب الحرب النفسية للضغط على الجانب الكويتي للاستجابة للمتطلبات التي يحملها وفد النظام، من خلال التلويح باستخدام القوة الشاملة، وكان هذا الغطاء مهماً وضرورياً لتجنب التدابير وردود الفعل الدولية المسبقة التي قد تتسبب باحباط نوايا الحرب.

ب- التشديد على قوات الحرس الجمهوري لمراعاة كل مايمنع المحللين في اجهزة المخابرات العالمية وبخاصة الاميركية والبريطانية من التوصل الى استنتاجات مبكرة وصحيحة عن نوايا النظام في اجتياح الكويت، ويستلزم هذا نشر وانفتاح القوات بطريقة تدل على وضع دفاعي، ولما كان الموقف الاستراتيجي العام لا يتطلب انفتاحاً دفاعياً لعدم وجود تهديد محتمل من اتجاه الكويت فقد جرى التوجيه لاعطاء الانطباعين التاليين:

الاول: التلويح باستخدام القوة لغرض الضغط والحرب النفسية.
والثاني: اجراء مناورات تعبوية تدريبية واسعة.

ج- تكديس اقل مايمكن من مواد تموين القتال وبخاصة العتاد المتوسط والثقيل على افتراض حسم الموقف باسرع ما يمكن نتيجة التفوق الساحق، تجنباً لاستطلاعات الاقمار الصناعية وتحميل تلك المواد في مخازن العتاد جنوب ووسط العراق والمباشرة بنقلها صوب الجنوب مع الضياء الاخير ليوم ١آب ١٩٩٠.

د- بدء العمليات بعد منتصف الليل (وهي حالة قلما استخدمت من قبل قواتنا المدرعة خلال الحرب العراقية - الايرانية) لتحقيق الاهداف التالية:

اولاً: تأمين مباغتة في عامل الوقت على افتراض تطبع القوات المدرعة العراقية على بدء هجماتها الواسعة نهاراً وعلى الاغلب مع الضياء الاول.
ثانياً: تجنب تدخل القوة الجوية الكويتية على بساطة قدراتها.
ثالثاً: لتأمين قوة صدمة نفسية وعسكرية في الكويت.
رابعاً: تسهيل تغيير شكل الانفتاح للهجوم واستكماله خلال ساعات الليل التي تسبق توقيتات الاجتياح.
خامساً: تجنب احتمالات التدخل الاميركي المباشر الفوري.
سادساً: الاستفادة من الظلام لستر حركة طائرات الهليكوبتر وعملية الصولة الجوية لاحتلال الاهداف الحساسة داخل الكويت.
سابعاً: تسهيل حركة الاداء لاستقبال القوات وارشادها نحو اهدافها.
ثامناً: تجنب حرارة الصيف الشديدة وتأثيراتها السلبية على المعدات القتالية والطوائف القتالية.
تاسعاً: توفير الظروف المناسبة لقتل اعضاء القيادة العليا (الكويتية) أو القبض عليهم.
عاشراً: اعماء اسلحة مقاومة الدبابات الكويتية.

هـ - الاندفاع ومواصلة التقدم بأسرع ما يمكن وتخطي المقاومات الصغيرة كلياً، فيما يجري تثبيت ومشاغلة المقاومات المتوسطة، ولتحقيق هذه الغاية تجري الاستفادة من الخرائط المتيسرة (التي اعدت بطريقة سرية وباعداد محدودة بالاستفادة من صور الاستطلاع الجوي الذي نفذته طائرات الميغ ٢٥ اثناء مرورها من الاجواء الكويتية اثناء القيام بمهمات قتالية ضد اهداف ايرانية في المراحل الاخيرة من الحرب مع ايران) وبذلك جرى تحديد محاور العمليات ومحور تقدم الفرق والالوية بالاستفادة من العوارض المحلية، كما صدرت الاوامر بالانطلاق باقصى سرعة تتحملها محركات الدبابات الثقيلة.

و- تعالج القوتان الجوية والبحرية اهدافهما وتتوخى القوة الجوية تدمير أو شل القواعد الجوية الكويتية بصورة خاصة، الا ان نقاط الاصابة الفعلية ظهرت في اسوأ صورها حيث سقطت غالبية القنابل والصواريخ خارج الاهداف المحددة.

ز- تكتفي القطعات بأرزاق المعركة من المعلبات، لمنع السابلة الادارية الاضافية لضمان اكبر تدفق ممكن للقوات وباسرع ما يمكن.

ح- تكديس كميات من معدات التجسير والعبور في مناطق مكشوفة لتعطي انطباعاً بان نوايا التلويح باستخدام القوة قد تشمل مواقع بحرية قريبة.

ط- اعداد مشغلين وسواقين للمعدات الكويتية (العسكرية) للمباشرة باخلائها السريع الى داخل الاراضي العراقية.

ي- فرض السيطرة الكاملة على كافة الاراضي الكويتية والانتشار على مقربة من وعلى خط الحدود الكويتية السعودية وتأمين الدفاع الفعال عنها ريثما تصل القوات المعقبة من فرق الجيش التي لم تكن على علم مسبق بالنوايا ولم يجر ادخالها بدرجة استعداد عالية.

ك- المباشرة بالانسحاب المنظم والمرحلي بعد استكمال اشغال المواضع من قبل قوات الجيش والتمركز في المنطقة الجنوبية القصوى من العراق شمال الكويت.

▫▫ الحرس الجمهوري في مرحلة الاستعداد

ماحصل في ٢ آب - اغسطس ١٩٩٠ كان متوقعاً لمعدي خطط الاجتياح نظراً للبون الشاسع في توازن القوى العراقية - الكويتية من الناحية العسكرية. ولم تحدث وقائع تخل في التقدير الاستراتيجي بيد ان تمكن القيادة الكويتية من الانسحاب السريع والوصول الى الاراضي السعودية سالمة، ولد احباطاً نفسياً مرحلياً لدى صدام للفشل الذي اصاب عمليات الصولة الجوية التي صممت اساساً كجزء اساسي من خطة القبض على القيادة، لاثارة التفتت والضياع واتاحة الفرصة للصراع على المرجعية السياسية، الامر الذي يضع صانعي القرار في الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا والخليج امام وضع حرج من وقائع الموقف.

وباختصار سريع لعامل الوقت، اخذت الاحداث اليومية تتمخض بطريقة ديناميكية عن تجمع خانق لسحب الاحباط، نتيجة الموقف المصري المشحون بردة فعل عنيفة، والاستدعاء السعودي للقوات الاميركية الذي تضاربت التحليلات السياسية حوله، فمن القيادة من اراد رفع المعنويات بطريقة بدائية ساذجة في وصفه التحشد الاولي بانه للدفاع عن المملكة العربية السعودية وفريق اخر اخذ الموقف بجدية ولكنها "مذعورة".

▫▫ توتر صدام

وتمشياً مع التطورات السريعة وللمحافظة على قوة الضربة الفاعلة، اصدر صدام امراً الى القيادة العسكرية بتسريع دفع القوات من تشكيلات الجيش الى الكويت لتأمين سحب قوات الحرس الجمهوري بأسرع مايمكن من هناك وظهرت عليه علامات توتر لم تكن مسبوقة بتلك الدرجة من الوضوح.. الا ان من الغريب انه عاد لمواصلة العمل اليومي المستمر من القصر الجمهوري المجاور لوزارة التخطيط، ولا ادري كيف امكنه التوصل الى استبعاد احتمال توجيه ضربة سريعة قوية ومباغتة الى قصوره وبخاصة منها هذا القصر الذي اعتاد العمل فيه

بطريقة متميزة عن القصر الآخر الرئيسي المجاور للجسر المعلق، وقد ساعدته هذه العودة على استقبال العديد من زائريه في المكان المناسب لاثبات رباطة الجأش، وربما اراد ان يعطي انطباعاً لاطراف عدة بان وجوده في هذا المكان لا تقف وراءه رباطة الجأش وحدها بل اراد فتح ابواب التحليل والاحتمالات على مصاريعها.

الا ان حسه الامني وحرصه الشديد على حياته دفعاه في اتجاه آخر مناقض لاصدار أوامر صارمة يمنع بموجبها منعاً باتاً فتح ستائر النوافذ في كافة دوائر القصر ليلاً ونهاراً تجنباً لقيام الاقمار الصناعية الاميركية بالتقاط صور تساعد في معرفة وجوده ووجود القيادة هناك، وبالطبع فان في هذا مبالغة مفرطة في تقييم القدرات، حيث غالباً ما يربط تحليل الصور بالوضع المحيط بالهدف، كوجود كثافة غير اعتيادية للسيارات الحديثة وزيادة كثافة الحراسة.. وما الى ذلك، ولم اكن اصدق في بداية الامر صدور مثل هذا الامر الغريب الذي يعطي انطباعاً اسود عن الحالة المعنوية في اعلى المستويات، ولكن سريعاً ما استدركت عندما ربطت الامر بطلب سابق قريب وردنا من رئاسة الجمهورية، يطلب ملحوظات حول صور الاقمار الصناعية التي شاهدناها خلال الحرب العراقية - الايرانية والتركيز على استفسارات مركزة.

الاول: درجة وضوح الصور والثاني: سعة جبهة التصوير.

والثالث وهو الاهم: القدرة على الاستطلاع الجانبي ومدى امكانية كشف الاهداف داخل المنشآت.

▫▫ الانسحاب على عجل

وباشر الحرس الجمهوري بالانسحاب وسط فوضى عدم وجود خطط حقيقية وشاملة للدفاع الاستراتيجي، لان الاركان العامة لم تكن على بينة من نوايا الاجتياح فبدأت مرحلة التخطيط للانفتاح والانتشار الدفاعي وسط تلك الفوضى، الا ان الطرف الآخر كان مشغولاً ايضاً بسيل من الاعمال المتداخلة السياسية

والعسكرية والامنية ما اتاح لقواتنا التحرك بدرجة كبيرة من الاطمئنان وحرية العمل، والقدرة على المناورة غير المقيدة.
وقد صدرت التوجيهات العليا التالية محددة مهمة العمل القتالي لقوات الحرس الجمهوري:
١- استكمال اجراءات الانسحاب الشامل من العمق الكويتي الى حافة الدفاع الاستراتيجي جنوب وجنوب غرب الفرات.
٢- يؤمن الحرس الجمهوري انتشاراً دفاعياً تجاه الاندفاعات المعادية السريعة من الجنوب والجنوب الغربي.
٣- استطلاع محاور العمليات القتالية وطرق محاور الهجوم المقابل الى جنوب وغرب الكويت بأسبقية اولى، والمناطق الساحلية بأسبقية ثانية.
٤- توثيق الارتباط مع مديرية الاستخبارات العسكرية العامة للحصول على أخر المعلومات عن نوايا واتجاهات عمل "القوات المعادية"، وتشكيل خلية مصغرة لهذا الغرض.
٥- التنسيق مع قيادة القوة الجوية وقيادة الدفاع الجوي لوضع تدابير الحماية اللازمة من الغارات الجوية موضع التنفيذ.
٦- وضع خطط مفصلة للحركات الليلية في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد.
٧- التقليل (الى الحد الادنى) من المكالمات والمحادثات اللاسلكية قبل بدء المعارك البرية والاستعاضة عنها بالمراسلات اليدوية والاتصالات السلكية.
٨- تكديس كافة مواد تموين القتال اللازمة لادارة معركة طويلة وقاسية (برية - بالطبع) لا تقل عن اربعة اسابيع جنوب وغرب الفرات تداركاً لاحتمالات تدمير الجسور من قبل القوة الجوية "المعادية"، وابقاء كميات من الاعتدة المهمة محملة على سيارات سرايا النقلية الثقيلة اعتباراً من رفع درجة الاستعداد القصوى، لضمان اسناد عمليات الهجوم المقابل الواسعة كما تكدس كميات من الاعتدة في جنوب وغرب الكويت للاستفادة منها لاغراض الحرس الجمهوري حصراً.

٩- تعتبر حماية مدينة الكويت احد اهم الاهداف الاستراتيجية للحرس الجمهوري وهذا يتطلب بقاء عارضة المطلاع مفتوحة امام قواتنا، ويتولى الحرس الجمهوري مهمة الصولة الآلية السريعة لتدمير أية عمليات انزال معادية لاحتلال العارضة وان يجري التنسيق مع قيادات القوات الاخرى بصدد الموضوع وباشراف رئاسة اركان الجيش.

١٠- لا تشارك قوات الحرس الجمهوري باية عمليات قتالية كبيرة الا بامر من القائد العام للقوات المسلحة وتجنباً لاعمال التضليل المعادي لا بد ان يقترن الامر بكلمة رمزية يجري تحديدها مسبقاً.

◘◘ مرحلة الدفاع الاستراتيجي

انتشرت قوات الحرس الجمهوري في القواطع المقررة من المناطق الحدودية العراقية الكويتية وجزء من الحدود السعودية وانفتح بكل قواته عدا فرقة واحدة للدفاع عن طريق بغداد - الحلة والمسيب، وفرقة النداء المدرعة التي تقرر نشرها في قاطع الموصل ثم جرى نقلها جنوباً وتمكنت من حفر خنادق لمعدات القتال الاساسية من الدبابات والمدرعات والمدفعية ذاتية الحركة. ولم تبق في المحصلة عجلة واحدة على سطح الارض، الا ان هذا الاجراء لم يحجب قوات الحرس عن رصد الاقمار الصناعية حيث تعتبر الصحارى والمناطق المفتوحة مثالية في فضح المتغيرات الحاصلة على سطح الارض، وهذا ما ساعد قوات التحالف على تحديد اماكن المعدات تحديداً دقيقاً جداً جعلها عرضة لعمليات التجريد الجوي، كما ساعد على رسم وتحديد خطوط العمليات لخطط التعرض الاستراتيجي لقوات الحلفاء.

ولمواجهة هذا الموقف، حاولت قوات الحرس تغيير اماكن انتشارها لوضع تعقيدات امام الطرف الاخر وتجنب الاضرار الناجمة من عملية الرصد والاستمكان، الا ان النتيجة لم تكن في الحدود الدنيا المطلوبة لضيق الرقعة الجغرافية المطلوب الانتشار فيها، ولكثافة وتعدد وسائل الاستطلاع لدى الطرف

الآخر، مما جعل عملية المناورة المحلية بتغيير المكان مجرد اعمال اضافية متعبة ومكلفة، الا انها كانت، وعلى اي حال، الوسيلة الوحيدة المتاحة لتقليل الخسائر بقدر ماهو ممكن.

وبعد ان فرغت القوات الجوية للحلفاء (نسبياً) من قصف الاهداف الاستراتيجية داخل العراق جرى مضاعفة الجهد المطلوب لمهاجمة وتجريد القوات البرية، وبخاصة منها قوات الحرس الجمهوري التي تعرضت لسلسلة طويلة من القصف الجوي الثقيل بمختلف انواع الطائرات الحربية وصولاً حتى طائرات B القاصفة الاستراتيجية، الا ان الخسائر لم تكن خطيرة مما شجع صدام على مواصلة انتظار الهجوم البري، بيد ان الايام القليلة التي سبقت هذا الهجوم المرتقب اعطت مؤشرات واضحة جداً عن الوضع الخطير الذي وصلت اليه ارادة القتال.

◻◻ . . وسقطت الاوهام

وما ان شرعت القوات البرية للحلفاء بالعمليات التعرضية حتى تبينت الاوهام الصدامية في تحويل المنطقة الى مقبرة واسعة للحلفاء، فالحالة المعاكسة اثبتت صحتها وتعذر على الحرس الجمهوري شن هجوم مقابل غرب وجنوب الكويت للاسباب التالية:

١- تعذر الحركة الواسعة تحت ظروف السيادة الجوية المطلقة للحلفاء.

٢- الانهيار السريع للقواطع الدفاعية غرب وجنوب الكويت بشكل كارثي.

٣- حصول تهديد جدي من الاراضي السعودية العراقية وهو ما اصطلح عليه اسم "الخطاف الايسر" وضع الحرس الجمهوري أمام القوات الغربية المدرعة وجهاً لوجه بعد كسر قشرة الدفاعات الامامية، فيما لم تكن الحالة مفاجئة بالنسبة لنا على الاطلاق وجرى تزويد رئاسة الجمهورية مسبقاً بتقارير مفصلة عنها.

٤- التدهور العام في الروح المعنوية للقوات.

وفور الاشتباك مع فرقة "توكلنا على الله" المدرعة تبين حجم التباين في القدرات التقنية والتسليحية والوضع المعنوي بين قواتنا وقوات الحلفاء، ولايعتبر الوضع المعنوي هنا مقياساً صحيحاً للمعنويات المعتادة في الظروف المناسبة الطبيعية من المعارك المتكافئة.

ووسط الاتجاه الغام، والفوضى العارمة اصدر صدام امره بالانسحاب من الكويت قبيل منتصف ليلة ١٩٩١/٣/٢٥، فاشتبك الحابل بالنابل وانهارت قوات الحرس الجمهوري محاولة النفوذ عبر الجسور العسكرية المؤقتة لتبدأ المشاركة الاولى بالتصدي للانتفاضة على طريق البصرة - القرنة - قلعة صالح جنوب العمارة.

وبذلك فشل الحرس الجمهوري في تحقيق مكاسب قتالية افضل مما حققته تشكيلات الجيش الاخرى، ويثبت هذا الواقع ان الخلل الوحيد كان يكمن في صدام وافكاره واوهامه، وهذا الاتهام الواضح والحقيقي، والسهل ايضاً لا يرفع عنا المسؤولية الادبية والتاريخية في اننا في الجيش العراقي والاجهزة الامنية لم نستطع وحتى الان تخليص الشعب العراقي وعموم المنطقة من هذا المتسلط المجرم، ولكننا لسنا وحدنا السبب فعلى طول الوقت كان هنالك من يتآمر علينا من العرب وغيرهم لانهم يريدون عراقاً بائساً محاصراً وهم بذلك يخطئون.





مدافع ذاتية الحركة ١٥٥ملم استولى عليها الحلفاء في حرب الكويت نتيجة جهالة الاستخدام الصدامي للقوات، فيما كانت قوات الحرس الجمهوري يوماً ما روح القوة الضاربة للدفاع عن العراق.

الحـرس الثـوري الايرانـي

بشكل يتميز عن كافة الدول الاسلامية، ترك علماء الدين اثرا واضحـا فـي الحيـاة السياسية والاجتماعية في ايـران، فمنـذ الحكـم الصفـوي والقاجـاري وصـولا الـى الحقبة البهلوية (للشـاه رضـا بهلـوي - وابنـه محمـد رضـا)، كـان لهـذه المؤسسـة حضور دائم في الاحداث بشـكل او بـآخر، علـى الرغـم مـن ان شـخصيات عـدة ظهرت كرموز كبيرة لقيـادة المؤسسة والمجتمـع، الا ان احـدا منهم لـم تتـح لـه الظـروف لبلوغ المرحلة التي وصـل اليهـا الخمينـي، ولعـل العديـد مـن المحللين يعتقدون ان الخمينـي لـم يكـن قـد احـدث الموجـة بقـدر مـا نجـح بركوبهـا، الا ان الحقيقة تشير الى انه كان محركاً اساسياً لموجـة الاطاحـة بالشـاه ابتـداء منـذ عـام ١٩٦٣، وخلال المرحلة الاخيرة من الصراع مع الشاه شـكلت تنظيمـات سياسـية تحتفظ باجنحة مسلحة كمـا شكلت تنظيمات ثوريـة مسلحة منهـا منظمـة مجـاهدي الشعب (المنظمة التي يقودهـا مسـعود رجـوي حاليـا)، ومنظمـة مجـاهدي الثـورة الاسلامية وفدائيو الشعب.. وما الى ذلـك واتخـذت هـذه المنظمـات طابعـاً سـلوكياً ثوريـاً وبارعـاً لمـا تحتمـه مرحلـة مجابهـة جهـاز السـافاك(الامـن والمخـابرات الايرانيـة)، ورويـداً رويـداً، ومـع تصـاعد دور قيـادة الخمينـي، تصـاعدت جـذوة الحركات الثورية المسلحة ذات التوجه الاسلامي، وبعد سقوط الشـاه تحولـت هـذه القوى الى نواة حقيقية فاعلة للحرس الثوري الايراني الذي شـكل بتوجيـه مباشـر من الخميني في آذار - مارس ١٩٧٩ ومنذ البداية، اخذت وصـايا التشـكيل منحـى وطنيا داخلياً، وخارجيا على نطاق نشر "الثورة الاسلامية".

▫▫ مجابهة الحركات الانفصالية

بالرغم من التوزيع القومي متعدد الاعراق في ايران (فرس، اكراد، اذربيجانيون، بلوش، وعرب) ووجود رغبة طبيعية لدى أطراف مختلفة من القوميات غير الفارسية بالانفصال او خلق كيان معنوي وثقافي يميزهم عن الثقافة الفارسية، فقد بقي العامل المذهبي قاسماً مشتركاً بين هذه الاعراق، فالغالبية العظمى من الايرانيين تتبع المذهب الجعفري الاثني عشري، وبعد سقوط الشاه وتحلل القوات المسلحة، وتدمير اجهزة الأمن والمخابرات وفقدان السيطرة على اطراف الدولة، وبدعم عراقي، تفجرت بقع التمرد المسلح في مناطق كردستان وبلوشستان وعربستان، في مناطق مهاباد واطرافها الكردية (السنية)، وزاهدان البلوشية (السنية)، واجزاء من عربستان (الشيعية) وبخاصة مدينة المحمرة (خرمشهر).

وقد وجد الحرس الثوري بشكل خاص (فضلاً عن اللجان الثورية..) نفسه وجهاً لوجه مع مواجهة حالات التمرد وترسيخ الثورة في اتجاهها الديني حين بدأت المنافسة تأخذ طريقها مع مجاهدي خلق والشيوعيين والاسلاميين الاقل التزاماً مثل حركة تحرير ايران بقيادة مهدي بازركان، ثم توجه ابو الحسن بني صدر لمجابهة التيار الديني، على الرغم من انه وصل الى الحكم بمساندتهم الفعالة، ومن خلال تقربه الى الخميني الذي كان في مرحلة ما يعتبره الاب الروحي له (كما كان يروج له في مرحلة انتخابه).وقد اثبت "الحرس" قدرة عالية في تولي دور اساسي مهم في بسط سيطرة النظام الجديد وقمع حركات التمرد، بينما لعب قائد القوة البحرية ومحافظ الاحواز (محافظة خوزستان) دورا فاعلاً في تدمير حركة العرب في المحمرة، واعطى تصريحات معادية لنظام الحكم في العراق فاصدر صدام امراً بتدبير عملية لاغتياله من قبل المخابرات على ان تقدم الاستخبارات المعلومات الكافية عن تحركاته، واعطيت العملية الغلامة الرمزية x وهو ما سنأتي اليه في وقت آخر، ان شاءالله.

□□ الحرس الثوري في الحرب

وما كادت القلاقل الداخلية (العرقية) تنتهي، حتى اخذت نذر الحرب وسحبها تتجمع في سماء المناطق الغربية المحاذية للعراق، في وقت كانت القوات المسلحة لا تزال مشتتة، مفتتة هزيلة التكوين من جراء عمليات التصفية الجسدية واوامر الاخراج من الخدمة لقطع "ذيول الشاه" في القوات المسلحة والسافاك.

ومع ازدياد الدلائل على قرب نشوب الحرب العراقية - الايرانية، اعلنت ايران التعبئة العامة، وهي دعوة لا يمكن الاخذ باحتمال سريانها بالقدر اللازم لمجابهة الموقف، اذ كانت قبضة النظام الجديد غير ممسكة بكثير من جوانب الحياة والمجتمع الايراني وجاءت الاحداث المترافقة مع صفحات الاجتياح الواسع لقواتنا، اعتباراً من فجر ٢٣ ايلول - سبتمبر ١٩٨٠ لتثبت صحة ذلك التقدير فقد تراجع شتات القوات الايرانية من محاور العمليات الامامية تاركة وراءها معدات كثيرة نسبياً من الدبابات والمدرعات والمدفعية المتوسطة. وباستثناء ما حصل في قاطع الفكة (شمال شرق ميسان)، فلم تسجل اية عملية مجابهة حقيقية وفعالة من القوات الايرانية حتى صدور قرار مجلس الأمن بوقف اطلاق النار يوم ٢٨ ايلول - سبتمبر ١٩٨٠، حين قامت سرايا من فرقة المشاة ٢١ وهي حصيلة دمج فرقتي المشاة الاولى والثانية (حرس الشاه) بفرقة واحدة اخذت الرقم ٢١ باستخدام قواذف الصواريخ المضادة للدبابات من طراز (TWO) تاو، وتمكنت من تدمير اكثر من ثلاثين دبابة ومدرعة من اللواء المدرع ٣٤ ووحدات اخرى، ثم اضطرت هذه السرايا للتراجع الى شرق نهر الكرخة في منطقة الشوش، كما تمكنت وحدات إخرى من هذه الفرقة معززة بوحدات من الحرس الثوري من مسك خط دفاعي على هضبة النادري غرب دزفول وتمكنت من الدفاع عن المدينة.

□□ معــارك المحمــرة

وبرزت اهمية "الحرس" والقوات المماثلة الاخرى في معارك مدينة المحمرة - خرمشهر، الدموية حيث تطلب اجتياح والسيطرة على القسم الشمالي (الاكبر) من المدينة سلسلة من المعارك الدامية خاضها رجال قواتنا الخاصة جنباً الى جنب مع وحدات مدرعة من الفرقة المدرعة الثالثة (قوات صلاح الدين) ودارت المعارك من شارع الى شارع ومن بيت الى بيت وعندما استكملت قواتنا السيطرة على هذا القسم الاكبر والرئيسي من المدينة، فجر الايرانيون جسر الكارون الضخم اشارة الى ضعف قدراتهم لمواصلة القتال للدفاع عن القسم الجنوبي للمدينة ومدينة عبادان الواقعة جنوبها علىخط النخيل المطل على شط العرب، وقد ابرق الفريق اسماعيل تايه النعيسي قائد الفيلق الثالث الى القيادة العامة بتقرير الموقف مبتدئا بالآية الكريمة "بسم الله الرحمن الرحيم.. وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى" وعندما كتب الفريق اسماعيل هذه البرقية لم تكن دماء ولده الرائد الركن خالد قد جفت عندما سقط شهيداً امام مرتفعات هضبة النادري ضمن قطعات الفرقة المدرعة العاشرة بقيادة العميد الركن هشام صباح الفخري محافظ بغداد حالياً، فاطلقت تسمية "ابو الشهيد" على الفريق النعيمي، الذي لم يسلم من اللوم من صدام بعد عشر سنوات من تلك الحادثة عندما استدعاه من حياته المدنية التي اخرج اليها لارساله الى الكويت لتفقد الوضع القتالي هناك، ولم يكتف صدام بلومه بل اتهمه بالتخاذل والوقوف مع خط المرتجفين لانه قال رأيه بما لم يرده صدام، فأعاده مرة اخرى الى حياته المدنية، وللامانة التاريخية فان الفريق النعيمي عاش جنديا مخلصاً نزيهاً محبا لوطنه ولأمته، وحسنا فعل عندما قدم تقريره المزعج لصدام ابتعاداً عن التلوث.. ومن يدري فلعله كان سيصبح ضحية الاتهام لو قدم مشورة خاطئة لصدام شجعته على البقاء في الكويت.

ورافق ظهور تهديد جدي لقواتنا للاستيلاء على مدينة عبادان بعد عبور اللواء المدرع السادس لنهر الكارون والاندفاع صوب طريق عبادان - شيخ بدير

الرئيسي وقطعه ومحاولة عزل عبادان والمحاولة الفاشلة لعبور ترعة بهمشير (تفرع الكارون الموازي لشط العرب) جرى تركيز الجهود الايرانية لتطوير وبناء قدرات الحرس بما يعطيه القدرة على شن هجمات مؤثرة، فجرى تشكيل وحدات قتالية فرعية للحرب وتشكيل مقر مشترك للقوات في منطقة شادكان الواقعة على منتصف طريق عبادان الى شيخ بدير تقريباً، وبدأت اعداد الحرس تتجاوز العشرين الف مقاتل في عموم ايران الا ان تواجدهم كان لا يزال محدوداً على جبهات القتال حتى مرور عام على ابتداء الحرب. وفي خريف عام ١٩٨١ بدأ تطور اساسي يدخل على تنظيمات وقوة الحرس بعد تعيين محسن رضائي قائداً عاماً للحرس، ولم يبلغ عمره آنذاك الثلاثين عاماً، فقد حرص رضائي الذي شارك في العمليات الثورية ضد نظام الشاه، على تجميع الاشخاص الذين توفرت لديهم مشاركة قتالية سابقة مع المنظمات المسلحة في لبنان، وممن دخلوا بمجابهة فعلية مع نظام واجهزة الشاه السرية، فعمد الى تشكيل قيادات رئيسية وفرعية لقوات الحرس ومضاعفة تشكيلاته.

▫▫ أساليب القتال الاولية

اعتمد الحرس حرب العصابات اسلوباً مبدئياً لادارة الصراع في المرحلة الاولى من الحرب لعدم توفر العناصر الاساسية لعمليات اوسع ووجود مشاكل كبيرة منها:

١- ضعف الهياكل القيادية والتنظيمية.

٢- قلة القوات وتبعثرها في جبهات القتال والمدن الايرانية.

٣- المستوى التدريبي المتدني.

٤- عدم توفر الاسلحة المتوسطة والثقيلة.

٥- وجود تنافس سياسي ومشاكل امنية وتصارع تيارات لم تجر تسوية الحساب معها حتى ذلك الوقت. وقد حظي محسن رضائي بدعم كبير من الخميني وانسحب هذا طوعياً الى خامنئي ورفسنجاني وغيرهما في المراحل الاولى

والمتوسطة من الحرب الذين ساندوا الحرس في عملياته، واستغل رضاني هذه المساندة ليس فقط لتكوين خلايا قيادية متجانسة بل لاحداث تطور سريع في قدرات الحرس وتوسع متعاقب في تنظيماته، وحرص على التواجد في قواطع العمليات القتالية مركزا على منطقة العمليات الجنوبية في دزفول - والاحواز.

٦- وكان من الطبيعي ان يستغل الحرس التوقف الاستراتيجي العام لقواتنا وتحولها السريع من الاجتياح الواسع الى الدفاع المستكن غير الفعال الذي اضطرت الى اتخاذه نتيجة فشل تقدير الموقف الاستراتيجي الشامل على المستويات السياسية العليا، للقيام بسلسلة من الهجمات القتالية الازعاجية التي تسببت بخلق مشاكل حقيقية لقواتنا.

▫▫ الاهداف

ودرج الحرس على اتباع اساليب متشابهة الى حد ما، ولكن قواته نشرت على جبهة واسعة شملت كل قواطع العمليات الشمالية والوسطى والجنوبية تقريباً، واتسمت هذه الاساليب بفاعلية ديناميكية صعدت من حالة الاوضاع القتالية فحافظت على سخونة عالية حتى في اكثر الايام ركوداً، ومن بين هذه الاساليب التي تميزت بها المراحل الاولى وحالة التسخين المستمر طيلة سنوات الحرب استهدفوا ما يأتي:

١- تشكيل مجموعات قتالية صغيرة يتراوح عدد المقاتلين فيها بين عشرة اشخاص ومائة شخص مجهزين بأسلحة خفيفة ومتوسطة (بنادق آلية كلاشنكوف ورشاشات متوسطة وقاذفات مقاومة دبابات خفيفة RBG 7، وقواذف صواريخ TWO محملة على سيارات جيب صغيرة، وهاونات ٨١ و ١٢٠ ملم، ورشاشات ثقيلة محملة على سيارات جيب ايضا).

٢- يجري استطلاع مواضع وترتيبات قواتنا الدفاعية استطلاعاً مفصلاً ودقيقاً من خلال دفع عدد كبير من دوريات الاستطلاع والدوريات القتالية الصغيرة، وتأسيس شبكة واسعة من المراصد على طول خطوط التماس.

٣- تأشير حقول الموانع وفتح الثغرات والممرات اللازمة فيها.
٤- شن غارة سريعة غالبا ما تتم ليلاً لمهاجمة المواقع المنعزلة نسبياً عن مواضعنا الدفاعية، او اختيار اجزاء حساسة ضمن المنظومة الدفاعية والتركيز في الهجوم عليها.

وقد تسبب هذا النوع من الاساليب بما يأتي:

١- الحصول على اعداد من الاسرى بفواصل زمنية متقاربة مما اتاح لهم فرصاً مثالية في الحصول على المعلومات وادامتها.
٢- انهاك ومشاغلة قواتنا الامامية واستنزافها والتأثير على الروح المعنوية.
٣- الاضطرار لارسال المزيد من القوات الى المناطق الامامية لغلق الثغرات وتكثيف الدفاعات، وادى هذا بدوره الى استنزاف الموارد الاحتياطية، وبالتالي الى دعوة مواليد اخرى الى الخدمة في الجيش ممن سبق انهاؤهم الخدمة العسكرية قبل فترة طويلة نسبياً.
٤- رفع معنويات الطرف الآخر واعطاؤه قوة دفع حقيقية ليس فقط لتصعيد العمليات، بل للاصرار على مواصلة الحرب التي يدعي كل من الطرفين، هم وصدام، انه انتصر فيها.

والحقيقة ان الذي انتصر فيها هو الجيش العراقي في المحافظة على العراق.

▫▫ الادغام بين "الحرس" والجيش

اتخذت القيادة الايرانية قراراً باجراء عمليات مشتركة بين الجيش النظامي والحرس على اساس الادغام ويتم ذلك بالحاق مئات او آلاف المقاتلين من الحرس بالوحدات والالوية النظامية بنسب متقاربة او متساوية الى حد ما، فيجري إلحاق فوج من الحرس مؤلف من ٢٠٠ الى ٥٠٠ شخص بفوج نظامي يتألف من حوالي ٦٠٠ شخص الا ان عدد المقاتلين الفعليين غالباً ما لا يتعدى قوة الحرس الملحقة على اساس المقارنة (مقاتل مقابل مقاتل) وتم تطبيق هذا الاسلوب في عدد من المعارك وبشكل خاص في مرتفعات شمال العمارة (عين

خوش - الشرهاني). وبالنسبة لنا فلم يكن هذا الاسلوب مزعجاً لانه أدى الى تقييد حالة الاندفاع العاطفي لدى الحرس بالتصرف الهادئ والبطيء المعتاد في الجيش، كما كنا نتمنى انتقال عدوى السياقات التقليدية في عمل الجيش الايراني على قادة الحرس والتي من شأنها افراغهم من حماسهم واندفاعاتهم السريعة. ولا شك ان قواتنا كانت تنظر الى الهجمات البطيئة التي تشنها الالوية النظامية الايرانية على ان الفشل مكتوب على جبينها وقد يعود اسباب ذلك الى اعتبارات نفسية تولدت من شعور الجيش ومنتسبيه بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية لولائهم الطويل للشاه. بيد ان هذا الاسوب لم يستمر طويلاً وجرى التحول الى التنسيق للقيام بعمليات كبيرة مشتركة يأخذ كل من الطرفين (الحرس والجيش) اتجاهات منفردة متقاربة ضمن منطقة او قاطع عمليات واحد او في مناطق عمليات متباعدة، وهو الاسلوب الاكثر نجاحاً.

▫▫ أسلوب الكتل البشرية

أطلقت تسمية "الكتل البشرية" مجازا على الهجمات الكثيفة لوحدات المشاة التابعة للحرس بعد التوسع في حجم واعداد القوات، ولما كان الاسلوب التنظيمي في الحرس يختلف جذرياً عما هو عليه في القوات النظامية من خلال تعويل الحرس على تخصيص واعداد اكبر عدد ممكن من الاشخاص كمقاتلين في الوحدات الفعلية وتخصيص اقل ما يمكن للذيول الادارية والمقرات فقد امكن زج قوة كبيرة في قاطع معين خلال وقت قصير مما يعطي انطباعاً بان القتال يدار على اساس الكتل البشرية.

ولقد جرى تطبيق مثل هذا الاسلوب في الغالبية العظمى من المعارك وبطريقة حازمة واصرار متواصل، وفي كثير من الاحيان هاجم افراد الحرس وحدات الدبابات بكثافة عالية، وتكبدوا خسائر فادحة جداً، وكانت المواضع الدفاعية للدبابات بمستوى سرايا وكتائب الدبابات، تمتلئ بمئات من الجثث وليس من الغريب ان نجد على اسفل وحول دبابة واحدة العديد من جثث الحرس، وفي

المقابل دفعنا مزيداً من الخسائر المادية بالمعدات القتالية ومن الضحايا البشرية، ومكن هذا الاسلوب الايرانيين من الاستيلاء على معدات صالحة جرى ادخالها الخدمة في وحدات الحرس المستخدمة.

▫▫ التطور الواسع

وفي اواخر عام ١٩٨١ وعام ١٩٨٢ حدثت تطورات كبيرة في اوضاع الحرس الثوري الايراني شملت:

١- زيادة عدد الوحدات والتشكيلات القتالية.

٢- استحداث وزارة خاصة بالحرس.

٣- ادخال معدات عسكرية اساسية في الخدمة ومنها الدبابات والمدرعات والمدفعية.

٤- تشكيل مقرات قيادة وسيطرة في قواطع العمليات خاصة بالحرس ومقرات اخرى مشتركة.

٥- تصعيد كثافة التطوع وتحويل اعداد من مواليد الخدمة الالزامية العسكرية للخدمة في الحرس.

٦- المباشرة باستحداث مراكز تدريب خاصة بالحرس.

٧- ابتداء السيطرة على الانتاج الحربي.

واعطيت التشكيلات والوحدات المقاتلة اسماء دينية صرفة، ليس لاثارة الحماس الديني والعاطفي فحسب بل تعبيراً عما تؤمن وتشير اليه فلسفة الثورة والنظام، وحظيت افضل الفرق بأهم الاسماء في ذلك الاتجاه مثال فرقة ٢٥ كربلاء، فرقة ٣١ عاشوراء، وفرقة الحسين، وفرقة الامام علي، وفرقة ابو الفضل، وبيت المقدس.. وثأر الله، الفرقة ٣٠ رمضان وتميزت الفرق كربلاء، عاشوراء، وثار الله باندفاع قتالي غير اعتيادي ولكنها كثيراً ما وقعت تحت النار الكثيفة للدبابات والمدفعية الجارفة.

ووصل موجود (المقاتلين) من الحرس في الفرق المهمة الى اكثر من خمسة آلاف مقاتل عدا العناصر الادارية والمقرات (في كل فرقة) وبلغ مجموع الالوية القتالية من المشاة والدبابات والمدفعية وهندسة الاقتحام.. حوالي ١٢٠ لواء وبعدد اجمالي يزيد على ربع مليون شخص.

حصلت خلال الحرب العراقية - الايرانية عشرات العمليات الكبيرة، تخللتها عدة عمليات رئيسية كبرى اهمها:

عمليات ٢١ آذار ١٩٨٢: في قاطع دزفول الشوش واسماها الايرانيون عمليات الفتح المبين وقد قاتل فيها الحرس الى جانب الجيش في اتجاهات محددة ومعلومة.

٢- عمليات عبور الكارون واعادة السيطرة على المحمرة - خورمشهر في ابريل ومايو ١٩٨٢ وشارك فيها الطرفان الحرس والجيش بكثافة عالية.

٣- عمليات شرق البصرة الثانية ١٤-٣١ تموز يوليو ١٩٨٢ وشارك فيها الطرفان بكثافة عالية.

٤- عمليات بنجوين اكتوبر - نوفمبر ١٩٨٣ نفذها الحرس بكثافة عالية وشاركت تشكيلات من المشاة النظامي.

٥- عمليات عبور هور الحويزة وطريق بغداد -عمارة - بصرة الرئيسي في شباط - فبراير ١٩٨٤ (قام بها الحرس).

٦- عمليات هور الحويزة ١٩٨٥(قام بها الحرس شرق دجلة).

٧- عمليات عبور شط العرب واحتلال الفاو في شباط فبراير ١٩٨٦ وكانت اكبر نجاح في الحرب يحققه الحرس بمفرده رغم تكبده (٤٥٠٠٠) اصابة من جراء الضربات الكيماوية وحدها في هذه المعركة حصراً.

٨- عمليات (اليوم العظيم) شرق البصرة في نهاية كانون الأول - ديسمبر ١٩٨٦ و٧ يناير - كانون الثاني ١٩٨٧ التي اسمتها قواتنا معارك الحصاد الاكبر لفداحة الخسائر البشرية الايرانية ولم تكن خسائرنا في الحصاد الاكبر قليلة بل كانت دموية بدرجة خطيرة.

وقد نفذ الحرس هذه العمليات لوحده عدا مساعدات طفيفة من القوات النظامية.

اما معارك التحرير الكبرى في الفاو وما بعدها فقد الحقت خسـائر كبيرة بقـوات الحرس والقوات النظامية على حد سواء الى درجة دفعتهم لايقاف الحرب.

▫▫ نقاط القـوة والضعف لـدى الحرس

أ. نقاط القوة:

* التوسع والانتشار التنظيمي السريع في ظروف الحرب والموازنـة الدقيقـة بيـن التوسع في القوة وما تتطلبه من انصراف للتدريب والاعداد، وبين ادامة التصعيـد القتالي على كافة جبهات القتال.
* فلسفة القيادة المتماسكة والعمل بروح الفريـق فـترى "شـكلاً فريـداً مـن اشـكال الاستمرارية في وجوه القيادات البارزة (بصورة عامة) رغم التغييرات البسـيطة واشغال الذين يغادرون الحرس مواقع مهمة اخرى ذات علاقة في القـدرة القتاليـة كوزارة الدفاع والقوة البحرية.. وهي حالة غير موجودة لدينا في العراق.
* قابليـة الحركـة السريعة، والتحول من قاطع الى آخر بفترة زمنية قصيرة وهـذا ترك اعباء كبيرة على استخباراتنا في ضرورة اليقظة المستمرة ومواصلة جهود استثنائية لمتابعة النوايا.
* القدرة على اخفاء التحشدات التمهيدية بدرجة معقولة.
* السرعة في توجيه الضربات المتعاقبة وادامة زخم التعرض.
* احتـواء وتحمـل الخسـائر البشـرية الكبـيرة والقـدرة علـى التعويـض السـريع بالاشخاص.
* الروح المعنوية والشحن النفسـي الكبير لافـراد الحـرس فمفـاتيح الجنـة وحمـل الادعية ونسخ صغيرة من القرآن الكريم اعطتهم قوة دفع قويـة، فـالكثير منهـم لـم يغادروا مواضعهم حتى الموت.
* عدم الحاجة الى ذيول ادارية كبيرة.
* تعبئة وسائط النقل بطريقة دقيقة وشاملة.

* الثقة المتبادلة بين القيادة السياسية العليا وقيادة الحرس، وهي حالة كانت وستبقى مفقودة لدينا تماماً مادام صدام ونظامه مستمرين في الحكم.

* الانسحاب السريع، والتحول من قاطع الى آخر خلال وقت قصير ايضاً.

* التملص من المعارك الفاشلة ومغادرة ارض المعركة بسرعة ومرونة من دون ان يشكل ذلك هدفاً كبيراً.

* القدرة على استيعاب مواد القتال المتيسرة.

* فرض الوجود السياسي على الاحداث.

* التعامل والتأثير في القضايا الدولية الحساسة وبخاصة ما يتعلق منها في لبنان، افغانستان العراق.. المنظمات الفلسطينية.

* وجود ذراع استخبارات خارجية لديه.

* الابقاء على التمسك بالاهداف المعلنة.

ب. نقاط الضعف:

* وجود الجيش يشكل استنزافاً للموارد المخصصة للمجهود الحربي، على حساب الحرس الثوري.

* شعور اطراف معينة بالريبة من دور الحرس المستقبلي وتأثيره على الحياة السياسية وما يسبب له ذلك من المشاكل اللوجستية وغيرها.

* ضعفه في مجال الحرب الالكترونية والتجسس والاستطلاع الالكتروني.

* صعوبة سد النقص الناجم عن التوسع الافقي والهرمي الكبير وبخاصة مايتعلق بالكوادر الفنية والتدريبية.

* ضعف المستوى التدريبي والقتالي العام في حرب خاطفة سريعة.

* قلة الوحدات المدرعة والآلية ووحدات المدفعية المطلوبة لمواكبة قدرة واندفاع المشاة ولتعزيز واستثمار المكتسبات العسكرية.

*ضعف المستوى الثقافي لنسبة غير قليلة من افراد الحرس لبقاء نسب الامية عالية في ايران.

* عدم وجود محفزات حقيقية (مالية) لافراد الحرس تساعد على دخول متطوعين من الشرائح ذات المستوى التعليمي الجيد.

* محدودية قدرات الاسلحة المتيسرة لديهم. تحدث عدد من المحللين وصدرت في ايران اقوال تشير بأصابع الاتهام الى الحرس بأنه سبب الفشل في الحرب الذي دفع الخميني لتجرع كأس السم بقبول وقف الحرب على حد قوله.

"وبعيدا عن السياسة" (في هذا التقييم)، ولكوني عشت الحرب على طرفيها من خلال مسؤوليتي المباشرة في الاستخبارات استطيع ان اقول وبكل امانة:

١- ان اهداف الحرب كانت واسعة.

٢- لولا الخميني لكان مشكوكاً فيه بناء الحرس والمحافظة على التماسك في ظروف الحرب.

٣- لولا الحرس الثوري لما بقيت ايران كما نراها اليوم، بل لأصبحت دويلات متصارعة ومتنافرة، فالجيش الايراني كان وبقي اضعف من ان يستطيع مجابهة الجيش العراقي، وكل المواقف الصعبة التي جابهناها كانت بسبب الاندفاعات السريعة والجريئة للحرس والقدرة على تحمل الخسائر البشرية والاصرار على القتال.

٤- لم تكن اهداف صدام منطقية أو واقعية وكلفتنا خسائر وتضحيات هائلة.

٥- ان احداً من العرب لم يقاتل معنا على الارض الا ما سبق ان اشرنا اليه من وجود رمزي، ولولا ارادة الجيش وتفاني القيادات العسكرية لحققت ايران اهدافها.

٦- لقد اصطدم الحرس الثوري بجيش جرار وان ما حل بهم قد لا يعود مرة اخرى. وان انتصار قواتنا المسلحة في الحرب من خلال المحافظة على العراق يعتبر من الاعمال التاريخية العظيمة لمواجهتنا قوات تتمتع بارادة قوية في الحرب.

▫▫ في الحرب لا مصلحة

وعلى الرغم من انني عشت الحرب في كل جزنياتها ومفاصلها اتذوق طعم النجاحات الباهرة التي حققناها، وحمينا العراق مما كاد صدام يوقعه فيه، الا انني واسوة بكل قادة الجيش الذين عاشوا لحظات صعبة وخطيرة ايضاً، لنشعر ونؤمن تماماً بأن لا مصلحة لنا بتلك الحرب او غيرها، وان كنا نحن المنتصرون (وهي كذلك عسكرياً) فعلينا ان نوجه القول الى صدام ونقول له انه ادخل العراق في مدخل التمزق والتدمير، فهزم هو سياسياً واستراتيجياً، فيما حافظ الجيش على العراق.

▫▫ فلسفة العقيدة والولاء

اتخذ المذهب الجعفري في ايران وضعاً متميزاً عن حالات اخرى ذات طابع ديني. ففي الوقت الذي نجد العديد من الاتجاهات السنية توصي بالابتعاد عن العمليات المسلحة والعنيفة في مجابهة الحكام المستبدين، تجنباً للاضرار وحقناً للدماء، يلاحظ في دراسة الفكر والتاريخ للمذهب الجعفري ولوجاً حقيقياً في الوضع السياسي، والربط الجدلي بين الدين والسياسة، والافتاء باستخدام واسع للقوة في سبيل الوصول الى الغاية الى درجة يمكن معها وصف المذهب الجعفري في ايران بانه مذهب ثوري. وتجسد هذا الوصف بصورة حية في فلسفة وطريق القيادة الذي انتهجه الخميني. ففي كل مرة يجري اخباره فيها بوقوع ضحايا من جراء الاشتباك والكفاح المستمر ضد الشاه، كانت اجابته مختصرة جداً "اقتلوا الشاه"، فتعكس الاصرار على قبول التضحيات في سبيل الهدف الاكبر.

وعندما نراجع الحقائق التاريخية الان نلاحظ ان كل الخسائر التي تكبدتها الفصائل المعارضة للشاه، وبخاصة منها التيارات الاسلامية، لا تساوي شيئاً يذكر مقابل وصول المؤسسة الدينية الى الحكم.

امـا في العراق وزغم التدمير الهائل الذي احدثـه صـدام وجرائمـه الكـبرى التـي فاقت كل الجرائم البشرية التي تعرضت لها المنطقة، فلم يتخذ علماء الديـن السـنة موقفا قويا بالمستوى الممـاثل مـع ان عـددا منهـم ضحـوا بدمـائهم وارواحهـم فـي التصدي له.
وانسحب هذا الوصف ايضا على موقـف الحـرس الثـوري الايرانـي الـذي ينتمـي كبار قادته الى تنظيمات ثورية اسلامية شاركت في التصـدي للشـاه، وهـي بـدون شـك اظهـرت التزامـا شـديدا وتامـا بتوجيهـات الخمينـي وبفلسـفة تصديـر الثـورة باستخدام القـوة، رغـم مـا تحـاول تخفيفـه الدبلوماسـية السياسـية مـن اثـار جانبيـة ومباشرة لهذه التطلعات التي ترتبت عليها مواقف دولية مضادة وعنيفة.

▫▫ قـوة الـدفع

ان ممارساتنا الاستخباراتية في ايـران وفـرت ادلـة متعاكسـة علـى مـدى الالـتزام الديني في بعض جوانب الحياة لـدى اعداد غير قليلة من الشخصيات المهمة عـبر الحقب المتعاقبـة الا ان الملاحظ على غالبية اعضاء القيادة العليـا وبخاصـة منهـا الاركان العامـة، حرصهم علـى الالـتزام بالمبـادئ التـي ينـادون بهـا الامـر الـذي اعطاهم قوة دفع للاستمرارية في المواقف المتشددة، وان استمـرار وزيادة قدرات الحرس بالحرب تؤكـد استمرارا للتوجـه الراديكـالي المتشدد ولمبـادئ استـخدام القوة، وبقدر ما جلب هذا الموقف من متـاعب خارجية الى ايران، بقدر ما جعلهـا في اسبقية اهتمامات التأثير، مما سـيترك اثره الفعـال علـى مسـتقبل ايـران كقـوة يحسب لها حساب.
والتزاما بهذا الموقف ترى الذراع الايرانية واضحة في جنـوب لبنـان الـى درجـة تحول فيها حزب الله الى اكبر قوة مؤثـرة فـي الصـراع المسلح وربمـا اخـل فـي معادلات التوازن الداخلي.

▫▫ النشاط الخارجي لـ "الحرس"

وتجدر الاشارة هنا الى اننا وفي عام ١٩٨٩ اعددنا تقريراً شاملاً عن اوضاع الحرس الثوري الايراني ونشاطاته الخارجية في افغانستان والخليج ولبنان والسودان، وتناول التقرير محاور النشاطات الاساسية والاستخباراتية منها بصورة خاصة، والمقترحات اللازمة لمعالجتها فجاءت توجيهات صدام على ذلك بما مؤداه:

١- تراقب نشاطاتهم بصورة عامة.

٢- يجري التركيز وبأسبقية اولى على نشاطاتهم مع الاكراد (والتيارات الطائفية) وتشديد التواجد الاستخباراتي في جنوب غرب وشمال غرب ايران وان يكون لنا حضور مستمر في مقر عمليات الحروب غير النظامية.

٣- تحال المعلومات التي ترد الى الاستخبارات عن النشاطات الايرانية في لبنان الى جهاز المخابرات (وقد فسرت هذه الاشارة من قبلنا بوجود قناة تتصل بالمخابرات الاجنبية لاخبارها بمعلومات عن جنوب لبنان؟).

١- اخبار الاستخبارات الاميركية بحصيلة المعلومات عن الحرس الايراني بطريقة مضخمة ومبالغ فيها عن الوضع الحقيقي (ويبدو انه اراد هذا للاحتفاظ بمبرر للاستمرار بعدم هيكلة وتسريح العديد من الفرق والتشكيلات).

▫▫ القيادة والسيطرة

تطورت اجراءات القيادة والسيطرة تبعاً لحجم ووضع القوات، والمتطلبات الاساسية لادارة العمليات القتالية والتنظيمية وجرى استحداث المزيد من المقرات في قواطع العمليات ومنها مقر عمليات شمال الغرب ومقر عمليات الغرب ومقر عمليات الجنوب واخذت هذه المقرات اسماء رمزية على غرار تسميات الفرق والالوية، كما استحدثت مقرات مشتركة للحرس والجيش مثال مقر عمليات خاتم الانبياء في الجنوب. وجرى استحداث هيئة عليا للاركان العامة للحرس وهيئة ركن لقيادات القوات البرية والجوية والبحرية للحرس. وحرص رضائي على ان

يكون هؤلاء القادة من الذين لا غبار على ولائهم العقائدي للثورة الاسلامية الايرانية ولقيادة الحرس الثوري ايضاً. كما حرص على توثيق علاقاته بين اعضاء القيادة وبينهم ويلاحظ وجود صلات في اقتران عدد من اهم اعضاء القيادة ومراكز القرار من شقيقات زملائهم في القيادة، وبذلك جعلهم كفريق واحد ذي ترابط وثيق.

وأولت قيادة الحرس اهتماماً بمديرية استخبارات الحرس على مستوى العمل الميداني والاستراتيجي الخارجي بتعيين ضباط اقدمين من الحرس بمهمات استخبارية في السفارات الايرانية في المناطق الحساسة من العالم لاعتبارات عديدة منها ما هو حمايوي ومنها ماهو تعرضي فعال.

ويعتبر مقر عمليات رمضان للحروب غير النظامية احد اهم المقرات الرئيسية ويتولى التنسيق منذ السابق وخلال سني الحرب العراقية – الايرانية وما بعدها مع الحركات الكردية المسلحة والتنظيمات السياسية المسلحة التي تتكون في غالبيتها من تنظيمات شيعية عراقية. وقد تولى هذا المقر ادارة وتنسيق سلسلة كبيرة من العمليات داخل العراق وتم ترتيب عمليات مشتركة ومنها عمليات احتلال حاجي عمران عام ١٩٨٣ بالتنسيق بين الجيش والحرس الثوري ومسعود البارزاني.

٢- تفرض قيادة الحرس اجراءات امنية مشددة جداً على الاتصالات اللاسلكية بعيدة المدى وتستعيض عنها بالاتصالات السلكية المشفرة والمراسلات اليدوية. اما خلال الحركات الفعالة فانها تضطر الى استخدام واسع لاجهزة الاتصالات التعبوية بين التشكيلات القيادية، وقد ضمن هذا الاسلوب قدرة جيدة في السيطرة ومنع التداخل، كما ان العلاقة الوثيقة بين قادة الحرس حولت الانضباط الى حالة من الوعي المناسب والمصالح المتبادلة ايضاً.

٣- تنتشر مقرات كثيرة للحرس في مناطق ومدن عديدة لضمان القيادة والسيطرة على الحرس الذي يبلغ عدده في ذروة الاستخدام في المناورات التدريبية حالياً ما

يزيد قليلاً على نصف مليون شخص، وبذلك فانه يفرض سيطرته الصارمة على الوضع الداخلي في حالة الطوارئ وعلى الرغم من انه يحرص على تجنب التدخل في الامور الداخلية البسيطة الا انه غالباً ما يتدخل لفرض السلوك العام للنظام الاسلامي بالقوة. ويقصد هنا بالاسلامي بالطبع وفق مفاهيم المذهب الجعفري.

٤- وشدد الحرس على ضرورة السيطرة المباشرة على الوسائل المهمة التالية:

أ- الصواريخ ارض - جو للارتفاعات العالية من طراز سام٢ وما هو متطور عنها.

ب- وحدات الصواريخ ارض – ارض بعيدة المدى.

ج- صواريخ سلكوورم المضادة للسفن.

د- الانتاج الحربي.

هـ- التوجهات والبحوث الكيماوية والبايولوجية.

و- تأمين حماية المفاعلات النووية ومراكز البحث النووي.

من المعتاد في دول عدة، وجود افرع مختلفة من القوات المسلحة، منها ما تتحدد واجباته في الشؤون الداخلية ومنها ما تنحصر مهمته في الدفاع عن البلد تجاه الاخطار والتهديدات الخارجية، وتعتبر الجيوش مسؤولة عن هذه المهمة الاخيرة، وهذا لا يمنع من الناحية التنظيمية وجود اكثر من جيش او فيلق او جحافل جيوش على ان ترتبط جيمعها في المحصلة بقيادة عسكرية واحدة وهيئة اركان عامة رئيسية واحدة. ففي الحرب العالمية الثانية كانت القوات البرية الالمانية موزعة الى جحافل جيوش يتبع كل منها عدد من الفيالق ويعد هذا التنظيم مسألة طبيعية لتأمين متطلبات القيادة والسيطرة. وفي الولايات المتحدة الاميركية توجد هيئة اركان خاصة بكل فرع من القوات المسلحة (رئيس اركان خاص بكل فرع من القوات المسلحة، رئيس هيئة الاركان الجوية - البحرية..) الا انها تخضع لقيادة رئيس هيئة الاركان العامة للقوات المسلحة، وبالتالي فان هيئة الاركان الجوية تعتبر هيئة اختصاصية تتبع وتخضع لهيئة الاركان العامة. ومن المعتاد

ايضاً وجود حرس جمهوري في بعض من دول العالم الثالث لتأمين حماية نظام الحكم اقراراً واضحاً بأن النظام لا يحظى بتأييد الشعب ولم يكتسب الشرعية الكفيلة بحمايته من دون القوة المسلحة. ولكن ليس معتاداً ان تكون قوة الحرس الجمهوري في دولة مثل العراق بما يفوق جيوش دول اقليمية عدة. وان يكون مضاهياً للجيش الرئيسي للدولة وهذا لا يحدث الا عندما يشعر رئيس النظام بعدم الثقة بجيشه وكبار قادته وهو ديدن صدام وهاجسه الدائم. وفي ايران، فالامر الخاص بتشكيل الحرس انطلق من حاجة ملحة ومصيرية هي الدفاع عن النظام الجديد من الاخطار التي احاقت به. ومما لا شك فيه فان الثقة كانت معدومة كلياً بالجيش النظامي، ثم جاءت متطلبات الحرب الواسعة، التي بنى الحرس تقاليده وكيانه وهويته من خلالها ولما كان الحرس الثوري يرى، وترى قيادته الحالية المستمرة بأنها هي التي حمت، النظام الجديد وان قرار التكليف يشير وبوضوح الى أنهم "حراس الثورة الاسلامية" بكل ما حمله من معان وصلاحيات واسعة للنشاط الخارجي بتصدير الثورة، والداخلي بالمحافظة على أمن النظام والمحافظة على قواعد السلوك الاسلامي وفق مفاهيم النظام، وحفاظاً على هويته وكيانه فقد قاوم كل محاولات الالتفاف عليه بتوحيد الجيش النظامي مع الحرس الثوري، لان مثل هذه العملية ستبعده عن النشاطات السياسية للدولة وتضعف كيان وتأثير قيادته من خلال الاضطرار الى وجود قادة محترفين من الجيش في مناصب مهمة تؤدي تدريجياً الى اذابة الروح الحماسية والالتزام الفكري في الحرس.

ولا اعتقد ولا تشير المعطيات، ولا تعطي الدلائل احتمالاً حتى وان كان ضعيفاً لقبول الحرس لهذا المبدأ ما دامت قيادة الحرس متماسكة وباقية على قوتها، ولما كان الحرس هو مركز القوة الفاعلة الحقيقية في ايران، يصبح التفكير باحتمالات الاخلال بمرتكزات القوة، تفكيراً بعيداً عن الواقعية الا اذا تعرضت ايران لهزة قوية.

□□ علاقة الحرس بالنظام

لقد تحولت ايران من النظام الامبراطوري الشاهنشاهي الى نظام جمهوري اسلامي بثورة شعبية عارمة، الا انها لم تكن دموية بالمعنى السائد في العراق، وقد برع الخميني في اختيار طريق الاستفتاء العام للتصويت على النظام الجمهوري من عدمه وانتخاب رئيس الجمهورية وتشكيل المؤسسات الديموقراطية الفعلية، فلا شك في ان انتخاب البرلمان (مجلس الشورى) ورئيس الجمهورية يتم بطريقة ديموقراطية تحسد عليها ايران بالنسبة لنا في غالبية الدول العربية، ولكن هذه الديموقراطية اخذت منحى خاصاً جعلها ديموقراطية احادية الجانب، خاصة بالمؤسسة الدينية فالتداول الديموقراطي يعتبر محدداً بهذا الاتجاه فقط، وفي هذا هضم لحقوق الاتجاهات الاخرى، ولكن وبمجرد ان نرى رئيس الجمهورية يترك موقعه من دون اية محاولة للالتفاف على الدستور وهو اقوى شخصية سياسية في ايران بعد المرشد الاعلى ومن بناة النظام الجديد نشعر بأن تحولا مهما وكبيرا قد حصل هناك.

ومع هذا فان فلسفة النظام تعتمد على ثلاث دوائر اساسية:

الدائرة الاولى: وتتمثل بالمؤسسات التشريعية والتنفيذية (رئيس الجمهورية - رئيس البرلمان ومجلس الامن الاعلى..).

وتتحرك هذه المؤسسات ضمن اطار الدائرة الاولى حصراً.

الدائرة الثانية: وتتمثل بالمرشد الاعلى للثورة وتدل التسمية على مهمة هذا الموقع الاساسية باعطاء التوجيهات والارشاد ومنع الانحراف عن سياسة وفلسفة النظام واقرار او رفض القرارات المهمة وايقاف الخروج عن اطار الدائرة الاولى.

□□ "الحرس" والسلطة

الدائرة الثالثة: وهي الحرس الثوري، وتعمل هذه القوات بأمره وتحت قيادة المرشد الاعلى وهي مصدر قوته لحماية النظام ولذلك فانها ليست خاضعة لصلاحيات رئيس الجمهورية، الا ان لرئيس الجمهورية سلطة التأثير على بعض

من القرارات والمواقف الى درجة لا تؤدي الى وقوع التصادم، اي في الحدود المعقولة.

ففي احداث ٣١ اغسطس ١٩٩٦ وعندما اجتاح صدام، وبالتنسيق والتعاون المباشر مع مسعود، مدينة اربيل ومواصلة اندفاعه في الاتجاهات الاخرى، اصدر قائد للحرس الجنرال محسن رضاني قراراً برفع درجة الاستعداد القتالي لقوات الحرس وتهيئة لواءين للتدخل المباشر الفوري في القتال، كما اتخذ التدابير اللازمة لوضع وحدات الصواريخ ارض - ارض بعيدة المدى باستعداد للمشاركة في العملية، وجرى تحديد الاهداف في اربيل وموقع آخر. وتشير المعلومات الموثوقة والواردة من مركز مطلع الى ان الرئيس رفسنجاني اتخذ موقفاً معارضاً لهذا القرار تجنباً لموقف اميركي غير محسوب الابعاد والنتائج مما ادى في النتيجة الى التزام الحرس بتوجيه المرشد الأعلى بالتريث.

ولا تعتبر هذه الحادثة مؤشراً الى سلطات رئيس الجمهورية الواسعة بقدر ماتعبر عن الرغبة في عدم الاختلاف الواسع تجاه موقف لا يكتسب اهمية خطيرة في حالة عدم التنفيذ. والواقع فان مثل هذا التدخل الايراني لو حصل، لأحدث متغيرات كبيرة في الوضع الاقليمي، وليس متوقعاً ان تتخذ اميركا موقفاً متشدداً حيال ايران اذا لم تتوسع في تدخلاتها بما يعطيها دوراً غير مسيطر عليه في المنطقة.

ولكن، وعلى اية حال، فان الوضع الذي كان متاحاً لرفسنجاني تصعب اتاحته لغيره من الرؤساء، وعل الاقل لعقدين قادمين من الزمن، فقد عمل طويلاً خلال سنوات الحرب ممثلاً للخميني في الحرس الثوري، وانابه الخميني مسؤولية القيادة العامة للقوات المسلحة بعد تحرير الفاو في ابريل نيسان ١٩٨٨،واحتفظ بخط من العلاقات الطيبة مع الحرس باستثناء مواقف معينة ومشاركته الفعالة في الاعداد للثورة وتعرضه لمحاولة اغتيال خطيرة واصابته بعدة طلقات قيل انها نفذت من قبل منظمة مجاهدي خلق. كما انه يتمتع بسمعة سياسية وداخلية مميزة، حتى الاميركيون فعندما كانوا ينظرون الى القادة الايرانيين في مراحل الحرب الاخيرة

بانزعاج فانهم لا يخفون نظرة اقل تشدداً تجاه رفسنجاني، وهذا ما دعا صدام الى اصدار توجيه لوزير الاعلام لنشر احدى المقالات التي كتبتُها حول الموضوع (في جريدة الجمهورية) من دون الاشارة الى اسمي، وهذا اسلوب يتبعه صدام ليس لغرض امني، بل لتجنب تدخل الضباط في السياسة والاعلام.

▫▫ حراس الثورة

لقد اعطت مهمة التكوين صلاحية طوعية للحرس في فرض أمن النظام (الاسلامي)، وعلى الرغم من انه ممثل في مقر نصر اسوة بآخرين الا ان المقرات والتمثيل فيها لا يفقد مالك القوة قوته، ورغم مرور شؤونه التقليدية نحو المرشد الأعلى من خلال القناة التي يمرر فيها غيره من الاجهزة المهمة اموره، فان خطاً بين قائد الحرس والمرشد بقي وسيبقى مفتوحاً على الدوام، وهو خط مباشر.

ان دولتين في النطاق الاقليمي الايراني، يمثلان اتجاهاً ديموقراطياً متقارباً هما باكستان وتركيا، وفيما تقف القوات المسلحة الباكستانية في موقف يبعد الى حد ما عن الممارسات السياسية التقليدية للدولة، والتدخل المباشر لحسم الموقف في حالة تدهور الوضع الديموقراطي الى انحراف قد يؤدي الى اضطراب سياسي وفوضى امنية داخل البلد، فان القوات المسلحة التركية جعلت من كيانها مراقباً للاوضاع الامنية والسياسية والاجتماعية وضمنت لنفسها حق التدخل المباشر والواسع لاستمرار وديمومة العلمانية والمحافظة عليها، وبذلك فرضت نفسها الحاكم الحقيقي والقوي للبلاد، وقيدت الديموقراطية ضمن الحدود المسموح بها وهي دائرة العلمانية الاتاتوركية، وتمارس القوات المسلحة صلاحياتها من خلال مجلس الامن الاعلى، او حتى بصيغة مباشرة، ولما كان الوضع الحزبي في تركيا متأرجحاً فان المناورات وعمليات التداول في اسقاط حكومة واخراج اخرى تصبح من الامور المتاحة والممكنة ,وهو ما حصل لحكومة نجم الدين اربكان ذات الطابع الاسلامي، الا ان تلك الحكومة لم تحض بموقف ودي من لدن الشعب

العراقي لانها طالبت علناً بالانفتاح على صدام بذريعة تقوية التوجه الاسلامي وهي ذريعة تستند الى وسيلة مضادة لروح الاسلام.

ويبدو ان وضع الحرس الثوري الايراني يأخذ دورا مماثلا، بل ومطابقاً من حيث الاداء مع الوضع الذي يتخذه الجيش التركي ومخالفاً له في الاتجاه، ففي الوقت الذي تتحدد اوجه التدخل التركي في السياسة بحماية العلمانية، فان من واجب الحرس صيانة النظام الاسلامي (وفقاً للائحة التكوين)، وان غياب الممارسة العلنية لدور الحرس مقارنة بما هو حاصل في تركيا يعود الى:

١- تماسك الثورة الايرانية حتى الآن.

٢- عدم الاقرار بوجود واقامة احزاب سياسية تتوفر من جرائها فرص التضاد والاختلاف.

٣- انحصار التوجه الديموقراطي في اطار المؤسسة الدينية وهذا يعطي ضماناً في المرحلة الحاليةعلى التوجه في الاتجاه المطلوب.

٤- بقاء المرشد الاعلى ممسكاً بزمام الامور بصورة جيدة دون اغفال الصلاحيات والمهام المنوطة برئيس الجمهورية.

▫▫ الحاجة المتبادلة بين المرشد والحرس

ولما كان رئيس الجمهورية يسيطر على مؤسسات الدولة التنفيذية بما في ذلك "وزارة الأمن والمخابرات" الى حد ما، فان المرشد الاعلى بعد الخميني قد يتعرض الى مواقف صعبة طالما انه يتعامل مع انداد من المؤسسة الدينية الواسعة ولذلك فانه يحتاج الى تعزيز شرعيته واعطاء قراراته صفة القوة الملزمة، وهنا تبرز اهمية استناده الى الحرس الثوري باعتباره مركز القوة الاقوى في ايران وعدم وجود اية سلطة لرئيس الجمهورية عليه لعمله تحت قيادة القائد العام للقوات المسلحة الايرانية وهو المرشد الاعلى.

كما ان الحرس الثوري يحتاج الى المرشد الاعلى لاضفاء الصفة القانونية والشرعية على قرارته وتغطية انفصاله عن سلطة رئيس الجمهورية، وهكذا

ستستمر معادلة القوة في ايران وسيعارض الحرس وكذلك المرشد الاعلى اية توجهات لاضعاف او تغيير ارتباطه، وطالما بقيت المعادلة بشكلها الحالي فمن غير المتوقع ايضا لجوء الحرس الى قرار السيطرة على السلطة بالقوة لان خطوة مثل هذه ستعني العودة الى الدكتاتورية الفردية من جديد.

□□ "الحرس والأمن الاقليمي"

على الرغم من ان حصيلة احداث ايران والكويت ادت الى تدمير واسع للعراق والقدرات العسكرية العراقية وجعلت ايران في وضع متفوق على العراق بكافة الاتجاهات وبشكل خاص العسكرية منها، فمن غير المتوقع ان يتناسى الحرس او ينسى ما حصل خلال حرب الثماني سنوات، وحيثما وجد الفرصة مناسبة لضربة سريعة او لتدخل غير مباشر فلن يتوانى عن ذلك، كما انه سينتهز فرصة وجود اوضاع خاصة في بقع من الخليج لتحقيق ما يمكن تحقيقه من اهدافه، الا ان الدلائل تشير الى اتباع سياسة مستجدة تستهدف تحييد وانهاء الصراع مع الخليج لتعزيز ثقل العمل باتجاهات تتوفر فيها امكانية وظروف عمل افضل وهي العراق، ولبنان بأسبقية اولى وباكستان وافغانستان وتركيا بأسبقية ثانية من درجة الاهتمام.

ولا يظهر في وضع الحرس وقدراته الحالية ما يدعو الىالقلق على العراق في فترة ما بعد صدام، وحيثما وضعت اسس التعاون البناء بين حكومة العراق المقبلة والدول العربية المطلة على الخليج وصولاً الى تنسيق أمني فعال فسيكون ذلك تشجيعاً قوياً الى ايران للمساهمة في روح التعاون متعدد الاشكال بما فيه التعاون لضمان الأمن الاقليمي.

الا ان شيئاً من هذا لن يحصل، طالما بقي صدام في السلطة، فهل سيبقى الخليج حائراً ومتردداً في دعم ومساندة المعارضة العراقية؟.. أظنه كذلك!.

فاذا بقي صدام فلن يبقــى ضعيفاً بحســاب القياســات المحليـة، والصداقـة مـن بـعـد حرب وطول عداء مذلة.





صورة جمعت شاه ايران والرئيس الجزائري هواري بومدين وصدام عقب التوصل الى اتفاق الجزائر ١٩٧٥، ورغم وداعة الشاه في هذه اللقطة وظهور صدام في مظهر القوة والتصميم، فقد حقق الشاه كل ما كان يريد وتنازل صدام عن الضفة الشرقية لشط العرب من دون تفويض من الشعب.



اعتمدت قوات الحرس الثوري الايراني فكرة الشحن المعنوي والعقائدي، الا أنها جابهت قوات تتمتع بارادة قتالية كبيرة



التوسع الأفقي في القوات المسلحة

تقييم الاستخبارات للوضع العسكري

السياسة النقدية في العراق

كوكبة شهداء سامراء – وخطة وامعتصماه الثانية

رسالة مفتوحة الى جهاز المخابرات



دعوات للحوار واصابع النظام

تطفو على السطح بين فترة واخرى اشاعات وتقولات وشكوك كثيرة، تشير الى وجود نشاطات واصابع للمخابرات العراقية، تستهدف تعميق اخاديد التناقض بين اطراف المعارضة، وتفعيل ذلك من خلال الدعوة لمحاورة النظام او التصالح معه، وتأخذ هذه النشاطات ابعاداً ووسائل مختلفة تتغذى على حالات التداعي والاحباط التي تنتاب مسارات العملية الكفاحية، عندما تتداخل فيها المصالح، وتتشابك المتضادات، فتهتز معنويات جماعات، وتصمد ارادة اطراف اخرى...

ترى هل هنالك فرصة للتصالح مع صدام؟ وكيف تعمل الاجهزة الخاصة لمجابهة المعارضة، وتفتيتها؟ وكيف ينظر صدام الى هذه الاهتمامات؟ وكيف ينظر الى الاجهزة الخاصة في تأمين أمن النظام؟

من السذاجة، ان يقتنع اي طرف وطني من اطراف المعارضة العراقية، وبخاصة منهم العرب، بوجود اية فرصة مهما تضاءل حجمها للحوار والتفاهم مع صدام، لانه شخص متورط بجرائم لا يمكن الرجعة عنها، ولا يفهم دعوة الحوار مع نظامه الا دليلاً على الفشل، ونتيجة الفشل لا بد ان تكون الاذلال.

كما ان هنالك من يدعي، كاذباً ام صادقاً، انه يريد بدعوته للحوار احراج صدام امام العالم (لانه سيرفض العرض)، او يتعنت بطريقة حمقاء تلقي باللائمة عليه. ولو كان صدام يشعر بالاحراج ويخشى اللوم لما وصل الى ما وصل اليه، ثم ما قيمة اللوم والاحراج امام المعضلات الخطيرة التي تعرض لها ؟.

وهنالك من يقول: "نريد العودة الى الداخل للتحرك من هناك ضد النظام"، وعلى الرغم من قلة اعداد هؤلاء وفقدانهم او عدم امتلاكهم كل المقاييس المعنوية والاخلاقية والمواقع السياسية لا بد ان نقول لهم رؤية الشعب لمثل هذه الآراء:
من يتحدث نتيجة الاعياء وعدم القدرة على المواصلة، فليذهب فان الشعب ليس بعابئ به، وصدام ليس بسائل عنه، اما ان يدعو آخرين فسينال لعنة الشعب.
اما اولئك الذين ابقوا على خيوط العمالة مع الطاغية ويأتمرون بأوامره فانهم سينالون جزاء وعقاباً يستحقونه من قبل الشعب في الوقت المناسب، لنصرتهم الظالم في وقت تتوفر لهم فرص كاملة من الأمن بعيداً عن النظام، فيما يموت الرجال داخل العراق على طريق الحرية في سبيل اسقاط الطاغية.

▫▫ علاقة برزان التكريتي بالدعوة

الملاحظ عن برزان (اخ صدام غير الشقيق) وممثل النظام لدى الامم المتحدة في جنيف، تحركه في ثلاثة اتجاهات:
الاول: العيش بعيداً عن النظام ورفض العمل في الاسبقية التي تلي قصي.
الثاني: استشراف رأي الدول المهمة حول مستقبله السياسي، وحتى الآن لم يتلق من تلك الدول الا ما يؤكد رفضها له، وهذا الموقف فرض عليه البقاء على ماهو عليه.
الثالث: العمل مع النظام بقدر ما يعطيه الاستمرارية بخيط من العلاقة، وخشية على مصالحه وافراد عائلته في حالة سقوط النظام، الا ان من غير المستبعد ان يكون قد رتب وضعاً مناسباً لمجابهة احتمالات السقوط في اللجوء الى احدى الدول ومن المتوقع ان مثل هذه الفرصة ستعطى له في مكان او اثنين. وفي هذا الاتجاه وبما له علاقة في الاتجاه الثاني فانه (برزان) عمل على:
أ- اقامة اتصالات مع اطراف من العراقيين المقيمين في الخارج وبخاصة ممن سبق ان عملوا معه بطريقة او باخرى، ودعمهم ماديا للقيام بأدوار مزدوجة.

ب- تنفيذ توجيهات صدام بتكوين زمر من العراقيين خارج العراق لتفتيت المعارضة وتشويه سمعتها، وقد نجحوا في تكوين خلايا محدودة، ولكنهم لم يتمكنوا الا من ضعاف النفوس وممن لا يمتلكون تقاليد او مواقف او مواقع سياسية او معنوية وستبقى اعدادهم قليلة جداً.

ج- وحتى الآن، وفي ضوء المعطيات الحالية، فان الاتصال مع برزان، يعني الاتصال بالنظام بالنيابة، الا اذا حصل الامر ضمن اطار التحريض المنسق الواسع ضد النظام، وهو امر اكبر كثيراً من اولئك الذين يتصلون به حالياً.

وفي جميع الاحوال فلا ينبغي الاعتقاد بأن اعداد هؤلاء الاشخاص وبمن فيهم الذين يروجون للحوار تزيد عن بضعة اشخاص فقط وكلما اصطدموا بشخص وجدوا ان ما قالوه له قد تسرب الى الجميع.

▫▫ الاجهزة لمجابهة المعارضة

تتحدد مهمة الاجهزة الخاصة باختصاصين هما الاختصاص العام، والاختصاص الخاص، فيشمل الأول حماية الأمن الوطني (بعد ان استهلكت تسمية الأمن القومي وافرغت من محتواها الحقيقي)، اما الاختصاص الخاص فيراد به التعبير عن المهمة المباشرة والاساسية لكل من الاجهزة.

وفي ما يتعلق بمجابهة اعمال المعارضة (ولنأخذ مرحلة ما بعد الكويت مباشرة)، فعلى الرغم من التداخل بين النهايات السائبة للأجهزة، فلاتزال هنالك مهام اساسية وفرعية وواجبات محددة واخرى عمومية. وفي ضوء ما هو معمول به حالياً فان الاجهزة مسؤولة عما يأتي:

١- المخابرات، هي الجهاز الاساسي المسؤول عن مجابهة المعارضة، ومن تنظيم المخابرات نلاحظ ان هنالك مديرية عامة للخدمة السرية تتولى جمع المعلومات الاستراتيجية ذات الطابع السياسي بشكل خاص، والتركيز على التآمر الخارجي، وبما ان المعارضة تحتاج الى جمع شامل للمعلومات لاغراض المجابهة مع النظام والداخلة في حالة حرب مستمرة معه (وهذه مسألة طبيعية بل

واساسية لزعزعة النظام وكشف نواياه وتحرّيض العالم عليه)، فان تلك المديرية تشارك في عملية مجابهة المعارضة ايضاً؟

٢- الاستخبارات العسكرية، تعتبر المسؤول الاساسي عن المنطقة الكردية، ولما كانت للمعارضة نشاطات هناك، فانها تصطدم بواجبات الاستخبارات، اضافة الى مجهودات ثانوية، وعندما يكون الأمن العسكري مرتبطاً بالاستخبارات (ولا يعتبر هذا الارتباط ثابتاً بل عرضة للتغيير المستمر) فان مكافحة الاحزاب السياسية داخل القوات المسلحة ومكافحة التجسس تكون من مسؤوليتها.

٣- الأمن العام، وتتحدد مسؤوليته الاساسية (في ما يتعلق بالمعارضة) بمكافحة التنظيمات السياسية داخل العراق (بين المدنيين).

٤- الأمن الخاص، يهتم اساساً بالأمن الخاص لصدام ويتولى مجابهة المعارضة من خلال:

أ- الاختصاص العام.

ب- ما يتعلق بكبار المسؤولين.

ج- ما يتعلق بتنشيط اهتمام الدّولة في تركيز الهجوم ضد اطراف محدودة من المعارضة.

ويلاحظ مما ورد ان جهاز المخابرات يُعد الجهاز الاكثر اهمية واختصاصاً بمجابهة اعمال المعارضة، وهو ما يجعلنا نتحدد (هنا) في حصر الحديث عنه:

▫▫ المخابرات

شكل هذا الجهاز في عام ١٩٧٢ تطويراً لمكتب العلاقات العامة الذي انبثق عن الهيئة التحقيقية الخاصة الاولى التي اعقبت انقلاب تموز - يوليو ١٩٦٨، وحرص صدام على تعيين اشخاص مقربين منه على رأس الجهاز وكان تسلسل تعيينهم كالآتي :

* سعدون شاكر: عمل عضوا في القيادة القطرية - مجلس قيادة الثورة - وزيراً للداخلية. وقد تصدعت ثقة صدام فيه مؤخراً لاسباب عدة، منها ما لوحظ عليه قبل اجتياح الكويت من علاقات شخصية وثيقة مع وجوه من الخليج.

* برزان ابراهيم التكريتي: خلف سعدون شاكر وحتى عام ١٩٨٢ حيث نشب الخلاف بين اطراف العائلة الحاكمة، وقد تميز باستخدام واسع للصلاحيات وما يتعداها مستغلاً كونه اخ صدام ويلاحظ انه الوحيد في فترة ما، الذي اصر على استخدام لقب التكريتي للتعريف عن نفسه خلافاً لقرار اصدره مجلس قيادة الثورة بمنع استخدام الالقاب، حيث اراد صدام من هذا القرار حجب ما يمكن من عمليات التغلغل والتقريب لابناء عمومته في المراكز الحساسة للدولة تجنباً لاثارة حفيظة الحزب في مرحلة التكوين الاساسي لبناء النظام.

* الفريق الركن هشام صباح الفخري: اضطر صدام الى تعيينه في هذا المنصب لملء الفراغ وقتياً بعد اقصاء برزان في عام ١٩٨٣ الا انه سرعان ما اقصى الفريق هشام الذي اعتبر دخوله على هذا الخط خطأ امنياً كبيراً (بالنسبة لأمن النظام).

* اللواء فاضل براك التكريتي: شغل المنصب منذ اواخر عام ١٩٨٣ حتى اواخر عام ١٩٨٩ - مطلع عام ١٩٩٠ وقد اعدم بعد اقصائه.

* فاضل صلفيج (ابن وضحة خالة صدام): شغل المنصب بعد اقصاء فاضل براك وكان مكلفاً بمتابعة اوضاعه ورفع التقارير عنه، الا انه لم يستمر الا بضعة اشهر واعتقل في مطلع عام ١٩٩٦.

* سبعاوي ابراهيم التكريتي: الاخ الآخر غير الشقيق لصدام وقد اشغل المنصب خلال عام ١٩٩٠ وحتى آذار - مارس ١٩٩١ ونقل بعد ذلك الى منصب مدير الأمن العام قبل ان يقصى مغضوباً عليه في آذار - مارس ١٩٩٥.

□□ العلاقـة الملتبسة

* الفريق الركن صابر عبد العزيز الدوري: جرى تعيينـه مديـراً للمخـابرات فـي مطلع نيسان - ابريل ١٩٩١ واقصـي مـن منصبـه اواخـر آذار - مـارس ١٩٩٤، ولاهمية المرحلة فسأحاول اعطاءها بعض التفصيل النسبي.

لقد ابتدأ الفريق صابر حياته العسكرية ضابطاً برتبة ملازم فـي الوحـدات المدرعـة وعلـى الرغـم مـن انـه كـان بعثيـاً منتظمـاً الـى الحـزب منذ كنـا طلابـاً فـي الكليـة العسكرية عام ١٩٦٥- حتى آذار - مارس ١٩٦٨ ورغم علاقته الطيبة مع فـاضل براك فلم يجر تبليغه للمشاركة في انقلاب تموز - يوليو ١٩٦٨، وبعد ذلك عمل في اللواء المدرع العاشر مقرباً من عدنان خير الله الذي كان آمـراً لهـذا اللـواء قبـل ان يصبح وزيراً للدفـاع، وفـي عـام ١٩٧٨ نقـل الـى مديريـة الاسـتخبارات العسـكرية العامة وعين في منصب ثـانوي وبعـد بضعـة اشـهر قـدم طلبـاً لنقلـه الـى الوحـدات المدرعة لعدم المامه بعمل الاستخبارات، الا انه وبعـد ان اصـيب بجـرح فـي قدمـه خلال معارك عبور الكارون في آخر نيسان - ابريل / مايو- ايار ١٩٨٢ اعيد نقلـه الى مديرية الاسـتخبارات العسـكرية العامـة وعيـن مديـراً لاحـدى شُعب الأمـن ثـم معاوناً لشؤون الأمن العسكري، وحرص خلال تلك الفترة على التقرب اكثر فـاكثر من وزير الدفاع، فاستغل سوء العلاقة بين الوزير واللواء الركن ماهر عبـد الرشـيد التكريتي (والد زوجة قصـي) خلال فـترة تعيينـه مديـراً للاسـتخبارات عـام ١٩٨٣، فدأب على رفع سلسلة من التقارير السرية (الشخصية) الى الفريـق عدنـان خيرالله عن التصرفات المالية المخالفة وغيرها للواء ماهر، ومنها توزيـع عـدد مـن اجهـزة الفيديو هدايا الى الضباط لتأمين الفرصة للاستحواذ على القسم الاكبر منهـا لحسـابه الشخصـي وما الى ذلك. ثم اعيـد نقلـه الـى التشـكيلات القتاليـة وجـرى تعيينـه قـائداً للفرقـة المدرعـة/١٧ فـي منطقـة السعدية (جنـوب خـانقين) والتـي لـم تشـارك بايـة معركة طيلة مدة قيادته لها. ثم مديراً للحركات العسكرية ومنها مديراً للاسـتخبارات بعد سقوط الفاو عام ١٩٨٦.

لقد كان صدام يدرك تماماً ان الفريق صابر لا يمتلك الخبرة التي تؤهله للاضطلاع بمهمة الاستخبارات الخطيرة خلال الحرب، ولكن وبوجود هيئة استخبارات اختصاصية ومتمرسة فان وجوده سيصبح رمزياً، فضلاً عن الخبرة التي اكتسبها سابقا في مجال الأمن العسكري، وفي المحصلة تمتع صابر بما حققته هيئة الاستخبارات في الحرب مع ايران، الا ان الاهم من هذا كله، كان استعداده لدفع العديد من الضباط الى ساحات الاعدام، بحكم ارتباط الأمن العسكري به حتى يناير - كانون الثاني ١٩٩١، حيث اصبح هيئة مستقلة بقيادة اللواء الركن طه عباس الاحبابي.

□□ الاستدراج الى الموت!

لقد كان يتعمد جعل الضباط يتمادون في اتخاذ موقف يعرضهم للاعدام، فيبدأون تحت سلطة "الاستراق الفني" بالتهجم على رئيس اركان الجيش مثلاً ويبدو واضحا أنهم سيتسلقون بشتائمهم الى صدام وعائلته، بما يؤدي بهم الى الموت المحقق، فيما كان عليه ان يستدعيهم ويرشدهم للامتناع عن ذلك، الا انه **وبتصرفه هذا استهدف التقرب من صدام على جثث الشهداء. ولا يكفي هنا ان نقول انه وللامانة لا يُحب صدام، لأن صدام لا يبحث عن المحبين بقدر ما يريد من الآخرين العمل ضمن اتجاهه نتيجة الخوف او الاداء الوظيفي او غيرهما على حد سواء.**

وقد ساعدته ظروف الانتفاضة وغيرها في ان يكون مديراً للمخابرات (وسنعبر ظروف اجتياح الكويت التي اشرنا اليها في كتاب حطام البوابة الشرقية) وصولاً الى مرحلة اشغاله منصب مدير المخابرات.

□□الكره بالتبعية

كان حسين كامل يكره الفريق صابر انطلاقاً من كرهه لاخيه خضر الدوري (لأنه عمل معاونا لبرزان في المخابرات) قبل ان يصبح عضواً في القيادة

القطرية ومسؤولاً لمكتب تنظيم الشمال (شمالي العراق)، وقبل ان يزج به في السجن عام ١٩٩٦ بذريعة تزويجه ابنته لاحد المغتربين العراقيين. لقد حاول حسين كامل باستمرار وضع كرهه لصابر موضع التنفيذ وليبرر امام صدام نقاط الفشل التي سجلت على المخابرات خلال فترة عمله مديراً فيها.

لقد شملت نقاط الفشل الاساسية سلسلة واسعة من الثغرات والشعور بالاحباط كان من بينها:

١- استطاع جهاز الأمن الخاص النفاذ الى منزل ريفي في اطراف بغداد يعود الى احد الاثرياء، وزرعه باجهزة المراقبة الفنية، وقد سجلت هذه الاجهزة حديثاً بل واحاديث مطولة للفريق صابر اثناء تردده الاسبوعي الى هذا المنزل الذي يمتلكه احد اصدقائه وفي احدى المرات سجل له حديثا يسرد فيه مساعي النظام لاعادة تحسين العلاقة مع الفرنسيين عن طريق قناة التنسيق المخابراتي بين البلدين، واعطى تفاصيل خطيرة عن الموضوع. وقد وضع الأمن الخاص صديق صابر هذا تحت المراقبة الشديدة، واستدعي في عام ١٩٩٢ الى عمارة الحياة (البناء الرئيسي للأمن الخاص) ليستجوب عن اسباب سفره الى الاردن في ذلك الوقت واتصاله بعدد من الفلسطينيين الذين يترددون بين الاردن واسرائيل، وحديثه امامهم عن ان العراق ما زالت لديه صواريخ ارض – ارض بعيدة المدى، ولم يثبت خلال التحقيق وجود ما يعطي دليلاً على انه ارسل من قبل الفريق صابر الى الخارج لغاية سياسية، بل ان حديثه كان من باب التفاخر، وعلى الرغم من توفر القناعة لدى الأمن الخاص بسلامة النوايا، فلم يترك الامر على ماهو عليه، فبعد هذه الحادثة تعقبت سيارتان من شرطة المرور هذا الشخص الثري حتى اوقفته في منطقة "الكرادة - خارج" ليلاً وانزله افراد الشرطة من سيارته بحجة مخالفة نظام السير وانهالوا عليه ضرباً بالهراوات واعقاب البنادق، فيما بقي اخوه الذي كان يسوق السيارة مشدوهاً امام المنظر الدموي، وغادر افراد الشرطة بسيارتيهما المكان، فجرى نقله الى اقرب مستشفى خاص من قبل اخيه الذي استدعى صديقه الفريق صابر، وبعد ان اطلع صابر على تفاصيل الحادث، ادرك تماماً ان هؤلاء الشرطة ليسوا الا افراداً من الأمن الخاص، فغادر المستشفى من

دون تبني اية اجراءات قانونية او بوليسية ضد المنفذين، لأنه من السذاجة الاقتناع بأن ما حصل كان اجراء مروريا صرفا، فرجال المرور لا يحملون الهراوات ولا البنادق، والمخالفة المرورية لا تستلزم مثل هذا العقاب وبخاصة ليلاً حيث تكون السابلة في اقل معدلاتها.

▫▫ الوعي المتأخر

الا ان صابر لم يستلهم الدرس كاملاً، الا بعد ان اخبر بأن صديقه قد ادخل إلى مستشفى ابن البيطار في تشرين الأول - اكتوبر ١٩٩٣ حيث توفي هناك رغم انه كان في مقتبل العمر.

وفي ضربة الصواريخ الاميركية على جهاز المخابرات ١٩٩٣ وضع صدام علامة الاستفهام الكبرى حول حقيقة الفريق صابر، لأن صاروخاً اميركياً واحداً من احد عشر صاروخ كروز التي اطلقت على جهاز المخابرات لم يأخذ طريقه ولو خطأ الى مسكن مدير المخابرات (صابر) الذي لا يبعد عن بناء المخابرات الا حوالي ثلاثين متراً (فاصلة الطريق) رغم وقوعه على خط القصف، وفي الحقيقة فلا اعتقد بوجود صلة خارجية لصابر حتى ذلك الوقت على الاقل، وربما انهم لم يقصفوا البيت لوجود عائلته فيه.

ولم تمض الا ايام معدودات على هذه الحادثة وبينما كان الفريق صابر يهم بعبور الطريق بين المخابرات ومسكنه مشياً مع افراد الحماية، وفي تلك المنطقة الحساسة تماما، دهش صابر بأن افراد حمايته يدفعونه خارج الطريق بقوة ألقت به منكبا على الارض، ليفهم بعد ان استفاق من الحادث أن سيارة لاندركوز تحمل رقما دبلوماسياً ارادت قتله فأصابت احد افراد الحماية بصدمة توفي بعدها. فانتقل صابر بعد هذا الحادث الى التدين والتردد على السادة والدراويش وقراءة الكف والسحرة، وعندئذ تخلى صدام على ما يبدو عن نواياه لقتله بعد ان شعر بأنه قد استسلم، وبالطبع فان سيارة اللاندكروز لم تكن الا احدى سيارات وحدة العمليات الخاصة التابعة للأمن الخاص، ومن يدري فلعلها السيارة بعينها التي نفذت فيها عملية

اغتيال عبدالله فاضل السامرائي الوزير وعضو القيادة السابق في شهر يناير - كانون الثاني من عام ١٩٩٦ انتقاماً لمحاولة اغتيال عدي وعقب اعتقال عشرات الاشخاص من مدينة سامراء بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم.

لقد كلف صدام الفريق صابر فور تعيينه مديراً للمخابرات باعادة مد الجسور مع اجهزة المخابرات كطريق لاعادة العلاقات وعلى غرار ما قامت به الاستخبارات في عام ١٩٨٢ من خطوات لاعادة العلاقات مع مصر، اضافة الى:

* مكافحة واستهداف المعارضة خارج العراق.

* تشكيل مجموعات وفرق انتحارية واقامة علاقات مع اطراف لديهم مثل هذه التوجهات خارج العراق، لتنفيذ عمليات انتقامية تجعل التكهنات تنصب في اتجاهات اخرى مع ترك اجتهادات معينة تشير الى العراق من دون اعطاء ادلة على ذلك.

▫▫ مكامن الفشل

وكانت حصيلة التقييم للنتائج المتحققة على غير ما يرام فاثبتت المخابرات فشلاً ذريعاً في غالبية المهام ومنها:

أ- الفشل الذريع في اختراق مكتب وقيادة ومخابرات الاتحاد الوطني الكردستاني والفشل في تنفيذ عملية اغتيال واحدة لأكثر من عشرين شخصاً من قادة وكوادر الاتحاد المهمين.

ب- الفشل الذريع في اختراق اطراف غير قليلة من المعارضة.

ج- الفشل في الاعداد الدقيق لعملية محاولة اغتيال الرئيس الاميركي جورج بوش خلال زيارته للكويت.

د- فشل خطط التملص التي اعتمدتها قوة تنفيذ عملية اغتيال المعارض العراقي طالب السهيل في لبنان مما ادى الى اعتقالهم منذ عام ١٩٩٣ حتى عام ١٩٩٧.

وقد اعطت نتائج التحقيق ادلة دامغة واعترافات كاملة عن الجهة التي كلفت المجموعة بالتنفيذ مفاده انه عضو منسق في مجموعة التنسيق للعمل ضد النظام

التي تزعمها المرحوم الفريق راجي التكريتي، وتقول جهة مطلعة جداً ان الفريق راجي ارتكب خطأ فادحاً عندما ائتمن السفير العراقي في عمان نوري اسماعيل الويس التكريتي وخصه بحديث دلل فيه على نواياه في التآمر على صدام، هذا فضلاً عن تقارير المراقبة المستمرة على هواتف وتحركات الفريق الطيار الركن سالم سلطان البصو واللواء الطيار الركن حسن الحاج خضر.. رحمهما الله، والتي كانت كافية للقبض على الشبكة واعدامهم جميعاً بينما قتل من نسقوا معه في الخارج (المرحوم طالب السهيل).

هـ- الفشل الذريع في استشراف النوايا من الساحة الاردنية.

و- عدم النجاح في تحقيق عمليات تخريب خاصة في الخارج.

ز- ضعف التواجد المخابراتي في الدول الاوروبية والفشل في التحرك على الساحة البريطانية الاكثر اهمية.

ح- وعندما قرر صدام اقصاء الفريق صابر عن منصبه، كلف ابنه قصي باستدعائه وسرد نقاط الفشل التي منيت بها المخابرات في فترة ولايته عليها، وتذكرته ايضاً بأن استغلاله الاموال العليا في شراء القصور والمزارع واقامة المصالح التجارية كانت ستكون خطيرة جداً لولا اعتزاز صدام بخط خدمته، وبعد هذا اللقاء والمكاشفة الجارحة، استدعاه صدام في اليوم التالي ليطيب خاطره باهدائه سيارة مرسيدس جديدة وتعيينه مستشاراً في رئاسة الجمهورية ليعين بعدها محافظاً لكربلاء في عام ١٩٩٦.

◻◻ مانع عبد الرشيد

لرغبة صدام في ابقاء قيادة المخابرات ضمن دائرة ضيقة قدر الامكان من الولاء، اقر تعيين مانع عبد الرشيد التكريتي - من ابناء العوجة - خلفاً للفريق صابر. ولم يكن يخطر على بال مانع انه سيصبح يوماً مديراً للمخابرات، عندما فوجئ (باللواء) عبد حميد سكرتير صدام يتصل به هاتفياً اثناء ادائه لاعماله

محافظاً للانبار ليهننه بقرار صدام، ليتولى مهمة حساسة في مرحلة ما زالت خطيرة، فبدأ الطريق ولم تكن وراءه سوى خدمة روتينية فاشلة في المخابرات لم تساعده ليصبح مديراً مؤهلاً لشعبة واحدة من شعب المخابرات، فوجد نفسه وجهاً لوجه امام التحديات، امام العداء الواسع للنظام داخل العراق وخارجه، وضعف الوسائل والامكانات، وضعف، بل فقدان الثقة بالجميع.

وفي هذا الواقع المر، حدثت عمليات آذار - مارس ١٩٩٥ التي احدثت وبشهادة اقطاب النظام والعديد من الدول الاقليمية هزة عنيفة للنظام ووضعت المخابرات في موقف حرج آخر لانها اخفقت في التوصل الى الابعاد الاخرى للعمليات. في هذا الواقع المرير، جاء موقف مسعود البرزاني بمثابة انقاذ لمانع عبد الرشيد لبدء عملية تنسيق غير مسبوقة بين الاكراد واية حكومة عراقية سابقة، مقارنة بالظروف والمعطيات وخصوصيات كل مرحلة من مراحل التاريخ الحديث، ثم جاءت عملية ٣١ آب - اغسطس ١٩٩٦ التي اتفق فيها صدام ومسعود على اجتياح مشترك واسع لمدينة اربيل فاتيحت الفرصة للمخابرات للمرة الاولى لضرب مقرات للمعارضة وسيطرت على عدد من دسكات اجهزة الكمبيوتر، كما اصبح وجود المعارضة في قاطع مسعود مستحيلاً بالنسبة للفصائل العربية، فحققت المخابرات نجاحاً جاهزاً لم يكن لها فضل فيه بقدر ما يعود الفضل كله الى مسعود الذي اتاح لهم الفرصة تحت اغطية ستبقى غير مبررة على الاطلاق.

◘◘ خروج المعارضة من اربيل

واذا كان لعمليات ٣١ آب - اغسطس ١٩٩٦ من اثار حقيقية فانها تسببت في خروج المعارضة من اربيل وحددت الدخول الى السليمانية في المنافذ الايرانية فقط بعد ان قطعت المنافذ التركية والسورية. اما ان توصف بانها ادت الى افشال سياسة الاحتواء المزدوج فان مثل هذا الوصف ليقترب من وصف صدام بانه خرج من كل حروبه منصوراً.

ولقد اتاح هذا الخروج للمعارضة من اربيل انصرافاً واضحاً للمخابرات لتركيز توجهاتها الخارجية، فخصصت جهوداً اضافية للدول الاقليمية والاوروبية، وللمرة الاولى التي غادرت فيها العراق بعد خروجي عن سيطرة النظام الجغرافية، قمت بتلبية دعوة رسمية تركية لزيارة انقرة، وقد نقلت بطائرة هليكوبتر من المنطقة الحدودية في اواخر شهر يناير - كانون الثاني ١٩٩٥ الى ديار بكر ومن هناك بطائرة اخرى الى مطار انقرة، حيث استقبلت هناك ونقلت بسيارة مضادة للرصاص وباجراءات أمن قوية، ولقيت جوانب عالية من الترحيب، واذكر ان مسؤولاً كبيراً اخذ يتحدث معي مازحاً "جنرال - هل تعلم كم يعطي عليك صدام" فقلت له "قبل ان آتي الى هنا نصحني احد الاشخاص الا البي الدعوة لاعتبارات تتعلق بالامن، ولكني افهم معاني القيم والمبادئ واتحرك في ضوئها " فرد علي بألم "جنرال نحن نحميك بأعيننا وقلوبنا، نحن على ثقة بان الذين سيرسلهم صدام لاغتيالك سيأتون ويسلمون انفسهم اليك!". فاردفت بالقول.. "لقد تعمد صدام تعيين رافع دحام مجول التكريتي سفيراً لديكم وسبق لهذا الشخص ان عمل في المخابرات لاهمية ساحتكم الا اني على ثقة تامة من انه ليس من المخلصين للنظام بقدر ماهو عاجز عن اتخاذ قرار آخر، ولولا احترامي لكم لتعمدت المرور من امام السفارة لاني اعرف تماماً ان لا احد مع صدام طالما انه خارج سيطرته ويستطيع التصرف من دون ان يترتب على تصرفه اذى".

وفوجئت بعد اربعة عشر شهراً من ذلك بان شخصاً يتصل بي هاتفياً من فندق المريديان في دمشق مبلغاً ان اشخاصاً يريدون مقابلتي، وذهبت الى المكان فوجدت الشخص المذكور الى جانب شخصين آخرين، وبدأ احدهما بالحديث، مشيراً الى انهما وصلا الى دمشق من عمان بتكليف من النظام لاغتيالي وقد حاولا ذلك في المناطق الكردية وفشلا وجاءا الى هنا بهذا التكليف، وانهما قررا

تسليم نفسيهما، قلت لهما اني انوي السفر غداً الى الخارج - (توجهت فعلاً الى السعودية) وعودا الى صدام وقولا لـه (...) وشكرتهما، ويبدو ان الفرصة لم تتح لهما للعودة الى العراق فقد كان عناصر الأمن يتابعون الموقف.

◘◘ اعتقاد خاطئ

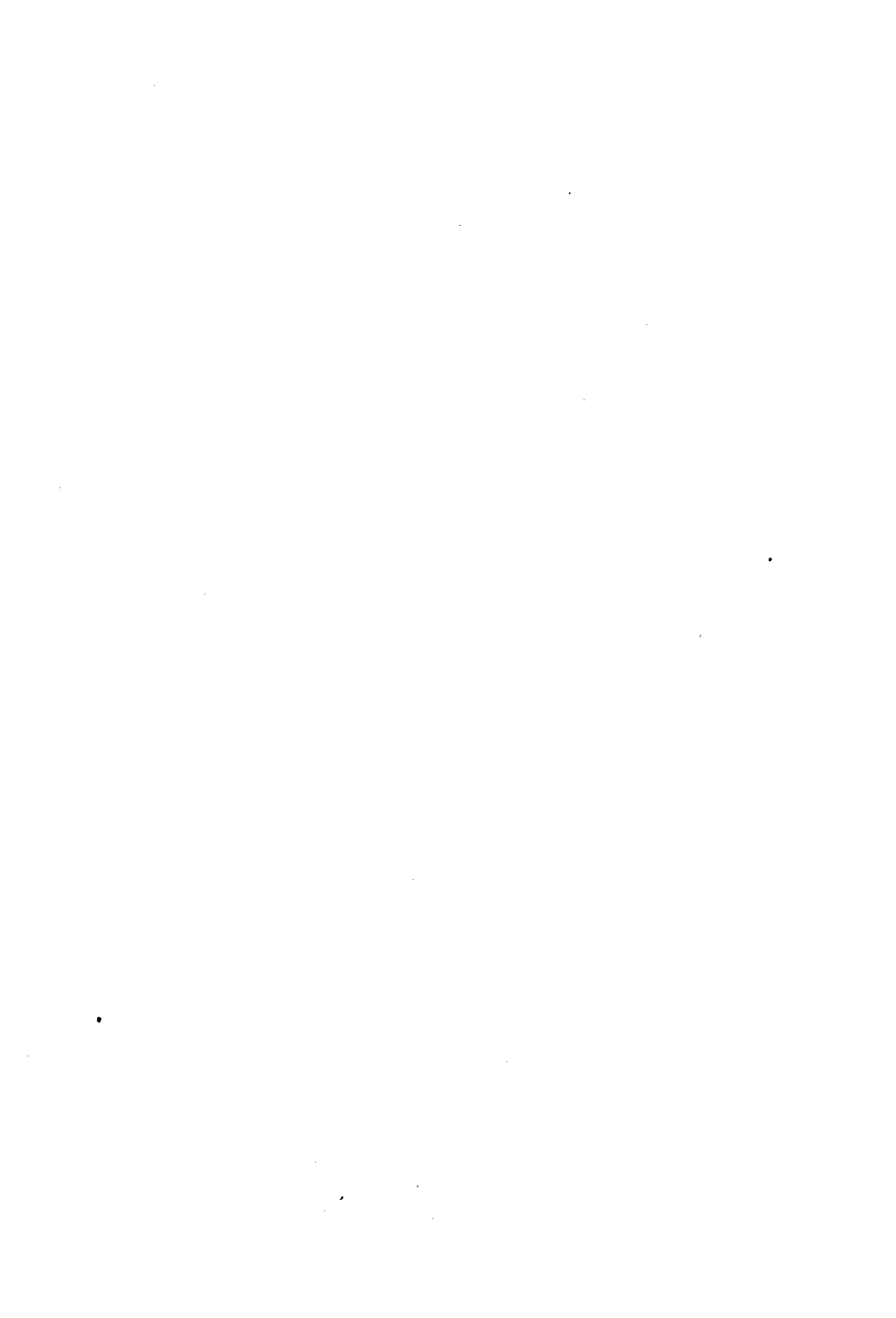
وهنالك من يعتقد ان المخابرات العراقية نجحت في وضع لبنة الانفتاح السوري العراقي الحالي موضع التنفيذ من خلال التنسيق والتفاهم مع المخابرات السورية، وعلى الرغم من اني اتجنب دائماً الحديث عن اجهزة المخابرات العربية، لاعتبارات تتعلق برأي وفلسفة تلك الاجهزة، فان من الصعب الأخذ بهذه المعلومات.

لقد تصادف وكنت في احدى ليالي الصيف من عام ١٩٩٦ في صالة احد الفنادق السورية وجاء الي احد الاشخاص من العراقيين للسلام فيما كنت الاحظ من بعيد شخصاً آخر ينظر الينا بزاوية نظر جانبية، فاستفسرت منه عن هوية ذلك الشخص فقال انه سطام الكعود مدير شركة الايمان في عمان ويريد السلام عليك، قلت له على الفور، لا، هذا يعمل مع المخابرات وذو صلات وثيقة مع النظام ولست على استعداد للقائه، ولاسيما اني اعتقد ان له مآرب سيئة. وبالطبع فقد تابعت وضعه تفصيلاً، وتبين انه جاء الى سوريا بتوجيه من قصي ومانع عبد الرشيد مدير المخابرات، لمحاولة استكشاف الوضع العام وبحجة الاستعداد للتفاهم والتعاون مع المعارضة (ضد النظام)، فرفضت في المرة الاولى وكذلك في المرة الثانية لقاءه، وطرق سمعي ان الاجهزة الامنية السورية حققت معه وطردته من سوريا ومنعته من الدخول اليها مرة اخرى (آنذاك) اما ان المخابرات نجحت في اختراق شخص من هنا وآخر من هناك من العناصر النفعية (ممن غادروا العراق)، فهذا لا يشكل معضلة للمعارضة ولا كسباً لها ولا للنظام، وليس من مصلحتنا الوطنية ان نعد قصصا عن قدرات خيالية للنظام.

ونتيجه الفشل الذي مني به مانع عبد الرشيد تم اقصاؤه من منصبه وتعيين رافع

دحام مجول التكريتي مديراً للمخابرات بدلاً منه وسيفشل هـو الآخـر، لان مشكلة النظـام كـانت وسـتبقى سياسـية كبـيرة، واقتصـاديـة مدمـرة، وعـداء شـعبياً واسـعاً وفقداناً شاملاً للثقة، فماذا تستطيع المخابرات ان تفعل؟!

❋ ❋ ❋



بنـاء القـوات المسلحـة

تأسست القوات المسلحة العراقية مع بدء الحكم الوطنـي فـي العـراق عـام ١٩٢١ واعتبر السادس من شهر كانـون الثاني - ينـاير عيدا وطنيـاً لهذه المناسـبة، وقد بوشر باتخاذ الخطوات بطريقة صحيحة، هادئة وعلميـة، طبقـاً للعقيـدة العسـكرية البريطانيـة مـن نواحـي التنظيـم والتسـليح والتجهيز واسـاليب التدريـب والقتـال، وجرى التركيز على تهيئة واعداد الضباط وفق اختيارات قياسية من ناحية اللياقـة البدنية والمستوى الثقـافي والتربيـة والتـوازن السياسـي والاجتمـاعي والاخلاقـي. كمـا حرص على البناء التدريجي خطـوة وراء خطـوة بمـا يتماشـى مـع القـدرات المالية المتاحة والمستوى العلمي والثقافي الوطني باطره المتواضعة جداً آنـذاك.

ومنذ عام ١٩٢١ وحتى عام ١٩٦٨ بلغ حجم القوات المسلحة خمـس فـرق اربعـا منها مشاة وواحدة مدرعة، وطيلة السنوات السـبع والأربعيـن لـم تشـترك بحـرب عدا حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وهي حرب رمزية (او مشاركة علـى ارض غيـر عراقية)، ولم يفقد العراق ارضا ولم يتنازل عن حقوق وطنيـة، وتميـزت القـوات المسلحة العراقية طيلة تلك الفترة بما يلي:

١- مستوى عال من الضبط والالتزام العسكري.

٢- بناء قيم وتقاليد للقادة وضباط الجيش جعلتهـم مـن النمـط الأول بيـن موظفـي الدولة.

٣- كفاءة عالية من المستوى التدريبي والتنظيمي.

٤- قدرة قتالية عالية في ضوء التوازن والقدرات الاقليمية المتاحة آنذاك.

٥- تنظيم العلاقة بينها وبين المؤسسات السياسية بما يجعلها قريبة من فهم الموقف الاستراتيجي ومتطلبات الأمن الوطني، وبعيدة عن ارباك الفسحة المتيسرة من المرونة السياسية التي اخذت في نواح مختلفة انعطافات ديموقراطية.

٦- النظرة الدائمة اليها على انها سور الوطن الفعال، بعيداً عن استخدام السلطة لها لقمع الشعب باستثناء حالات محدودة وقعت خلال مراحل حساسة ودقيقة وبخاصة في مرحلة حكم عبد الكريم قاسم.

٧- الاقتصاد في النفقات المالية بما لا يؤدي الى هدر في اموال الدولة فكان كل شيء يتم حسابه بدقة، بما في ذلك التكاليف المادية للمناورات العسكرية من الوقود والعتاد واندثار وتلف المعدات والتخصيصات المالية الاخرى وهو الاسلوب المتبع حالياً من قبل الجيوش الحديثة للدول المتقدمة.

٨- نشر القوات وبناء المعسكرات طبقاً لاتجاهات واهتمامات الأمن الخارجي والتوزيع السكاني في العراق بما يساعد على سوق واحتواء الجنود محلياً وكل ضمن منطقته الجغرافية الى حد ما.

٩- اتباع الصيغ القانونية في منح الرتب العسكرية ومدد الترقية من رتبة الى اخرى، ولم يكن القانون مطاطاً كما هو الآن في عهد صدام، بل مجموعة النظم والتشريعات المقرة وفق الدستور بعيداً عن الحاكم الراهن واهوائه ومتطلباته الشخصية وامن نظامه.

١٠- التمتع بحالة متميزة من الاستقرار النفسي والأمني ما يتيح الفرصة للقوات المسلحة لبناء وحداتها واسسها وتقاليدها خطوة ثم خطوة بعيداً عن التهور والارتجالية والتطلعات الثورية الفارغة.

▫▫ الجيش في حقبة التهور

وجاء انقلاب ١٧ تموز - يولو ١٩٦٨، ليقلب المعادلات رأساً على عقب، ويحول التقاليد السليمة والصحيحة الى مفاهيم من المنطلقات النظرية البعيدة عن القانون

وضوابط الالتزام والضبط العسكري، ولنر ماذا حصل خلال هذه الحقبة السوداء من تاريخ العراق، هذه الحقبة التي حسبت على البعثيين شاءوا أم أبوا، على الرغم من انها حقبة حكم البكر وصدام، والحقيقة التي يعرفها من هو مطلع على اوضاع العراق ان العراقيين غالباً ما ينزلون اللعنة على البكر لما عرفوا عنه من حقد وكراهية غاطسة ولانه السبب الرئيسي في وصول صدام الى السلطة.

□□ الضبط العسكري

تميزت المرحلة الاولى من حكم البكر وصدام بتحلل غير مسبوق في الضبط العسكري داخل الوحدات العسكرية، فلغرض ارهاب الضباط وتخويفهم ومنعهم من التآمر على النظام، خرجوا علينا بمصطلح العلاقات الرفاقية داخل الوحدات بدل نظرية الضبط الصارم التي جرى العمل بها خلال العقود السابقة، وبوضع المفاهيم الجديدة موضع التنفيذ اخذت العلاقات السليمة تتراجع بشكل سريع وبخاصة في اعوام الانقلاب الاولى.

ولاول مرة نرى داخل الوحدات العسكرية تظاهرات مسلحة صاخبة يقودها مسؤولو حزب البعث في تلك الوحدات يرددون شعارات موجهة ومحددة ومنها "على عناد اميركا، البعث خاض المعركة".. ولا احد يدري اية معركة تقصد القيادة التي اعطتهم التوجيه، واية معركة جدية تلك التي قادت الى تواجد الـ "سي. آي. ايه." رسمياً في بغداد بعد عقد من الزمن؟!

□□ دور "القائد الحزبي"

ولم تكن لكل الآمرين الصلاحية لمنع مسؤول الحزب في الوحدة من تجميع العدد الذي يريده من المراتب (جنودا وضباط صف) للتعلل ليلا بتناول المشروبات الكحولية في ظروف الانتشار التعبوي للقوات، تحت غطاء العلاقات الرفاقية.

ولا شك في ان البكر وصدام هما اللذان امرا بهذا الاسلوب متعمدين اشاعة التحلل في الوحدات ريثما يتمكنان من تصفية الضباط القوميين وغيرهم من

الوطنيين، فلا احد يستطيع التآمر في مرحلة يتمرد فيها الجنود وضباط الصف على آمريهم وقادتهم، فبالكاد يستطيع المرء المحافظة على احترام نفسه وكرامته وحياته، بيد ان هذه الظواهر الشاذة تراجعت هي الاخرى في مرحلة جديدة من التنافس بين مسؤولي الحزب وضباط الاستخبارات، ويبقى الأمر في الوحدة والقائد في التشكيل هما الاقل احتفاظاً بالصلاحيات ان لم يكونا بعثيين قويين. ومن النقاط التي اسهمت في تدمير اسس الضبط في مرحلة ما، وما زالت تضغط بقوة على مشاعر القادة العسكريين، مشكلة منح الرتب العسكرية جزافاً من دون اي سند قانوني او مؤهلات علمية، فمن اول القرارات الصادرة بهذا الشأن كان قرار منح ناظم كزار مدير الأمن العام رتبة لواء، ولم يسبق له ان خدم يوماً واحداً في الجيش، ثم ارتد علىصدام فاعدم في مؤامرة تموز ١٩٧٣ ومنح صدام نفسه رتبة فريق اول (ركن) دفعة واحدة ولم يخدم يوماً واحداً في الجيش ثم تسلق الى رتبة "المهيب" وكذلك الفريق اول الركن عزة الدوري ، والفريق اول الركن علي حسن المجيد (وهو رئيس عرفاء، سائق سيارة) والفريق اول الركن حسين كامل، والعديد من الضباط على هذه الشاكلة، فكنا نفاجأ بأن شخصاً مدنياً اصبح بين ليلة وضحاها جنرالاً، الا ان هذا لا يصح ان يؤخذ قياساً على قادة احرار ومن الطراز الأول داخل الجيش.

▫▫ اشارة الركن

لقد كان عدنان خيرالله اكثرهم (اي اكثر الحاشية) استحقاقاً وواقعية فقد تمت ترقيته من رتبة عقيد ركن الى فريق اول ركن دفعة واحدة وتعيينه وزيرا للدفاع مختصرا بذلك ستة عشر عاماً من مدد الترقية المطلوبة.

وتلاحظ عقدة النقص والتمييز لدى صدام في ان كل الذين منحهم رتباً عليا من اهله اقرن ذلك بشهادة وشارة الركن، التي درسنا للحصول عليها ما يقرب من سنتين متواصلتين (دراسة مضنية) وباستثناء عزة فلم يمنحها لأحد من الآخرين اوطأ من أهله.

وحتى البكر نفسه لم يمنح نفسه شهادة الركن ولم يحمل شارتها مع انه كان عسكرياً ومن الضباط الاقدمين في الجيش.

لقد ترك اسلوب التعامل هذا.. والمنح الكيفي للرتب والشارات اثاراً سيئة جداً علىالروح المعنوية والضبط العسكري الذاتي في القوات المسلحة ومن يعتقد ان قادة الجيش حتى اولئك الذين يعيشون على مقربة شديدة من صدام لم تمتلئ قلوبهم قيحاً ودماً منه يبتعد عن الصواب.

▫▫ ترؤس الاجتماعات العسكرية

لقد دأب صدام على ممارسة دور القيادة العليا فابتدأ بترؤس الاجتماعات العسكرية وحرص على الاستمرار بذلك بصورة غير معتادة، حيث نادراً ما يتخلف عن اجتماعات القيادة العامة للقوات المسلحة، الا انه، وبعد هزيمته النكراء في الكويت، وبخاصة في الاشهر القليلة التي تلتها، كان يتجنب الحضور فيرسل حسين كامل لترؤس الاجتماعات عدا حالات خاصة، حيث كان الخذلان يطفح على وجهه، ويعرف تماماً ان الحديث عن النصر الزائف في الاجتماعات المغلقة لن يغير من الامر شيئاً في نظر القادة العسكريين.

ان ترؤس صدام للاجتماعات كان مصيبة بذاتها لان الخيارات لا تعود مفتوحة، وتساق العوامل متأثرة بالموقف السياسي الذي اثبتت الاحداث انه كان خاطئاً حتى الآن.

وحاول صدام كثيراً المشاركة في الاجتماعات بروح جدية كعادته ويبدو انه كان يحرص على قراءة محاضرات وكتب عسكرية استعداداً للاجتماعات للتغلب على عقدة النقص الفني في العلوم العسكرية، وجرب حظه كثيراً في التدخل في المستويات الدنيا حتى مستوى السرايا، الا أنه اضطر في النتيجة الى اصدار تعميم الى اعضاء القيادة العامة للقوات المسلحة لبيان المواد المطلوب مناقشتها في الاجتماع المقبل ورأيهم في كل فقرة من فقرات جدول الاعمال وتقوم القيادة العامة بتقديم تقرير مفصل حول الموضوع ورأيها ازاء كل فقرة من اراء اعضاء

القيادة، حيث يستفيد منها صدام في ادارة المناقشة، وبذلك يغلق الاجتماعات منذ ابتدائها ويقتل روح الابداع والاخذ والعطاء في الرأي.

◻◻ ملاحظات...

ولنأخذ بعضاً من الملاحظات المشخصة عنه خلال الاجتماعات:

١- انه مستمع جيد على العموم ويحرص على استماع كل ما يريد ان يقوله الآخرون، من دون اية اشارة عن الرضا بما في ذلك لمن يسهبون بكيل المديح اليه، واحياناً يتعمد اشعارهم بوجود نواقص لديهم حتى وان كانت اراؤهم بناءة وجدية وضرورية فكثيرا ما كان الفريق اول الركن عدنان خيرالله يخرج من الاجتماعات مكسوراً من صدام لا لشيء حقيقي الا لان صدام منزعج منه داخلياً.

٢- يتعمد في العديد من الاجتماعات احضار اشخاص ملقنين لاثارة نقاط تسيء الى احد الحاضرين او اكثر لجعلهم في موقف ضعيف على الدوام.

٣- بما ان قرارات القيادة العامة تصدر بامر منه فان مناقشة القرارات السابقة بما يجعل الاخطاء المتحققة تطفح على السطح تعتبر امراً مرفوضاً كلياً، ولذلك فان عبرة الاستفادة من اخطاء الماضي غالباً ما تكون مفقودة تماماً.

٤- في احيان غير قليلة يأتي صدام الى الاجتماعات مشحوناً بآراء محددة حول موضوع عسكري معين، ويبادر خلافاً للقواعد الصحيحة بطرح وجهة نظره، وعندئذ يحصر موضوع النقاش بين خطين مستقيمين لا يجوز الخروج عنهما، مما يتسبب في صدور قرارات خاطئة ومهلكة احياناً خلال مراحل الحرب الساخنة.

٥- تعمد الاطالة في اوقات الاجتماعات واظهار الوقت الذي تستغرقه الاجتماعات المطولة في وسائل الاعلام لان صدام يرى ان اطالة الوقت تعني الاهتمام في شؤون الدولة، وقد حضرت له احد الاجتماعات واستغرق حوالي العشرين ساعة تخللته فترة استراحة محدودة (لم تدخل ضمن حساب الوقت).

٦- يريد على الدوام الاستماع الى التمجيد والاشارة بدوره التاريخي، الا انه غالباً ما كان يحرص على اخذ مثل هذا الاطراء من الذين لا يحظون بمودته، من دون مقابل معنوي، بل وحتى من دون كلمة شكر رغم انه يجعلهم يسترسلون فيما يريدون قوله كلياً.

▫▫ الاجراء المستحيل

لقد كان حضور صدام الاجتماعات العسكرية العليا بصورة مستمرة مصيبة فعلاً بانعكاساته السلبية على القرارات، وبما انه شخص مدني فقد كان عليه ان يترك الاجتماعات للقيادة وتعيين قائد عام للقوات المسلحة والاحتفاظ لنفسه بمنصب القائد الاعلى وهو منصب رمزي، الا ان هذا الاجراء يعد مستحيلاً لانه يجعل من القوات المسلحة والقائد العام كياناً مستقلاً فيتهدد الوضع الامني للنظام جذرياً. والملاحظ انه يتجنب اعطاء عزة الدوري دوراً في القوات المسلحة على الرغم من منحه رتبة فريق اول ركن وانحصر دوره في مرحلة مجابهة الانتفاضة في آذار - مارس ١٩٩١وان حرمانه من ممارسة دوره في القوات المسلحة يعود الى الاعتبارات الامنية اكثر مما يتعلق الامر بمقياس الكفاءة.

▫▫ التوسع الافقي في القوات المسلحة

لقد قرأ صدام على مايبدو كثيراً عن الحرب العالمية الثانية، وكان معجباً بتعدد الجيوش الالمانية، الا انه لم يكن على ما يبدو مهتماً بدراسة التجارب واستخلاص الدروس المفيدة منها، فالعبرة لا تكمن في ان تتاح للقائد او في البلاد تشكيلات عديدة بقدر توفر المعطيات الاساسية في تلك التشكيلات. وكان العديد من التشكيلات والفيالق والجيوش الالمانية بحالة شبه هيكلية نتيجة الخسائر المستمرة بالاشخاص والمعدات.

وانطلاقاً من اهتمامات صدام بالارقام ولجهله بالاستراتيجيات العسكرية واستخدام القوات وادارة الصراع العسكري فقد وصل حجم الجيش العراقي في عام ١٩٨٧

الى ١,٣٠٠,٠٠٠ شخص بمن فيهم نسبة قليلة من الجيش الشعبي، وبلغت اعداد التشكيلات القتالية في الجيش في مرحلة ما بعد اجتياح الكويت بحدود ٦٦ فرقة بما في ذلك الالوية المستقلة والمتجحفلة على اساس ان كل فرقة مؤلفة من ثلاثة ألوية، وقد استنزفت هذه الارقام الموارد المالية والبشرية للعراق من دون جدوى حقيقية، بل ولدت مشاكل حقيقية يمكن ان نحصي منها ما يأتي:

١- كلما ازداد حجم القوات من البشر والمعدات في منطقة جغرافية ليست واسعة شكلت اهدافاً مثالية للعمليات الجوية للطرف المقابل، وعندئذ تزداد نسبة الخسائر بالاشخاص والمعدات.

٢- كلما ازداد حجم القوات تطلب الامر منظومات ادارية تهتم بتأمين مواد تموين القتال (الوقود - العتاد - الارزاق من مواد غذائية وماء) وتأمين مواد هائلة للتحكيم والتحصين وتهيئة المواضع.

٣- التأثير المباشر الفعال على القوى البشرية العاملة بما ينعكس سلباً على مستلزمات المجهود الحربي.

٤- يؤدي التوسع غير المحسوب بدقة في القوات الى ارباك مراكز القيادة والسيطرة القتالية والادارية على حد سواء.

٥- يعتبر التوسع الافقي في القوات من تراث الحروب القديمة بما في ذلك الحربين العالميتين الاولى والثانية ويؤثر التكدس في التشكيلات الى تعقيد عملية المناورة العملياتية والتعبوية. ويجعل القوات ثقيلة في تنقلاتها وادائها القتالي، ولذلك نرى قواتنا في الكويت قد انتشرت انتشارا ثقيلاً وشكلت اهدافاً مثالية للقصف الجوي للحلفاء، وفي النتيجة فان حجم القوات (الكبير) ادى ان تكون التشكيلات المدرعة الرئيسية خارج مدى التدخل العملياتي المطلوب في وقت الطوارئ فابقيت القوات في وضع يشبه الى حد ما حالة توضع فيها معدات في مكان ما بعيداً عن الاشخاص، وبالطبع فإن العمل الجوي ترك أثراً مدمراً على قدرة المناورة الارضية ففقدت القوات المدرعة خاصيتها الرئيسية لأن الموقع الجغرافي والطبوغرافي وموقف الامن الوطني الاعلى يستلزم محافظة العراق على قوة قوية

وسريعة الحركة وهذا يفرض ترشيق القوات المسلحة وليس ترهيلها الامر الذي عجز صدام وما زال عاجزاً عن فهمه رغم الضربات الماحقة على رأسه، فحتى الآن ورغم الظروف السيئة متعددة الاتجاهات فما زال النظام يحتفظ بخمس وعشرين فرقة تشكل اعباء كبيرة على الشعب في كافة المجالات وبخاصة منها الاقتصادية، وعلى مستوى البلد والافراد على حد سواء.

▫▫ افتخار صدام

ان التركيب النفسي لصدام ومستوى تفكيره المتدني في مستويات السوق الاعلى هما اللذان دفعاه للتوسع في القوات المسلحة وعندما نرجع الى احد بيانات القيادة العامة للقوات المسلحة في عام ١٩٨٥ وخلال عمليات شرق دجلة المسماة "تاج المعارك" والذي كتبه صدام شخصياً، نجد اجابة وانعكاساً واضحين لهذا التصور، حيث يقول البيان بوضوح "اننا نفتخر ان لدينا جيشاً له اول وليس له آخر".

وهذه الرؤية الضيقة هي ذاتها التي جرّت علينا البلاء، عندما رفض الطاغية تفحص ابعاد القلق، الخليجي والغربي من استمرار تضخم حجم القوات في اعادة تقييم المُوقف.

▫▫ تقييم الاستخبارات للوضع العسكري

وعقب حرب الخليج الثانية وانتهاء الانتفاضة مباشرة اعددنا (في الاستخبارات) تقييماً شاملاً للوضع العسكري الاقليمي (ايران - تركيا- الخليج والعراق) وتضمن التقرير المؤلف من حوالي مائتي صفحة جداول للمقارنة بين قواتنا وكل طرف من الاطراف، وخلص التقرير الى ضرورة اعادة النظر بالاستراتيجية العسكرية العليا وتقليص حجم التشكيلات الى عشر فرق عاملة في المرحلة الاولى الراهنة على ان يعاد النظر في الوضع العسكري بعد رفع العقوبات التد[illegible]

وبعد بضعة ايام من ذلك تم عقد اجتماع للقيادة العامة للقوات المسلحة لدراسة التقرير، وعقد الاجتماع في قاعة اجتماعات القيادة العامة للجيش الشعبي وهو امر لم يحصل من ذي قبل ويبدو انه اختير لاعتبارات أمنية، وبعد ان قدمت عرضاً بالتقرير بدأ النقاش مفصلاً حول وضع قواتنا، وقد ترأس الاجتماع آنذاك وزير الدفاع حسين كامل الذي كان يشغل منصب نائب القائد العام من دون تسمية رسمية، ولم تبدر منه مواقف مضادة حادة تجاه التقرير وبخاصة ما يتعلق بفقرة تقليص قواتنا. الا انني فوجئت بان احد القادة يعارض الفكرة كلياً، وهي حالة لم تكن ملموسة او معتادة في السابق حيث غالباً ما يتجنب ضباط هيئة الاركان التعاكس والتضاد مع الاستخبارات، الامر الذي ولد شكوكاً من انه مكلف بذلك.. ولكنه وامام حجة النقاش ووجاهة المقترح تراجع دوره في النقاش ولم يعد بامكانه الدفاع عن آرائه فاكتفى بالقول "ان هذا هو رأيه ويحتفظ به"، وفض الاجتماع من دون التوصل الى قرار.

وفي اللحظات الاخيرة دخل افراد الحماية الخاصة قاعة الاجتماعات تمهيداً لحضور صدام الذي اعقبهم بعد حوالي دقيقة واحدة فاستوضح عما كنا نعمل فأوجز له حسين كامل الموضوع، فعقب بقوله لقد عودتنا الاستخبارات خلال حروبنا السابقة على التدخل في شؤون العمليات، ومن حيث المبدأ فلا بد من اعطاء الرأي.. وختم قوله بكلمات معتادة تدل على انزعاج مبطن.. "ايصير خير".

◻◻ "الحرب مستمرة"

وما كدت اشارف الوصول الى مبنى الاستخبارات واذا باشارة لاسلكي رمزية تطلب تغيير الاتجاه الى القصر الجمهوري، فوجدت حسين كامل في انتظاري في مكتب السكرتير، فدخلنا سوية الى مكتب صدام الذي حاول الابتسامة (ابتسامة صفراء كالعادة عندما يكون منزعجاً في داخله)، فطلب مني ان اقدم اليه عرضاً موجزاً عن موقف الاستخبارات حول قوات الحلفاء والموقف شمالي العراق

وعلى الساحة الايرانية، ثم دخل في صلب الموضوع مستوضحاً ما يتعلق بمقترح ترقيق وترشيق واعادة تنظيم القوات المسلحة وكأنه يريد اقامة الحجة من خلال احدث اطلاع مباشر على الآراء والمقترحات وان كنت انا صاحب الفكرة ام قدمت الي من هيئة الركن في الاستخبارات، ولاشك في ان هذا لا يصعب عليه معرفته من خلال ارتباط ضابط أمن الاستخبارات بالأمن الخاص مباشرة، كما انه اعتاد التعرف الى اني دأبت على كتابة التقارير المهمة شخصياً، وبعد ان ألزمت نفسي بكل محتويات التقرير بدأ صدام الحديث باسهاب استخلص منه (عن الذاكرة) ما يأتي (والحديث لصدام):

" ان ما يتعلق بالقدرات العسكرية للاطراف فقد عودتنا الاستخبارات في ان تعطينا تقارير دقيقة من المعلومات والاستنتاجات، ومنذ بدايات الحرب مع ايران اعطيتكم ضوءاً أخضر للخوض في شؤون العمليات والتدخل في غير مهماتكم وحاولت كثيراً ان اشعر العالم بان استخباراتنا كفوءة وقديرة، وتذكر أني قلت في احد احاديثي المذاعة إننا نعرف النوايا الايرانية وكأننا نقرأ في كتاب مفتوح.

" والمرة الاولى التي اردت تحديدكم بعدم التدخل في الشؤون السياسية كانت قبيل ام المعارك لأني كنت استوحي من تقاريركم كأنكم تريدون ان تقولوا علينا الانسحاب من الكويت.. والا فسوف تسقط الدولة.. وترون الان اننا لم نسقط.

الاستخبارات تقترح تقليص القوات المسلحة الى عشر فرق من القوات البرية، وام المعارك ما زالت مستمرة فاننا لم نضح في سبيل ان ينتهي كل شيء بمعركة واحدة حتى وان كانت معركة كبرى عظيمة.. انها مفتاح لمعارك متعددة الاشكال في عموم المنطقة، بل في بقع اخرى من العالم، فلنتصور حال العراق لو اننا ابقينا على عشر فرق فقط.

" اننا قادمون على هيكلة عدد من الفرق واقول هيكلة لاني لا أريد ان اسمع كلمة الغاء، لان الاهداف العظيمة تحتاج الى قوات عظيمة، اننا نفكر في ان يكون لنا نصف حجم الجيش الذي كان قبل بدء ام المعارك، كما ان احد الاسباب التي تدعونا للتقليص هو النقص في الاشخاص والمعدات وهذا لا يمكن ان يستمر الى النهاية بل

علينا ان نفهم بانها مسألة ظرفية مؤقتة ولذلك اقول هيكلة القوات.
ان حاجتنا للقوات ستبقى مستمرة، عليكم ان تساعدوا الاركان العامة في كيفية اعادة بناء القوات وان تراقبوا لنا جدية إجراءات بناء القوات، يجب ان نعيد التصميم باسرع ما يمكن، يجب ان تكون لدينا قوات للدفاع عن كل الاتجاهات وبشكل خاص من اتجاه الشمال هذه المرة.
" الايرانيون لا يملكون الا خيارات محدودة وسيكتفون بالخديعة والتآمر وعلينا ان ننتبه الى ما يدبره الغرب باموال الخليج ضدنا.
" اريدكم ان تتذكروا دائماً ان مشروعنا عسكري وهذا شيء يجب ان يستهويكم لانكم عسكريون، كنت اتوقع انكم ستقفون في الضد من اي مقترح لتقليص القوات، ان الشعب قد اعتاد على العسكرة".
وخرجت من مكتب صدام وقد ازددت قناعة بان كل شيء قد يتغير الا ان افكار الطاغية باقية كما هي ولن تتغير، وعادت بي الذاكرة مرة اخرى الى احد البيانات العسكرية التي كتبها صدام بيده وقد احتوت جملة واضحة تدل على التفاخر في حجوم القوة بقوله "ياحوم اتبع لوجرينا" ولكن الى الجحيم.

❋ ❋ ❋

التنقلات العسكرية داخل العراق

تميزت سياسة صدام الداخلية والخارجية بالبحث المستمر عن عدو ليتمكن من التهويل به من خلال تسخين وتثوير الاوضاع والمواقف في الوقت والمكان اللذين تستدعي رغباته ومشاريعه التسخين والتثوير.

ولقد ارتكب صدام خطيئته الكبرى الاولى عندما اخذته نشوة الظنون في ان سلة من رؤوس منافسيه ومعارضيه، ووعاء من الدماء، ورشوة مستمرة ستكون كافية للاطمئنان على كرسي الحكم، فوجد نفسه مثقلاً بكابوس دفع بانظاره صوب الحدود بحثاً عن عدو خارجي، ينقل اليه معركته مع الشعب العراقي، فوجد في ايران "العدو الاول" ثم الكويت.. ومع هذا كله تضاعفت اعداد اعمدة المشانق وتعددت ساحات الاعدام الى الحد الذي خولت صلاحية الاعدام في مرحلة اواسط الثمانينات الى المنظمات الحزبية البعثية، لاحداث اخاديد من شروخ التفرقة والتمزق واثارة العداوات بين المواطنين، لعله يجد بينهم من يرى مصيره متعلقاً بمصير الطاغية..

وقد ادى هذا الواقع المر الى تزعزع الثقة بين "القائد العام" و قوات المسلحة الوطنية، وبخاصة مع قادتها الذين نشأ العديد منهم متطلعين نحو اهداف انحرف عنها صدام كلياً.

▫▫ إبعاد الجيش عن المدن

وعندما اشتعلت الحرب العراقية - الايرانية، وجد صدام نفسه مضطراً لتوسع غير محسوب في اعداد وتنظيم وتوسيع القوات المسلحة، القى عليه اعباء جدية وثقيلة في ان تكون هذه القوات بعيدة عن المدن، وبخاصة منها بغداد، العصب الاكثر تحسساً من كل العراق، فحرص على دفع القسم الاعظم من القوات الى ساحات القتال وابقاء القسم الآخر بعيداً عن بغداد بشكل لا يمثل تهديداً لأمن النظام، وكان صدام يردد تبريراً لذلك "نحن نسقط على الجبهة وليس الحدود، ولانسقط في الداخل" ومع ان هذا الرأي لا يخلو من الواقعية خلال مراحل الحرب الدقيقة، الا ان صدام اعتاد دائماً الحديث بعيداً عن مقاصده عندما يتعلق الامر بأمن النظام، فان وجود القوات على مقربة من بغداد يعتبر حالة مقلقة لشخص مثل صدام يرتكز حكمه على مقومات الحزم الاستثنائي المستمر.

▫▫ موازنــة معقدة

ان الموازنة بين متطلبات أمن النظام وتماسك الموقف تعتبر مسألة لا تخلو من التعقيد، فالحاجة تدعو الى المزيد من القوات، والقوات المستحدثة للسيطرة على الاوضاع القتالية وسير العمليات على الجبهة الشرقية من العراق، فيما يترك التوسع اثاراً سيئة على خطط أمن النظام داخلياً، لما يولده التوسع من متطلبات وتدابير أمن مركبة وحالة مستمرة من اليقظة والانتباه، تخلف متاعب على الطاغية شخصياً، وتزيد من نغصة الحياة التي يريد ان يحياها.

وعلى اية حال، فقد اصدرت رئاسة الجمهورية توجيهات صارمة حول تنظيم تمركز وانتشار القوات والمناورات العسكرية والتنقل العسكري، بين قواطع ومناطق العمليات الشمالية والجنوبية وكيفية المرور قريباً من مدينة بغداد والتشديد على كيفية صرف الاعتدة والوقود ومعدلات ومبررات الاحتفاظ بها، وما لاشك فيه فان الغاية من هذه التدابير لم تكن ذات طابع اقتصادي كما هو الحال في البلدان الاخرى، بل لاغراض امنية صرفة، وقد تسببت هذه التوجيهات بالعديد من

المشاكل للقادة العسكريين وتعقيداً لحركة المناورة العسكرية خلال اوقات العمليات الحربية الواسعة في الحرب مع ايران.

▫▫ضوابط المرور من بغداد

يعتبر المروز العسكري داخل مدينة بغداد محرماً بصورة مطلقة طوال الليل والنهار وعلى مدار الساعة. وهذا الامر لا يتعلق بكثافة السابلة او تجنباً لاختناقات المرور لان الطرق الرئيسية غالباً ما تكون خالية من الحركة ليلاً او في حالاتها الدنيا، وتتحدد الحركة العسكرية داخل مدينة بغداد بقوات الحرس الخاص حصراً وتحت ظروف أمن مشددة، فما ان تتحرك وحدة معينة من الحرس حتى تدخل الوحدات الاخرى بحالة انذار واستعداد قتالي مشدد، وترافق مجموعات من الأمن الخاص القادة والآمرين شخصياً.

* يجري تطبيق الوصايا التالية للتنقلات العسكرية (الخاصة) داخل مدينة بغداد.

١- يمنع الاقتراب من مناطق القصرين الجمهوريين الأول والثاني.

٢- يمنع الاقتراب من مناطق المخابرات، الاستخبارات العسكرية، الأمن العام ووزارة الدفاع.

٣- تعتبر محطة الاذاعة والتلفزيون في منطقة الصالحية من ضمن نقاط خطة أمن بغداد الحساسة جداً وتفرض تدابير حماية مشددة حولها ويمنع الاقتراب من عموم المنطقة من قبل القوات المسلحة عدا قوة حماية الاذاعة.

٤- يمنع التوقف للقوة المتنقلة داخل المدينة لاي سبب كان.

٥- تتوزع مجموعات من الأمن الخاص والمخابرات في مفارق الطرق المهمة فيما تتولى الاستخبارات اليقظة في مناطق انتشارها الرئيسية.

٦- تسحب قوة الانضباط العسكري وشرطة النجدة وعناصر شرطة المرور من اتجاهات تنقل القوة، ويتولى عناصر من الأمن الخاص (يرتدون ملابس شرطة المرور) تأمين اشارات الدلالة نحو طرق الحركة (التنقل) المسموحة.

٧- يبقى قائد الوحدة الخاصة المتنقلة في مقر مسيطر صغير داخل الأمن الخاص لحين مغادرة وحدته بغداد أو وصولها المنطقة المطلوبة (عدا حالات خاصة).
٨- تُخبر نقاط السيطرة في مفارق الطرق المقر المسيطر بمراحل تنقل الوحدة وفق جداول التوقيتات المحددة.
٩- لا تستصحب الاعتدة إلا لاغراض قتالية محددة وتكون مشاجب ومخازن اعتدة وحدات الحرس الخاص بسيطرة مباشرة من قبل عناصر الامن الخاص.
١٠- ترافق القوة مجموعات من الأمن الخاص الراكبة بعجلات صالون صغيرة ومزودة بأجهزة اتصال مباشر مع المقر المسيطر فيما تبقى شبكة طوارئ الأمن الخاص في حالة من الاستماع المتواصل على اجهزة المفارز.
وعلى العموم فلم تحصل حوادث مهمة من جراء تنقلات الحرس الخاص داخل بغداد وربما يعود احد اسباب ذلك الى قلة عدد التنقلات الجماعية.

◻◻ تدابير استثنائية

اما تنقلات الوحدات والتشكيلات القتالية بين منطقتي العمليات الشمالية والجنوبية فقد حظيت بتدابير امنية اكثر استثناء تشمل ما يأتي:
يمنع استصحاب العتاد الحقيقي في اطراف بغداد من منطقة جلولاء شمالاً (حوالي ١٥٠ كيلومترا) حتى الكوت جنوب بغداد ١٧٠ كيلومترا وقد تسبب هذا الاجراء في احدى المرات بتأخر وصول القوات لتعزيز الموقف القتالي في قاطع زرباطية عام ١٩٨٣ اثناء معارك تموز - يوليو مما سهل مهمة القوات الايرانية في تعزيز اندفاعاتها واحتلال بقع تعبوية مهمة، وقد ادت عملية تسليم الاعتدة في قاطع معين واعادة الاستلام في قاطع آخر الى مضيعة كبيرة للوقت لا تتناسب ومتطلبات المعركة الاساسية التي تقتضي تأمين التسهيلات اللازمة لانجاحها، الا ان سقوط عوارض معينة لا يشكل مشكلة مهمة في نظر صدام رغم ما يسببه ذلك السقوط من ضحايا وهدر لدماء العراقيين، مقابل عدم اعطاء فرصة لاحتمال خلل امني قد يعرض النظام لخطر ما حتى وان كان محدوداً جداً.

* تم شق وتبليط طريق موازية للجبهة وبعيدة عن مدينة بغداد لمنع اقتراب القوات من المدينة وحصرت التنقلات العسكرية على هذا الطريق، ولحسن الحظ فان القوة الجوية الايرانية لم تكن نشيطة بما فيه الكفاية لتجريد الطريق لضعف امكاناتها وقلة اعداد الطائرات الصالحة للقتال، وتمكن قواتنا من تأمين تفوق جوي معين في اوقات ما ويمر هذا الطريق في مناطق مفتوحة وخالية من العوارض والاشجار ما يجعل من القوات والارتال المتنقلة عليه اهدافاً مناسبة للضربات الجوية وعمليات التجريد الجوي، وكان من المفترض ان يجري الاستغناء عن التوجهات الخاصة بتسليم الاعتدة الحقيقية طالما ان القوات لا تجري مرورها من بغداد وتبقى على مسافة عشرات الكيلومترات (اكثر من خمسين كيلومترا) عن المدينة، وقد قدمت مديرية الحركات العسكرية مثل هذا المقترح الى القيادة العامة للقوات المسلحة عن طريق التسلسل الوظيفي وبعد ان عرض المقترح على صدام اثناء تردده الى مركز القيادة الرئيسي، اكتفى بالاطلاع عليه دونما اي تعليق الا انه لم يكن مفاجئاً للاستخبارات وصول اشعار سري من سكرتير صدام يطلب فيه متابعة الاسباب الحقيقية الدافعة الى تقديم المقترح ووضع هيئة الركن تحت دائرة الضوء ولم يمض الا وقت محدود وصدرت اوامر عاجلة بنقل ضابط ركن القسم (صاحب المقترح) ومدير شعبته خارج مركز القيادة الرئيسي وتعيين كل منهما بمنصب ضابط ركن في احدى الفرق، عقاباً لهما لتقديمهما مقترحاً يمس اجراءات الأمن العليا، وبالطبع من دون الاشارة علناً الى السبب، اذ لم تجر العادة على ذكر اسباب التنقلات الا في حالات نادرة جداً.

* تصدر مديرية الحركات العسكرية اوامر التنقل للوحدات العسكرية بين قواطع العمليات وبعد ذلك يجري اعداد جداول بتوقيتات التنقل ونقاط المرور والطرق التي يجب استخدامها في التنقل عليها، وتعطى نسخ من هذه الجداول الى مديرية

الاستخبارات العسكرية (الامن العسكري) والى جهاز الأمن الخاص وآمرية الانضباط العسكري وتتولى كل من هذه الجهات متابعة حركة الوحدات في تنفيذ جداول التنقل بالوصول قبل الوقت المقرر والتوقف في اماكن غير محددة في الجداول، وفي جميع هذه الحالات تمت معاقبة الآمرين بعد استدعائهم للتحقيق وحجزهم لعدة ايام وفي احدى المرات جرت احالة آمر اللواء الى التقاعد لمجرد توقف لوائه في مكان غير مقرر الوقوف فيه على الرغم من انه كان في منطقة بعيدة عن بغداد نسبياً.

▫▫ ملاحظات صدام

ان قليلاً من التقارير الاعتيادية تعرض لاطلاع صدام عليها من قبل الجهات المعنية، الا انه يحرص باستمرار على تثبيت ملاحظات باسهاب وايجاد ثغرات لم تكن تستحق الوقوف عندها، ويريد صدام بذلك اشعار هيئات الركن والأمن بأن الموضوع يحظى باهتمامه الخاص وعليهم ان يتوقعوا حجم العقوبة التي ستقع عليهم اذا ما تسببوا في خرق جوانب الأمن.

* وخلال تنقل القوات المدرعة بين المنطقتين الشمالية والجنوبية فالوصايا تقضي ان تكون الدبابات محملة على ناقلات الدبابات مهما تطلبت ضرورة الموقف التعبوي من اجراءات استثنائية، ولا يكتفي بهذا القدر من الاجراءات بل تقوم طائرات هليكوبتر مجهزة بصواريخ جو – ارض (مضادة للدروع) بالتحليق شبه المتواصل فوق الرتل وتكون وحدات الحرس المدرعة في اعلى درجات الانذار. وبالطبع فان القسم الاعظم من قادة وآمري القوات المتنقلة يجري تنقلهم مسبقاً الى المنطقة المطلوب الحركة اليها ولا يعتبر هذا الاجراء سياقاً تقليدياً لكسب الوقت بقدر ما يستهدف عزلهم (القادة) عن قواتهم في مرحلة التنقل للاخلال بأية نوايا تآمرية لقلب نظام الحكم.

▫▫ اجراءات أمن النظام في انتشار القوات

كان صدام يردد في العديد من الاجتماعات غير المعلنة ان المكان الطبيعي للجيش دائماً هو المكان البعيد عن المدن وان الجبهات هي المكان الانسب والصحيح لانتشار القوات، ولم يكن صدام في هذا قد اتى بشيء جديد من التصورات فالنظم الدكتاتورية المستبدة غالباً ما تبحث عن عدو لها، وعندما يكون العدو خارجياً فانه يخفف من وطأة العداء الداخلي في الظروف غير الاستثنائية، الا ان صدام تفنن كثيراً في المبالغة بطرق المعالجة والتصرف، ولنر بعضاً من الاجراءات الامنية الصادرة عن رئاسة الجمهورية حول الموضوع:

يجري تكثيف حجم القوات في المناطق الامامية على خط التماس بما يؤدي الى تقليص جبهات الوحدات، ويعتبر هذا الاسلوب احد اساليب الحروب القديمة (المسماة حرب المواضع) الناشئة عن فقدان قابلية الحركة العالية وكان من المفترض في ضوء القدرة العالية للحركة لدى قواتنا ان يجري نشر اقل (ما يمكن) من القوات على خطوط التماس، ونشر القوات الرئيسية في اعماق متعاقبة لتخفيف حالة الاستنزاف اليومي وتقليل التضحيات بين صفوف قواتنا، الا ان القرار اتخذ لتجنب بقاء القوات متحررة وبكثافة عالية وعلى مسافة غير بعيدة عن بغداد، كما ان انتشار القوات في المواضع يجعلها منشغلة في الدفاع عن نفسها من الخطر الخارجي المباشر، ويجردها كلياً تقريباً من وسائط النقل وقابلية الحركة الاستراتيجية وحتى التعبوية بالنسبة للكثير من القوات.

واستمر الحال هكذا رغم الاستنزاف متعدد الاشكال وفقدان قواتنا لعنصر المبادأة التي اعتبرت احد اهم مبادئ الحرب وعناصر النجاح فيها، بقي هكذا حتى منتصف عام ١٩٨٧ عندما قدمت الاستخبارات تقديرها عن الموقف وضرورة تحرير عدد من التشكيلات من حالة الانتشار التعبوي الامامي في خطوط التماس واعادتها الى الخلف لاغراض التدريب لتكوين قوة ضربة اساسية لانتزاع المبادرة من القوات الايرانية.

فحصلت موافقة صدام على المقترح وحرص ايضاً على ان تكون هذه التشكيلات مناطق بعيدة عن بغداد وتشديد ضوابط الأمن عليها.

* السيطرة على عمليات التزود بالوقود بشكل يعرقل الحركة الواسعة للمعدات القتالية الى بغداد وتخضع محطات البنزين لاجراءات ومراقبة مشددة من قبل عناصر الأمن الخاص والأمن العسكري بالنسبة للمحطات العسكرية، وبالطبع فان اية حالة املاء لاحواض الوقود تعتبر مؤشراً على وجود نوايا مشكوك فيها تتطلب الرد السريع.

* لا تحتفظ الوحدات الامامية الا بعدد محدود جداً من العجلات كما ان التشكيلات التي تسحب لاغراض التدريب غالباً ما يجري تجريدها من عجلاتها علماً بان الغالبية العظمى من التشكيلات تعاني من نقص كبير في ملاكاتها من العجلات، وعندما يراد تحريك اية وحدات كبيرة من قاطع الى آخر فالامر يستلزم تخصيص عجلات اضافية من سرايا القيادات التعبوية الاساسية للنقل وسرايا النقلية التابعة للمقر العام التي تخضع هي الاخرى لاجراءات أمن ومراقبة مستمرة من قبل عناصر الأمن العسكري ووكلاء الأمن الخاص.

* تخضع التشكيلات المتحررة لسلسلة طويلة من زيارات المسؤولين الامنيين وعناصر الأمن لاشعارها بصورة غير مباشرة انها تحت المجهر وعليها الانصراف الى واجباتها الاساسية.

◘◘النتائج المتحققة لصالح صدام

مما لا شك فيه فان اجراءات الأمن المشددة كانت العنصر الاهم في تعزيز أمن صدام الشخصي وامن نظامه وولدت عقبات عديدة امام اية نوايا او تحركات للاطاحة بالنظام في وقت كانت اطراف من القوات المسلحة والشعب تدين بالولاء لصدام لاسباب عديدة منها ما يتعلق بظروف الحرب مع ايران واستمرار قوة هيكلية الدولة وعدم تعرض البلد لنكبة كالتي حصلت بعد اجتياح للكويت.

الا ان المعطيات تغيرت بشكل جذري بعد هزيمة صدام في الكويت، فلم يعد هنالك ولاء بالمفهوم المتعارف عليه ولم تعد هنالك تضحية ولا حرص في سبيل استمرار حكم كان في يوم ما يعتقد انه حكم الحزب، ولم تعد السياقات تحظى بتلك الدرجة من الالتزام الصارم.

◻◻ .. ولكن، ماذا تحمّل العراق؟

لقد تحمل العراق خسائر فعلية كبيرة تسببت فيها سياقات الطاغية وفلسفة أمنه بمشاغلة الجيش في حروب كانت نتائجها الاستراتيجية مدمرة للعراق، ومن بين تلك الخسائر:

١- تكبد قواتنا خسائر بشرية جسيمة نتيجة تكديس القوات في المناطق الامامية خلال الحرب العراقية-الايرانية مما جعلها عرضة للقصف المستمر، فلم يمر يوم واحد طيلة حرب السنوات الثماني الا واصبح العديد من جنودنا ضحايا بين جريح وقتيل فضلاً عن الخسائر بالمعدات.

٢- اثرت سياقات أمن النظام على نظرية سوق الجيش واساليب القتال سلباً مما ادى الى فقدان زمام المبادرة واطالة امد الحرب.

٣- تسببت في تعقيد الحركة العملياتية وتأخير علميات المناورة بين قواطع العمليات وترتب على ذلك فقدان اراض وطنية دفعنا دماء لاستعادتها من سيطرة القوات الايرانية.

◻◻ معنى السياقات الامنية

اذا كانت للسياقات الامنية المذكورة معان حقيقية فان لها معنى واحدا وهو ان صدام لا يثق مطلقاً بالقوات المسلحة وقادتها (بالطبع) بل وحتى بأمنه الخاص، فهل هذه اذن قوات صدام؟ الجواب المنصف، لا، الا انها ما زالت مغلوبة على امرها وهذا لن يستمر طويلاً واذا كان صدام لا يثق بالقوات المسلحة، فهل

ستتاح له فرصة الاستمرار بمسك كرسي الحكم بقوة، بعد هذا التمزق الكبير الذي حدث في العراق؟.

❋ ❋ ❋

السياسة النقدية

تتابع اجهزة الاستخبارات في العالم الاوضاع الاقتصادية في البلدان التي تشكل اهدافاً لنشاطاتها الاستخباراتية، ويشكل الاقتصاد ركناً اساسياً من اركان القدرة القتالية لأي بلد او منظمة او جماعة. ويقع الجانب المالي والسياسة النقدية ضمن النشاطات المتعلقة بالاقتصاد، ليعطي ذلك في المحصلة صورة معينة عن الاوضاع في بلد ما.

واذا كانت السياسة النقدية والمالية في العراق لم تظهر تخبطاً حقيقياً في العقود الماضية رغم تكاليف الحرب فان الفضل في ذلك لا يعود الى قدرة النظام ومؤسساته المالية، وانما الى توفر انسياب الاموال الى العراق من خلال القروض متعددة الاوجه والمساعدات الخليجية لدعم المجهود الحربي العراقي مع ايران في عقد الثمانينات.

فما كانت اسابيع قليلة تمضي على فرض العقوبات التجارية في آب - اغسطس ١٩٩٠ حتى أخذ التخبط يطفو على السطح تدريجياً، فبدأ التضخم الاقتصادي يتصاعد وتراجعت قيمة العملة الوطنية الى درجة كارثية، وسنحصر الحديث هنا في موضوع، تذبذب اسعار العملة، والموقف من الذهب والطباعة والتزييف واساليب مكافحة التضخم والاثار المترتبة على الوضع العام في العراق.

▫▫ طباعة العملة وتزييفها

نظراً لتخلف الطباعة الفنية الدقيقة في العراق جرت العادة على طبع العملة العراقية خارج العراق (في بريطانيا..) وتتميز العملة الورقية العراقية بجودة الورق وطريقة الطباعة بشكل يجعل تزييفها حالة معقدة جداً بالنسبة للافراد وحتى من قبل بعض من الدول.

ونتيجية للعقوبات التجارية توقف استلام العراق للكميات المطلوبة لتأمين السيولة النقدية في البلد، فاصدر صدام قراراً الى حسين كامل للاشراف المباشر على التحضير لطبع العملة محلياً، وطبقاً لذلك تمت تهيئة ثلاث مطابع رئيسية تقع واحدة منها في بغداد (شارع العمل الشعبي) والاخرى على طريق المطار الدولي، وتولت هيئة التصنيع العسكري تنفيذ المشروع ويؤشر بطبع الاوراق النقدية من فئة ٢٥ ديناراً و٥٠ ديناراً و١٠٠ دينار ثم عشرة دنانير وخمسة دنانير ودينار واحد ثم ٢٥٠ ديناراً.

وفور وضع العملة المطبوعة محلياً قيد التداول بدأت عمليات التزييف من اربعة اطراف:

- طرف داخلي وهم الاشخاص الذين استغلوا سوء طباعة العملة فبدأوا بتزييفها للحصول على مصدر اثراء سريع.

- طرف خاص من المقربين الى الدائرة الخاصة من العائلة في تكريت للاثراء السريع متخذين من صلاتهم بالنظام غطاء لتحركاتهم واعمالهم.

- طرف عراقي من خارج المناطق المسيطر عليها، (من بين الاحزاب الكردية).

- طرف خارجي تعمد اثارة الفوضى الاقتصادية حيث اعطى علامة خفيفة تدل على ان العملة مزورة فقد طبعت كلمة بنجون بصورة مصغرة جداً ودقيقة على الورقة النقدية من فئة ٥٠ ديناراً وهي تعريف لغوي لرقم (خمسون) نحو كلمة مقاربة في اللغة الفارسية، ولولا هذا التمييز المتعمد لما امكن كشف التزييف حتى من قبل المصارف الحكومية، الا انه بقي ساريا على عامة المواطنين، وقد ادت

عمليات التزييف الواسع للاوراق من الصنف الكبير (١٠٠ ـ ٥٠ ـ ٢٥) الى فقدان الثقة فيها وبدء التوجه للتخلص من العملة بشراء المواد او العملات الاجنبية والذهب، ما زاد من حالات الاقبال على الشراء فيما يعاني العرض من نقص متزايد، الامر الذي اسهم اسهاماً كبيراً في تصاعد معدل التضخم الخطير.
وتجنباً للوقوع في مصائد التزييف شجعت الدولة المواطنين على التعامل بالشيكات العراقية، فأوقعتهم في مصيدة ومصيبة اخرى بتبنيها سياسة منهجية محددة بتجميد ارصدة المواطنين لفترات طويلة، والغاء حق السحب بين فترة واخرى، وبما ان قيمة الدينار كانت في حالة تراجع شديد فقد خسر عشرات الالاف من المواطنين القدرة الشرائية لاموالهم، فالذي اودع مائة ألف دينار في وقت كانت فيه قيمة الدولار عشرة دنانير، وجد نفسه في حالة افلاس تام عندما اصبح سعر الدولار خمسمائة دينار، وبذلك حصل على مائتي دولار من اصل ما يعادل عشرة آلاف كان قد اودعها. واذكر ان احد الاشخاص أودع مبلغ ستمائة الف دينار في حساب ابنه القاصر قبل اجتياح الكويت وكانت تعادل حوالي خمسمائة الف دولار اميركي آنذاك، ونتيجة التضخم اصر على مواصلة الطريق عسى ان يستعيد الدينار عافيته، واذا هي اليوم تعادل اقل من اربعمائة دولار فقط.
وبالطبع فقد افقدت تعليمات صدام وسياسته النقدية المصارف العراقية الثقة بشكل جذري وادت الى تحطيم اقتصاد المواطنين اكثر ما حطمهم اي سبب آخر.

◻◻ اختلال الرواتب

ان تدهور سعر الدينار والتذبذب في الاسعار تركا اثاراً مدمرة على الحالة الاقتصادية بصورة عامة، وهي على اي حال تمثل اضراراً للنظام وللمواطنين وبنية الدولة ايضاً.

فعلى المستوى الوظيفي تدهورت رواتب الموظفين بطريقة مفزعة واذكر مثالاً حياً يتعلق بيّ شخصياً فعندما كنت ملازماً في الجيش قبل انقلاب يوليو - تموز ١٩٦٨ كنت اتقاضى راتباً شهرياً قدره ستون ديناراً اي حوالي ١٨٤ دولارا ويعتبر هذا المبلغ معتدلاً لحياة اعتيادية، وبعد اجتياح الكويت كنت اتقاضى راتباً قدره ٥٧٠ ديناراً اي مايعادل ١١٤ دولارا من ضمنها مخصصات مدير الاستخبارات وانا برتبة لواء ركن وقد استلمت آخر راتب شهري من بغداد في شهر ٩٤/١١ وقدره ٩٦٦٥ ديناراً وسعر صرف الدولار ٥٧٠ ديناراً، اي ما يعادل اقل من سبعة عشر دولارا. وهذا الرقم يعتبر مثالياً في الجيش لانه يشمل مخصصات مدير استخبارات ٢٠٠٠ دينار ومخصصات اصدقاء صدام اي حملة الاوسمة والانواط (مائة وخمسون بالمائة من الراتب الاصلي) ومخصصات ارزاق اضافية ٢٠٠٠ دينار واذكر ان احد ابنائي اشترى سروالاً اعتيادياً (جينز) فتطلب الامر ان ازيده الف دينار فوق الراتب لاتمام سعر الشراء، واذا كانت لشخص مثلي القدرة على تمشية اموره مما توفر سابقاً فلنرَ انعكاسات الحالة على ضباط الجيش وسائر الموظفين، وكان هذا عنصراً اساسياً من العناصر المهمة والاساسية في تدمير بقايا الصلة بين صدام والعراقيين.

▫▫ اسباب تراجع قيمة العملة

لا شك في ان العقوبات التجارية كانت السبب الأول والرئيسي في التراجع الخطير للعملة الوطنية بعد اجتياح الكويت، الا ان السياسة النقدية والاقتصادية عموما للنظام تسببت في زيادة آثار ومضاعفات العقوبات ويمكن ان نشخص منها ما يأتي:

* تبني العائلة المتسلطة سياسة منهجية محددة في الاستحواذ على كميات الذهب المطروحة في السوق المحلية بصورة بطيئة الا انها مستمرة ولا يكاد يمر يوم واحد الا وعملاء العائلة يواصلون شراء الذهب من محلات الذهب وبمعدل يزيد

على عشرة كيلوغرامات يوميا، علما بأن في العراق خمسة آلاف محل ذهب رسمي حصلت علىاجازات رسمية من وزارة التجارة والبنك المركزي، ويبلغ معدل الحجم حوالي سبعة كيلوغرامات من الذهب لكل محل من محال الذهب.

◻◻ القرار الغبي

ويذكر ان "رئيس جمهورية العراق" اكتشف للمرة الاولى عام ١٩٨٩ ان دخول الذهب الى العراق كان ممنوعا ما يزيد عن حوالي ٢٥٠ غراماً للفرد، وقد تطرق الى ذلك في اجتماع لمجلس الوزراء ترأسه هو لم يجر بث تفاصيل الحديث اعلامياً فيما ارسلت نسخ مكتوبة منه الى الاجهزة الامنية للاطلاع عليه، تطرق الى ذلك بوصفه للقرار بانه "قرار غبي".. ويدل على غموض في تخطيط السياسة والبرامج الاقتصادية والمالية.. وعزا ذلك الى تراكمات الماضي، وعبر عن انزعاجه من ان احدا لا يكتشف مثل هذه الاخطاء الى ان يكتشفها هو بنفسه، وان كان احد من غير الاجهزة الامنية يمكن ان يصدق ادعاءات صدام فان المطلعين من تلك الاجهزة يعرفون جيداً ان هنالك تقارير شهرية ترفع الى رئاسة الجمهورية من قبل اجهزة أمن المطار الدولي، تحتوي تفاصيل المواد والقطع الذهبية المصادرة التي يحملها المسافرون القادمون الى العراق والتي تتجاوز الحد المسموح، واذا كان رئيس الدولة قد استغرق اكتشافة للقرار الغبي (على حد وصفه) اكثر من عشرين عاماً، فمتى سيكون التغيير في سياسته من الاحتمالات المعقولة؟!.

◻◻ ذهب عدي

* لقد اضطرت الظروف الحياتية المواطنين لبيع مدخراتهم الذهبية كلا حسب حاجته، وكان من شأن هذه الانسيابية المحافظة على نوع من التوازن في الوضع المعاشي بما ينعكس على سعر صرف الدينار الا ان امتصاص العائلة

للذهب وبخاصة منهم عدي تسبب في زيادة الطلب على الذهب مما ادى الى زيادة اسعاره والى زيادة مرادفة في قيمة الدولار مقابل الدينار.

وقبل الانتقال الى فقرة اخرى لا بد من الاشارة الى ان صدام يتبع اسلوباً معلوماً في توجيه اللوم والنقد الجارح الى الآخرين ليصب اهتماماً على ما يجري تحقيقه لاحقاً، فقد سبق ان اتبع مثل هذا الاسلوب مع وزارة الصناعة عام ١٩٧٥ حيث كان صدام منزعجاً من وزير الصناعة آنذاك (طه الجزراوي) المحسوب ولاؤه الى أحمد حسن البكر وكرهه كل ماهو تكريتي من غير البكر. فرتب صدام ندوة تلفزيونية مفتوحة وجه خلالها نقداً لاذعاً للمشاريع الصناعية وتقرر بعد ذلك نقل الجزراوي (الذي وضع اللبنات الاولى للتصنيع العسكري من خلال المؤسسة العامة للصناعات الفنية)، الى وزارة الاسكان والتعمير (الوزارة غير المهمة)، وكان الجميع يتوقعون ان رأس الجزراوي اصبح مطلوباً، الا ان قربه من البكر ساعده على البقاء، وبعد فترة قصيرة تم ايفاده الى احدى المؤتمرات العربية العليا وعاد الى بغداد محملاً بموقف جدال ومشاحنة مع الوفد السوري فاخذ تلفزيون النظام يواصل بثه لعدة مرات، ولكون المشاحنة مع الوفد السوري تتناسب مع افكار صدام فقد قام بزيارة طه الجزراوي في وزارته راداً له الاعتبار وبدأ بتقريبه منذ تلك الحادثة.

* تسببت السياسة المصرفية المتعلقة بتجميد حق السحب لارصدة المواطنين في التوجه لشراء الدولار ولما كان المعروض محدوداً فقد اختل التوازن على حساب العرض.

□□ سحب الدولارات

* قيام وزارات واجهزة تابعة للدولة بشراء احتياجاتها من الدولار من السوق المحلية، ثم منع ذلك من قبل عدي الذي تولى توجيه اللجنة الاولمبية للتدخل اليومي المستمر في سوق الدولار غير الرسمي، حيث يجري ترويج اشاعات مسبقة عن دخول كميات كبيرة من الدولارات المزيفة الى القطر من روسيا

واحياناً من دولة عربية عن طريق الاكراد وتعزيز هذه الاشاعات بتقارير خبرية ومعلوماتية تنشر على صفحات الجرائد الرسمية وبعد ذلك مباشرة تتولى اللجنة الاولمبية ضخ كميات محددة من الدولارات الى السوق في آن واحد، مما يحدث فزعاً اقتصادياً في السوق يتسبب في انهيار قيمة الدولار مقابل الدينار، وتتولى مجموعات جديدة عملية شراء سريع تحت تأثير الصدمة، فما ان تعود اسعار الدولار في الارتفاع الا ويكون آلاف المواطنين قد خسروا نسبة كبيرة من اموالهم كما ان النظام يستغل باستمرار المراجعة الستينية (كل ستين يوماً) للعقوبات فتبدأ الصحافة ويبدأ مروجو الاشاعات باشاعة الأمل بأنه من المتوقع حصول تخفيف للعقوبات ولذلك يبدأ المواطنون ببيع ما لديهم من دولارات ولترتفع الاسعار بعد ان تصل الى جيوب العائلة المفسدة.

* الطبع والضخ غير المسيطر عليها من العملة المطبوعة محلياً وهذا يأخذ طريقه الى السوق ومعادلة الدولار من خلال:

أ- زيادة رواتب الموظفين وهذا يعني زيادة الاستهلاك للمسائل الاساسية وغير الاساسية ونتيجة قلة العرض تبدأ المعادلة بحركة سريعة جداً لصالح زيادة الاسعار، وكان الحل المفترض في ظروف الحصار تأمين الحصة الغذائية وقدر من المواد المهمة بدل زيادة الرواتب.

ب- المشاريع الخاصة والقصور الرئاسية وما تطلبته من مصروفات استثنائية بالعملة الصعبة لاستيراد مواد البناء وبلايين الدنانير المطبوعة محلياً لاغراض العمالة، وقد اسهمت مشاريع اخرى في هذا الاتجاه الخاطئ ومنها برج بغداد - الجسر ذو الطابقين.. الخ.

ج- المكافآت المالية التي يصرفها الطاغية لمحاولة تأمين ولاءات جديدة.

د- طرح العائلة لكميات كبيرة من العملة النقدية الاصلية تسبب ايضاً في اضعاف قيمة العملة المطبوعة فقد بلغ الفارق بين العملتين من صفر في بداية الطباعة الى ٦٠ ضعفاً للدينار الواحد من العملة الاصلية مقابل المطبوعة محلياً.

هـ- قيام اجهزة الدولة بتأمين احتياجاتها من المواد المختلفة من الاسواق المحلية وأدى هذا الاجراء الى حصول نقص مستمر في تلك المواد وسحب مستمر للعملة الصعبة لدى القطاع الخاص رغم شحتها.

◻◻ المصاريف العسكرية

استمرار العمل في المشاريع العسكرية مما يؤدي الى استنزاف مستمر للعملة الصعبة وزيادة ضخ العملة المطبوعة محلياً لتغطية النفقات وشراء آلاف السيارات المدنية ولاغراض عسكرية منذ فرض العقوبات.

وفي الاشهر القليلة الماضية وصلت ٥٠٠ سيارة كورية وزعت بصورة خاصة.

* التأخر في تطبيق القرارات الخاصة بتأمين الغذاء والدواء منذ عام ١٩٩١ حتى نهاية عام ١٩٩٦ حرم العراق من اكثر من عشرة بلايين دولار كان المفترض ان تؤدي الى حالة من الاستقرار النسبي بقيمة الدينار.

◻◻ اساليب مكافحة التضخم

نتيجة للتخبط في التخطيط والتنفيذ للسياسة الاقتصادية المالية فقد حقق التضخم معدلات ربما تكون الاعلى في العالم اذا ما حسبت الموارد المتيسرة رغم الحصار المفروض على العراق. ولمحاولة معالجة الموقف اتخذ النظام سلسلة من الاجراءات ادت فعلا الى كبح جماح الدولار نسبياً الا ان المتحقق كان دون المستوى المطلوب بكثير وألحق ضرراً فادحاً بالمواطنين.

وقد شملت هذه الاجراءات ما يأتي:

١- زيادة اسعار المحروقات النفطية والكهرباء.

٢- زيادة معدلات الضرائب.

٣- فرض رسوم عالية على كافة المعاملات الادارية.

٤- فرض رسوم على السفر خارج العراق تبلغ ٤٠٠٠٠٠ اربعمائة الف دينار لمن يزيد عمره من ١٦ سنة و ٣٠٠٠٠٠ ثلاثمائة الف دينار لمن يقل عمره عن ١٦ سنة.

٥- منع استيراد العديد من الفقرات التجارية.

٦- بيع غالبية السيارات المدنية العائدة لدوائر الدولة وترك الموظفين يتنقلون على نفقاتهم الخاصة رغم سوء احوالهم المادية.

٧- بيع المزيد من معامل الدولة على شكل اسهم لسحب اكثر ما يمكن من العملة المحلية، وفي النتيجة شلت القدرة الانتاجية لتلك المعامل.

٨- إرغام الاغنياء والتجار على تقديم التبرعات بمبالغ كبيرة وتهديدهم بمصادرة اموالهم في حالة الرفض.

٩- بيع المباني والمنشآت الحكومية.

١٠- مواصلة تجميد ارصدة المواطنين بين فترة واخرى واحياناً التذرع بعدم توفر عملة لدى المصارف دون الاشارة الى تجميد الارصدة.

١١- اعتماد صدام مبدأ التكريم المادي بتوزيع الاراضي الزراعية والسكنية بالتكريم بالمبالغ النقدية فيما كانت الاراضي في السابق توزع في نطاق محدود جداً.

▫▫ شركات عدي

١٢- تكوين شركات تجارية وهمية تقدم ارباحاً خيالية للمساهين بأموالهم فيها، وتقوم هذه الشركات بتوزيع نسب محدودة من الارباح لاعطاء مصداقية معينة لاعمالهم، ثم تختفي هذه الشركات والاموال مباشرة ولا يجد اصحاب الاموال اثراً لأموالهم، ولم تكن هذه الشركات الا وليدة افكار عدي مباشرة.

١٣- توجيه ضربات متلاحقة الى التجار بتهمة المضاربة بالاسعار وتخريب الاقتصاد الوطني ومصادرة اموالهم وهذا غالباً ما ينطبق على العاملين بالعملة الصعبة وتجارة المواد الغذائية وتفرعات السيارات.

ومع هذا كله فان سعر الدولار الحالي يعتبر مرتفعاً جداً (١٧٥٠ ديناراً)، وان المشكلة الحقيقية اخذت تكمن في قلة السيولة النقدية المحلية ايضاً ففي الوقت الذي كان سعر الدولار ٣٢٠٠ دينار كانت لدى المواطنين سيولة محلية بالدينار تساعدهم على الحركة والعمل، فيما تآكلت تلك السيولة جراء اجراءات النظام القاسية والتذبذب في اسعار العملة الذي استهدفه النظام لاسباب دنيئة.

□□ القلق والفوضى

لم يعد القلق مصدر الازعاج اليومي للاشخاص من ذوي التوجهات السياسية المناوئة فحسب بل انتقلت عدواه الى كل فرد في المجتمع من خلال البيئة المعيشية، فابقاء العملة في المضاربة يعني ضياعها كلياً، وشراء الدولار والذهب والتعامل بهما يقع ضمن دائرة الممنوعات والبيع والشراء بهما امام تجنب الاسعار يعرض المواطنين الى خسائر فادحة، وفوق هذا كله فان التاجر الكبير والمواطن البسيط الذي يسعى لتأمين لقمة العيش لاطفاله لم ينجوا من فوضى النظام وطغيانه، ففيما يتعلق بالتعامل بالدولار فان اجهزة الأمن الخاص والمخابرات والأمن الاقتصادي غالباً ما يقومون بتوجيه ضربات سريعة مباشرة الى المناطق التي يجري فيها تداول الدولار والاستيلاء على المبالغ الموجودة بحوزة الاشخاص بعد اعطائهم وعوداً بالامن والسماح لهم بالبيع والشراء في اماكن محددة قرب جهاز المخابرات في المنصور وفي شارع غازي (الكفاح) ولحسن حظ هؤلاء المواطنين ان الذين يجردونهم من اموالهم غالباً ما يتركونهم بعد بضعة امتار بعد طرح الخيار لهم في ان يبقوا ملازمين لاموالهم فتجري احالتهم الى المحاكم الخاصة بتهمة التخريب الاقتصادي (وعقوبتها معروفة - الاعدام)، او ان يتركوا الاموال لمن استحوذ عليها مقابل الافراج عنهم خلال الطريق ويصادف هؤلاء الاشخاص عناصر من الاجهزة اقل جشعاً (ونفوذا) فيتفقون معهم على مناصفة المبلغ.. وهكذا..

▫▫سرقة محلات الذهب

اما الحوادث التي تقع لاصحاب محلات الذهب فتأخذ ابعاداً اخرى ذات طابع فني مميز، فقد حصلت ثلاثة حوادث في بغداد في يوم واحد في شهر اكتوبر - تشرين اول ١٩٩٤، وابتدأت بدخول عناصر ترتدي الملابس العسكرية زيتونية اللون وهو الزي الخاص للاجهزة الخاصة، الى ثلاثة محلات وغلق الابواب الزجاجية من الداخل، وطلب من اصحاب المحلات جمع القطع الذهبية ووزنها اجمالاً، ووضعها باكياس كانوا يستصحبونها معهم، وتنظيم وصولات بكمية الذهب التي جرى جردها، والتوقيع على الاستلام من قبل رئيس المجموعة تحت اسم رمزي، وقد حاول اصحاب المحلات الثلاثة كل على انفراد استخدام اجهزة الهاتف فوجدوها معطلة من مصادرها.

وبعد ذلك يجري اقتياد صاحب المحل الى سيارة لاندكروز تقف على مسافة قريبة، مع الذهب المستولى عليه ويجري تقييده بوضع القابضة المعدنية في معصميه ويؤخذ معهم من دون ان يفوت المجموعة اخبار المحلات المجاورة بانه شخص مطلوب للعدالة، وفور مغادرة السيارة يجري عصب عينيه ويلقى على قارعة طريق فرعي بعد دقائق من ذلك، وقد بلغت كمية الذهب المسروقة من المحلات الثلاثة حوالي مائة كيلو غرام لان الجناة اختاروا من الاهداف افضلها.

ويلاحظ من سياق الاحداث ان المجموعة كانت تتصرف بحالة غير معتادة من هدوء الاعصاب وهي حالة تكاد تكون مفقودة في العراق لمثل هذه الافعال، كما ان تعطل الهواتف في المحلات الثلاثة في آن واحد رغم تباعدها وارتباطها بأكثر من بدالة (مقسم) تعطي مؤشراً واضحاً على ان طرفاً معيناً يقف وراء الجريمة، ومن دون مغالاة فان احداً غير عدي وقصي لا يمتلك الصلاحية للقيام بمثل هذه الاعمال، لقد شاءت الاقدار ان اغادر العراق قبل ان يحين الوقت المناسب للتقصي عن خلفيات ما حصل، الا ان احد التجار المنكوبين كانت لي معه سابق معرفة، وهو كأحد العراقيين واسوة بهم كان يتعمد تشجيع الفرق الرياضية التي تدخل في مباريات بكرة القدم ضد فريق الزوراء الذي يتبناه النظام

(عدي – اللواء عبد حميد- ارشد ياسين مرافق صدام الاقدم في ذلك الوقت) والتبرع السخي الى تلك الفرق، وكنت اعرف ان هذا الشخص لم يكن رياضيا، وهو بذلك يحذو حذو العراقيين الآخرين بتحويل الرياضة الى حالة مقلقة للنظام حيث يريدها النظام لصرف انتباه المواطنين فيما يسوقها الشارع العراقي الى كره علني للنظام.



كوكبة شهداء سامراء

خلال عقد الثمانينات وفي ذروة مرارة الحرب العراقية - الايرانية كنت (وتكاد في كل مرة) اذهب الى مزرعتنا قرب سامراء، لتنفس الصعداء من ضغوط الحرب ومتابعاتها الاستخباراتية المتعبة، يفاجئني احد ابناء عمومتي في المجيء الى المزرعة، ولم اشاهده يوماً الا حاملاً مسدساً معه، وفي احيان كثيرة كان مولعاً في الحصول على قطع متميزة من السلاح ويعرض رغبته في المباراة بالرماية، وباستثناء حالات معدودة فقد كان يسجل اصابات دقيقة ودقيقة جداً، وفي احدى الرمايات اصاب هدفاً ما كنت اظن انه قادر عليه، فأثنيت عليه، وفوجئت بقوله: "اذاً انك تقر بصلاحيتي للعمليات الخاصة".

ولمعرفتي بكرهه لصدام ولحساسية موقفي في الاستخبارات ، ولظروف واعتبارات عديدة تجاهلت ما سمعت آنذاك الا ان كلماته ظلت مطبوعة في ذاكرتي.

لقد عمل هذا الشاب، طلال اسماعيل السامرائي، في تجارة السلاح، وحب المغامرة ضمن حدودها الاخلاقية، وتسبب حادث انقلاب سيارة كان يقودها الى قطع يده اليسرى من قرب الكتف، ولم يؤثر هذا الحادث على رغباته وتوجهاته، وبقيت مهاراته في الرماية تزداد قوة ودقة ويبدو ان هذه القدرة، وايمانه الراسخ الذي دفعه للحرص على اداء صلاة الفجر في المساجد حتى في ليالي الشتاء القاسية، كانا يشدانه نحو هدف سام كبير.

وفي اواخر اغسطس ١٩٨٨ وبينما كنت احزم حقائبي للسفر الى جنيف للمشاركة في جولة المباحثات العراقية - الايرانية الاولى، جاء الي طلال ليبلغني ان اخاه

رشيد قد اعتقل من قبل المخابرات بطريقة قاسية، وليطلب مني التدخل، بيد انـي لم تكن امامي سوى بضع ساعات، وبعد يومين من ذلك اتصلت مـن جنيف بـاحد الاشخاص الذين يتردد اليهم طلال، فـابلغني ان طـلال قد اعتقل هـو الاخـر وان عدد المعتقلين تجاوز المائة شخص.

◘◘ محاولة اغتيال صدام

وبعد عودتي من جنيف وجـدت امـامي قصـة تشير الـى وجـود محاولـة لاغتيـال صدام اعتقل جراءها اكثر من مائة شخص منهم: عبدالله السلوم السامرائي عضو قيادة قومية وامين سر قيادة قطر العراق ووزير اعلام سابق، واحمد طه العـزوز العضو القيادي في الحزب وهو الشخص الذي اخرج الرصاصة من ساق صـدام اثناء اصابته خلال عملية محاولة اغتيـال عبد الكريـم قاسـم ١٩٥٩، علـي حسـن عليان السامرائي عضو قيادي ومسؤول بغداد - الكرخ عام ١٩٦٨ - قبلها وبعدها - لحزب البعث العربـي الاشـتراكي، اللـواء الركـن داود الجنـابي، العميد الركـن محمد صـالح السـامرائي: الشـخص المقرب الـى عـدنان خيرالله وزيـر الدفـاع، اللواء الطيار الحكم حسن العلي التكريتي معاون قائد القوة الجوية للدفـاع الجـوي آنذاك (اعتقل ١٤ يوماً)، العميد الركـن اسـامة صبحـي السـامرائي، اللـواء عـادل السامرائي (اعدم عام ١٩٩٠)، العقيد استخبارات حـامد عبد الكريـم السـامرائي، العميد فكرت (اعدم عـام ١٩٩٠)، رشـيد اسـماعيل السـامرائي، طـلال اسـماعيل السامرائي.

وادّعى العميد فكرت، ورشيد اسـماعيل السـامرائي بـأني انـا الـذي اعددت خطـة الانقلاب وارسلتها الى علي عليان، ومن المحدد بموجب خطة الانقلاب ان اصبح وزيراً للامن القومي (المنصب غير الموجـود حتـى الآن فـي العـراق)، وللحقيقـة فان الادعاء لم يكن صحيحاً، وبعد ان سـأل المحققون العميـد فكـرت ان كـان قـد التقى معي في السابق فأجاب بالايجاب، فعرضوا عليه عشر صور لعشرة ضبـاط برتبة عميد ركن طالبين منه تحديد صورتي، فانهار رحمه الله بعد تحقيق طويـل

ووفقاً لهذه الواقعة اعترف بعدم صحة الادعاء. وقد اخضع طلال لاستجواب مركز حول الادعاء ونفى وجود اية علاقة لي بالموضوع، واسندت اليه تهمة اضطلاعه بدور فعال في العملية لتطوعه بضرب سيارة صدام اثناء مرورها وهو بداخلها باستخدام قاذفة صواريخ ضد الدبابات من طراز RBG7، فعذبوه تعذيباً متواصلاً لعدة اشهر من دون ان ينظروا الى حالته الجسمانية وقطع ذراعه اليسرى من قرب الكتف.

▫▫ اطلاق المعتقلين

ولعدم ثبوت الادلة، ولصدور عفو عام بعد اجتياح الكويت، تقرر اطلاق سراح كافة المعتقلين عدا اربعة منهم جرى اعدامهم، وقد فقد كل من المعتقلين من جسمه حوالي نصف الوزن ولم يعرف ذووهم عنهم شيئا منذ اعتقالهم حتى اطلاق سراحهم.

ولقد اطلعت على الموقف الشجاع للمعتقلين وبخاصة منهم علي حسن عليان وطلال اسماعيل والعقيد استخبارات حامد عبد الكريم، وبعد بضعة اشهر من اطلاق سراحهم وعقب حرب الكويت، بدأت اتصالاتنا السياسية تأخذ مدى اوسع في سبيل خلاص الشعب.

وفي عام ١٩٩٢ وعندما طرح الرئيس الاميركي جورج بوش فكرة المنطقة الآمنة في جنوب العراق جاء الي علي حسن عليان (ابو الوليد)، مقترحاً التنسيق وكنت قد ارسلت اليه من قبل من يستطلع رأيه دون الاشارة الي، ومن ذلك الوقت بدأنا تنسيقاً سياسياً مركزاً.

▫▫ محاولة اغتيال عدي

وجاءت عملية محاولة اغتيال عدي ابن الطاغية، التي وان كانت قد فشلت في قتله، الا انها حولته من نزق متهور ومتجبر على طريقة ابيه، الى شخص معاق سيبقى الذعر يملأ وجهه المصدوع حتى النهاية المحتومة، وفي ذلك اليوم كنت موجوداً

في دمشق ولم يكن لي سابق علم بهوية المجموعة التي نفذت العملية وكل ما في الامر اني كنت على علم داخل العراق ان حركة سياسية تطلق على نفسها اسم "الجبهة الديموقراطية الموحدة" كانت تراقب تحركات عدي عن كثب في منطقة الكرادة الشرقية، والمنصور، وهذا لا يعني ان هذه المجموعة هي التي نفذت العملية، فقد اعلن حزب الدعوة الاسلامية مسؤوليته عن العملية في حينها.

وعلمت بعد محاولة اغتيال عدي بحصول اعتقالات واسعة في المنطقة الوسطى ومدينة سامراء خصوصاً وهو ما اعلنت عنه في الاسبوع نفسه.

وابتداءً لا بد من الاشارة الى ان احد المعتقلين المقدم استخبارات علي أحمد محمد السامرائي الذي سبق ان شغل منصب المرافق معي عندما كنت مديراً للاستخبارات العسكرية العامة، وبعد تركي الاستخبارات الى ديوان الرئاسة بقي على حالته بل ازداد وفاء واخلاصاً في متابعة نوايا النظام الموجهة ضدي، وكان له الفضل في تنبيهي الى اجراءات المراقبة وما تم من تدابير لاغتيالي، وقد ساعدتني معلوماته الوثيقة على اتخاذ القرار في مغادرة العراق، وبعد مغادرتي الى شمال العراق ثم الى سوريا وفي عمان على حد سواء واصل تزويدي بأروع ما يمكن من تقارير الاستخبارات عن نوايا النظام ونشاطاته وعن محاولات الاغتيال التي احبطت في كردستان العراق وغيرها، فكان قدوة حسنة بكل ما تحمل الكلمة من معان لرفاق له ساروا على طريق النضال من اجل الحرية الذين سيبقون يقضون مضجع الطاغية ويكشفون نواياه الدنيئة تجاه الشعب والمنطقة.

◻◻ خط "وامعتصماه" الثانية

شملت الاعتقالات كلا من علي حسن عليان السامرائي والعقيد استخبارات حامد عبد الكريم السامرائي والمقدم استخبارات علي أحمد محمد السامرائي والعميد قوات خاصة الركن فوزي محمود السامرائي وعبد الوهاب صالح الدرويش السامرائي وطلال اسماعيل السامرائي ووهران العزوز السامرائي والعميد عزيز

الحسون السامرائي والعديد من الأشخاص المهمين بتهمة التنظيم والتكتل السياسي والتنسيق معنا لقلب نظام الحكم ضمن عملية أكبر.

وتحت وطأة التعذيب غير المعتاد أجبر عدد منهم على الاعتراف عن بعض الاتجاهات السياسية التنظيمية المحدودة.

وخلال فترة الاعتقالات جرى اعتقال كمال عبد الرحمن السامرائي بتهمة التهجم على صدام وعائلته، وجرى تعذيبة لعدة اشهر مما تسبب في وفاته وتسليمه الى ذويه في آب - اغسطس ١٩٩٧ واعتقال حسين علي ياسين بتهمة التهجم على صدام فحكم عليه بالإعدام فيما لم تكن لدينا سابق علاقة عمل مع الاثنين الاخيرين.

▫▫ الاعدامات

وبعد تسعة اشهر من التعذيب المتواصل جرى تنفيذ حكم الاعدام في كل من علي حسن عليان السامرائي، العميد الركن قوات خاصة فوزي محمود السامرائي، العقيد استخبارات حامد عبد الكريم السامرائي، المقدم استخبارات علي أحمد السامرائي، العميد شرطة عزيز الحسون السامرائي، طلال اسماعيل السامرائي، وهران العزوز السامرائي، عبد الوهاب صالح الدرويش السامرائي وعدد آخر غيرهم.

▫▫ الاستعداد لتسليم جثث الشهداء

وفي منتصف سبتمبر - ايلول ١٩٩٧ وصل الى قيادة فرع المعتصم في سامراء عضو القيادة القطرية لحزب البعث مسؤول مكتب تنظيم الوسط محمد يونس الاحمد الذي سبق ان عمل ضابطا في الجيش لاغراض التنظيم الحزبي واشغل منصب مدير التوجيه السياسي، ثم غضب عليه لتكتله مع ابناء الموصل وعين مديراً للسكك الحديدية (القطارات) قبل ان تتطلب مصلحة النظام اعادته الى موقعه الحالي، وصل هذا المسؤول الى المدينة بتوجيه مباشر من صدام ليس

ليبلغهم بمشاريع انمائية او لاعادة تبليط شوارع المدينة التي دمروها بحفريات شاملة بحجة تنظيم شبكات الصرف الصحي ولم ينجزوا اية مرحلة من مراحل العمل منذ عدة سنوات، بل ليبلغهم تهديداً واضحاً من الطاغية.

وفور وصوله اكتمل استدعاء كافة الكوادر والقيادات المحلية البعثية وبدأ حديثه مطولاً، نأخذ منه اهم ما وردنا من فقراته الاساسية.. والحديث لمحمد يونس:

"لقد كلفني السيد الرئيس القائد، الرفيق امين سر القطر ان اتحدث معكم بوضوح حول موقف المدينة - مدينة سامراء، انه لمن المؤسف ان يستلم قسم من ابناء المدينة الاوامر والتعليمات من الخونة.. ومن خارج العراق فيستجيبوا لطلباتهم في التآمر على العراق وثورة العراق، في هذه المرحلة الحساسة وذات المعاني النضالية العظيمة.. ان قوى الشر كلها تستهدف تدمير العراق من خلال استهدافها قيادة العراق التاريخية.. وهنا نرى من يخرج من بينكم ليتآمر مع الاشرار، تعلمون ان العدوان الثلاثيني بكل طغيانه لم يحقق اهدافه وفشل فشلاً ذريعاً في القضاء على القيادة في العراق، فماذا ستجدي نفعاً الحركات التآمرية.. انه لمؤسف ان يكون لهذه المدينة حضور في كل حركة تآمرية وخيانية.

لقد اراد السيد الرئيس القائد احتواء مشاركة اشخاص خونة في حركة ناظم كزار عام ١٩٧٣، واعدام عبد الخالق السامرائي عام ١٩٧٩- يقصد عضو القيادة القومية للحزب - وغيرها الا اننا نصطدم في كل مرة بفقاعة جديدة.

جئت لانقل اليكم رسالة واضحة هي ان مدينتكم مدينة وسطية وليست كبيرة واية حركة فيها ستجابه بعنف، وستجري تسويتها بالارض. وعليكم ان تفهموا ما اقول.

ان مجموعات تعمل بأوامر الخونة دأبت على استهداف جداريات (اللوحات الجدارية الكبيرة المرسومة عليها صورة الطاغية) واطلاق النار عليها وتشويهها الى درجة اضطرتنا الى افراز قوة حراسة امام كل جدارية فيما كان عليكم حمايتها بأعينكم لانها لرمز العراق، وان هذه المجموعات من الخونة اخذت تهاجم الكوادر المخلصة في الحزب فحصلت ١٨ حادثة تفجير واطلاق نار على

مساكنهم خلال شهرين فقط. (كما ان هنالك قضية اخرى خطيرة سوف تعرفون عنها فيما بعد) والحقيقة فان خط وامعتصماه الثانية لم تكن له علاقة بالتفجيرات المشار اليها.

▫▫ الانتقام الحزبي

وبعد تجديده التحذير تقرر تنزيل درجة اكثر من ١٢٠ شخصاً من قيادات الفروع والشعب والفرق وتقليص المستوى التنظيمي الى النصف؛ **كما تقرر عدم قبول اي شخص في الاجهزة الخاصة "ريثما تعدل المدينة من مواقفها وتثبت مناصرتها لقيادة الحزب والثورة".**

وفي يوم ٢١ سبتمبر - ايلول ١٩٩٧ ادخل الجهاز الحزبي ومراكز الامن والمخابرات والاستخبارات والامن الخاص والشرطة بالانذار المشدد، ومع الصباح الباكر ليوم ٢٢ سبتمبر تدفق آلاف المسلحين من الحرس الخاص "وفدائيي صدام" الى مدينة سامراء ليحتلوا كافة الشوارع الرئيسية حيث وقف مسلحان اثنان في واجهة كل محل من المحلات التجارية المتجاورة والتي لا تزيد جبهة الواحد منها عن ثلاثة امتار، وانتشار اقل كثافة في كافة الطرق والشوارع الفرعية، كما تم دفع فرقة مجحفلة من المشاة والمدرعات على مسافة ثلاثين كيلومترا شمال المدينة (في منطقة الدور) وتواجد عزة الدوري هناك، ونشرت وحدات اخرى قرب قاعدة البكر الجوية على مسافة ستين كيلومترا جنوباً استعداداً للطوارئ، وتفيد تقارير المعلومات ان قاذفات من صواريخ ارض - ارض قصيرة المدى قد نشرت ايضاً جنوب سامراء، ومع الصباح ايضاً تواجد محمد يونس الاحمد في مقر قيادة التنظيم الحزبي.

لقد اتخذوا كل هذه الاجراءات الاستثنائية وغير المسبوقة تمهيداً لارسال كوكبة مؤلفة من خمس جثث من شهداء فرسان العراق اعدموا بأمر من الطاغية بعد تعريضهم لصعقات كهربائية شوهت اجسادهم الطاهرة وبعد تعذيب استمر تسعة

اشهر. وفي يوم الاثنين التالي ٢٧ سبتمبر ١٩٩٧ ارسلت الكوكبة الاخرى من الشهداء بعد ان اخضعت المدينة للاجراءات الاستثنائية نفسها.

□□ الاعترافات

ان غالبية الشهداء لم يعترفوا بحق واحد على الرغم من التعذيب الوحشي والقيود الكهربائية التي كبلت ايديهم وارجلهم والتي تركت سواداً قاتماً وحروقاً شديدة علىايديهم وارجلهم من جراء الصعقات الكهربائية.

فلا محاكم علنية، ولا فرصة للدفاع القانوني، ولا قانون غير قانون صدام الذي فاق بوحشيته شريعة الغاب، فالوحوش لا تقتل الا بالقدر الادنى للبقاء على قيد الحياة ولكن صدام يتسلى بقتل الشرفاء.

اذن هذه هي وقائع التاريخ، وهذا هو حب الشعب للرئيس المحبوب كما يقول وزير خارجيته، وهذه هي ثقة القيادة في بغداد بشعبها.

ولكن الاهم ان هذه هي مدينة المعتصم، ومدينة الامام الهادي، والائمة والقادة الاطهار.

ارادها الطاغية سنداً له في طغيانه فأبت الا ان تكون مع العراق،ومع الله، فكفى صدام واشراره عاراً وكفى سامراء مجداً.

فتحية لكم ايها الفرسان الشجعان، "بسم الله الرحمن الرحيم، ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً " صدق الله العظيم، على مثلكم تبكي البواكي، ولكن امهاتكم واخواتكم في كل العراق زغردت لكم لمجابهتكم الطغيان ومحاولتكم انقاذ الحرائر.

□□ محاولات اغتيال تدبرها المخابرات

بعد مغادرتي المناطق المسيطر عليها من قبل النظام اواخر عام ١٩٩٤ بفترة قصيرة صادف ان اختلف مع أبيه أحد ابناء شخص في المعارضة (معروف لدى

صدام) وغادر صلاح الدين متوجهاً صوب الموصل، ومنها نقل الى بغداد حيث تم اعداد خطة من قبل المخابرات نقل على اثرها الى المنطقة الشمالية بتوجيه من المخابرات وأخضع للتحقيق من قبل أمن المؤتمر الذي يعمل والده معه فاعترف تفصيلاً بما حصل له في بغداد واكراماً لوالده جرى طي الموضوع واخبرت بفكرة عامة عنه، وفي شهر ايار ١٩٩٥ زرت احد مقرات المعارضة الرئيسية آنذاك فوجدت شاباً وسيماً جالساً في صالة الاستقبال، فغادر المكان وجلب لي قدحاً من الشاي، وضعه على الطاولة امامي، وقبل ان اتناول الشاي سألته عن هويته فقال (انا زيد ابن ..) فمازحته في القول تجلب لي الشاي وانت مدرب لتسهيل عملية اغتيالي، اعد الشاي الى المطبخ واشرح لي القصة تفصيلاً . .

فأخذ يسترسل في الحديث بطريقة طوعية، ومن دون مداخلة مني، بقوله:

عندما اجتزت نقاط البيش مركه ووصلت نقطة الحراسة العسكرية نقلوني الى غرفة صغيرة للتحقيق الفوري وبعد ان بينت لهم غايتي في العودة الى العراق قال لي - والحديث لزيد - احدهم عندما انفرد بي "موت كرفك ليش رجعت".. وعلى الفور نقلوني الى بغداد مجمع الاستخبارات في الكاظمية وفي اليوم الثاني جاءت سيارة من المخابرات واصطحبوني مباشرة الى بيت منفصل داخل مدينة بغداد وبدأوا معي لقاءات مطولة هناك.

لقد كان البيت مؤثثاً بصورة جيدة وخاضعاً للحراسة وخدمة جيدة ايضاً، فطلبوا مني الموافقة على العودة الى صلاح الدين والتعاون معهم هناك مقابل عفوهم عني وان يكرموني بتعييني في المخابرات واعطائي سيارة صالون هدية اذا نجحت في المهمة.

وتابع زيد: فبدأوا بعرض صور شخصية للواء وفيق السامرائي ومقابلات صحفية ولقاءات سابقة بالزي العسكري والمدني مسجلة على اشرطة الفيديو لاني لم اكن قد شاهدتك من قبل وكان يقيم معي ضابط من المخابرات برتبة نقيب داخل البيت فيما يتردد شخص مهم بلباس مدني ايضاً الى البيت للاشراف على مراحل التدريب، وكان هذا المسؤول يردد وهو يستمع الى مقابلة تلفزيونية

لك.. هذا الذي كانت تحت امرته طائرة هليكوبتر يتنقل بواسطتها من قاطع الى آخر واليوم هذا موقفه.
ويقول زيد.. لقد كنت الاحظ أن حذاء ضابط المخابرات المكلف الاشراف علي والاقامة معي كان عتيقاً بصورة ملفتة للنظر، وفي احدى المرات وبينما كان في حالة سكر قال " ان اللواء وفيق غير ملام على ما قام به لقد ضربهم بكف يستحقونه فانظر الى حذائي فهذا هو الذي كسبناه من خدمتنا في المخابرات، ثم استدرك وحاول تلافي ما قال..
.. ويشير زيد الى انه تم تدريبه علىالمتفجرات والسموم ومحاولة التقرب الي وبعد عودته الى الشمال يتم ارسال مجموعة للاتصال به وتنسيق العملية. في ذلك الوقت كنت ارسلت عائلتي الى سوريا واقامت في المرحلة الاولى في منطقة القامشلي وتبين ان زيد هو الآخر قد حصلت الموافقة على ذهابه مع اهله الى القامشلي ايضاً الا ان معلومات توفرت لدى الاجهزة الامنية السورية (عن غير طريقي) فأعادته الى الضفة الاخرى عاجلاً.
وبعد عدة اشهر غادر الى عمان مع عائلته ومن هناك مرة اخرى الى بغداد (هذا لا يعني ان المعارضة مخترقة لان المناطق مفتوحة، ومفهوم الاختراق يعني النفوذ الحقيقي الى الهدف). وهذه المحاولة لم تكن الاولى حيث كان العقيد استخبارات حامد السامرائي سبباً في افشال احداها داخل العراق، وما دفعني الى ذكر عملية زيد هو توضيح موقف ورأي ضابط المخابرات المشرف على اعداد شخص للقيام بمحاولة اغتيال شخص يزعج الطاغية ويؤذيه.



رسالة مفتوحة الى جهازالمخابرات

وجدت الاجهزة الخاصة لحماية المصالح الوطنيـة العليا داخل البلاد وخارجها، ويجب ان يكون واضحاً ان المقصود بالمصالح العليا هو مصلحة الشعب ومستقبل الوطن حصراً.

ان الطاغية حرص ويحرص الان على تحويل مجريات الامور والدوافع الوطنية لحماية مصالحه الخاصة التي ادت الى تدمير العراق، ويريد ان يبقيكم اداة قمع لحماية وجوده الشخصي. لقد سجنتم واعدمتم وقتلتم واغتلتم كثيراً، فاما آن الاوان لتسألوا انفسكم لماذا هذا كله؟ وفي سبيل من؟ ومن اجل من؟

انني اعرف انكم مجبرون ولستم براغبين ما تقومون به ولكنكم على اي حال تنفذون قدراً معيناً من توجيهات الطاغية وتساعدونه بشكلٍ او بآخر على التدمير من خلال بقائه على كرسي الحكم، فاما آن الاوان للمراجعة الفاعلة؟ لعلكم تقولون وماذا عسانا ان نفعل وانك تعرف طغيانه وجبروته؟

اذكركم بمراعاة ما يلي:

١- ان الطاغية راحل لا محال وعليكم ان تبنوا خطواتكم وفقاً لذلك.

٢- ان الوقوف الى جانب الظالم ومع الحاكم ضد ارادة الشعب خيار يخالف المنطق والضمير ويتخطى حدود الله.

٣- ان مايقوله لكم الطاغية بانكم ستكونون هدفاً تدميرياً لاية عملية تغيير لا يتعدى كونه دعاية سخيفة لا يجوز ان تنطلي عليكم فكل الاجهزة الامنية ينبغي ان تكون من الشعب وله.

٤- ان اكتشافكم لاية عملية تستهدف خلاص الشعب واقامة العدل والحرية يشكل عبئاً تاريخياً واخلاقياً عليكم.

٥- اذا كنتم لا تستطيعون عدم تنفيذ الاوامر فاخلوا بتنفيذ كل ما يعارض ارادة ومصلحة الشعب في الحرية والتقدم، فاجلعوا ثغرة في كل عملية تخططون لها مجبرين، ثغرة تسبب فشل العملية.

٦- العراقيون هم اهلكم فلا تحاربوهم سن اجل الطاغية وتذكروا ان النار ستأتي عليكم يوماً طالما الطاغية يحكم العراق.

٧- الكثير ممن ارسلتموهم عندما كنت داخل العراق وفي الشمال وسوريا والاردن في ابريل - نيسان ومايو - أيار ١٩٩٦ وصلت الينا اخبارهم وما خطط لهم من شر وشرور قبل ان يصلوا الينا ولا اشك في ان جزءاً من الثغرات اوجدتموها انتم متعمدين ومشكورين ولكن هذا ليس بكاف.

٨- ان الشعب هو صاحب القلب الكبير وسيرحب بكل خطوة ايجابية منكم ضد الطاغية على طريق الحرية.

٩- تذكروا ولاحظوا ان الاعتقالات والاعدامات لا تثني الشعب عن مواصلة الطريق فالى اين سينتهي بكم الامر؟

١٠- ادعو عناصر المخابرات وبخاصة اولئك الموجودين خارج العراق الذين ستتاح لهم فرصة قراءة وسائل الاعلام، والمسؤولين في جهاز المخابرات والاجهزة الاخرى للتوقف عن خدمة النظام بالطريقة التي يرونها مناسبة، وان يتعاونوا مع المعارضة الوطنية العراقية داخل العراق وخارجه وان طرق التعاون يمكن ان تبدأ بما يلي: -

أ- اخبار الذين يحوم طغيان النظام حولهم وتحذيرهم.

ب- تسريب المعلومات الامنية عن النظام وأمن النظام ولسوء الحظ ونتيجة تهور رئيس النظام فقد استبيح أمن البلد كما ترون، كما أن المفتشين الدوليين يدخلون كل الاماكن الحساسة بما في ذلك مقراتكم متى يشاءون.

ج- كشف اسماء المعتقلين.

د- تجنب التفاعل مع المعلومات التي ترد اليكم بطريقة تفيد الطاغية.

انني اعرف جيداً انكم لستم مع الطاغية ولكن القلب وحده لا يكفي، نريد عقولكم وايديكم وارادتكم وقلوبكم كلها مع الشعب وعندما تتحركوا ضد النظام بأي شكل مقبول في سبيل خلاص الشعب ستجدون لكم اخوة يشدون أزركم.

وتذكروا ان الله اكبر والشعب اكبر وعلى الباغي تدور الدوائر.

❋ ❋ ❋



مقـــــالات

صدام يسعى الى مكاسب معنوية

القبس ١٩٩٧/١٠/٣١

صدام لم يترك مجالاً للتراجع والرد الضعيف يشجع على التصعيد

القبس ١٩٩٧/١١/١٠

تراجع تدريجي ام مجابهة محتملة

القبس ١٩٩٧/١١/١٥

الازمـة العراقيـة الى أين

القبس ١٩٩٧/١٢/٨

ان مشـكلة العـالم لا ينبغـي ان تكـون مـع امتـلاك العـراق للقـوة الدفاعيـة بـل مـع الطـاغية شخصيا وسـيبقى البحـث عـن الاسـلحة مبتـورا ومؤذيـا للشـعب العراقـي حصـرا اذا مـا ابقي اجراء احادي الجانب، ولذلك لا بد من توخـي الهـدف مباشـرة وهو اسقاط النظام.

قراءة مغايرة لاحتمالات التقسيم

القبس ١٩٩٧/١٢/٢٨

والحقيقة التي لا بد من قولها ان قادة وضباط الجيش لم يتعاملوا فيما بينهم على اساس طائفي قطعاً وان كانوا يوزعون ولاءاتهم فانما يوزعونها الى حالة التآخي والوطن، ومسلكهم العسكري بعيد كل البعد عن كل اشكال الطائفية سنية كانت ام شيعية، ولكن تبقى لكل قاعدة شواذ.

رسالة الى رئيس تحرير صحيفة القدس العربي نشرت في الصحيفة

يوم ١٩٩٧/١٢/١٣

وقد التزمت الصحيفة بنشر نصوصها عدا استبدال كلمة صدام بالنظام وما يتصل بذلك بما لم يغير الجوهر الحقيقي.

رسالة الى رئيس تحرير صحيفة الحياة نشرت في الحياة

يوم ١٩٩٨/١/٦

قراءة في احداث تشرين الثاني - نوفمبر وكانون الأول - ديسمبر

القبس ١٩٩٨/١/٨

العلاقات العراقية - الاردنية لماذا والى اين؟

القبس ١٩٩٨/١/١٣

توقيت تصعيد صدام رمضاني والاستعداد لتوجيه ضربة مستمرة - القبس ١٩٩٨/١/١٥

العقوبات المفروضة على العراق

القبس ١٩٩٨/١/٢٠

صدام يحاول تأجيل الضربة

القبس ١٩٩٨/١/٢٣

الضربة الانكلو أميركية بين التردد واقامة الحجة

القبس ١٩٩٨/٢/٢

رسالة مفتوحة الى صدام

القبس ١٩٩٨/٢/٥

مقابلة مع مجلة المشاهد العدد/١٠٢

٢٢- ١٩٩٨/٢/٢٨

هل اخطأ الغرب... ام لا رغبة لديه في ضرب نظام صدام؟ -

القبس ١٩٩٨/٣/١

صدام يسعى الى مكاسب معنوية

تحليل للواء وفيق السامرائي

في القبس ١٩٩٧/١٠/٣١

بتاريخ ١٩٩٧/١٠/٢٩ اعلن مايسمى مجلس قيادة الثورة في العراق قراراً بابعاد موظفي اللجنة المكلفة ازالة اسلحة الدمار الشامل العراقية من حملة الجنسية الاميركية ومنع اشراك موظفين اميركيين في لجان التفتيش ريثما تعدل الولايات المتحدة الاميركية سياستها تجاه العراق، وطلب ايقاف طلعات طائرة الاستطلاعات الاستراتيجية U2 بطائرة اخرى غير اميركية.

للمرة الاولى يعلن النظام بوضوح رؤيته للسياسة الاميركية بأنها تهدف الى اسقاط "الحكم الوطني في العراق وتهديد أمن القيادة.."وهو ما كان النظام يحرص على اخفائه عن الشعب العراقي للابقاء على الاحباط المعنوي الناجم عن الشعور بأن الولايات المتحدة الاميركية لا تريد اسقاط صدام، الامر الذي انسحب نتائج عكسية سلبية على عملية التغيير، وجعل دولاً عربية تسعى لتخفيف عدائها لصدام، والانفتاح عليه.

لقد اثبت رد الفعل الرسمي في بغداد الحقائق التالية:

١- تأثير العقوبات الاقتصادية اصبح شديداً على النظام، وان ارجاء وتعليق المناقشات الستينية في مجلس الأمن (كل شهرين) الى ستة اشهر اخرى ولد احباطاً للنظام لايمكن احتماله.

٢- عدم وجود اية قنوات سرية لاتصالات ايجابية بين النظام من جهة واميركا وبريطانيا من جهة اخرى... وينبغي ان يراعى ذلك في حسابات الدول الاقليمية وفي المعارضة.

٣- تهور النظام وعدم قدرته على ضبط النفس السياسي والعسكري الامر الذي يجعل التعويل على توفر فرصة لاعادة اصلاح وتأهيل النظام مجرد اوهام ساذجة.

٤- الشعور باحتقار الذات من خلال اخضاع المؤسسة الحاكمة لعمليات تثليم مستمر بسلسلة متصلة من عمليات التفتيش على بيوت ومقرات المسؤولين في الخط الأول عدا القصور الجمهورية.

▫▫ مشروعية التفتيش

ابتداء... سبق ان اشرنا الىاننا نعتبر تسخير واستخدام كافة العوامل المشروعة لاسقاط النظام في بغداد عملاً وطنيا صرفا، بل وضروريا لانقاذ الشعب، بما في ذلك عمليات التفتيش عن الاسلحة الممنوعة، (لغرض الضغط المستمر على النظام) ومن هذا المنطلق اعترضت العام الماضي على ما قاله ايكيوس من ان ما تبقى في جعبة النظام من الصواريخ يقدر بحوالي (٢٥) صاروخاً، وقد اثبتت الوقائع فيما بعد دقة اعتراضنا، ومن ان لدى النظام بحدود خمسين صاروخاً منها ما هو مجهز برؤوس جرثومية وكيميائية وتقليدية، وان مئات من الحاويات الجرثومية ما زالت لدى النظام رغم ادعائه تدمير هذه الاسلحة ورفضه تقديم ادلة صحيحة على ذلك، والسؤال الذي يطرح نفسه هو ان كان النظام صادقاً في مسعاه فلماذا لم يسلم المعدات والاسلحة الى اللجنة الخاصة لتدميرها تسهيلاً لتأمين الغذاء والدواء للشعب؟

من السذاجة ان يقتنع اي من الاطراف ان النظام قد جرد من اسلحته او انه سيتوقف عن نواياه تجاه المنطقة.

□□ التوقعات المحتملة

تشير المعلومات والدلائل الى ان هنالك استعدادات قوية وغير اعتيادية في عموم العراق لغرض المجابهة العسكرية المحدودة، ومن هذه الدلائل استنفار واسع في وسائل الدفاع الجوي، واجهزة الأمن والمخابرات، والخطوط الاولى والثانية والثالثة في القيادات والحزب، بما في ذلك القوات المسلحة، وتكديس كميات من الوقود واخلاء العديد من المنشآت من المكائن الصناعية المهمة.

كما ان طريقة اعداد البيان والرسالة الموجهة الى مجلس الأمن لم تتركا المجال لاحتمالات التراجع امام الضغوط من دون تحقيق نتيجة ايجابية محدودة وان كانت صغيرة، الا ان النظام، وبعد هذا الاجراء القوي، رمى بالكرة صوب الساحة الغربية وانه لا يرى ضرورة في تصعيد آخر كبير في الموقف.. وهذا يعني ان اجراءاته ستشمل سلسلة من ردود الفعل على المواقف التالية.

وفي المقابل فانه من غير المتوقع مطلقاً خضوع الولايات المتحدة الاميركية لهذا الابتزاز، لانها ستمنى بهزيمة سياسية ساحقة، وبالتالي فان امام كل من الطرفين الاحتمالات الآتية:

١- تصعيد الموقف النفسي والاستعداد القتالي.

٢- ضغوط على فرنسا والصين وروسيا للقيام بدور مخفف للازمة.

٣- المناورة شمالاً بالضغط على الطرفين الكرديين المتحاربين للحضور للحوار في بغداد وفي حالة النجاح في ذلك فستعتبر مكسباً معنوياً وسياسياً للنظام على الرغم من مسألته الوقتية، لكن كلما اشتد حماس المجابهة مع مجلس الأمن تقلصت احتمالات الموافقة الكردية على الحضور، وبخاصة من قبل الاتحاد الوطني الكردستاني الذي لا اشك في مصداقيته الخالصة باسقاط النظام.

بالنسبة للغرب فان الاحتمالات هي الآتية:

من غير المتوقع ان يكتفي مجلس الأمن والثنائي الاميركي - البريطاني بنتائج مائعة فاما ان يتراجع النظام (وهو امر صعب حتى الآن) واما ان تشدد عليه العقوبات ومنها:

١- تعليق القرار ٩٨٦ الخاص بتصدير النفط مقابل الغذاء والدواء.
٢- اصدار قرار بفرض العقوبات الخاصة بمنع سفر مسؤولين عراقيين وهو قرار ضعيف طالما لم يشمل الدبلوماسية العراقية.
٣- توجيه ضربات جوية صاروخية على اهداف عسكرية، وعلى الرغم من ان النظام قادر على احتوائها وامتصاصها لأنها ستكون محدودة، الا انها تساعد على تشجيع قادة الجيش لاسقاط النظام، وهو امر سيحصل يوماً ما.

□□ خرق منطقة الحظر

وفي اول تصعيد غربي سيعلن النظام خرقه لمنطقتي حظر الطيران شمالاً وجنوباً والتصدي للطائرات الغربية باستخدام صواريخ ارض - جو وفق سياسة الكر والفر (الضرب والاختفاء) ومواصلة تهديده للاكراد بقوة.
وبالطبع فان الوسائل القتالية المتاحة للنظام تمكنه من ازعاج الطيارين الغربيين وربما تؤدي الى اصابة طائرة غربية (احتمال ضعيف جداً) الا ان قدرة النظام على التأثير العسكري ستكونمحدودة كما ان ضغوطه العربية والخارجية ستكون ضعيفة لانه المبادر بخرق القرارات.

□□ شعبياً

فان من يعتقد ان العراقيين لا يتمنون كل شيء في سبيل اسقاط صدام (واعني العراقيين داخل العراق) فانه لايعرف عن العراق شيئاً يذكر.
كل شيء يتوقف على رد الفعل الاميركي فالطاغية مستعد لمجابهة محدودة ونتمنى إن اطلقوا صواريخ أن يطلقوها على رأسه هو شخصياً.

صدام لم يترك مجالاً للتراجع والرد الضعيف يشجعه على التصعيد

تحليل للواء وفيق السامرائي في القبس ١٠/١١/١٩٩٧

اشرنا في تحليلنا السابق في "القبس" الى صعوبة تراجع صدام عن موقفه في الازمة التي افتعلها مع اللجنة الدولية المكلفة ازالة اسلحة الدمار الشامل ، لانه لم يترك مجالاً للمناورة والمرونة السياسية وقد قام فعلاً بنقل المكائن والمعدات المهمة من المنشآت الصناعية الى مناطق اخرى، وهو ما اعترف به وزير خارجية النظام محمد سعيد الصحاف بعد بضعة ايام من نشر هذا الخبر.

لقد اتخذت اللجنة المكلفة ازالة اسلحة الدمار الشامل قراراً بايقاف المهام الاستطلاعية لطائرة "يوتو" ومن المقرر ان تستأنف نشاطها على ارتفاعات عالية اعتباراً من اليوم الاثنين، ما لم تصدر توجيهات اخرى لاحقة، ويبدو ان الموقف ما زال متوتراً لا بل ان وتيرة التوتر آخذة في التصاعد، وصولاً الى المجابهة التي تزداد احتمالاتها، **ما لم يكن النظام قد اخفى - مرة اخرى - تحت اجنحته هزيمة معنوية وتراجعاً مهيناً.**

ويرى محللون في المجالات العسكرية احتمالاً ضعيفاً لاصابة طائرة الـ "U2" التي قد يتفجر الموقف من جرائها، الا انهم قد لا تتيسر لهم معلومات وافية عن الوسائل المتاحة للعراق لاسقاطها.

ترى الى اين يتجه الموقف؟ وما فرص اصابة طائرة الاستطلاع المذكورة؟ وما انعكاساتها؟ لماذا اخلوا المنشآت؟ لماذا التراجع ولماذا التصعيد؟ ومصير النظام الى اين؟

□□ خلفية القرار الاخير

لقد جاء قرار وقف اطلاق النار في حرب الخليج الثانية منقذاً وحيداً لصدام وللنظام ولذلك لم يكن امام صدام الا الموافقة الشاملة على متطلبات وشروط وقف اطلاق النار، بصرف النظر عن قساوتها، الا ان المذلة كانت دائماً حصيلة طبيعية للهزائم الاستراتيجية، وللحقيقة فان صدام كان متوتراً في حينه بشأن ما يتعلق بالقرار ٦٨٧ وبخاصة ما يتصل بربط تصدير النفط بتنفيذ المستلزمات الاساسية، ومنها ازالة اسلحة الدمار الشامل .

وفي احد الاجتماعات الرسمية المحدودة في القصر الجمهوري، بعد صدور القرار ٦٨٧ وتشكيل اللجنة المذكورة، اخذ صدام يتحدث بطريقة تنم عن ثقة راسخة بأن مهمة اللجنة ستكون عابرة، مستنداً الى رؤية ضيقة من الاحتمالات الضعيفة، فلم تكن هنالك معلومات وافية عن اساليب عمل مثل هذه اللجان وطرق ووسائل تنفيذها، فكان يعتقد بان اللجنة ستعتمد على زيارات معلومة للمعسكرات والمصانع، كما ان هناك مجالاً للاغراءات المالية ورشوة اعضاء الجنة .. الخ

وعندما نراجع التسجيلات الصوتية لخطب ومقابلات صدام نرى انه، وفي عشرات المرات خلال السنوات السبع الماضية، يتحدث عن الحصار باحتمالات تدعو الى الامل القوي بعدم استمراريته لفترة طويلة، ومن عباراته "الحصار يأكل نفسه، تآكل الحصار، غيمة وعدت، راح الكثير وبقي القليل" والعبارة الاخيرة قيلت في السنة الثانية للحصار.

ويوماً بعد يوم يتضح ان الهدف الاساسي يتعلق بالعصب الحساس - اي مصير النظام، واضطر صدام الى الاعتراف بان المقصود هو استئصاله شخصياً ان لم يكن النظام معه.

لقد ترك الحصار اثاراً مدمرة على النظام، بصرف النظر عما يراه بعض المحللين ممن تبقى معلوماتهم سطحية فأصيبت فلسفة أمن النظام باضرار خطيرة من جراء ذلك، ولنتصور الوضع الذي لا يزيد فيه راتب "ضابط متابعة" في اجهزة الأمن (المخابرات) عن "٥ -٦" دولارات شهرياً، ان الحقيقة التي لا بد من الاشارة اليها ان العديد من العمليات التي وجهتها الاجهزة الخاصة ضدنا في شمال العراق وفي الاردن وسوريا كانت عمليات تنطوي على اخطاء قاتلة وغبية، الأمر الذي ساعدنا على اكتشافها، ولما كنت اعرف تماماً ان الضباط المكلفين بمثل هذه العمليات ليسوا اغبياء وان لهم خبرات واسعة يمكن ان تساعد في اعداد عمليات دقيقة، فقد وضعت امامي دائماً ان هؤلاء المسؤولين يتعمدون الاخلال بالتخطيط لمنع الاضرار بنا، لعدم ولائهم للطاغية، بل لتطلعهم الى الخلاص منه، وان مثل هذا الوضع لا يمكن ان يكون مضموناً لصدام ولنظامه، فضلاً عما يتعلق بالاوضاع العامة السائدة في العراق فأصبحت المبادرة مطلوبة تماماً.

ولعل من المناسب ان نستخدم الوصف الذي استخدمه صدام في احد اجتماعات القيادة العامة للقوات المسلحة عن ايران، حين قال: "انتم منتصرون ولكن انتبهوا الى رفسة البغل المحتضر".. واعتقد ان المثل ينطبق عليه شخصياً في المرحلة الحالية.

▫▫ استعدادات المعركة

الملاحظ ان النظام قد اعد ما يمكنه اعداده من تحضيرات للمعركة وشملت هذه الاستعدادات النشاطات التالية:

١- التعبئة السياسة والاعلامية.

٢- نشر وبعثرة المعدات والمنشآت والمكائن الصناعية والعسكرية المهمة، وهو امر لم يحصل اكثر من مرتين او ثلاث مرات بهذه الشمولية منذ انتهاء الحرب،

فحتى اجراءات الحشد الواسع في اكتوبر ١٩٩٤ كانت تتضمن جوانب عديدة من النقص اللوجستي والامني.

٣- وضع القوات بدرجة استعداد قصوى، واعادة نشر وسائل دفاع جوي نشراً قتالياً.

٤- التمسك بالموقف المعلن ومواصلة سياسة متشددة.

وهذه مؤشرات تعطي دلائل كافية عن احتمالات المستقبل، ولا ينبغي البقاء في حالة اسر الى الماضي من ان النظام دأب على التشدد والاصرار ثم التراجع السريع في وقت الضرورة، ولنتذكر ان صدام اصر على مواقف عديدة وتمسك بموقفه منها، ومن ذلك الاصرار على عدم الانسحاب من الكويت قبل وقوع العمليات البرية.

ويبدو ان صدام حالياً بحاجة الى معركة محدودة تحقق له بعض المكتسبات.

◻◻ شكل ونطاق المعركة المطلوبة

لا بد ان صدام يدرك الآن وجود توازنات دقيقة تؤثر تأثيراً مباشراً في معادلات الصراع، ويبدو انه يرتكب خطأ آخر من سلسلة الاخطاء الاستراتيجية التي اعتاد عليها، فاحكام النهايات السائبة في مثل هذه المواقف تعتبر عملية معقدة بل وشائكة في ضوء الموقف الداخلي المتستر ووجود من يترقب الظروف لتغيير المسببات واطاحة النظام.

ان ما يريده صدام هو تحريك سياسي حاد، وقعقعة سلاح، وتظاهر بالاستعداد لمعركة واسعة، لتحقيق الاهداف التالية:

١- احداث شرخ في الموقف الدولي، واعتقد ان هناك فرصاً في المقابل لتحويل مثل هذا الشرخ الى وسائل تصعيد لاسقاط النظام، فكلما شعرت الدول المعنية بضغوط الموقف الدولي، ساعدت على توفير الاسباب لاطاحة النظام ان تطلبت مصالحهم ذلك.

٢- التصعيد المعنوي وتسجيل نقاط لصالحه في مسلسل الاحداث.

٣- الحصول على وعد بتوقيت تقريبي لرفع الحصار.
وتبدو كل هذه الاهداف مقطوعة عن احتمالات النجاح.

▫▫ نقطة الاشتعال

ان ايا من الطرفين، لا يريد التراجع عن اهدافه، وان الطاغية ليس مستعداً للتراجع الى نقطة الصفر حتى الآن. ومن المرجح ان لا يكون الطرف الآخر متلهفاً لرؤية صدام يتراجع الى نقطة الصفر، لانه يريد تحويل هذه الخطوة الى عملية اضعاف مركب للنظام، وهو ما لم يتحقق حتى الآن بالشكل المطلوب.
ومن غير المستبعد ان تبدأ نقطة الاشتعال بعملية التصدي لطائرة الـ"U2" فاذا ارتكب رئيس النظام حماقته المرتقبة في حالة استئناف نشاط الطائرة المذكورة، فعلينا عدم استبعاد مثل هذا الاجراء مالم يستدرك الغرب الامر مرة اخرى بارجاء نشاطاتها، بهدف احداث عملية شحن اكبر.
لقد سبق واسقط السوفيت طائرة "U2" في مرحلة الستينات اثناء قيامها بمهمات تجسسية استراتيجية في اجواء بلادهم، رغم تحليقها على ارتفاع يزيد على عشرين كيلومتراً، ومن الحوادث الاخرى المهمة سقوط طائرتين من طائراتنا المتطورة في الحرب مع ايران، فقد اسقطت الاولى وهي من طراز ميغ -٢٥ فوق مياه الخليج من قبل طائرة فانتوم ف - ٤ وباستخدام صاروخ "سايدوندر"، كما اسقطت الطائرة الاخرى من النوع نفسه عندما كانت تحلق على ارتفاع ٢١ كيلومتراً (٧٠ الف قدم) في مهمة استطلاعية قرب اصفهان، حيث استخدم الايرانيون لاول مرة صاروخ سام ٢ ارض - جو للارتفاعات العالية. ولذلك فمن الناحية النظرية فان هناك امكانية معينة لاصابة واسقاط طائرة " U" باستخدام الصواريخ المتيسرة باعداد كبيرة لدى العراق.

▫▫ الاستعدادات غير المقلقة

حتى الآن فان الاستعدادات وردود الفعل الغربية لا تعتبر مقلقة للنظام، فلا حشد مهم للقوة، ولا تصعيد سياسي واعلامي غير متوقع، وهذا ما يشجع النظام علىالتمادي، ولكن لا يجوز الافتراض بالحاجة الى الوقت لغرض التخطيط او اختيار الاهداف؛ كما ان عدم تحريك القوة لا ينبغي ان يولد افتراضاً بعدم وجود النية لتوجيه الضربة، ففي العديد من المرات تتم المناورة خلال وقت قصير وسريع.

▫▫ الرغبة الاميركية والحليفة

وعندما نتحدث عن الرغبة الاميركية فانما ننطلق من تحليل استخباراتي لسياقات الاعمال وردود الفعل، ولا شك في ان الاميركان لا تتوفر لهم الرغبة لتنفيذ ضربة محدودة، لان مثل هذه الضربات ربما تعطي دليلاً على قدرة النظام على امتصاصها "واحتوانها" وبالتالي يترتب على الوضع هبوط معنوي في الدول المحيطة وغيرها لصالح النظام العراقي، الا ان التوسع في اهداف الضربة من حيث الانتقاء النوعي، مثل ضرب القصور الرئاسية ومفاصل القيادة والسيطرة المتعلقة برئيس النظام، قد تقود الى تحرك عسكري عراقي فعال لاطاحة النظام، لان مثل هذا التحرك سيبقى بانتظار العوامل المساعدة داخلياً وبتأثير الخارج ايضاً. وعندما يأخذ الجيش المبادرة لا يعود للقلق الغربي والعربي مسوغاته المعروفة من احتمالات الانتفاضة والخوف من التشقق. فهو انقلاب تحركه الاحداث.

الا ان مهاجمة وسائل الدفاع الجوي او ضرب عدد من المنشآت الصناعية سيترك اثاره المباشرة علىالعراق وليس على النظام.

ولايبدو الغرب متحمساً حتى الآن لضربة عسكرية، ولكن هذا لايعني وجود احتمالات للتراجع امام صدام، فكل شيء يتوقف الآن على:

١- قدرة الغرب على فرض عقوبات اضافية رادعة قد تعوضه عن الضربة وقتياً، الا ان مثل هذه العقوبات ستدفع بصدام نحو تهور اوسع ايضاً، مما يقود لاحقاً الى توجيه ضربة غربية محتمة.

٢- فشل الغرب في فرض العقوبات الاضافية (القوية) وعندها يتم اللجوء الى الخيارات المنفردة.

وفي المحصلة فان الخاسر الحقيقي من استمرار النظام هو الشعب العراقي اولاً، ثم الشعوب المحيطة به والتي حرمت هي الاخرى من آفاق السلم والتعاون الاقتصادي والسياسي البناء.

وفي النتيجة فان العراقيين يتمنون ان تنطبق امثال صدام عليه شخصياً ومنها قوله المذكور "رفسة البغل المحتضر".

ولك الله يا شعب العراق.





تراجع تدريجي ام مجابهة محتملة؟

تحليل للواء وفيق السامرائي

في القبس ١٩٩٧/١١/١٥

تشير المعلومات الواردة من العراق الى ان الازمة الحالية بين النظام والمجتمع الدولي قد جرى الاعداد المسبق لها من قبل النظام نتيجة الشعور بالخطر المستمر جراء العقوبات الاقتصادية، وكان من بين العمليات والتدابير المتخذة وفق خطط الطوارئ اخلاء الوثائق والمقرات في مراحل التصعيد الاولي فضلاً عن التدابير الاحترازية الاخرى المتضمنة سلسلة من النشاطات المتعلقة باخلاء المنشآت الصناعية من المكائن والمعدات المهمة، ونشر وبعثرة المواد والمعدات وتهيئة وسائل الدفاع الجوي بشكليها الايجابي (الفعال) والسلبي (التحييد).

كما ان الموقف السياسي والأعلامي وعمليات التعبئة النفسية داخل العراق، ومواصلة الاصرار والتمسك بالموقف الابتدائي المعلن وما ترتب بعده من خطوة تصعيدية بطرد المفتشين الاميركيين من العراق عقب اصدار مجلس الامن لقراره غير الفعال، بمنع سفر مسؤولين وموظفين عراقيين الى خارج العراق، **كلها دلائل تشير بوضوح الى ان النظام لا ينوي التراجع الى نقطة الصفر**، كما ان الطرف الآخر الذي يحرص هذه المرة على التعامل مع الاحداث بطريقة اكثر هدوءاً ليس مضطراً لاتخاذ خطوات تقهقرية، وان من المسلمات المنطقية في دلائل المعركة ان لا يجري الاخذ بقواعد التجارب الخاصة التي اعقبت هزيمة صدام في الكويت فان صدام اليوم هو الاقرب نسبياً من صدام عام ١٩٩٠ في ما

يتعلق باتخاذ القرارات والعودة الى العناد والحسابات الخاطئة، **الا انه لا يمتلك الا قدراً محدوداً من الامكانات والموارد.**

ان الظروف والمؤشرات عن النشاطات متعددة الاشكال لتعطي احتمالات مرجحة عن وقوع المجابهة ما لم يكن صدام قد اتخذ قراراً في داخله بالتراجع التدريجي تفادياً لضربة واسعة، وهو احتمال ما زلت اراه دون الاحتمالات الضعيفة، حيث القراءة الاقرب منطقية الى الاحداث تنذر بالانفجار.

لقد اعتاد صدام على القراءات الخاطئة للمواقف والاحتمالات، ولما كانت القرارات التي يقدم عليها قرارات استراتيجية وذات طابع خطير، فان القراءات المغلوطة تقود البلاد الى كوارث محققة، وهذه كانت احد الاسباب المهمة لانسلاخ عدد من القادة الكبار عنه والتمرد عليه.

ومن القراءات الحديثة الخاطئة التعويل على شق التحالف الدولي، وهو تعويل يمكن ان يكون مناسباً لجهة عرقلة ومنع صدور قرارات جديدة شديدة، الا ان هذا الرأي سينتفي وجوده مع اول اطلاق جدي للقذائف والصواريخ، وسيقف الروس موقفاً متفرجاً مع بعض المساعي الدبلوماسية الخافتة، ولن يكون الموقف الفرنسي والصيني افضل من الموقف الروسي كما ان صدام يخطئ ايضاً في حساباته الداخلية ورؤية الشعب الى الاحداث تماماً، وسيجد نفسه هذه المرة في وضع لا يحسد عليه، كما ان حساباته عن الموقف العربي تنطلق من رؤية سطحية، فلم تثبت الاحداث جدوى التعويل على المراسلات والاشارات السرية التي اطلقها بعض من العرب في مرحلة ضعف وركود الموقف الدولي وتولد شكوك في احتمالات اعادة تأهيل النظام.

▫▫ التصعيد والتصعيد المضاد

لقد رمى صدام الكرة مرة اخرى وبسرعة نحو الهدف المقابل، الامر الذي جعل الطرف الآخر مضطراً الى اتخاذ قرار آخر، ومثل هذا القرار سيتطلب قراراً آخر مضاداً من صدام، مالم يكن هو الذي سيبادر فيه ضمن سلسلة التصعيد

الدراماتيكي في الموقف، وتعتبر منطقة الحظر الجوي في شمال وجنوب العراق فسحة المناورة لرد فعل مرتقب من قبل صدام، كما انه يعتبر الاندفاع شمالاً احد اشكال التحدي ووسائل المناورة المتاحة، الا ان خرق مناطق الحظر يمثل الاحتمال الاكثر توقعاً وهو امر لا يمكن السكوت عنه، وستترتب عليه ردود اولية فورية تعقبها عمليات اوسع بالنسبة للقوى الغربية.

▫▫ الوسائل والخطط والخطوات المتوقعة

١- تستهدف خطط النظام الحالية مراعاة الجوانب الاحترازية والدفاعية في آن معا ومنها.

* دفع قواذف وقواعد صواريخ ارض - جو للارتفاعات المتوسطة من طراز "سام ٦" وللارتفاعات العالية من طراز "سام٢" الى المناطق الجنوبية (المحظورة) ليلاً واخفاؤها في مناطق مستورة ريثما يتخذ قرار بالمجابهة الفعلية.

* مفاجأة الطائرات الغربية المكلفة بمراقبة وفرض الحظر الجوي برشقات من الصواريخ تستهدف "اسقاطها".

* اتباع اسلوب الرمي والتبعثر والاختفاء لتجنب تدمير وسائل الاطلاق.

* دفع عدد من الطائرات المقاتلة لاختراق مناطق الحظر الجوي.

٢- من المستبعد ان يكون تصعيد الموقف الحالي قد وضع في احتمالاته القيام بمغامرة خارجية،ومن المستبعد كلياً اطلاق صواريخ ارض - ارض بعيدة المدى جرثومية او كيميائية او تقليدية تجاه جيرانه او اسرائيل.. في المرحلة الحالية، كما ان عمق منطقة الحظر الجوي الجنوبي تجعل امكانية القيام بغارات جوية ناجحة ضد سفن الاسطول في الخليج او على اهداف ارضية مستحيلة وان مثل هذه العمليات ستحقق فشلاً ذريعاً.

▫▫ الوسائل والخطط الغربية

يلاحظ حرص الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا على ايجاد حل سياسي للازمة بطريقة لا تعطي صدام امتيازاً معيناً، الا ان صدام ما زال مصراً على ما يبدو على تصعيد الموقف واجبارهم على تنفيذ ضربات محدودة، وهو ما تحاول الدولتان تجنبه على ما يبدو ايضاً الا انه من المفترض، وطبقاً للحسابات العسكرية، وجود خطط طوارئ لمعالجة المواقف الناشئة وان عمليات تطويرها لا تتطلب الا وقتاً محدوداً، وفي المحصلة فستجد الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا ان الخيارات السياسية لن تؤدي المستوى المطلوب من النتائج وستضطر امام الاستفزاز الصدامي، للشروع بتنفيذ سلسلة من العمليات الجوية والصاروخية والسياسية والاقتصادية. بما في ذلك احتمال تعليق تصدير النفط وسيعني هذا تصعيداً خطيراً في الموقف يمكن ان يضع صدام على خط الانهيار والسقوط مرة اخرى ويتيح الفرص لتحرك عسكري وشعبي عراقي.

▫▫ قدرة النظام على الاحتواء

يحاول النظام اعطاء فكرة عن عدم وجود فرصة لاسقاطه وقد اشار محمد سعيد الصحاف في مؤتمره الصحفي يوم امس الى ذلك والتذكرة بان حرب الخليج الثانية التي كانت حرباً عالمية لم تستطع اسقاط النظام فكيف ستحقق ضربة محدودة اهدافها؟

والملاحظ انهم يرتكبون خطأ كبير، فان الوضع الآن يختلف اختلافاً كبيراً عن عام ١٩٩١ ومن اوجه الاختلاف:

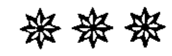
١- لم يكن الشعب العراقي في عام ١٩٩١ قد تضرر من الحصار الاقتصادي كما هو عليه الآن فقد ارتفع التضخم اكثر من ٤٠٠ مرة.

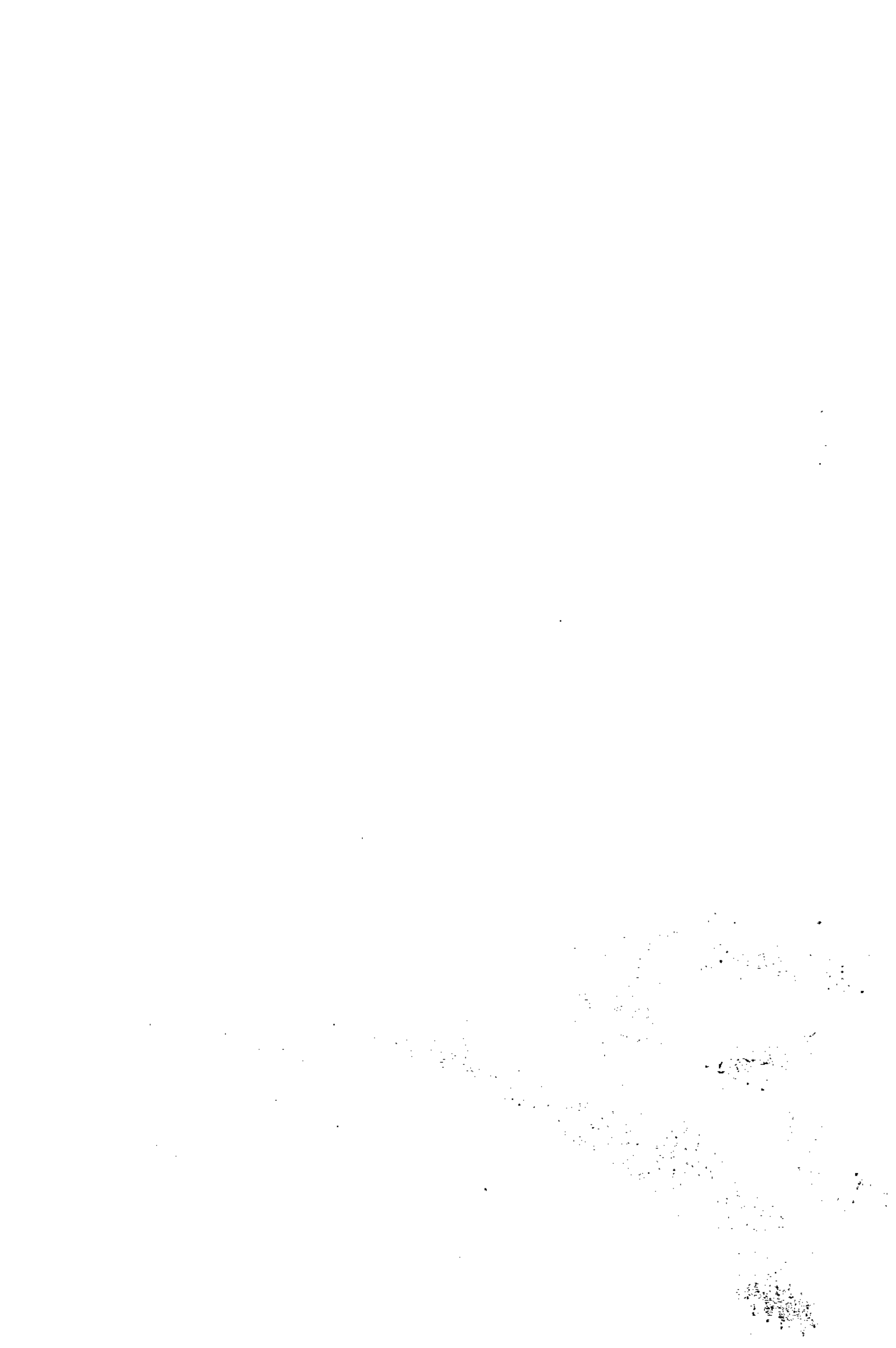
٢- لقد اعدم صدام الاف العراقيين خلال هذه الفترة والمئات من القادة والبعثيين المهمين فازدادت جروح وآلام الشعب.

٣- في مارس ٩١ كانت هنالك مشكلة حقيقية وهي الخوف من التيارات المتشددة شيعياً وكردياً سواء كان مثل هذا الخوف في محله ام لا، اما الآن فقد اختلف الوضع كلياً.

٤- كان الخليج والغرب متخوفين من سقوط العراق تحت النفوذ الايراني وقد انحسر هذا القلق كثيراً بسبب وضوح الرؤية واعادة بناء نسبي للجيش الذي سيأخذ زمام المبادرة بعد صدام.

وبعد، فان المنطق يفرض حصول تطورات خطيرة والمطلوب من الغرب والعرب مراعاة مصلحة الشعب العراقي والامن الاقليمي في ضرورة التغيير في العراق نحو الديموقراطية.





الازمـة العراقيـة الى أيـن؟

ما زالت القضية العراقية تتفاعل بدرجات تثير المخاطر بكل اشكالها، فلم يكن غزو الكويت الا مسالة واحدة من مسائل خطيرة تسبب فيها وصول صدام الى السلطة في العراق، الا ان ما ميزها عن غيرها من المسائل يعود الى اعتبارات استراتيجية (سياسية، اقتصادية، جغرافية، أمنية..) وضعت الموقف على حافات بالغة الخطورة والتعقيد.

وان ماحصل للكويت بدئ تنفيذياً في الثاني من آب - اغسطس ١٩٩٠ وما زالت اثاره مطروحة بقوة مستمرة، لان العلاج الاستراتيجي لم يكن حاسماً في معالجة جوهر القضية، بقدر ما اعتمد على هدفين اساسيين هما:

طرد صدام من الكويت، وهو محصلة مفترضة واساسية لاية خطط عمليات حقيقية واسعة.

والثاني محاصرة النظام (من خلال محاصرة العراق) على امل الاطاحة به، او الابقاء عليه محجماً في قفص، او صندوق استراتيجي. وهو خيار اثبتت التجربة انه بحاجة جدية لمراجعة فاعلة تؤدي الى اعادة تقويم الامور ووضعها في الاتجاه الصحيح.

وكلما حركت الاحداث الملف العراقي (ومثل هذه الحركة متاحة فور الطلب من قبل اللاعبين الاساسيين)، طفح الخطر على السطح خارجاً من دورة السكون المرحلي، لتطرح استفسارات كثيرة حول اهداف صدام والعراقيين، واهداف العرب والعالم، وماهي حقيقة اسلحة الدمار الشامل العراقية، ولماذا لا يطبق على

اسرائيل ما طبق على العراق؟ وهل هنالك جدوى حقيقية من اعطاء صدام فرصة اخرى؟ ثم ما السبيل للتخلص من هذا الداء الخطير؟

□□ اهداف صدام

لقد حصلت احداث عديدة اعطت صوراً واضحة عن اهداف صدام، فأصبحت معروفة لكل متتبعي الاحداث باستثناء السذج من العرب او ممن ترتبط مصالحهم مع بقاء صدام في الحكم، سواء كانوا افراداً ام حكومات، ويتحدد جوهر الاهداف الاساسية لصدام بفرض زعامته على المنطقة ويستلزم هذا سلسلة من النشاطات والتدخلات المباشرة وغير المباشرة في شؤون الدول المجاورة وغير المجاورة ممن تقع له اهتمامات فيها، وتأخذ هذه التدخلات اشكالاً متعددة من الوسائل والاساليب منها:

١- العمليات السرية لاجهزة الاستخبارات والمخابرات.

٢- التنظيمات السياسية الموالية.

٣- عمليات الرشوة والافساد، وهذه تمت سابقاً على مستويات حساسة في عدد من الدول المهمة...

٤- الابتزاز.

٥- التلويح باستخدام القوة.

٦- الاستخدام الواسع للقوة.

٧- العلاقة مع تنظيمات ارهابية في العالم.

٨- الاستحواذ على وسائل اعلام خارجية.

كما ان تحقيق الهدف يتطلب بناء قوة عسكرية تقليدية، وغير تقليدية (من اسلحة الدمار الشامل) وفي الوقت الذي لا يتورع صدام عن استخدام القوة التقليدية، فان استخدامه للقوة غير التقليدية (كيماوية وبايولوجية) يستلزم توفر عوامل اساسية مساعدة كأن يكون الطرف المستهدف لا يمتلك اسلحة ردع استراتيجي وهذا تحقق خلال الحرب مع ايران باستخدام العوامل الكيماوية، او ان تستخدم لغرض

الردع والترهيب، او حالات الضرورة القصوى وانها صنعت لتستخدم عند الضرورة.

اما اهداف صدام الحالية فتمت بهدف اساسي واحد هو الرفع الكامل للعقوبات او وضعها على خط الرفع المتواصل، لان العقوبات تتيح فرصاً مناسبة لاسقاط النظام، فطالما بقيت العقوبات أبقي الضوء الاخضر متوهجاً لاسقاط صدام ونظامه. وهذا هو ما يُقلق صدام حصراً وما ينظر اليه بعين الريبة (والذعر في بعض الاحيان).

لقد اصيب النظام باليأس من احتمالات رفع العقوبات بالشكل والطريقة والمدى والمعادلات التي يريدها النظام، ولذلك طلب صدام من فريق العمل القريب اليه والذي لم تحصل موافقة صدام على مقترح الخارجية تسميته "فريق الازمات" لانه لا يريد مشاركة الآخرين له في المسميات المهمة بوصفه هو "قائد المهمات الصعبة".

وطلب صدام من هذا الفريق دراسة الموقف العام، وتقديم التوصيات اللازمة، وقبيل سفر عزة الدوري الى فيينا لغرض العلاج في آب - اغسطس ١٩٩٧ حصل الاجتماع الرئيسي ووضعت التوصيات حول معالجة الموقف والتي تسربت فقرات منها الى مستويات مقربة من النظام (في تكريت والدور) بعد نشوب الازمة الجديدة في ٢٩ اكتوبر - تشرين اول ١٩٩٧، ويفيد رشح المعلومات ان فريق العمل لمس متغيرات مهمة في الموقفين العربي والدولي، تساعد بما فيه الكفاية لمنع اية ضربة قوية ضد النظام، كما ان بوسع النظام احتواء (وامتصاص) الضربات المحدودة وتسخيرها اعلامياً وسياسياً لصالحه، ولم يكن هؤلاء على علم بحركة المواد الممنوعة التي تحاط باعلى درجات السرية والكتمان، ومدى حاجة النظام لطرد المفتشين والتهديد باسقاط طائرة الـ "U2" اذا ما نفذت اية طلعات استطلاعية، وذلك بهدف تأمين وستر حركة تلك المواد بعيداً عن انظار المفتشين ووسائلهم، وجرى بالفعل ارجاء طلعات

طائرة الـ "U2" لتجنب اسقاطها في ظروف لم تكن الولايات المتحدة مستعدة للرد الفوري وهذا يعتبر تراجعاً اميركياً.

وضع فريق العمل سيناريو العملية وردود الفعل المتعاكسة (للطرفين) طبقاً لما يلي:

١- طرد المفتشين الاميركيين، الامر الذي يؤدي بلجنة ازالة اسلحة الدمار الشامل الى سحب موظفيها من العراق تضامناً مع المفتشين الاميركيين او لاعتبارات احترازية تتعلق بحماية هؤلاء الموظفين من اية مواقف تترتب عن اي تصعيد عسكري محتمل.

٢- احتمال قيام الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بتوجيه ضربات جوية وصاروخية الى مواقع صناعية ووسائل دفاع جوي ولذلك تقرر نقل المكائن الصناعية المهمة من تلك المواقع ونشرها في البساتين والمزارع.. الخ باسرع وقت ممكن.

٣- فور التصعيد العسكري الغربي تقوم وحدات الدفاع الجوي بمختلف الوسائل ارض - جو والطائرات الاعتراضية بخرق مناطق حظر الطيران شمال العراق وجنوبه.

٤- سيترتب على ذلك حصول موقف عربي وعالمي مساند يضع قضية العقوبات الاقتصادية في مرحلة متحركة لا بد ان تفضي الى شيء ما لصالح العراق.

٥- تنشط الدبلوماسية العراقية لاحداث اختراقات في جدار الطوق السياسي ونحو البوابة السورية خصوصاً، لوجود مبادرات متقابلة ومصالح متبادلة (معينة) بين سوريا والوضع القائم في العراق. على الرغم من ان سوريا ليست مستعدة للاقدام على خطوات تغيّر فيها من مواقفها التقليدية تغييراً دراماتيكياً، ولاسيما ان مثل هذا التغيير لا تنتظر له انعكاسات ايجابية حقيقية ومهمة على المدى المنظور او في قضية الصراع مع اسرائيل.

ان معضلة رفع العقوبات التجارية تمثل الهدف الاساسي للنظام في المرحلة الحالية الا انها تبقى ذات طابع مرحلي لحلقات اخرى تتبع في مسلسل الاهتمامات

الاستراتيجية لازالة آثار الهزيمة التاريخية التي لحقت به، ومنها قرار التعويضات والمديونية الكبيرة، واعادة بناء القوة بكل اشكالها، وهذا كله يتطلب (او على الاقل - يتسبب) في احتكاك جديد مع الخليج وفي مقدمته الكويت والسعودية ولا اعتقد ان احداً بوسعه استبعاد قيام صدام بالمطالبة بتعويضات عن الخسائر الاقتصادية وما دمرته الحرب وسببه الحصار.

▫▫ اهداف العراقيين

يتحدد هدف العراقيين حصراً في التخلص من صدام بعيداً عن كل الشعارات، وكل ما يؤدي الى تحقيق هذا الهدف يعتبر مقدساً، لان لا شيء يمكن ان يفضي الى نتائج مدمرة كما افضت عنه محنة العقود الثلاثة الماضية، ولحقائق التاريخ فان العراقيين لم يعودوا ينظرون الى اية مسألة خارج العراق بعين مقدسة، فالقضية المقدسة الوحيدة عندهم تكمن في كيفية التخلص من المحنة الكبرى، باطاحة صدام شخصياً في "القدر الادنى"، واي شيء آخر يبقى مرهوناً بالتغيير المنشود، ولا استثناء في ذلك وان القضاء على صدام يعني القضاء على الدكتاتورية الفردية ولا يعني هذا انفلاتاً في الأمن او تمزقاً او حرباً اهلية اوتقسيماً للعراق، وان العراقيين لا يخشون التقسيم لانه ليس وارداً اساساً، وان ما يقال عنه ينطلق من غرفة الحرب النفسية في اجهزة صدام الدعائية. واذا ما ظهرت فقاعة هنا واخرى هناك فسوف يفقعها الشعب وقواته المسلحة في حينه.

▫▫ اهداف العرب

تنطلق اهداف الدول العربية تجاه العراق من مصالحها الخاصة بعيداً عن المبادئ والمنطلقات النظرية وان العديد من النظم العربية بدأت تسعى لاعادة تأهيل نظام صدام بطريقة تبقيه ضعيفاً لاعتبارات تتعلق بمصالحها الذاتية او بالاحرى مصالح القيادات في تلك الدول.

وبما ان العراقيين ينتظرون بفارغ الصبر سقوط الطاغية، فانهم يبقون ينظرون الى مواقف الدول التي تتبنى نهجاً متشدداً من صدام (سراً أم علناً) على انها مواقف تتجانس مع مصالحهم الاستراتيجية، لان مصالحهم تكمن في التغيير وليس برفع العقوبات في ظل صدام، فلم تكن العقوبات الا جزءاً من المعاناة التي سببها الطاغية.

وعندما خرج حسين كامل متمرداً على النظام استنفدت دول عربية جهودها في اعلى المستويات لافشال المشروع الاردني وهو المشروع الوحيد الذي اطلقته دولة عربية علناً لاسقاط النظام في بغداد، وقد انطلقت الدول العربية المعنية في مواقفها المضادة من خشية عودة التاج الملكي الى العراق وبعث الاتحاد الهاشمي من جديد مما يعطي قوة اقليمية كبيرة للعاهل الاردني، فظهر التنافس الاقليمي في ذروته، تنافساً في جزء منه على حساب العراق ومعاناة شعب العراق.

وهذا، وغيره، لا يعني ان هذه الدول تريد اعادة الحياة القوية الى صدام لانه سيهدد وجود واستقرار من حاربه في يوم من الايام، بل انها (اي هذه الدول) تحرص على ان يكون التغيير وفق الرؤية التي تراها مناسبة لمصالحها، والا فليبق صدام ضعيفاً.

وللامانة ايضاً، فعندما بدأت عمليات آذار - مارس ١٩٩٥ من شمال العراق توجهت الى سوريا يوم ٧ مارس ٩٥ وقابلت أحد أهم كبار المسؤولين في دمشق (أي بعد ثلاثة أيام على ابتداء العمليات)، ولقيت ترحيباً مميزاً، ولم يقفوا بوجه العمليات، بل لمست مشاعر طيبة وبناءة، وان عدم وقوفهم بوجه العمليات لا يعود الى أنهم كانوا يتوقعون لها الفشل ولذلك فلا ضرورة للوقوف ضدها، حيث كانت الاجهزة السورية في حالة انذار تدل على الاهتمام، بل لان تياراً وطنياً وعربياً كان صاحب الفكرة ومشاركاً فيها، الامر الذي يجعل الاستقطاب العسكري والوطني يتجه نحوه وهذا ما لا يتعارض مع رؤيتهم ويتيح فرص التفاعل مع طريق ومبدأ التغيير.

لقد انعكست هذه الرؤى وغيرها على مواقف الدول العربية من الازمة الاخيرة التي افتعلها صدام مع منظمة الامم المتحدة، وبدا ما ظهر على السطح وكأن الامور تسير لصالح الطاغية، وظهرت آراء تربط بين هذا التحول والتوتر علىالساحة الاسرائيلية.

بيد ان الاحداث تقرأ نفسها بشكل آخر. فان ما يقال من ان الكسب السياسي والاعلامي الذي حققه صدام يعود الى التعنت الاسرائيلي لا يستند الى وقائع مادية اللهم عدا ما يتعلق بالتوجه السوري لتطبيع محدود مع النظام، اما المسألة الفلسطينية اي الصراع بين "منظمة التحرير الفلسطينية - ثم السلطة الفلسطينية" واسرائيل فانه فقدَ حماسه في اليوم الذي قبل فيه الطرفان (الفلسطيني والاسرائيلي) التعايش معاً وكل ما بقي لا يتعدى مسألة وقت حيث سيبقى الكيان الفلسطيني (حتى بعد استقلاله المتوقع) مرتبطاً بالكيان الإسرائيلي وربما اكثر من ارتباطهُ العربي عملياً وبخاصة من الناحية الاقتصادية.

ان ماحصل فعلاً في احداث الازمة العراقية الاخيرة على الساحة العربية يكمن في ان:

هنالك عددا من الدول اعتادت اصدار وتيرة من البيانات ذات التوجه التصالحي دون ان تترك اثرا فعّالا.

وهنالك عددا محدودا من الدول العربية تحرص ان يكون لها دور في القضية العراقية لاسباب مصلحية وابتزازية احياناً.

وهنالك الموقف السوري الذي يتحرك في ضوء قضيته المركزية.

وهنالك الموقف الخليجي المشوب بالقلق من اطالة الازمة العراقية ويسعى لعدم المشاركة في لعبة "القط والفأر" المتكررة لانه يريد رؤية غياب النظام في بغداد، او اتخاذ خطوات جدية على هذا الطريق.

ولذلك فان الموقف العربي اقرب ما يكون الى الاضطراب، ومن الصعب ان تفعل اية دولة عربية ما تريد ان تفعله.

أما أهداف الدول الاخرى فتتمثل بما يلي:
روسيا وفرنسا تسعيان لرفع العقوبات لاسباب تجارية صرفة. اميركا وبريطانيا: تريدان رؤية سقوط صدام بطريقة مسيطر عليها، وازالة اسلحة الدمار الشامل العراقية كلياً، ولما كانت فرص الاسقاط (وفق المشاريع السابقة) غير متاحة، فلا بد من الاستمرار بالضغط على النظام مع ابقائه في قفص استراتيجي على امل التغيير الداخلي، ويعطي الدخول البريطاني الحالي على خط المعارضة بتنسيق واضح مع الاميركيين اشارة الى اهتمام مستجد يصب في رافد التصدي للنظام. الا انه من غير الواضح وجود سياسة محددة للطرق اللازمة لاجراء التغيير.

▫▫ حقيقة اسلحة الدمار الشامل

ان مايقوله المفتشون عن مماطلة النظام وخداعه لاخفائه اسلحة الدمار الشامل لايعتمد على استنتاجات وشكوك كما يريد النظام تصويز المعضلة، بل يستند الى دلائل ومستمسكات ثبوتية، واستنتاجات جوهرية حقيقية توفرت لدى اللجنة من خلال تحرياتها المباشرة داخل العراق ويمكن ان نتطرق الى قدر معين من الحقائق المؤكدة حول هذه المسألة للوقوف على ابعادها الحقيقية:

١- لقد اضطر النظام امام ضغوط التفتيش ونشاطات ومتابعة اللجنة المكلفة ازالة اسلحة الدمار الشامل والضغوط السياسية والاقتصادية الى الكشف عن بعض القدرات التدميرية، واعطاء اللجنة وثائق وتقارير محددة ولسبب ينبع من الغباء او نتيجة تعمد احد الموظفين والخبراء الفنيين والصناعيين العراقيين، احتوت بعض الوثائق على اشارات واضحة الى بحوث مفقودة جرى حجبها بصورة متعمدة من قبل النظام، وهذا ما جعل اللجنة تطالب بوثائق اخرى او اسلحة ومواد اخرى استناداً الى استنتاجات واشارات جوهرية استحصلت من خلال الوثائق الرسمية، ويبدو ان حال الصناعيين والخبراء العراقيين لا يختلف عن حال أقران

لهم في اجهزة المخابرات الذين يتعمدون احداث ثغرات في اعمالهم كأحد الاساليب المهمة في محاربة النظام من داخله.

٢- حاول النظام في بادئ الامر اخفاء انتاجه من الاسلحة البايولوجية واضطر فيما بعد الى الاعتراف بانتاجه قدراً معيناً منها جرى تدميره قبل الحرب مع الحلفاء، ثم عاد واعترف بانه لم يستكمل تدمير المواد والاسلحة الى ما بعد انتهاء الحرب، وأعد جداول مزعومة تشير الى توقيتات وكيفية تدميرها وتضمنت السجلات عمليات نقل من قاعدة الصويرة الجوية (مدرسة طيران الجيش - اي الهليكوبترات) بواسطة الطائرات الى اماكن اخرى جرى تدميرها فيها، وهيأ افادات وتقارير من اشخاص معينين عن انجاز المهمة.. وعلى الرغم من ان لجنة ازالة اسلحة الدمار الشامل تعاملت مع العرض والادعاء المذكور بصورة جدية الا انها لم تصدق مثل هذه الادعاءات بقدر ما حرصت على استدراج النظام الى نقاط حرجة قد تضطره الى اعطاء اعترافات صحيحة.

٣- اتبع النظام سبلاً متعددة من المراوغة والتضليل، ففي حساب الصواريخ حصل المفتشون على معلومات مفصلة من الروس عن توريدات الصواريخ ارض - ارض R17 سكود الى العراق بلغت اعدادها طبقاً للادعاءات الروسية اكثر من ٨٠٠ صاروخ، فضلاً عن كميات من الاجزاء الاحتياطية بما في ذلك المحركات، وفي المقابل طلبت اللجنة من النظام تقديم معلومات مفصلة عن مصير هذه الصواريخ واماكن الاهداف التي اطلقت عليها وتوقيتات ومراحل الاطلاق والاستخدام، وقد اعطى النظام معلومات مفصلة عن ذلك، الا ان من غير الممكن الاعتماد على هذه التقارير ومن المعقد جداً اكتشاف اي خطأ متعمد في المعلومات المعطاة لاسيما اذا كان الخطأ المتعمد محدوداً، وان القبول بنسبة خطأ تقدر بـ ٥ ٪ فقط تعني اختفاء اربعين صاروخاً، كما ان اللجنة لم تتمكن من معرفة عدد الصواريخ المنتجة محلياً.

وتوصلت اللجنة من خلال وسائل واجهزة عديدة الى ان عدد الصواريخ التي كانت موجودة داخل العراق بعد انتهاء الحرب بلغ ٩٥ صاروخاً (سالماً) منها

ماهو مجهز برؤوس بايولوجية، وكيميائية، وتقليدية، فضلاً عن ١٢ صاروخاً مصابة باضرار طفيفة الا انها غير صالحة للاطلاق واعداد اخرى غير محددة من الصواريخ المصابة باضرار شديدة.
وكل هذه الصواريخ ذات مديات بعيدة (٦٠٠ كيلومتر)، منها ماهو محوّر عن صواريخ سكود ومنها ماهو مصنع محلياً.
كما ان الحلفاء لم يستطيعوا تدمير قاذفة واحدة من سبع عشرة قاذفة متحركة، ولم يسلم النظام قاذفة واحدة الى المفتشين علماً ان قائد الصواريخ اعترف علناً بان المهارة العراقية ادت الى عدم تدمير اية قاذفة خلال الحرب، الا ان النظام ادعى بانه دمر القاذفات فيما بعد. وهنا يضع النظام حاله في وضع حرج من خلال تصريح قائد الصواريخ.
٤- دأب النظام على تدمير اجزاء من الصواريخ التالفة وهي غير معروفة العدد لدى المفتشين، وتبليغ المفتشين بانه عثر على هذه الصواريخ المدمرة خلال الحرب او انه قام بتدميرها من طرف واحد، كما انه قام بتفجير ادوات واجزاء احتياطية من صنع روسي ومحلي على حد سواء لتشويه الصورة امام المفتشين، وبذلك استطاع ارباكهم، الامر الذي اضطرهم الى ارسال القطع المدمرة الى الخارج لتحليلها مختبرياً والتأكد ما اذا كانت مصنعة محلياً أم في روسيا، الا ان نتائج الفحص لن تكون كافية للجنة طالما توفرت لدى النظام ادوات احتياطية وصناعة محلية غير محددة.
٥- تمكن النظام من اخفاء عشرات الصواريخ سالمة وما لايقل عن مائة حاوية بايولوجية بمدة صلاحية طويلة ومائة حاوية اخرى بمدة صلاحية ربما تكون قد نفدت أو أوشكت على النفاد، علماً ان الاسلحة البايولوجية والكيماوية تحتاج بالدرجة الاساسية الى معرفة طريقة التصنيع وما عدا ذلك يصبح امراً ثانوياً بسيطاً، ويمكن انتاج انواع منها في اماكن متفرقة بعيداً عن انظار المفتشين رغم وجودهم هناك. بل ويمكن تصنيعها حتى في البيوت (المساكن الاعتيادية) ويقدر الاميركان حسب وسائل الاعلام وجود ١٣٤ صاروخاً بعيد المدى وربما

٢٠٠ صاروخ (في العراق)، الا ان الوقائع تشير الى وجود حوالي خمسين صاروخاً فقط وتكمن خطورة هذه الصواريخ في ان عدداً منها مجهز برؤوس كيميائية وبايولوجية.

٦- ومما لاشك فيه وبموجب معطيات ومعلومات دقيقة فان الخطر مازال في درجات عليا.

٧- ان من حق البلدان امتلاك اسباب القوة للدفاع عن مصيرها ووجودها بما في ذلك العراق الا ان السياسة التي اتبعها صدام كانت ولم تزل سياسة عدوانية مستمرة الحقت اضراراً فادحة بدول الجوار واضراراً مدمرة بالعراق واهله، كما ان نهج التصرف اللامسؤول فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل تسبب في اطالة امد الحصار على الشعب وانهاكه، ومع هذا كله فان مشكلة العالم لا ينبغي ان تكون مع امتلاك العراق القوة الدفاعية بل مع الطاغية شخصياً، وسيبقى البحث عن الاسلحة اجراءً مبتوراً ومؤذياً للشعب العراقي حصراً اذا ما ابقي اجراء احادي الجانب، ولذلك لا بد من توخي الهدف مباشرة وهو اسقاط النظام.

٨- وفي الوقت نفسه ستبقى النظرة الى اولئك الذين يقولون ان السلاح في العراق هو سلاح العراق والعرب على انهم مزايدون، فبقاء القوة في يد صدام لم يكتو بها غير العراقيين وبعض دول الجوار، ومن تحلُ له الظاهرة الصدامية من العرب فلينقلها الى بلاده مبروكة عليه.

▫▫ لماذا لا تجرد اسرائيل من قدرتها التدميرية؟

يعتبر تحويل منطقة الشرق الاوسط الى منطقة خالية من اسلحة الدمار الشامل هدفاً انسانياً وحضارياً نبيلاً، بيد ان الظروف المتاحة تجعل مثل هذه الغاية صعبة التحقيق في المرحلة الحالية، التي مازالت الصراعات متعددة الاشكال قائمة فيها، ومن الطبيعي ان يطرح العرب سؤالاً واحداً محدداً لماذا لا يطبق على اسرائيل ما يطبق على العراق، وترمي الاجابة الصحيحة بثقل آخر على صدام، فلم تستخدم اسرائيل قدراتها الذرية والصاروخية والكيميائية وغيرها من اسلحة الدمار الشامل

في حروبها مع العرب، كما لم تطلق تهديدات علنية صريحة بمسميات محددة من الاسلحة كما فعل صدام علناً، وبذلك حافظت على ترسانتها الممنوعة، ولم يعد سراً ان العرب - ومنهم من اعطى عينات مختبرية كيميائية الى النظام مباشرة - والغرب قد ساعدوا العراق في انتاج الاسلحة الكيميائية وغيرها، وجرى استخدام الصواريخ والقوة الجوية واوسع استخدام للعوامل الكيميائية في الحرب مع ايران وضد الاكراد ايضاً من دون اي رد فعل حقيقي من العالم، ولذلك فان ما وقع من اجراءات استثنائية مُقيدة على العراق لم ينجم عن امتلاك العراق للقوة، بل نتيجة لتمادي صدام في حروبه واجتياحه للكويت.

▫▫ اعطاء فرصة لصدام

وجد التسامح منذ وجدت البشرية، الا ان العقود الثلاثة الماضية اثبتت ان التفكير باعطاء فرصة اخرى لصدام لاثبات نواياه (الطيبة) يعتبر حالة معقدة ومبتورة عن الاحتمالات الايجابية، فان اعطاء الفرصة الى وحش مهزوم تعني اعطاءه الفرصة لاعادة الصراع للتخلص من اثار الهزيمة الكبرى في الكويت. بل من هزائم العقود الثلاثة الماضية (سياسياً - اقتصادياً- عسكرياً). كما ان الاخذ بمخلفات الحرب العالمية الثانية لا ينطبق على ماهو واقع في منطقتنا. فان هتلر هو الذي شن الحرب على دول اخرى ولم تتوقف الحرب الا بعد ان قتل هتلر الذي فضل الموت على تجرع كأس الذل والهزيمة، ومن الطبيعي ان يجري التصالح بين العالم والمانيا طالما غادر هتلر المسرح، الا ان صدام مازال موجوداً رغم ما تسبب به من كوارث.

▫▫ السبيل الى الخلاص

وصلت الازمة العراقية الى حالة لم يعد فيها مجال للتجارب، فكفانا ما حل بنا وما سيحل من كوارث حقيقية، وان التوصل الى اي حل زائف يبقي الطاغية متربعاً على كرسي الحكم لن يكون الا على حساب الشعب العراقي ومستقبل

اجياله واستقرار وامن الدول الاقليمية، ولا بد من التخلص من صدام بصورة كلية، وعلى الرغم من ان قوة صدام في مسك الحكم لايختلف عليها كثيرون، الا ان غياب العمل الجدي التنفيذي لاسقاط النظام كان السبب الاكثر تأثيراً، واذا كان الشعب والقوات المسلحة قد فقدوا القدرة على المبادرة فان احد اسباب ذلك يعود الى التخبط الخارجي وقسوة القمع الداخلي، وهذا كله ورغم الشعور بعدم الارتياح من الموقف العربي (الفاقد للمبادرة)، والسياسة العالمية غير الفاعلة على الطريق الصحيح، فان مقاييس القوة والضعف داخل العراق لا ينبغي فهمها بظواهرها السطحية فانها مسالة ظرفية، مؤقتة، فيمكن حصول تطورات سريعة لصالح عملية التغيير متى تهيأت الاسباب اللازمة، وستبقى طبيعة العلاقة بين الحاكم والشعب المقياس الحقيقي الفعال الذي يمتلك قدرة الاستمرارية ، وبما ان مثل هذه العلاقة قد تحطمت كلياً في العراق حالياً، فان تأثيرات الخوف والقلق المشروع من القمع تبقى مسألة ظرفية.

ان العجز في التغيير كان عجزاً مصطنعاً او عجزاً غير مبرر، لجهة الموقف الخارجي الا ان هذا كله لا يجعل المتابع على قناعة في انهم يتعمدون الابقاء على صدام، وان اكثر ما يمكن الشك فيه انهم يفضلون بقاءه ضعيفاً ومحجماً بدل فوضى يرون فرصاً لحدوثها، الا ان مثل هذه السياسة هي الاخرى تترك اثاراً سلبية على مصالحنا الوطنية وان ما يمكن الخشية منه ان يتحول العجز الى سياسة فعلية تستهدف ابقاءه (صدام) في صندوق الى اجل غير مسمى فتجري زيادة مبيعات النفط الى ارقام عالية وفرض شروط مقيدة على المشتريات، فالشعب سيعيش في حالة غذائية افضل مقابل ضرب التقدم الحضاري المطلوب وتوفر اسباب لاستمرارية غير محددة للطاغية، الا ان ما يدعو الى تخفيف القلق من هذا الاحتمال هو ان صدام شخص لا تنطبق عليه المعادلات الكمبيوترية، وسيخلق في كل فصل مشكلة.

وان على الغرب والعرب ان اراداو ضمان المشروع من مصالحهم العمل بجدية للتخلص من صدام، وهذا يمكن ان يتم من خلال سياسة جدية تشمل ما يأتي:

١- مساندة المعارضة الفعلية مساندة جدية تختلف عن التجارة السياسية، لتكون واجهة اساسية.

٢- اتخاذ سلسلة من الاجراءات السياسية منها اعطاء دور للمعارضة.

٣- اتخاذ موقف اعلامي واضح بل واكثر وضوحاً.

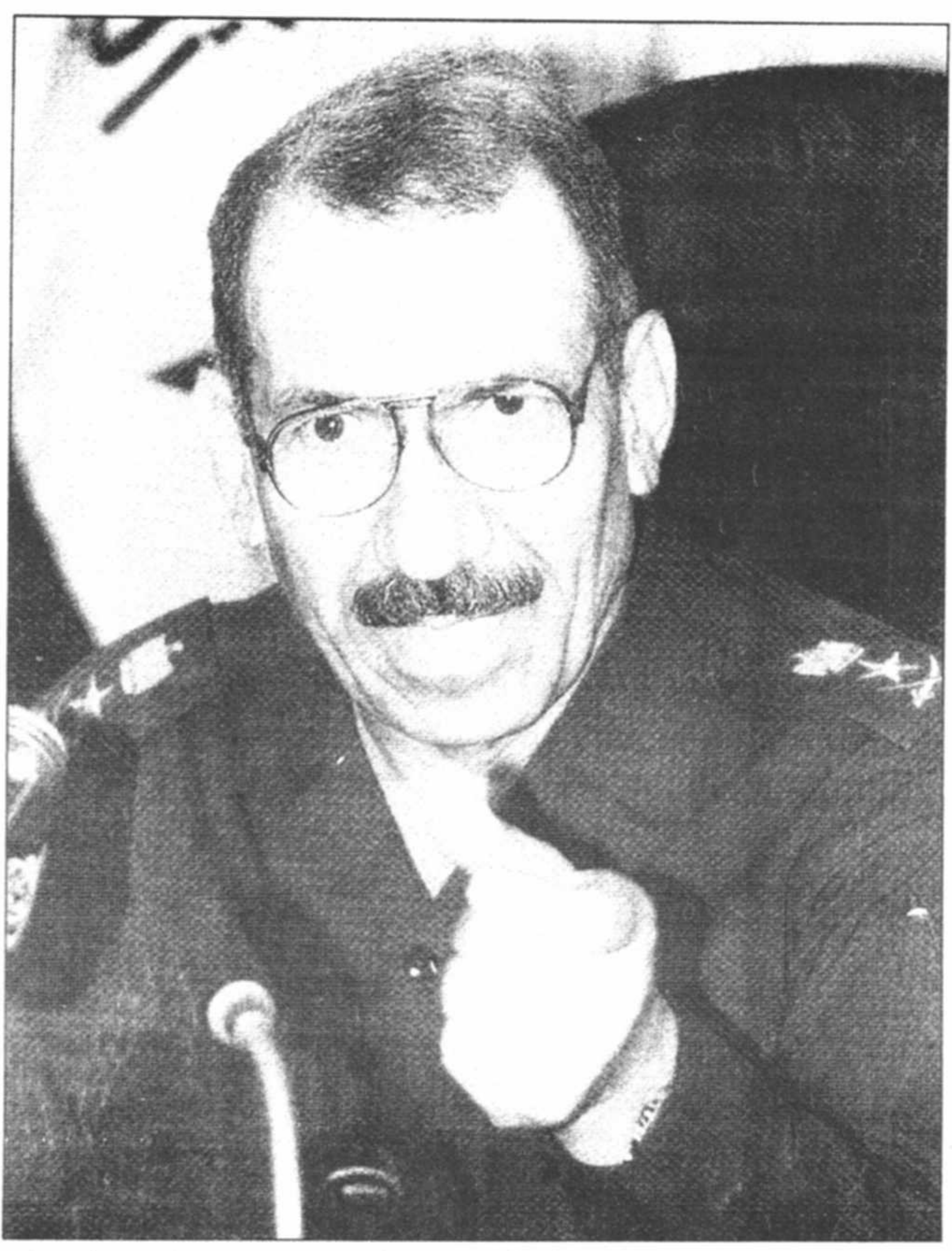
٤- تطبيق صارم للعقوبات (عدا مايتعلق بتأمين الغذاء والدواء الذي ينبغي زيادته) والزام الدول المجاورة بالتنفيذ، ولسحب البساط من تحت النظام القيام بتأمين الحاجات الانسانية الكافية للشعب العراقي وبخاصة الدواء والغذاء من خلال لجنة العقوبات وحسم أقيامها من الارصدة المجمدة في حالة اصرار النظام على ايقاف المبيعات النفطية.

٥- اعادة المعارضة الى شمال العراق.

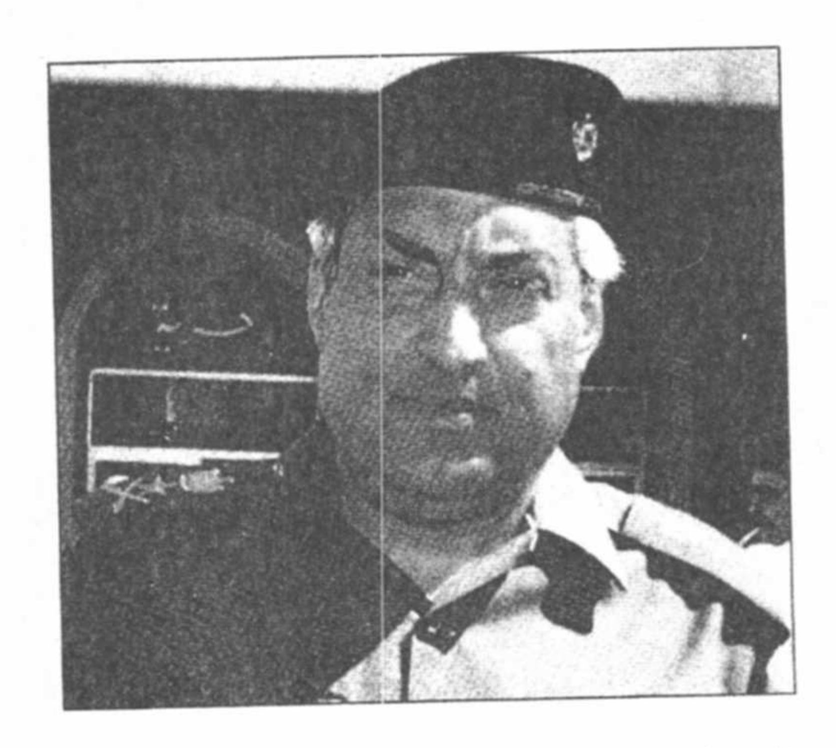
٦- مخاطبة قادة الجيش علناً مخاطبة واضحة لا لبس فيها.

وعندئذ سيرى العالم ان صدام لم يكن الا كياناً هزيلاً صنعته الظروف وأمد في بقائه غياب المبادرة وسياسة ادارة الازمات (اي سياسة ردود الفعل).

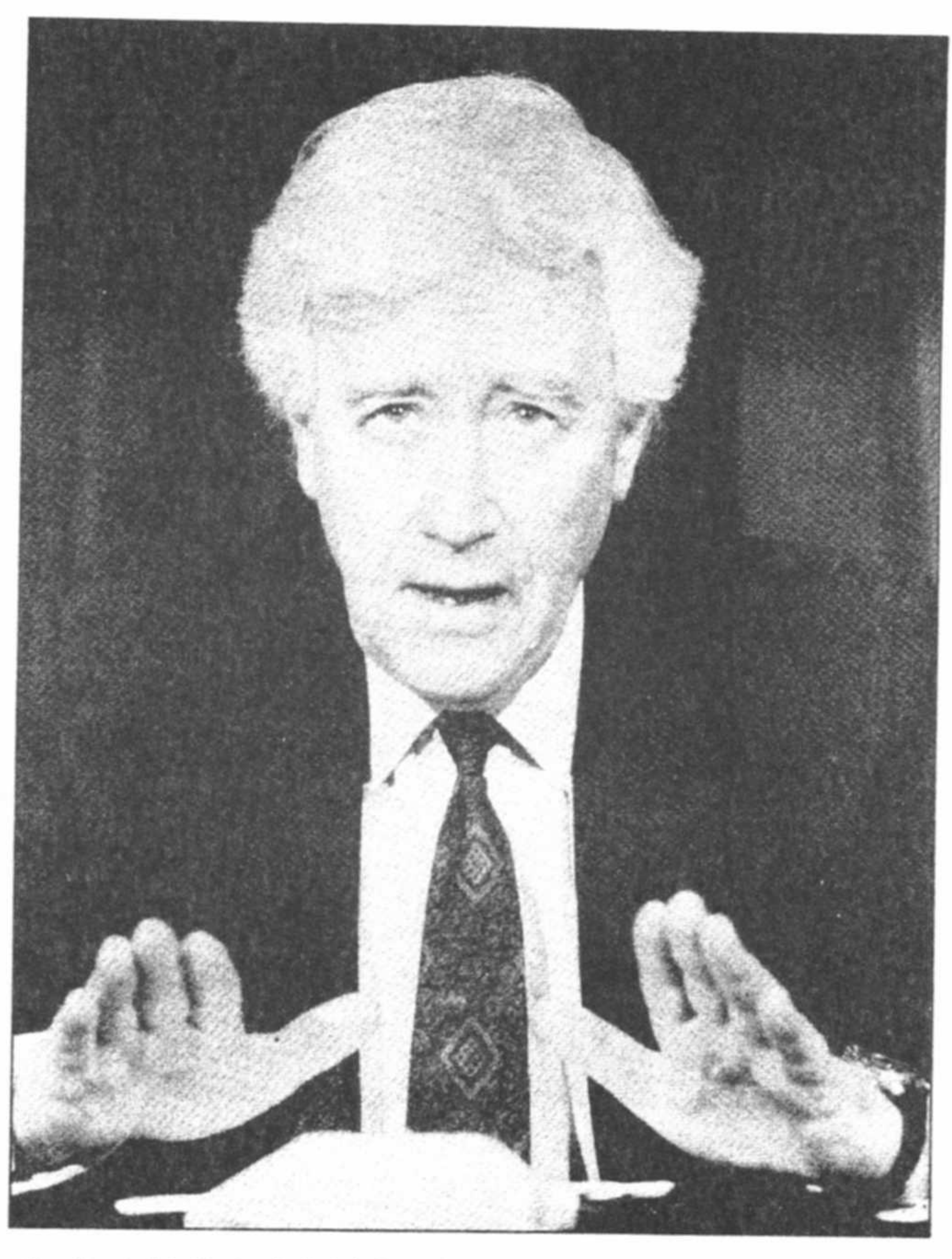
❋ ❋ ❋



الفريق المهندس عامر رشيد العبيدي، أحد أهم علماء العراق في الصناعات العسكرية، عمل عملاً دؤوباً في تأمين قدرة الردع العراقية، الا ان سياسة صدام حولت جهوده وجهود، العلماء العراقيين الآخرين اعباءً اثقلت مستقبل العراق.



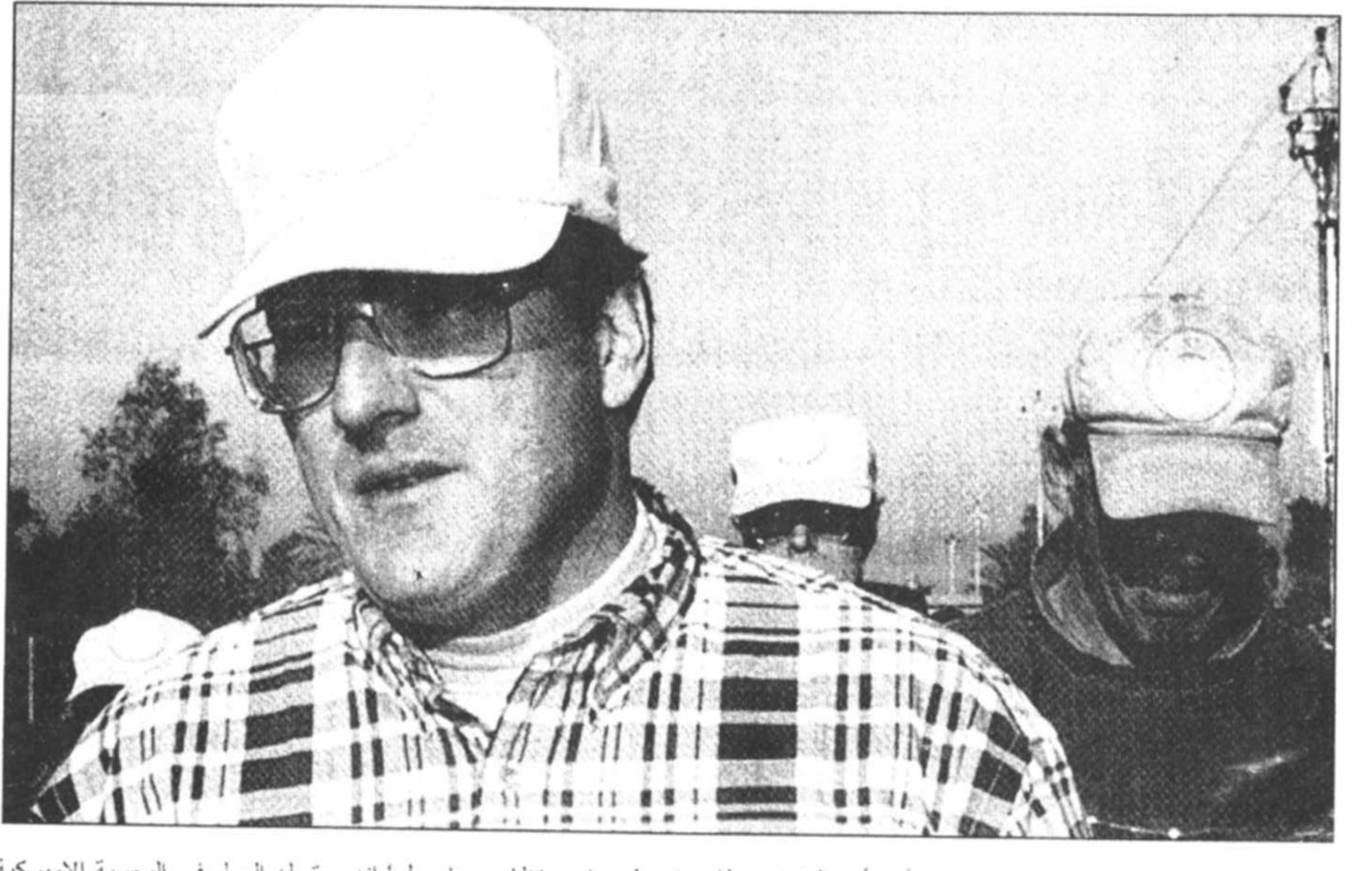
الفريق المهندس عامر السعدي، أحد أهم علماء العراق في الصناعات العسكرية الذين قدموا للجيش العراقي والعراق خدمة هائلة في تنمية القدرات القتالية منذ السبعينات، الا ان هذه الجهود الهائلة حولتها سياسة صدام المتهورة الى معاضل حقيقية أمام الشعب والوطن.



السفير السويدي رالف ايكيوس، رئيس اللجنة المكلفة ازالة أسلحة الدمار الشامل في العراق في الفترة من نيسان ١٩٩١ – تموز ١٩٩٧.



السفير الاسترالي ريتشارد بتلر، خليفة ايكيوس في رئاسة لجنة ازالة اسلحة الدمار الشامل، تميزت علاقاته بالتوتر الشديد مع نظام صدام.



مفتش الاسلحة اميركي الجنسية سكوت ريتر ، أحد أهم المفتشين الذين اصطدموا مع نظام صدام علما انه سبق له العمل في البحرية الاميركية وتعكس تصرفاته وأسلوب عمله اضطلاعه بخبرة مخابراتية مهمة.



قراءة مغايرة لاحتمالات التقسيم

في غمرة الحرب العراقية - الايرانية، وفي عام ١٩٨٢ تحديداً، وهو عام الانكسارات في نصفه الأول واندحار الهجمات الايرانية في ذروة حرارة يوليو، صادفني احد الاصدقاء ممن كانوا يشغلون منصباً قيادياً من الخط الثالث في حزب البعث، وانهال علي بسلسلة متراشقة من الاستفسارات عن المعارك الحاصلة في قواطع العمليات، ثم لاذ ببرهة من الصمت قبل ان يبادرني بسؤال سريع يستوضح فيه الرأي عن اسباب بداية الحرب، وما اذا كان الايرانيون يستهدفون فعلاً الرئيس وكيف سيكون الوضع في العراق من بعده؟ وهل ان التقسيم سيقع اذا ما حصل ما قد يحصل؟

ولم اكن اشك للحظة في ان السائل كان ولم يزل كارها لصدام بالفطرة رغم انه من المنتفعين من وجوده (حتى الان)، ويبدو انه اراد استكشاف رأيي، وربما كان يتوخى التحريض بطريقة مباشرة او في ضوء ما يتلقى من الاجابة ولا أخفي بأنه لم يحصل على الاجابة التي كان يسعى اليها، لسببين اساسيين هما: لم يكن سقوط صدام يحتل الاسبقية الاساسية في التخلص من المخاطر التي كانت تحيق بنا (.. او هكذا كنا نراها). والثاني، عدم جواز تداول الآراء الشخصية على الالسن في مرحلة كانت فيها اغلبية الناس (من البعثيين) على استعداد لكتابة تقارير المعلومات تطوعاً، وطالما ان الكلام العابر قد لا تكون له نتائج مثمرة فالاستعانة بالكتمان تبقى ضرورة امنية.

وبعد ايام من ذلك جرى عقد ندوة حزبية موسعة لاعضاء القيادات الرأسية للحزب في بغداد تمت خلالها قراءة دراسة اعدتها دائرة التوجيه السياسي في القوات المسلحة تحت عنوان "الرفيق القائد العظيم ضمان الوحدة الوطنية" ويبدو ان صاحبنا الذي وجه الاستفسار الذي جرت الاشارة اليه قد اتيحت له فرصة قراءة المحاضرة التي جرى توزيعها على قيادات الفروع الحزبية المدنية لتثقيف الجهاز الحزبي بموجبها.

واذكر هنا حادثة جرت في عام ١٩٨٨ عندما ارسلت الامم المتحدة فريقاً من المراقبين العسكريين لمراقبة وقف اطلاق النار بين العراق وايران، بقيادة الجنرال سلافكو يوفيج احد كبار الضباط العاملين في الاستخبارات اليوغسلافية، وبحكم العلاقة التي كانت تربط بين استخباراتنا والاستخبارات اليوغسلافية، ترتبت علاقة طيبة مع الجنرال سلافكو يوفيج منذ مطلع الثمانينات، ومن الطبيعي ان تجري محاولة توظيف هذه الصداقة لاغراضنا الاستخبارية (وهو ما قد نعرج عليه في يوم ما)، الا ان ما تجدر الاشارة اليه ان الجنرال سلافكو الذي غلبت عليه دواعي القلق الشديد على مستقبل يوغسلافيا بعد غياب الرئيس جوزيف بروز تيتو اورد جملة لغرض محدد معروف، حيث قال: "ان يوغسلافيا اليوم بحاجة الى ان يقودها الرئيس صدام لانقاذها مما ينتظرها".

وبعد ان افرغ فريق المتابعة شريط التسجيل السري كان علينا ادخال هذه العبارة في التقرير الخاص الذي طلبت رئاسة الجمهورية توزيعه لاطلاع القادة.

بعد حجب بعض الفقرات ذات الطابع الاستخباري، وبالطبع فان السكرتير ورغم ثقة صدام فيه فانه لايمتلك صلاحية التوجيه، ويبقى دوره تبليغيا بايصال توجيهات صدام وبشكل خاص في الامور المتعلقة بشؤون الامن والاستخبارات فالصلاحيات لاتخول لاحد، وكان من الواضح تماماً ان غرض التعميم يعود الى الرغبة في اطلاع القادة على ماقاله الجنرال سلافكو عن صدام.

وبصرف النظر عما احتوته محاضرة التوجيه السياسي من دعايات لصالح الطاغية، وبعيداً عن غاية واهتمامات سلافكو، وبمعزل عن التباين الذي سيطر

على حياة اليوغسلاف من حالة الشد وتقييد الحريات الى حالة التطلع نحو افتتاح الحياة رغم ما اصابهم من اثار حرب داخلية لفترة عابرة من الزمن، فان الاسئلة التي تطرح نفسها من جديد هي:

هل ان ما دأب صدام علىالتحذير منه عن غيابه (وهو مايريد الشعب رؤيته عاجلاً) له ما يبرره من الناحية الوطنية؟

ولماذا لم يكن وجود الحكام السابقين ضمانة لوحدة العراق؟

ولماذا لم يعرّض رحيلهم البلد للتقسيم؟

وما واقع العراق داخلياً؟ ثم ماحقيقة الوضع الاقليمي؟

وهل تريد بعض الاطراف الخارجية تقسيم العراق؟ وهل هنالك احتمالات لحرب اهلية طويلة الامد، ثم يستوي الامر من دون تقسيم وربما تقاسم؟

ولعل الاجابة الشافية عن هذا كله تتطلب حلقات طويلة ومتسلسلة.

ولعل هنالك من الاراء المتخالفة والاجتهادات في الرؤى ما لا يمكن اغفالها، الا ان الحقائق تبقى حقائق لا يمكن تجاهلها.. ومع ذلك فان المرحلة الراهنة قد لاتحتاج الى اكثر من ايجاز مقتضب.

▫▫ الوضع الديموغرافي

لقد تحكمت المسائل التاريخية في تكوين تركيبة الشعب العراقي الحالية الى حد بعيد، فنتيجة الصراع بين الامويين بقيادة معاوية بن ابي سفيان والاتجاه الموالي للامام علي بن ابي طالب ومن بعده الامام الحسين على الاراضي الجنوبية من العراق، تكونت قاعدة الفكر الجعفري (الشيعي) في تلك المنطقة، وبذلك استقطب هذا المذهب الغالبية العظمى من سكنة الجنوب وواصل انتشاره الجزئي الى مناطق من وسط العراق وبقع محدودة وصغيرة في شماله من التركمان، فاصبح نصف السكان المسلمين في العراق (تقريباً) من اتباع المذهب الجعفري فيما ينتمي الاخرون الى اهل السنة.

ونتيجة قرون النفوذ التركي تكونت الطائفة التركمانية في شمال العراق وبخاصة في محافظة التأميم (كركوك) وغالبيتهم من السنة.

اما الاكراد فان لهم انتشاراً محدداً في المناطق الجبلية، ويشكلون الغالبية العظمى في محافظات السليمانية واربيل ودهوك فيما تراجعوا في كركوك، كما لهم تواجد مهم في الموصل وبغداد وديالى واطراف صلاح الدين، وينتمي غالبية الاكراد الى السنة عدا شريط محاذ للحدود العراقية - الايرانية في المنطقة الوسطى من العراق وهم الاكراد الافيلية كما تطلق عليه التسمية وجميعهم من الشيعة.

ويمثل المسيحيون نسبة قليلة من السكان قد تتجاوز نسبة التركمان وبقوا على الدوام (في العقود الاخيرة) بعيدين عن اثارة النعرات وان تأثرهم بما طفا منها على السطح بقي في حدوده الدنيا.

وحاولت المؤسسات الجعفرية التوسع في نشر الافكار في مناطق النفوذ الآخر من العراق وبالطرق الفكرية فقط حيث لم تمتلك مصدر القوة المنظمة للبلاد (الحكم)، كما حاول الطرف الاخر التأثير المعاكس في العقود الاخيرة من خلال قيام وزارة الاوقاف والشؤون الدينية بتعيين خطباء من السنة في عدد من مساجد الجنوب، الا ان اياً من الطرفين لم ينجح في مسعاه، ولم يستطع احدهما التوسع في مناطق نفوذ الآخر عن طريق الفكر وبصورة قاطعة، فبقي مئات آلاف العرب السنة في جنوب العراق على مذهبهم، وماثلها الشيء ذاته على الاتجاه الآخر، وفي هذا اشارة مفيدة للتعايش الصحيح.

ويكاد التطور الوحيد في بغداد يكون الحدث المهم بهذا الاتجاه فقد امر عبد الكريم قاسم ببناء مساكن لضباط الصف في قوات بغداد ولما كانت الغالبية العظمى من ضباط الصف (المراتب من غير الضباط) من ابناء الجنوب فقد شغلوا تلك الدور التي انشئت في اطراف بغداد تحت اسم الشعلة والثورة التي ابدل صدام تسميتها الى مدينة صدام، وبحالة سريعة اصبحت في هاتين المدينتين كثافة سكانية عالية اخلت بالمعادلة السكانية. وفي انتفاضة مارس ١٩٩١ حصل تحرك محدود في الشعلة واخمد على الفور، فيما تم تجريد مدينة

الثورة من السلاح من قبل قوات الحرس الخاص وبلغت اعدادها حمولة مائة سيارة شحن كبيرة.
وبعد كارثة الكويت صدر قرار بازالة المدارس الجعفرية في المدن السنية، ومنع رفع الاذان على الطريقة الجعفرية في كافة انحاء العراق والاكتفاء برفع الاذان الرسمي، الا انه اعيد الغاء القرار المتعلق بالاذان.

▫▫ آثار التناقض الديموغرافي كرديا

من المؤكد ان الغالبية العظمى من الاكراد يتمنون اقامة دولة كردية في شمال العراق شأنهم في ذلك شأن الاكراد الآخرين، ولكن اذا كانت الاوضاع قد آلت الى شيء فالى وضوح عدم مساعدة الموقف الدولي لاقامة مثل هذه الدولة ويعود السبب في هذا الى ان اهمية تركيا لم تتضاءل ضمن الاستراتيجيات الاميركية ان لم تكن اهميتها قد ازدادت بعد اجراءاتها التنسيقية مع اسرائيل، ولكونها كتلة قوية مجاورة للدولة الدينية في ايران.
وتكوين دولة كردية في شمال العراق وهو الدولة الاضعف (حاليا) يقود على الارجح الى تنشيط الحركة الانفصالية في تركيا، وقد يضطر الاتراك الى احتلال شمال العراق وهو توجه يؤيده قسم من الاكراد العراقيين وفق نظرية ازدياد نسبة الاكراد في دولة واحدة يشكل نقطة قوة قادمة للاكراد، وأفصحت شخصية كردية اساسية بأنهم طلبوا من الاتراك ذلك عقب حرب الكويت مباشرةً الا ان الاتراك رفضوا الطلب.
وفي حالة حصول اي تطور في الوضع الكردي فمن المتوقع ان يلقي بظلاله (سلبا) علىالوضع التركي وما يسببه من اختلال المعادلة لصالح ايران الامر الذي يختلف مع المصالح الاميركية.
بيد ان هذا كله لا يعني ان فكرة الدولة قد ازيلت من عقول ونوايا الاكراد، فمتى ما وجدوا فرصة مناسبة للتعبير عن ذلك عمليا فلن يضيعوا برهة للتفكير وان

مثل تلك الفرصة مرهونة بالمصالح الخارجية العليا، وليس بالمتغيرات داخل العراق.

وادراكاً من قبل الاكراد لتلك الحقائق فان تدخلهم في اية فوضى محتملة - على سبيل الافتراض سيتحدد بما يأتي:

١- تجنب الانتقام، او المشاركة في اية حرب اهلية مزعومة في المناطق العربية - الا ان هذا لا ينفي استعداد فصائل اساسية منهم بخاصة الاتحاد الوطني الكردستاني للمشاركة في عملية التغيير.

٢- يتوقف القتال بين الاكراد انفسهم على طبيعة الموقف في بغداد والرؤية الدولية تجاهه. ونخلص من التطور في الموقف الكردي الى ازالة هاجس المناطق العربية شمال بغداد من انهم قد يشاركون في مرحلة التخلخل بعمليات مسلحة ضدهم، وهذا عنصر مهم، بل اكثر من مهم، ويقول احد اهم قادة الكوادر الكردية انهم حرصوا على هذه المعادلة في المراحل الوسطى من انتفاضة مارس ٩١ ورفضوا طلباً ايرانياً بمساندة انتفاضة الجنوب بمواصلة الاندفاع نحو الموصل وديالى ومعلومات الاستخبارات كانت تؤيد هذا الادعاء من ناحية حصوله.

عاش التركمان في العراق في حالة متميزة من الهدوء وخالية الى حد ما من التعقيدات والمشاكل وانخرط العديد منهم في السلك العسكري وغيره من مجالات الحياة، واخذ بعضهم يدعي انه من اصول تكريتية، والحقيقة ان اعداداً من اهالي تكريت نزحت نتيجة فقر المدينة الى مناطق اخرى - فاستقطبت كركوك (باعتبارها المنطقة النفطية الاولى والاهم سابقاً) مجموعات من التكارتة فاختلط هؤلاء مع التركمان الذين يشكلون نسبة عالية من سكان المدينة، وبمرور عقود الزمن اصبح من الصعب اثبات الادعاء، ومثل هذا الاثبات يعتبر في العراق حالة مطلوبة..، ورغم هذه الصلة الاندماجية في نهاياتها السائبة، لم يصل اي من التركمان الى موقع مهم في الاجهزة الخاصة (أمن - استخبارات، أمن خاص - مخابرات). بل يكاد لم يصل أي ضابط منهم الى هذه الاجهزة الا اذا كانت اصوله مجهولة ومثل

هذه الحالة تعتبر نادرة جداً لان سياقات الترشيح والنقل الى هذه الاجهزة وبخاصة الاستخبارات والأمن الخاص تخضع لتدقيق مشدد.
كان التركمان على الدوام مواطنين ملتزمين بالقوانين العراقية، ولم تثبت ضدهم قضايا مخلة بالأمن العام والمصالح العليا ولم يبلغ عدد المتعاونين منهم مع تركيا درجة تثير الانتباه، واستمروا هكذا يحتفظون بعلاقة اقرب الى العرب من الاخرين، حتى كارثة الكويت.
وفي الحقيقة فان العراق دولة (سابقا) وشعباً، لم تكن له مشاكل حقيقية مع الاتراك بل لم تكن لنا معهم اية مشاكل، فكانوا على الدوام يتعاونون مع السلطة في بغداد لتقييد تنقلات الحركات الكردية المسلحة (العراقية) على حدودهم في وقت لم تكن القضية الكردية في بلادهم قد تحولت الى مشكلة كما هو الحال الآن، ولكن بعد اجتياح الكويت وبقاء النظام في بغداد في حالة من العزلة القاتلة بدأت السياسة التركية تترجم مصالحها الذاتية، ولما كانت الازمة العراقية اكبر كثيراً من المصالح التركية وحدها فقد توجهت الدولة التركية الى الاهتمام بالمسألة التركمانية في العراق فاستقطبت مجموعات منهم لتشكيل واجهات سياسية وتقديم الدعم والاسناد المالي والسياسي والعسكري اليهم وتسليح عدة مئات منهم تحت غطاء تولي مهمة الفصل بين الفرقاء الاكراد المتحاربين.
الا ان التركمان في العراق سيبقون الاقرب الى عرب الوسط الذين عاشوا معهم، ولن يشاركوا باية اضطرابات مفترضة على اساس تركماني، الا اذا كان ذلك ضمن موقف تركي متوغل.

□□ ما حقيقة الطائفية؟

ان اكثر مايقلق المهتمين بوحدة واستقرار العراق ما يقال عن وجود تناقضات، وما يشير الى عداوات متسترة، ومشاكل متفاقمة بين عرب العراق من السنة والشيعة.
ترى ما حقيقة الطائفية الموجودة على مستوى الدولة والمجتمع والافراد؟

ويبدو هذا الموضوع شائكاً عندما يطفح على السطح الا ان الحقائق تكشف انه موضوع مصطنع تستخدمه اطراف عديدة لاهداف محددة. ومن الصعب جداً ان يرضي تفسير معين شريحة واسعة من العراقيين (خارج العراق) فكل له تطلعاته، واهدافه، وهم (بهذا) لا يعبرون عن واقع حقيقي لما هو حاصل في العراق، ويعتقد بعض العرب والغرب، ان غياب صدام فجأة دون تخطيط عسكري مسبق سيضع العراق وسط دوامة الدم بين الشيعة والسنة وهوتقدير وقلق يكادان يصدقان الا ان وقائع الامور تقرأ بشكل آخر.

في انتفاضة ٩١ حصلت حالات تجاوز من قبل بعض المنتفضين الى جانب حالات صحيحة في التعامل مع قادة وقعوا في ايدي المنتفضين وعوملوا معاملة طبيعية رغم انهم كانوا من كبار ضباط الاستخبارات، الا ان الانباء السيئة غالباً ما تصل قبل ما يعاكسها، فخلال الانتفاضة نقلت الى بغداد آلاف التقارير التي تشير الى آراء طائفية تفيد ان اصواتاً ترتفع لتقول "كفى ان تحكمونا ١٤٠٠ سنة" .. الخ وما يتبع من تهديد ووعيد.. وهنالك من كان يقول "حكمتمونا ٧٠ سنة" .. ومثل هذا الكلام يتردد في اماكن اخرى خارج العراق، ولكن لا يجب النظر الى هذا القول بعين جدية، فكم هم الذين رددوا هذا القول ويؤمنون به؟ لاشك ان اعدادهم معدودة ولذلك لا يجوز البناء على مثل هذه الاقوال.

وقبل التوغل في الموضوع، لا بد من القول ان وقائع التاريخ تثبت ان الحكم في العراق لم يكن حكماً سنياً في مفهومه المجرد، فالامويون حكموا العراق ضمن امبراطوريتهم العربية الاسلامية، والحجاج لم يكن حاكماً عراقياً سنياً بل كان من خارج العراق، والدولة العباسية كانت امبراطورية عربية اسلامية، وهم والعلويون ابناء عمومة، وفي العصر الحديث حكم الملوك العراق بمساعدة الانكليز وهم من اصول عربية جاءوا من مكة المكرمة. ولم يكن الملوك طائفيين فغالباً ما ترأس الوزارات والبرلمان اشخاص من الشيعة بشكل غير صوري.

وعندما استولى عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف على الحكم في العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ كان ذلك بمساعدة القوات المسلحة وعندما ابتعد قاسم عن التيار

القومي العربي وتخندق معه في مرحلة ما الشيوعيون والنسبة الغالبة من شيعة الجنوب والتركمان (واكراد كركوك والموصل) والآشوريون تصدى له القوميون العرب رغم سنيته، وعندما اطيح به في ٨ فبراير ١٩٦٣ على يد البعثيين كانت غالبية اعضاء قيادة الثورة من الشيعة وهم الذين اتوا بعبد السلام عارف ليتولى رئاسة الجمهورية (وهو من السنة). ولم يكن للطائفية اي دور عندما اطيح بعارف، بل اشترك البعثيون من الطائفتين في محاربة عبد الرحمن وعبد السلام عارف.

وعندما وصل البكر وصدام الى الحكم لم يصلا اليه لانهما من السنة، بل لانهما ركبا موجة البعث التي اطاحت بالحاكم الضعيف، وبعد انقلاب يوليو جرى تعيين ناظم كزار مديرا للامن العام ومنح رتبة لواء وهو مدني وشيعي فبدأ بتصفية البعثيين اليساريين وكان القسم الاكبر منهم من السنة، ثم ان الشيخ عبد العزيز البدري السامرائي كان اول من قضى تحت التعذيب، وهو رجل دين سني فلم يقتله ناظم كزار (الشيعي) بل قتلته توجيهات الحاكم حامل الصفة السنية.

وعندما نقول ان صدام ليس طائفياً بالمعنى الطائفي فان هذا لا يمثل دفاعاً عنه، والعياذ بالله لانه لا يوجد ما يجعل السنة يعتزون في ان يحمل صدام الصفة السنية، بل نريد ابراز الحقائق كي لا تحسب جرائم طاغية على طرف لا دور له فيها، وتجنباً لمآسي الطائفية، ولكن هذا لا ينفي ان صدام يلعب باثارة الطائفية بطرق واساليب متسترة بالقدر الذي يساعده فيه الى اثارة الفرقة، ويسهم في صيانة كرسي الحكم، كما انه، ولاعتبارات أمنية، يتحسس مما يصفه بالربط والتناغم بين اطراف من شيعة العراق وايران الا ان مثل هذا التحسب يبقى متعلقاً بأمنه هو شخصياً.

◻◻ مراجعة في سجلات القادة

لقد عين ناظم كزار مدير للامن العام وهو شيعي وتآمر لقتل البكر وصدام ليس لانه شيعي وهما من السنة بل لانه بعثي ولاحظ انحرافهما عن الخط الذي يفهمه

فاعدم ومعه عدد من البعثيين وغالبيتهم العظمى من بغداد وسامراء والانبار (من السنة).

وتم تعيين غانم عبد الجليل عضو القيادة القطرية للحزب سكرتيراً للجنة شؤون الشمال المهمة والتي كان يرأسها صدام شخصياً وعين عدنان الحمداني في منصب قريب جداً من صدام وهما من الشيعة فاعدما عام ٧٩ مع كوكبة من ابناء العراق سنة وشيعة بذريعة التآمر بالتنسيق مع سوريا وبقيادة وتحريض محمد عايش عضو القيادة القطرية وهو سني. وعين سعدون حمادي عبد الزهرة بمناصب كبيرة (رئيس وزراء - رئيس المجلس الوطني - الصوري) وهو شيعي وكان اهله في مدينة كربلاء ايام الانتفاضة، وعين محمد حمزة الزبيدي (شيعي ايضاً) رئيساً للوزراء واسهم اسهاماً مباشراً في ضرب المنتفضين في الناصرية بقسوة تزيد عن كل ما فعله الآخرون.

وخلال مرحلة احتلال الكويت وام هزائم صدام كان وزير الدفاع الفريق اول الركن سعدي طعمة الجبوري شيعياً، وخلال مرحلة المجابهة الاولى من الحرب مع ايران كان مدير التخطيط العسكري شيعياً من اهوار العراق وهو العميد الركن شاكر وجر الامارة واعتبر عضواً في القيادة العامة للقوات المسلحة بعد ان اصبح لواء في الجيش كما شغل الفريق الركن نعمة فارس المحياوي مناصب رفيعة منها قائد فيلق ومعاون رئيس اركان الجيش وهو شيعي المذهب ومن الضباط اللامعين والوطنيين والمشاركين في ١٤ رمضان - ٨ فبراير ١٩٦٣.

ومازال الفريق الركن عبد الواحد شنان رئيساً لاركان الجيش وهو شيعي من مدينة السماوة (محافظة المثنى) كما شغل ضباط كبار من الشيعة مناصب مهمة في الاجهزة الخاصة ومنهم اللواء الركن سنان عبد الجبار (من النجف) الذي شغل منصب معاون مدير استخبارات وآمر مدرسة الاستخبارات، والعميد الركن عبد الرحيم عبد الغني السوس (من مدينة الناصرية) الذي شغل منصب معاون مدير استخبارات في مرحلة ما ثم عين ملحقاً عسكرياً في موسكو قبل الاعدام لعلاقته بحزب اسمه الوارثون.

والحقيقة التي لابد من قولها ان قادة وضباط الجيش لم يتعاملوا فيما بينهم على اساس طائفي (قطعاً) وان كانوا يوزعون ولاءاتهم فانما يوزعونها الى حالة التآخي والوطن ومسلكهم العسكري بعيداً كل البعد عن كل اشكال الطائفية سنية كانت ام شيعية، ان ما بين القادة العسكريين من علاقات اكبر من الطائفية ويعتبرون الدين لله والوطن للجميع، واذا دفعتهم الظروف يوماً الى الانحياز فسينحازون ضد الطائفية.. وسنبقى ننظر اليهم بعين الواقع للاطاحة بصدام وتفويت الفرصة على من يريدون تمزيق العراق.

ان تركيبة العراق لاتسمح ان يكون الحكم طائفياً وان حكم طائفة من شأنه تقييد حرية طائفة اخرى ويجب ان يعيش الجميع في بلدهم احراراً بصرف النظر عن دياناتهم واعراقهم وان التجربة الوحيدة التي تنطبق على عراق المستقبل ستبقى الديموقراطية الملتزمة. وان ما حصل قبل ١٤٠٠ سنة لسنا بمسؤولين عنه .

وان هذا لاينفي وجود انفاس طائفية في الوسط المدني يعتاش عليها اشخاص من كلا الطرفين وسيأتي يوم ليس ببعيد ليروا الحقيقة الدامغة بأعينهم في ان بلداً يريد التقدم في الحياة يجب ان يتخلص من امراض الماضي اولاً. وان الايمان بالله ورسله وكتبه تبقى ابعاده واضحة وجلية وعظيمة بصرف النظر عن الاجتهادات الجزئية المتفاوتة.

◻◻ حرب الانتقام

وهنالك آراء ترجح احتمالات حصول حرب اهلية على طريقة الانتقام، وهذا هو الاخر سيبقى موضع شك كبير، فالانتقام ضد من؟ ضد البعثيين؟ أم ضد الاجهزة الخاصة؟ أم قادة وضباط القوات المسلحة؟ وعن ماذا؟ فلا تزر وازرة وزر اخرى، ومن حيث المبدأ فان عدد البعثيين في العراق ١,٢٠٠,٠٠٠ شخص، وعدد منتسبي الاجهزة الخاصة وضباط الجيش يزيد عن خمسين الف شخص وكثير من المسؤولين يعودون الى مدن وعشائر وانهم اذا كانوا قد نفذوا الاوامر فانهم على الغالب ملتصقون بعشائرهم ومدنهم (عدا مدينة بغداد لسعتها وتنوع

سكانها)، واي تغير مفاجئ في الموقف سيؤدي طواعية الى قيام كل مدينة وعشيرة باعطاء اهتمام خاص في المحافظة على ارواح ابنائها لتحسين استعداداتها اللازمة لمجابهة الاحتمالات غير المتوقعه، وهذا يمكن ان يؤدي الى حالة صحية في منع الانتقام العشوائي وغير البناء.

□□ الحكام السابقون

اثبتت التجربة بعد التجربة ان الحكام في العراق لم يكونوا ضمانة حقيقية للوحدة الوطنية، فلم يتحرك شخص واحد في كل انحاء العراق لاستغلال مقتل عبد السلام عارف في حادث طائرة هليكوبتر مفاجئ رغم ان الحكم لم يكن يمتلك الاجراءات الاحترازية الحقيقية.

وقتل عبد الكريم قاسم ولم يتحرك احد لمساندته والانتقام له او استغلال الفرصة لتمزيق العراق.

وعندما سقط عبد الرحمن عارف كانت اعداد البعثيين في الجيش على اقلها وكانت عشرات الكتائب خالية حتى من ضابط بعثي واحد ولكن الفوضى لم تعم العراق، فلماذا اذاً علينا ان نتوقع اضطرابات بعد غياب الطاغية. فالاجابة الحية ستلقي باللائمة هي الاخرى على صدام شخصياً لانه اوجد شروخاً في المجتمع وترتبت في ظلاله حقوق دماء وآلام الى درجة جعلت العالم ينظر الى رحيله الابدي بعيون الترقب.

ولكن ورغم هذا كله فلماذا لاينظر الى الحال من زاوية اخرى وهي ان العراقيين يرون في صدام مشكلتهم الحقيقية وكل ما بعده لا يستحق الانتقام؟.

□□ مطالب دولية

لم تعد المطالب الدولية غائبة عن الاذهان فقد ادلى كل بدلوه بطريقة ايجابية او سلبية، يريدون غياباً عراقياً بعيد المدى عن الساحة السياسية وغيرها، فظهرت كتابات تقول ان تركيا وايران ومصر تمثل الركائز الاساسية للشرق الاوسط،

ومصر وسوريا والسعودية الركائز الاساسية للوطن العربي، فاين هو العراق اذا؟ ولماذا هذا الغياب رغم القوة الكبيرة والنفط الهائل والتجارب المذهلة التي لو حصلت في بلد آخر لما استطاع المحافظة على وجوده؟! **ان صدام لم يبن العراق بل حطم ما بناه الرجال بسياسته الهوجاء، وهو وحده السبب، كما ان الدول لا تقاس بتعداد نفوسها بقدر ما تقاس بمواقفها البناءة والريادية وثرواتها.. ولذلك نرى رؤساء كبارا يتهافتون الى دول صغيرة طمعاً في اموالها.**

الحقيقة الواضحة ان دولاً عديدة عربية وغير عربية تريد للعراق غياباً طويل الامد وتجريداً من كل اسلحته ومكامن قوته.

▫▫ الحكم لمن بعد صدام؟

ان هنالك حالتين لسقوط صدام هما:

* عملية مدبرة مسبقا داخلياً وسيكون وقتئذ الظرف مناسباً للسيطرة من دون مشاكل حقيقية، وهذا ممكن تطبيقه ايضاً بتشكيل قيادة موحد من قبل المعارضة في الخارج للتعاون في السيطرة على الاوضاع، ان لم تكن هنالك قيادة داخلية في وقت الحدث.

* تعرض صدام للاغتيال مع عدم وجود اية استعدادات داخلية لاستلام الحكم، وعدم وجود نواة لقيادة من المعارضة في الخارج وهذا احتمال مستمر ومفتوح على طول المدى، فمتى ما تمكن العراقيون من تصفية صدام فلن يسبق ذلك تفكير للحظة واحدة، علماً انه من المستبعد تماما ان يتمكن اركان النظام الحاليون من السيطرة على الاوضاع بل سيبدأ التنافس والتناحر حاداً فيما بينهم في وقت تظهر فيه حالات من الانفلات الامني الحقيقي، الا ان الوضع الحالي للقوات المسلحة سيمكنها من اخذ زمام المبادرة للسيطرة على الوضع مع بعض المتاعب.

ان من المبالغة المفرطة ترجيح احتمالات حرب طائفية، فالعسكريون والمثقفون بعيدون عن الطائفية من اي اتجاه كان، لقد اعطينا في ظل الطاغية حوالي المليون قتيل ودُمر اقتصادنا، وجرد البلد من قدراته الحقيقية وان وجوده يمثل خطراً حقيقياً على المنطقة والعراق، كما ان غياب الاستعدادات لمساعدة الشعب وقوى المعارضة الوطنية لاسقاط صدام او للسيطرة على الوضع في حالة سقوطه المفاجئ لا يخدم الامن الاقليمي، **واذا كانت المعارضة مستعدة، لتفهم تطبيق قرارات الامم المتحدة فانها لا يمكن ان تفهمها على اساس تجريد العراق من اسلحته وابقاء الطاغية متسلطاً، وان ما يمكن ان نفهمه هو ابقاء موضوع تجريد الاسلحة جزءاً من سياسة حقيقية لاسقاط صدام.**

واذا كان آخرون يفضلون بقاء صدام على شيء آخر فان الشعب العراقي يرى ان اكثر المخاطر المتوقعة ستكون مفتاحاً لعراق موحد وديموقراطي بعيداً عن صدام وظلال الاستبداد بكل اشكاله، وتعيش فيه كل مكونات الشعب في حالة من الاخاء والرخاء.



اللواء وفيق السامرائي يـرد:
خسرتم النظام في العراق ولن تكسبوا المعارضة!

رسالة الى رئيس تحرير جريدة القدس العربي

نشرت في ١٩٩٧/١٢/٣١

الاستاذ رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد،

قرأت يوم امس ما نشر في جريدتكم في الصفحة الاولى حول لجوء ماجد السامرائي الى لندن، وقرأت ايضا رسالة من شخص يدّعي ان اسمه حسن الناصري من السويد حول المعارضة العراقية وتبدو مليئة بعلامات الاستفهام والاتهام على كاتبها؟ الذي اخذ عليكم نشر اخبار المعارضة لانها لا تمثل الشعب من قريب او بعيد على حد ذاته وهاجم النظام مهاجمة لا قيمة لها، ورغم ملاحظاتنا الكثيرة والعديدة على المعارضة الخارجية وتأكيدنا المستمر منذ ٣ سنوات في ان المعارضة الحقيقية هي معارضة الداخل الا ان المعارضة الخارجية هي رشح المعارضة الداخلية او فوران المعارضة الداخلية نحو الخارج، فالداخل بحاجة الى من يتحدث عنه في الخارج والا يبقى كم الافواه كفيلاً بالتستر على الجرائم، كما ان كثيراً من البعثيين.. وغيرهم غادروا العراق تحت وطأة التهديد بالموت.. وان كاتب الرسالة (وهذا ليس رداً علنياً عليه) يبدو انه اساء التقدير في مهاجمة حتى البؤساء من المعارضين وبعضهم لا شك سيئ وهذه من سنن الحياة المليئة بالصالح وغيره، وابتعد عن مهاجمة النظام بالقدر

الذي يستحق، انه يريد ان يقول للعالم لا تتعاملوا مع المعارضة، اذاً، يتعاملون مع من؟ الجواب ربما مع النظام مثلما يريد صاحب الرسالة.

وما من شك في ان هذا الاسم ربما كان وهمياً لأحد ازلام النظام، وقرأت ايضاً ماكتبته "القدس العربي" حول ضرورة عدم تطبيق العراق قرارات الامم المتحدة (ص١٧) .

يبدو ان النظام في بغداد ليس براض عنكم تمام الرضا رغم دفاعكم (المؤسف) عنه تحت ذريعة الدفاع عن شعب العراق (وارجو ان لا تفسر عباراتي هذه بان القصد من ورائها التجريح ابداً كما ان المعارضة ليست راضية ايضاً). ولكن يا اخ عبد الباري فان المسألة كبيرة وخطيرة الى حد يتجاوز كل الحدود.

وما اود ان ابينه هو ما يلي:

١- ما من شك في انك شخصياً تنطلق من مواقف ونزعة قومية، ولكن مصيبة العراق هي الان اكبر من المسألة القومية بذاتها وليست جزءاً منها فحسب.

٢- ان شخصاً يحمل افكاراً قومية عربية لا نريد له ان يكون الى جانب الطغاة بل ان يكون مع الشعوب دائماً.

٣- ان فلسفة الزعامات قد ولت الى الابد فغالبيتهم تجار حروب على حساب الشعوب.

٤ - ان اخوانك في العراق يعانون الامرين بسبب سياسة النظام وبدون غيابه الابدي لن تقوم لهم قائمة، وحتى حب فلسطين قد زال قسمه الاعظم من نفوسهم امام طغيان النظام ومناصرة عرفات له رغم ظروفه الصعبة (اي ظروف عرفات).

فالرجاء ان لا تربطوا الامر بين النظام وفلسطين فالناس في العراق يكرهون النظام ويكرهون من يحبه بالطبع او يروج له.

٥- ان الوسام الذي يمكن ان يحصل عليه اي شخص قومي يجب ان يكون من الشعوب والا فان صدام لا يشرف احداً.

٦- اذا كان صدام ينظر بعض العرب البعيدين عن النار بطلاً قومياً فانه مجرم في العراق.

٧- ان الوقفة الصحيحة التي يمكن تصديق كونها لصالح الشعب العراقي والامة العربية هي التي تنطلق من دعوة حية لاسقاط صدام ومطالبة العالم برفع العقوبات، وقولوا للعالم اسقطوا صدام وارفعوا العقوبات اي ان يتم ربط العقوبات بعمل جدي لاسقاط صدام.

وختاماً، اشكرك على قراءة هذه الافكار السريعة وارجو ان تحسن الظن في النوايا.

اللواء الركن وفيق السامرائي

لندن - ١٩٩٧/١٢/٣٠



رسالة معنونة الى رئيس تحرير صحيفة الحياة

اسقاط صدام:

طلعت علينا "الحياة" يوم ١٩٩٧/١٢/١٢ بمقال مركز للاستاذ خيرالله خيرالله تحت عنوان "وللنظام العراقي مهمة" واحتوى رؤية حية جديرة بالاهتمام ومقال أخر هو عمودكم اليومي "عيون وآذان" وفيه ما يستحق الدرس والتحليل لانه عرض المعضلة والحل الصحيح وهو "وجوب رحيل النظام العراقي"، وتضمنت رسالتك هذه رؤية تشمل:

١- عدم الرغبة في اسقاط النظام بضربة اميركية او غزو وانما يجب ان يتغير من داخله وان قلب النظام ليس صعباً، فهو نظام الرصاصة الواحدة.

٢- وقوف الاردن ضد التيار العالمي كله لرفع الضائقة عن شعب العراق.. وهكذا رد النظام جميل الاردن باعدام كوكبة من شبابه تحت تهمة سخيفة.

٣- لعدم استيعاب النظام لدروس النكبات التي الحقها هو بالعراق وشعبه.

٤- ان النظام يعمل بطريقة "اضرب وفكر" وهذه وليدة نظرية "نفذ ثم ناقش" التي حرص صدام على تثقيف الجهاز الحزبي عليها وهي احد الاساليب التي تعكس نهج النظام الدموي وهكذا كان اعدام عشرات الضباط خلال الحرب العراقية - الايرانية بتهمة الجبن وارسال جثثهم الى ذويهم في صناديق كتبت عليها عبارة "رعديد، جبان" فيما هم من حملة انواط الشجاعة، ثم يعود ويصدر

قرارا بعد عدة اشهر باعتبارهم من الشهداء.

٥- ثم تخلص "رسالتك" الى اتهام المعارضة بأنها مصدر غير موثوق لاخبار العراق. وتكون هنا قد اطلقت حكماً عاماً ليس له ان يكون، فعندما تقول المعارضة مشتتة مثلاً، فانك تصيب الهدف ولكن لذلك ايضاً اسبابه ومن اسبابه ما هو حتمي ومنها ماهو تآمري (من بعض العرب وغيرهم) اما الموثوقية فانها مسالة جزنية تتعلق بعدد من الاطراف.

وفي الوقت الذي تعتبر يوميتك هذه رسالة حية، نتمنى ان يفهمها آخرون ولابد من توضيح الحقائق الآتية:

١- ان صدام يمسك الحكم بقوة، الا ان النظام سينهار بطلقة واحدة فعلاً ولا اشك في انها آتية يوماً.

٢- ان في العراق رجالاً احراراً وتشهد على ذلك مذابح الحرية، واذا كانت كوكبة شهداء الاردن حركت الموقف الاعلامي والسياسي العالمي، فان الاف البعثيين وقادة وضباط الجيش واجهزة الأمن والاستخبارات شقوا هذا الطريق بتهمة التآمر لقلب النظام من دون ان تتحرك المواقف العربية في الاتجاه الصحيح هذا فضلاً عن غيرهم من فئات الشعب ومكوناته.

٣- نشأت اجيالنا في العراق نشأة عروبية الا ان العرب تخلوا عن شعب العراق الا القليل، والادهى من ذلك ان بعضاً من العرب تآمر علينا وكان وما زال من هذا التآمر الدعوة الى تسويق الطاغية تحت شعار رفع معاناة الشعب وهو شعار زائف.

٤- ان بعضاً ممن يكتب في الصحافة العربية وبعضاً من ادعياء العروبة يتحدث عن صدام على انه بطل قومي، فأما آن الأوان ليستحي هؤلاء من انفسهم ؟ ويحرروها من السحت الحرام الذي امتصوه من دماء مليون ضحية عراقي مضوا في رحلتهم الابدية؟.

ويوم امس كنت اتداول مع احد كبار المعارضين العراقيين من الاكراد وهو الاستاذ نوشيروان مصطفى فأراد معرفة جوانب التفاؤل في نفسي، فقلت إنه (صدام) مجنون ومليء بالاحقاد ولن يعط الآخرين فرصة اعادة تأهيلة، كما ان القطيعة بينه وبين الشعب اخذت مداها النهائي.

ولعلك يا أستاذ جهاد لا تريد سقوط صدام بضربة اميركية كي لا تكتب له بطولة زائفة، لكننا نقول لهم ان اردتم ان تضربوا فاضربوا مكامنه الشخصية بدل منشآت الشعب.

وفي الختام فان جريدتكم تعد منبراً استراتيجياً ولا بد من الحرص على استمرارية انحيازها الى الخنادق المعادية للطغاة المتجبرين ومن خلالها نخاطب الحكومات العربية بقولنا ان كنتم تريدون ازالة معاناة العراقيين فالطريق واضح هو اسقاط النظام وان ما كنتم تخشونه قبل سنين قد تغيّر فلا حرب اهلية ولا تقسيم بعد صدام وستأخذ المبادرة طريقها الصحيح.

اللواء الركن وفيق السامرائي

نشرت في الحياة يوم - ١٩٩٨/١/٦



قراءة في احداث نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٧

منذ اندلاع الازمة الاخيرة بين النظام العراقي والامم المتحدة، حصلت احداث ومواقف مهمة تستحق التمهل والقراءة، لما يمكن ان تشكله من قواعد لتحديد مسالك المرحلة المقبلة، وتحليل المواقف والمعطيات.

وجاء اجتماع القمة لدول مجلس التعاون الخليجي بثقله المعنوي والسياسي ليعطي بُعداً آخر لاحداث الشهرين المنصرمين، فمن موقف النظام المتعرج والمتذبذب (ولكن نحو نقطة الاصل)، الى المناورات والثبات الاميركي، الى تلاطم الامواج العربية وسكون المياه وعودتها الى حالة الاصل، الى قفزة الدب الروسي وسقوطه على عجزه، الى تضارب الآراء في مجلس الامن دون قرار حاسم، وختاماً بمطالب الخليج الاضافية بضرورة اعتراف الطاغية بخرقه لميثاق الجامعة العربية باحتلاله الكويت وحتمية اعتذاره عن فعلته التي وصفها نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام قبل ايام بالعمل الشنيع كما نقلته وكالات الانباء.. كلها احداث مهمة لها مدلولات عميقة، وما يدعو الى الاسى ان الحاكم المتسلط الذي تحارب مع العرب مازال هو الحاكم عينه وحال عقله، اما الشعب العراقي فما هو الا دافع الثمن في كلتا الحالتين سواء انتصر صدام أم هُزم

طالما ان الطاغية يتربع على كرسي الضلال، وطالما ان الهزيمة ليست هي القاضية.

◘◘ مطالب صدام

تستهدف الجهود التي يبذلها النظام رفع العقوبات الاقتصادية او وضعها على خط الرفع النهائي المتدرج، اواحداث الشرخ في الموقف الدولي مما يؤدي الى مساعدة الدول غير الراغبة باستمرار الحصار على خرقه، وكما جرت الاشارة اليه في تحليل سابق او اكثر فان النظام ليس مستعداً للعودة الى نقطة الصفر لان هذه النقطة تعني وضع النظام على خط السقوط البطيء من دون تحديد او تخمين دقيق للمدة التي يستغرقها، فربما تكون غدا وربما بعد عدة سنوات، ومثل هذا الضياع يعود الى عدم وجود مشروع جدي لاسقاط النظام، فيبقى الامر متوقفاً على ما تفرزه احداث الداخل وهي احداث لا بد من حصولها في يوم من الايام.

◘◘ النظام وحساباته الامنية

ان واحدة من الاشياء التي خص الله بها اعداء صدام هي ديدن النظام وحساباته الامنية المفرطة في المبالغة، فانه يشك في كل شيء، ولا يثق في شيء عندما يتعلق الامر بامنه الشخصي، فكانت شكوكه بالاميركيين مستمرة خلال الحرب العراقية - الايرانية، رغم المساعدات الاستخبارية الهائلة التي قدموها الينا، وعندما سقطت الفاو بيد الايرانيين عام ٨٦ اتهم الاميركيين بالتآمر مع الايرانيين، وهو اتهام غير صحيح حاول الاميركيون تفنيده، وقدمت الاستخبارات الادلة التي تدحض هذا الاتهام ليس دفاعاً عن الاميركيين بل لتحديد الحقيقة، الا انه بقي على اصراره في الاتهام، واتهم عشرات القادة بالتآمر عليه وجرى اغتيالهم.

وقبل ايام اعلن حامد يوسف حمادي مستشار صدام الحالي وسكرتيره لاكثر من

عشر سنين وحامل اسراره كلها تقريباً بان طائرة الـ (U2) الاميركية المكلفة بمساعدة لجنة ازالة اسلحة الدمار العراقية (من خلال عمليات الاستطلاع الجوي التصويري) تقوم بمتابعة صدام واعضاء مجلس قيادة الثورة، ويدل هذا التحسب على درجة القلق والخوف التي يعيشها صدام على حياته، والا فان الحسابات المنطقية والعلمية تناقض هذا الادعاء للاسباب التالية:

١- ان طائرة نفاثة سريعة وتطير على ارتفاعات شاهقة لا يمكن ان تستمر في حالة حوم مستمر حول هدف معين، ومن دون هذا الحوم الذي لا تستطيع تأمينه سوى طائرات الهليكوبتر او المقاتلات الخفيفة لفترات محددة لا يمكن تحقيق الغاية من المتابعة لهدف متغير وآني.

٢- يمتلك الاميركيون اقماراً صناعية تجسسية عديدة تدور حول الارض، ويتمكن الاميركيون من التقاط صورة لهدف محدد كل بضع دقائق . وان جبهة الاستطلاع تكفي لتغطية الهدف المطلوب بخط مرور واحد.

٣- يتخذ صدام تدابير استثنائية لتفادي الاستطلاعات الجوية التصويرية ومن هذه الاجراءات:

* التنقل بسيارات متنوعة.
* منع تكدس سياراته او سيارات حمايته او السيارات التي تنقل اعضاء القيادة في مكان تواجده المنوي عقد الاجتماع فيه.
* غلق النوافذ واسدال الستائر تماماً.
* الاجتماع خارج المناطق المعروفة عدا حالات الاستقرار وتلك التي لايتوقع التصعيد خلالها.
* كتمان مكان الاجتماع عن كل المدعوين اليه حيث يجري نقلهم بسيارات الامن الخاص المغلقة.

ثم ان الاميركيين لايفتشون عن اعضاء مجلس قيادة الثوة لانهم يعرفون انهم موظفون، لا حول لهم ولا قوة ولا تأثير، سواء قتلوا ام بقوا في مواقعهم، وقد زج حامد يوسف حمادي باسمائهم لمحاولة التضليل بوجود قيادة في العراق غير

صدام.

والاهم من هذا كله فان الاميركيين قد لا يريدون مغادرة صـدام للساحة من دون تدابير مسبقة، ومثل هذه التدابير لا تبدو قائمة.

وفي مقابلة اجرتها شبكة NBC الاميركية قبل نحو اسبوع سئلت عما اذا كان بامكان مجموعة خاصة من الاميركيين اغتيال صدام، فكان الجواب الطبيعي ان الاميركيين لا يريدون القيام بمثل هذه المهمة والا فان صاروخاً واحداً كافياً لانهاء المآسي المستمرة، وارشادهم الى الكيفية من قبل المعارضة لا يشكل عبئاً عليها.

واذكر هنا ان احد كبار القوميين المعارضين العراقيين قال العام الماضي انه عاتب عليّ لانـي اؤيد الضربة الاميركية التي اعقبت احتلال صدام ومسعود البرزاني لاربيل في ٣١ اغسطس ١٩٩٦، فرددت عليه بالنفي، وبعد الحاحه قلت انا لم اؤيد ضربة لا تستهدف رأس الافعى مباشرة، فرد بمخالفته لهذا الرأي لان سقوط صدام بضربة او صاروخ اميركي سيعني استيلاء العملاء على الحكم لأن الوطنيين ليسوا مستعدين لذلك!!

وليس معلوماً الى متى سيبقى من يصفهم بالوطنيين في غفوة من امرهم!

على اي حال فاذا كان صدام ينشد من هذا الادعاء عطفاً من الشعب العراقي، فان العراقيين لم يعودوا يهتمون بهوية الطائرة (وعلاماتها) او الصاروخ او الطلقة التي ستنهي مأسيهم.

▫▫ الدروع البشرية

جرب صدام قبيل حرب الخليج الثانية توزيع الرعايا الغربيين على الاهداف الحيوية في العراق كدروع بشرية لمنع وقوع الحرب الجوية و "الصاروخية" ثم اضطر الى اخلاء سبيلهم واعادتهم ووقعت بعدها الحرب، وفي الازمة الاخيرة في شهر نوفمبر ١٩٩٧ كان العراقيون دروعاً بشرية نشرت داخل المنشآت الحيوية وداخل قصور صدام، وعلى الرغم من انهم اجبروا على هذا العمل فان صدام لم يعد يميز بين ما هو مُشرّف للعراقيين، عندما يدافعون عن منشآتهم

بالطرق والاساليب العلمية والعقلانية وبين ما هو عار من ناحية الاحتماء وراء ارواح الابرياء من الرجال والاطفال والحريم.
واذا كانت المنشآت قد اخليت من المكائن والمعدات فان اشغالها بالابرياء لم يكن الا غطاء هزيلاً للغرض الاساسي وهو حماية القصور كما ان صدام يرتكب خطأ قاتلاً يُعاب هو عليه، حيث يدلل بهذا الاسلوب على انسانية اعدائه بعدم رغبتهم بقصف المدنيين بينما ذاق المدنيون في العراق وغيره ما ذاقوا من اجرامه ودماره.
ترى اما كان على مجلس الأمن وجامعة الدول العربية الساكتة عن مأساة الشعب العراقي على يد حاكمه اصدار قرار او ادانة لهذه الفعلة الشنيعة؟! أم ان دور الجامعة العربية يتحدد في المشاركة بالتآمر على الشعوب؟

▫▫ تفتيش القصور والمخابئ

يصر المفتشون على الدخول الحر الى كافة المواقع، والمنشآت وبدأت مرحلة تقدم المفتشين وتصلب وتراجع النظام منذ حادثة وزارة الزراعة قبل عدة سنوات، وكلما تراجع النظام استغل المفتشون (وقوة الدفع) ذلك التراجع لمزيد من الضغط، فكان تفتيش مواقع اقامة عزة الدوري واللواء عبد حميد سكرتير صدام من دون مشاكل، فلم يرد الى بال "الرئيس" ان تفتيش مساكن نائبه يشكل خرقاً للسيادة رغم انه يشغل رسمياً الموقع الأول في الدولة والحزب بعد "الرئيس".
وفي هذا تأكيد جديد على ان مفهوم السيادة لدى صدام يعني سيادته هو فلا شمال العراق ولا تفتيش نائب ولا كل ماحصل. **ثم يعلن طارق عزيز ان الدخول الى معظم المواقع الحساسة والقصور الرئاسية من قبل فرق التفتيش يعتبر مسألة خطيرة تمس السيادة ولا عودة عن قرار منع الدخول اليها، ويبدو ان النظام لم يتعلم من الدرس في الكويت عندما استخدم العبارة ذاتها ان قرار عودة الفرع الى الاصل لا عودة ورجعة عنه فرأى العالم ما الذي حصل بعده.**

□□ سذاجة ومغالات وخداع

ويعود طارق عزيز ويظهر استعدادهم لتزويد المفتشين بخرائط عن المواقع الرئاسية والسيادية شريطة الحصول على تعهد مكتوب من رئيس مجلس الأمن بعدم تعرضها للقصف الجوي لاحقاً، وهنا يطرح امران: الاول، سذاجة النظام ومغالاته في بقاء هذه المناطق طي الكتمان، فالاقمار الصناعية واستطلاعات الـ "يو تو" لم تدع هدفاً غامضاً.

والثاني محاولة النظام خداع المفتشين بحجب مناطق المخابئ بالغة السرية التي نفذت تحت اسم "المشروع رقم ٢٠٠٠" وهو مشروع يختلف عن المشروع بدر ٢٠٠٠ لصناعة الصواريخ بالتعاون والتنسيق مع مصر والارجنتين والذي اصيب بالفشل وانتهى قبل اكثر من عشر سنين بعد ان كال صدام ما كال للمصريين امام هيئة المتابعة عن اسباب الفشل.

واذكر ان وزير الاعلام لطيف نصيف جاسم كان يلجأ الى احد هذه المخابئ بتوجيه من صدام خلال الحرب الجوية مستصحباً معه جهاز ارسال خاص معه كبديل عن المحطة الاذاعية الثانوية الخاصة التي وضعت في احد الملاجئ الكبيرة من غير المشروع ٢٠٠٠، وفي احد اللقاءات في مكتب سكرتير صدام حامد حمادي، استفسر وزير الاعلام عما اذا كانت هنالك امكانية لدى الحلفاء لاكتشاف ومعرفة مكان وجود جهاز ارسال مزود بهوائي صغير وبعد ان تلقى الاجابة المؤكدة لهذه القدرة شحب وجهه، وتبين انه لم يعد بعد ذلك الى الملجأ السري الحصين، ويبدو ان صدام يحرص اشد الحرص على بقاء هذه المخابئ بعيدة عن علم المفتشين وقوة الدفع التي تقف وراءهم، وهو بذلك يحاول عبثاً بعد ان بلغ العداء بينه وبين العراقيين اشده.

□□ الغرض من تفتيش القصور

ان مساحة العراق واسعة بما فيه الكفاية لتخزين واخفاء المواد والمكائن والمعدات والوثائق المراد الاحتفاظ بها بعيداً عن انظار المفتشين واجهزة الاستطلاع الفني،

واذا كان احد الاطراف مقتنعا بوجود فرصة معينة لانهاء مشكلة اسلحة الدمار الشامل التي اصبحت مشكلة العراقيين واحد اسباب مأسيهم بوجود صدام فانه يرتكب خطأ لن تكون آثاره مخفية.

وما هو واضح فان الذين يقفون وراء الاصرار على تفتيش القصور الرئاسية انما يستهدفون اضافة الى تطبيق الحق القانوني، اذلال الطاغية، فاذا ما وافق على الدخول الحر فسيأتي اذلاله مركبا لرفضه العلني المسبق.
وما لاشك فيه فان العراقيين يتمنون دخول المفتشين القصور لانهم يريدون مشاهدة الطاغية يذل على يد كل من يستطيع اذلاله، وان سيادته لا تعكس سيادة الشعب وفي اذلاله فرصة لانعاش معنويات الشعب.
وفي المحصلة، تحولت عملية نوفمبر التي ارادها النظام عملية لكسر الطوق، الى عملية اذلال "للرئيس"، ولكن بقي صدام وبقي معه الحصار الذي ينبغي ان يتحول من حصار للعراق الى حصار صارم على النظام سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

▫▫ الموقف الدولي

لم يحصل ماهو جديد في الموقف الدولي، فما سمعناه من بعض العرب كان مطروحا منذ ثلاث سنين او اكثر، وما يقوله الروس والفرنسيون قالوه من زمن بعيد، الا ان ما ميز الموقفين الاميركي والبريطاني اصرارهما على اعادة صدام الى نقطة الصفر التي انطلق منها.
وعلى خلاف ما يروج له البعض من ان القضية العراقية لم تعد مهمة في السياسة الاميركية، لان العراق والمنطقة لايحتلان موقعاً مهما في مسلسل الاهتمامات الاميركية، فقد اعترف بيل كلينتون باهمية لجنة ازالة اسلحة الدمار الشامل العراقية التي تحتل جزءاً من الازمة العراقية، بقوله "ان هذا شيء نتابعه، انا وادارتي، عن كثب وبشكل يومي، ويجب على الولايات المتحدة ان تبقى ثابتة

على ذلك بقوة".. ويدل هذا الوصف على ان القضية وبحكم ارتباطها المباشر بالخليج تحتل موقعاً متميزاً في السياسة الاميركية، **الا ان من غير الواقعي الافتراض بان الدول الكبرى تستطيع فرض ما تريده في الوقت القياسي الذي يفكر فيه الآخرون**، وتشير المعلومات المتوفرة الى ان الدول الخليجية لم تعترض على توجيه ضربة الى اهداف في العراق، الا انها ربطت ربطاً مباشراً بين اعطاء تسهيلات لمثل هذه الضربة ومباركتها وبين ان يكون هدف الضربة اسقاط صدام، وان تكون الضربة كفيلة باسقاطه، ومن المفترض ان يعطي هذا الموقف رسالة واضحة مفادها ان الخليج وعلى الرغم من اعتماده الاساسي في الدفاع عن وجوده تجاه التهديدات الكبرى على التحالف الاميركي - البريطاني بوجه التحديد فانه يعبر عن عدم ارتياحه لاسلوب وسياقات المعالجة للقضية العراقية للاسباب التالية:

*** ان اطالة امد الازمة يؤدي الى استمرار معاناة الشعب العراقي، وكلما طالت المعاناة بدأ العراقيون بالقاء اللوم على صدام والاخرين في الوقت نفسه، وتتنامى لديهم الشكوك التي تقول ان العرب والغرب يريدون تدمير العراق، والا لماذا لا يساعدونهم على التخلص منه.**

وهذا بالطبع لن يؤدي الى اعادة تكوين قاعدة شعبية لصدام داخل العراق ولكنه مؤذ للعرب وعلاقتهم التاريخية مع الشعب العراقي.

* ان وجود صدام يمثل تهديداً مستمراً لأمن الدول الخليجية، وليس من الحكمة ان يقلل اي طرف من قيمة واحتمالات التهديد، واذا كان صدام مستعداً لتوجيه بعض موظفيه واعلامه للاشادة بمسؤول عربي يدعو للتخفيف عن النظام فانه يعمل من قاعدة الضحك على الذقون ريثما يستعيد انفاسه، فالمطلوب من الذين يريدون اعادة الحياة الى صدام اكثر بكثير مما قدموه خلال الحرب مع ايران ونحو عاقبة لايقدر سوى الله ابعادها.

* يرى بعض المسؤولين في دول الخليج ان الاحتمالات كلها مفتوحة امام الازمة العراقية، وهذا يعني ان هنالك فرصة لعودة النظام الى الساحة، ولذلك فليس من

مصلحة بلادهم استمرار تأييد ضربات لا ينتظر منها نتائج ايجابية على طريق التخلص من صدام.

* ويرى عدد آخر من المسؤولين ان في وقوع بلدانهم بعيداً عن خط المجابهة المجاور للعراق عمقاً يقيهم شرور صدام، ولما كانت لديهم مشاكل اخرى اقليمية فقد وجدوا من المفيد (كما هم يرون) الانفتاح المعتدل على صدام في ظل غياب استراتيجية واضحة وعملية للاطاحة به.

◻◻ قمة التعاون الخليجي

وجاءت قمة دول مجلس التعاون الخليجي لتثبت:

١- وجود تفاوت في حدة مواقف دول المجلس حيال الازمة العراقية.

٢- ظهور تناقض بين آراء تصب في خانة الانفتاح المعتدل، وبين ما صدر من قرار حازم اضاف مطالب جديدة أمام الطاغية تلزمه الاقرار بخرقه ميثاق الجامعة العربية، وهو مطلب يعتبر كافياً لاثارة صدام، فضلاً عن الفقرات الاخرى التي وردت وكأنه (صدام) يقف على خط الانطلاق التراجعي الأول الذي بدأه في ابريل ١٩٩١.

فجاء القرار مشجعاً للشعب العراقي ومحبطاً لامال الطاغية الذي هاجم القرارات ساعة صدورها وحمل الكويت مسؤوليتها، ضمن سياسة محاولات الفصل والتجزئة بين دول الخليج.

٣- ان هناك تنسيقاً مستمراً بين دول الخليج واميركا حيال احداث المنطقة والعراق خاصة، ولما كان التحالف الاميركي - البريطاني يمثل حجر الزاوية في الدفاع عن الخليج واخراج صدام من الكويت (والحديث عن الماضي واحتمالات المستقبل القريب) فليس هنالك من غرابة في ما يحصل.

٤- ان اياً من دول الخليج العربية ليست راغبة في الخروج الحاد عن الاتجاه الخليجي العام المعادي لصدام لاسباب كثيرة، ومنها ان مثل هذا الخروج يمثل

الابتعاد عن مظلة الحماية الاستراتيجية (الاميركية - البريطانية)، كما ان مثل هذا الخروج او التحول ليس له مايبرره ولا تنتظر منه نتائج ايجابية لصالح أمن واستقرار البلدان المعنية. **وان شكلاً من اشكال الانفتاح الهادف للسماح للعراقيين للعمل في دولة الامارات العربية المتحدة أعان العديد من العراقيين وغالبيتهم من المعارضين فعلياً للنظام بطرق سرية وعملية، وهو امر يسجل ايجاباً لدولة الامارات.**

□□ العلاقات مع سوريا والاردن

لقد ظهرت في عام ١٩٩٧، مؤشرات لتقارب وانفراج في العلاقات بين النظام وكل من سوريا والاردن، فيما اعتبر مؤشراً لنجاحات دبلوماسية واراد صدام ان يعطي تصوراً بوجود فرصة للتحول في العلاقة مع رفاق العقيدة من نظرية واهتمامات المؤامرات الى الروح الرفاقية، وترويج وتسويق مناورة الانفتاح السوري (ذي الاهداف المحددة تماماً) لصالحه، فبعث طارق عزيز بزيارة رسمية الى دمشق التي كان خبر حصولها مزعجاً لكل الذين يريدون بقاء السد السوري قائماً بوجه صدام، وفور مغادرة عزيز الاراضي السورية، اطلق تصريحاً دعائياً وصف فيه زيارته الى سوريا بـ "الزيارة التاريخية" ما اعطى تصوراً عن احتمال حصول تطورعلى مستوى العلاقات بين النظام وسوريا، ورغم معرفة الآخرين ان مثل هذا التقدم بحاجة الى قائمة من الطلبات لايتحمل اي من الطرفين النظر فيها جدياً، فقد ولد تصريح طارق عزيز ازعاجاً مضافاً.
ومع هذا كله لنر ما الذي تحقق بين البلدين حتى الان رغم قعقعة الاعلام.
فتح الحدود فتحاً جزئياً الى درجة لا تكاد فيها (حتى الآن) رؤية اعداد من العراقيين الوافدين متاحة الا بحدودها الدنيا، ولم تفتح مكاتب لتجار عراقيين في سوريا كما هو الامر في الامارات والاردن باستثناء العراقيين المتواجدين على الساحة السورية اصلاً. الا أن من المتوقع حصول تطورات في هذا الاتجاه وفقاً لمصالح الطرفين المتقابلين.

□□ تراجــع عزيــز

وقبل بضعـة ايـام سُئل طـارق عزيـز عـن علاقتهـم مـع سـوريا فأجـاب بطريقـة تختلف عما سـبق، واشـار الـى انهـا تتحسن ببطء ويتمنـى ان تسـير فـي الاتجـاه المطلـوب.. ويكشـف هـذا التصريـح تراجعاً عـن تصريحـه عقـب الزيـارة التـي وصفها بالتاريخية. كما ان تصريح نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام الاخير الذي وصـف فيه اجتياح الكويت بالفعل الشـنيع وان سـوريا سـتتخذ الموقـف نفسـه الذي اتخذته في السابق اذا مـا تكـرر الموقـف ،يعكـس انهم ليسـوا علـى اسـتعداد لمجاملة صدام في مسائل شـاركوا فيهـا وان شيئاً حقيقياً بينهمـا لـم يتحقـق علـى طريق الوئام والاتفاق، والا فان التصريح لا بد انه ازعـج صـدام وزاد مـن حنقـه على القيـادة السورية.

وما لاشك فيه فان السوريين ينظرون الى العراق نظرة خاصة تمامـاً، وإذا كـانت لديهم اهتمامات استراتيجية حقيقية (خارجية) فانها فـي العـراق حصـرا. فهـو بلـد النفط المجاور والشـقيق، والعمـق الاسـتراتيجي الحقيقـي الـذي حولـه صـدام الـى خاصرة وظهـر غير امينين، والافكار التي يحملونها كانت منتشرة في العراق ولا تحتـاج سـوى حركـة تصحيحيـة خاطفـة، او تدريجيـة وتصبـح الميـاه فـي مجـار صحيحة او مناسبة، (حسب رؤيتهـم المحتملـة) وينظـرون الـى ان سـوريا البحـر المتوسط هي المتنفس الحقيقي للعراق، وهنالك من التكامل الزراعـي والصنـاعي بين البلدين ما يصلح ان يكون سـوقاً مشـتركة فـي غايـة الاهميـة، وفـي هـذا كلـه جوانب قابلة للتطبيق ومفيـدة **للطرفيـن كمـا انهـم يدركـون ايضـاً ان الوحـدة بيـن العـراق وسـوريا مرفوضـة دوليـاً ومرفوضـة خليجيـاً** واكـثر مـن ذلــك بالنسـبة لاسرائيل.

وعندما نتحدث عن هذا فلا نتحدث عن وجهة نظر سـوريا، بـل مـن وجهـة نظـر تحليلية مستمدة من معطيات عديدة.

ومن هنا فواقع الرؤيـة الاستراتيجية، وموقـف صـدام ونواياه وخلفيتـه التـي يعرفهـا ويدركها السوريون ويفهمها الرئيس الاسد فهما عميقاً لايعطيان مجالا للانفتاح عليه

خارج منظور ومتطلبات الاستراتيجية السورية، ان فلسفة صدام في التعامل تستند الى الاخذ لصالحه الشخصي اكثر مما يعطي فكيف اذا كان حاله وهو لايستطيع ان يعطي في حسابات المواقف الاستراتيجية؟ ولكن هذا ليس كافياً بالنسبة للعراقيين كشعب ووطن، فسيبقى العراقيون ينظرون الى سوريا نظرة تقدير واحترام لوقوفها بعيداً عن صدام لربع قرن من الزمن، وان الاشقاء في سوريا مطالبون بموازنة دقيقة تفضي نتائجها الى تعزيز دور الشعب العراقي واضعاف صدام.

اما ما يتعلق بالاردن فسيجري تناوله في فصل لاحق.

□□ واين مصالح وحقوق العراقيين؟

ويلاحظ ان الاطراف كلها تنطلق من مصالحها الذاتية، وهذه منطلقات طبيعية مبررة وليس لاحد الحق في الوقوف ضدها، وعلى الرغم من ان النشاطات الهادفة الى منع ظهور صدام على الساحة الدولية تشكل دعماً وتعزيزاً للشعب العراقي في صراعه ضد صدام، الا انهما دعم وتعزيز غير مباشرين وغير كافيين من كافة الوجوه.

وفي ختام الشهرين المنصرمين من احداث الازمة العراقية المستمرة، فان للعراقيين صوتاً يريدون ايصاله الىالمسؤولين في الدول العربية المعنية بالصراع.

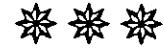
١- ان محاولات الانفتاح على صدام تعطيه فرصة معينة (محدودة) للاستمرار في الحكم ولما كان صدام هو المشكلة الحقيقية للشعب العراقي فان مثل هذه المحاولات تلحق ضرراً مؤثراً بالشعب.

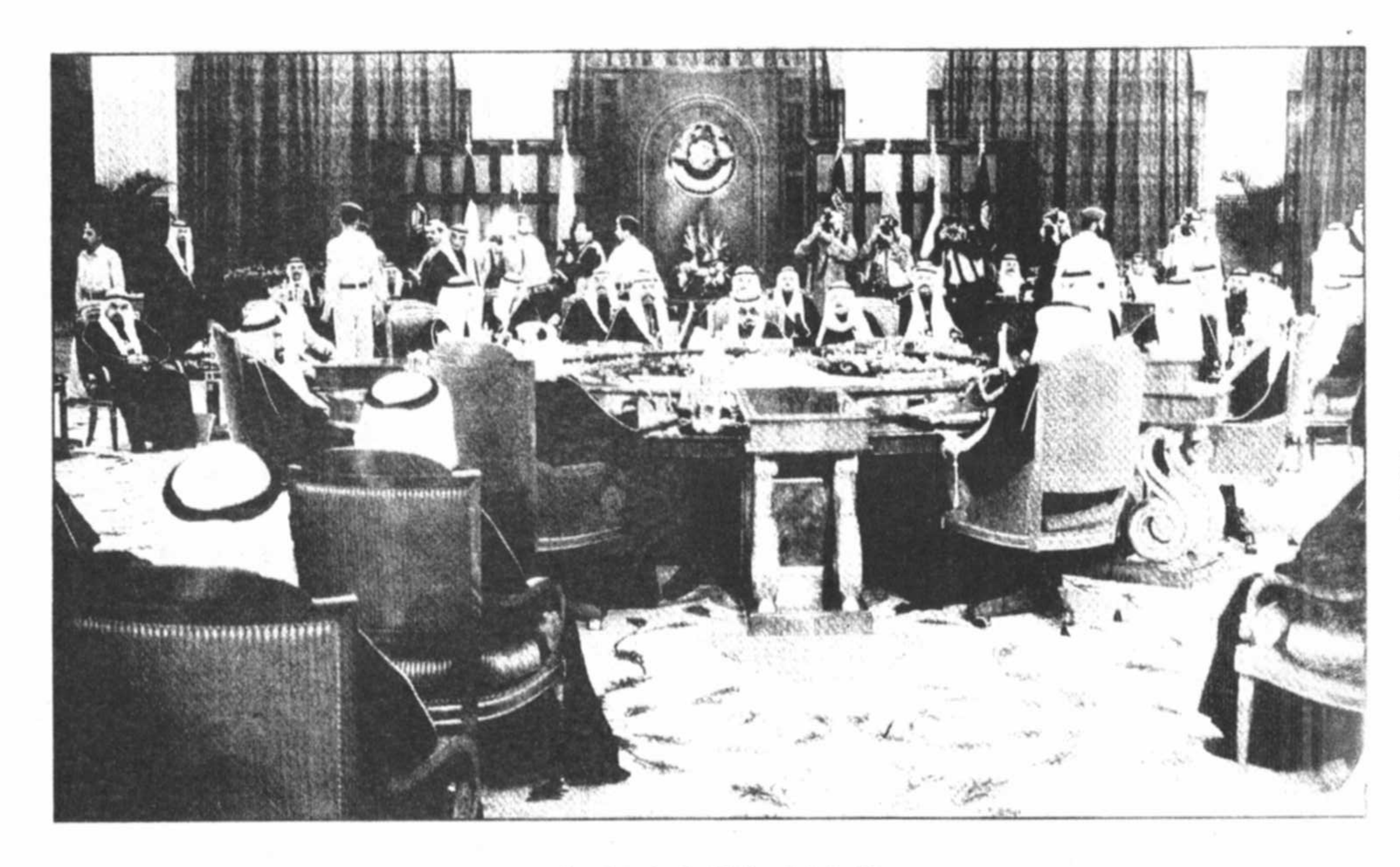
٢- ان الدول العربية المجاورة للعراق (سوريا والاردن والمملكة العربية السعودية والكويت) تقع عليها مسؤولية تاريخية (ادبية واخوية) بنصرة اخوانهم في العراق للاطاحة بالطاغية، ولو اتفقت هذه الدول على برنامج موحد للتغيير في العراق لباركه الاميركيون والانكليز، ولساندته دول الخليج الاخرى، ولسكتت الدول النفعية ولانتهت مشكله العراق ومعاناة شعبه في عام ١٩٩٨، ولكن الى

متى ستبقى المبادرة غائبة؟ فالمؤشرات تقرأ أنها (المبادرة) ستبقى غائبة.

٣- كما نتوجه الى صاحب السمو الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة، ونحن على معرفة واضحة بمواقفه القومية وحبه للشعب العراقي ومساندته لاطلاق مبادرة قوية لتخليص الشعب والمنطقة من صدام وطغيانه، فلا حياة ولامجال لازالة معاناة الشعب والمنطقة بوجود صدام، وليس بخاف على احد بأن استمراره في الحكم يعني المزيد من الديون والمشاكل والقمع والاضطهاد والقيود الخارجية والداخلية، فاي حياة تلك التي سيعيشها العراقيون؟

ونتمنى ان يساند العرب اخوانهم في العراق لنيل حقوقهم المشروعة في الحياة ومنها الديموقراطية (الملتزمة) فانها سنة الحياة ولا بد لسنن الحياة ان تأخذ طريقها طال الطريق او قصر.





القمـة الخليجية الثامنة عشرة في الكويت

العلاقات العراقية الاردنية - لماذا والى اين؟

اتسمت العلاقات الاردنية - العراقية على مدى القرن العشرين بحالة من الاستمرارية والثبات، بشكل ميزها عن العلاقات مع البلدان العربية الاخرى، وتعود اسباب وقوة هذه الاستمرارية الى مرتكزات من المصالح الاستراتيجية المتبادلة والارتباطات التاريخية والظروف الاقليمية، كما ترك التفاعل القيادي الاردني اثره الفعال في هذا الترابط الوثيق.

ترى لماذا هذه العلاقة؟ وكيف تكونت، وماهي المصالح الاردنية فيها. وما هي الاهداف الحقيقية الكامنة وراءها. فهل يسعى العاهل الاردني الى قطف التفاحة الناضجة قبل سقوطها؟ وما هو الموقف علىالطرف الاخر في العراق على مستوى الشعب ومن وجهة نظر النظام؟ وهل اخطأ الاردن في اعلان موقفه ضد الطاغية في العراق عام ٩٥؟ وهل اعاد تكرار الخطأ في ديسمبر ١٩٩٧ في دفاعه عن دماء مواطنيه الذين اعدمتهم استبدادية صدام؟ هذا هو ما سنحاول تركيزه في مقال موجز.

◻◻ عودة الى التاريخ

في المراحل الاخيرة من انحلال الدولة العثمانية تولى الشريف حسين (جد والد العاهل الاردني الملك حسين) قيادة الثورة العربية ضد النفوذ التركي، وحظيت هذه الثورة بمساندة الانكليز فتم تنصيب ابناء واحفاد الشريف حسين ملوكاً على الاردن والعراق، وكان نصيب العراق تولي الملك فيصل الأول الحكم فيه، ومن

بعده ابنه الملك غازي وانتهاء بالملك فيصل الثاني الذي قضى في حركة ١٤ يوليو ١٩٥٨.. فيما قاد الفرع الآخر من عائلة الشريف حسين الاردن وصولاً الى الملك حسين، وجرى فيما بعد اقرار فكرة الاتحاد الهاشمي بين العراق والاردن.

وعلى الرغم من ان الملوك في العراق قد ذبحوا بطريقة مأساوية في يوليو ١٩٥٨ وحصل توتر مرحلي في العلاقة بين البلدين، فقد بقيت القيادة الاردنية تنظر نحو العراق نظرة خاصة، وهي نظرة دقيقة وصائبة اذا ما اخذت بعين الاعتبار حساسيات الجوار الاقليمي، فمن الحساسية القديمة مع المملكة العربية السعودية، الى الجوار الاسرائيلي بكل ما القى من مشاكل على دولة محدودة القدرات، والى التناقض الحاد مع القيادة في سوريا.

وعندما تكون حالة الجوار هكذا وبكل هذه التعقيدات تصبح فرص استمرارية الدولة في موضع شك اذا ما اغلقت البوابة صوب العراق، فبلد من دون نفط وبلا صناعة حقيقية، ويعاني من شحة مائية واضحة يبقى بحاجة لتقوية النشاطات التجارية والسياحية، وهذا كله يتطلب الابقاء على علاقات وثيقة مع العراق، (وهنا تكمن التعقيدات في تقدير الموقف السياسي وصعوبة اتخاذ القرار).

واذا كانت الكويت والسعودية تمتلكان القدرة على العيش بمعزل تام عن العراق، وبمعزل عن المحيط بكل ما يفرزه الاخير من تعقيدات، واذا كانت سوريا تمتلك قدرة الاستمرارية وتحمل اثار التباعد مع العراق لعدة عقود لتوفر النفط والماء وشبه الاكتفاء الغذائي والصناعات البسيطة لديها، فان الاردن بوضعه السابق لايمتلك مثل هذه القدرة.

وفوق هذا كله حتمت عليه الظروف الاقليمية، خصوصاً ما يتعلق منها بالصراع العربي الاسرائيلي، تشكيل قوات مسلحة تفوق متطلباتها القدرة الاقتصادية والبشرية المتاحة له.

▫▫طمـع بالعـرش!

وقد اوجد هذا الوضع بالغ التعقيد حالة الترابط مع الحكم الملكي في العراق لمدة ٣٨ سنة متواصلة، وترك فكرة وطموحات الاتحاد الهاشمي حية، واوجد فلسفة النظرة الخاصة نحو العراق، التي فسرت من قبل بعض الاطراف بانها وليدة الطمع في تاج العراق المفقود، وهي نظرة ترتبت عليها حساسيات عالية لدى كل الاطراف الاقليمية دون استثناء.

وقد اتخذ هذا "الطمع" (كما تراه بعض الاطراف) الاشكال التالية:

الشكل الاول: يشير اصحاب هذا الرأي الى ان الملك حسين يريد الثأر لابناء عمومته الذين قتلهم ثوار تموز ١٩٥٨، ولذلك فانه يطمح برؤية العراق مضطرباً باستمرار. (ويبدو ضيق الافق والتعلق بالعصبية الجاهلية ظاهراً على اصحاب هذا الرأي).

الشكل الثاني: ان وجود العراق القوي يتسبب في ضياع اردني تام ولذلك لابد من الدفع به نحو العزلة لاضعافه وجعله في حاجة مستمرة للاردن، ويذهب اصحاب هذا الرأي الى ان تأييد الملك للعراق في حربه مع ايران انطلق من هذه الزاوية حيث تسبب الامر في :

١- ازدياد حاجة العراق الى ميناء العقبة.

٢- تشغيل وانعاش السوق الاردنية لكون الاردن الدولة الوحيدة التي شرعت ابوابها للدخول الحر امام العراقيين.

٣- اضعاف العراق اقتصادياً وايجاد عدو دائم له.

الشكل الثالث: السعي الاردني لتمزيق العراق الى دويلات صغيرة، وهو ما قد يؤدي الى ارتباط دولة الوسط بالاردن، وبذلك يتم النفاذ نحو احواض النفط والمياه والسهول الخصبة.

الشكل الرابع: التحريض لاقامة نظام فدرالي او كونفدرالي في العراق على اساس شيعي - سني - كردي. واطلاق المجال للتصارع والاحتراب بين الفرقاء تمهيداً لطرح صيغة العودة الى النظام الملكي في العراق واقامة اتحاد كونفدرالي مع

الاردن يتولى العاهل الاردني قيادته، (ويمثل هذا قمة الطموح التاريخي الاردني).
وذهب كاتب عربي كبير الى حد وصف دور الملك حسين بالمترقب الذي يسعى لقطف التفاحة التي اوشك نضوجها.

□□ العلاقات خلال الحرب العراقية - الايرانية

لا شك في ان سقوط الحكم الملكي في العراق ترك اثراً سلبياً على العلاقات العراقية - الاردنية، وعندما وصل حزب البعث للمرة الاولى الى الحكم في العراق عام ١٩٦٣ شن هجوماً اعلامياً واسعاً على القيادة الاردنية الا ان الحالة انقشعت سريعاً نتيجة سقوط حكم الحزب بعد تسعة اشهر تبعه حكم يتمتع بصفة قومية اخرى توخى ازالة الحساسية السابقة تدريجياً.
واستمرت العلاقات بالتحسن التدريجي حتى نشوب الحرب العراقية - الايرانية حيث ركب الاردن الموجة بطريقة بارعة من خلال مناصرته المبكرة للعراق، والمباشرة بادامة الاتصال مع العراق باعلى المستويات، واذكر في احدى المرات، وفي اليوم الثاني لبدء الحرب تحديداً، اجرى الملك اتصاله الأول بمركز القيادة الرئيسي في وزارة الدفاع، حيث كان صدام متواجداً في غرفة العمليات الرئيسية، فيما كنا منهمكين بتأشير تراجع القوات الايرانية على خرائط الموقف العام، وبدا صدام منشرحاً وممتناً لهذا الاتصال الذي يعتبر بمثابة اشارة للدعم والمساندة وختم مكالمته بالقول "كن مطمئناً يا ابا عبدالله فان اخوانك يطاردونهم بقدرة عالية".
وبعد ان فرغ من الاتصال التفت صدام الى وزير الدفاع الفريق عدنان خير الله بقوله: صحيح ان الحروب تكسب في ساحات القتال الا ان الاسناد العربي والدولي تبقى له خصوصياته المهمة.. ثم اشار اليه لتخصيص نسبة من الغنائم المستولى عليها من معدات القوات الايرانية هدية الى الاردن، فجرى فيما بعد

ارسال دبابات ومعدات ايرانية (اميركية الصنع) من طراز "M 60 A1" تكفي لتشكيل كتيبة دبابات قياسية واكثر.

▫▫ حبل المدفع

وعلى مدى حرب السنوات الثماني تميزت العلاقات بين البلدين بالحيوية والتفاعل البناء والتعاون في مجالات مختلفة، وفيما يلي ابرز معالم تلك الفترة:

١- قيام العاهل الاردني بزيارات سريعة عديدة الى بغداد وبخاصة في المراحل العسيرة من الحرب، كما نظمت له زيارات الى مواقع في جبهات القتال، كان ابرزها تلك التي بث التلفزيون العراقي لقطات للملك وهو يسحب حبل القدح (الرمي) لاحد المدافع الثقيلة اثناء عمليات القصف على احد المواقع الايرانية، فبقيت هذه اللقطة محفورة في ذاكرة العراقيين كمؤشر ايجابي عن حالة التضامن والتعاون في حرب فرضتها السياسات الخاطئة، كما بقيت محفورة في اتجاه معاكس من ذاكرة الايرانيين الذين ما انفكوا يشيرون اليها في كل مناسباتهم ذات العلاقة باعتبارها احد مظاهر العداء، فيما كانت تربط الملك مع ايران الشاه علاقات متطورة.

٢- التوسع في التنسيق المخابراتي بين البلدين، فكانت القيادة العامة للقوات المسلحة الاردنية السباقة من بين العرب لتزويدنا بمعلومات واسعة عن القوات الايرانية تبين انها مستحصلة من مصادر كبرى، ففتحت بذلك قناة مهمة جداً رفدتنا فيما بعد بسيل من المعلومات المهمة والمتدفقة، وهو ما قد نتناوله تفصيلاً في كتابنا المقبل ان شاءالله عن "اجهزة الأمن والمخابرات" في العالم.

٣- قيام الاردن بدور الوسيط الاساسي لشراء مواد ومعدات قتالية لحساب العراق من دول تحظر تصدير مثل هذه المعدات الى العراق.

٤- تنشيط التبادل التجاري بين البلدين وتصاعد حركة الترانزيت عبر ميناء العقبة وكذلك مطار عمان الدولي.

٥- مشاركة كتيبة اليرموك من متطوعي الجيش الاردني في الجهد الحربي العام والتي نشرت في قاطع جنوب غرب الاحواز داخل الاراضي الايرانية، ويذكر ان العاهل الاردني اعلن عن تطوعه للقتال الى جانب القوات العراقية.

٦- تبادل الزيارات بين قادة القوات المسلحة للبلدين، وزيارة قادة فرق وتشكيلات من الجيش الاردني الى قواطع العمليات القتالية، كما جرى تكليفي في اواخر عام ١٩٨١ من قبل رئاسة الجمهورية بزيارة الاردن لالقاء محاضرة مطولة عن الحرب في كلية القيادة والاركان الاردنية، حيث ابدى الضباط الاردنيون خلال المحاضرة اهتماماً كبيراً بمتابعة الموقف واستخلاص الدروس، وكنت قد استلمت توجيهاً محدداً لاعطاء الاردنيين اقصى ما يمكن من المعلومات التي تشجعهم على مواصلة نهجهم الداعم للعراق وبخاصة في تلك الفترة التي اعقبت حصول معارك عسيرة في قاطع عبادان وشرق وجنوب نهر الكارون، وحرصت رئاسة الجمهورية - مكتب الرئيس على معرفة تقييمنا لانطباعات وآراء ومواقف الضباط الاردنيين، ولا شك في انه كان تقييماً مشجعاً بما فيه الكفاية.

▫▫ الموقف في حرب الخليج الثانية

ولد الموقف الاردني من اجتياح الكويت، ودعوته لاعطاء فرصة اطول للجهود العربية والاسلامية انطباعاً مريراً لدى الدول الخليجية، وفسر بانه احد اشكال المساندة المباشرة لصدام ان لم تكن المشاركة معه، وحول الموقف اليمني المماثل تلك الانطباعات الى شكوك حادة، تمثلت صورها بوجود مؤامرة ثلاثية (عراقية - اردنية - يمنية) للسيطرة والاستحواذ على مناطق النفط وتقاسم النفوذ فيما بينها.

وتبلور هذا التحليل نتيجة توفر مجموعة كبيرة من عناصر الاحساس بالقلق وبعض حيثيات الماضي عززها الموقع الجغرافي الحساس لليمن.

وكان لذلك التحسب والقلق الخليجي مايبرره من النواحي التاريخية والسياسية (والخلافات الحدودية مع اليمن) كما ان اياً من الدولتين لم توجه النقد العلني الواضح لاجتياح الكويت والاصرار على عدم الانسحاب.

الا ان هذا كله لا يجوز التعويل عليه في الميل لتثبيت الاتهام بالضلوع في التآمر، بقدر ما يحسن اعادة احتمالاته الى تقدير عسير للموقف، فكما هو حال الخليجيين الذين اصبح على كف عفريت، والذي لولا الفتح الكامل لابواب خزائنهم، ولولا المصالح الاستراتيجية الغربية العليا والموقف المصري والسوري المضاد لاي توسع عراقي ينقله الى موقع الزعامة الاقليمية.. ولولا تراجع النفوذ السوفيتي في بداية مرحلة الانحلال، لما حصل كل الذي حصل بعد اجتياح الكويت، وكان من الصعب على الدولتين (الاردن واليمن) اتخاذ القرار الذي تسعى اليه دول الخليج لان مثل هذا القرار سيترك على هاتين الدولتين مخاطر متعددة الاتجاه اذا ما تبنتا تقديرات خاطئة، ومثل هذه الحيرة لا ينبغي استبعاد وجودها في ظل الرفض الاردني لمسايرة الموقفين الاميركي والبريطاني وهما الحليفان الأساسيان للاردن طيلة العقود الماضية من تاريخه الحديث.

◻◻ قراءات خاطئة

ولابد من الاخذ بعين الاعتبار وجود قراءات خاطئة عديدة كانت تستبعد احتمالات وقوع الحرب، وان عدم وقوع الحرب يعني بقاء العراق قوة اقليمية قوية وبقاء صدام متربعاً على كرسي الحكم بقوة، وفتح الباب امام المساومات والتذبذب في الطبخ السياسي في الاتجاهين الصاعد والنازل، ولما كانت المصالح الاردنية السياسية والاقتصادية والامنية متشابكة مع بغداد اكثر من غيرها من أي بلد عربي آخر فلم يكن بوسع الاردن اتخاذ موقف مضاد، لأن مثل هذا الموقف سيلحق الضرر بمصالحه في العراق وهو خيار يصعب تبنيه من دون توفر بدائل اساسية عنه.

كما ان الاردن لم يكن معنياً في الدخول بصراع المصالح والتوازنات الاستراتيجية على خط الزعامة الاقليمية، وهو بذلك لا يحتضن دواعي القلق من تصاعد القدرة العسكرية العراقية، طالما انه لم يدخل ضمن قائمة الاهداف على طريق السياسة التوسعية، فيما كانت دول عربية اخرى على قائمة الاسبقيات

اللاحقة تنتظر الدور التصعيدي الحاد المرتقب من نوايا صدام الخارجية وهي سوريا.

وبمعزل عن هذا كله فان عملية كبرى مثل عملية اجتياح الكويت لايمكن تحت أي ظرف من الظروف ان يكون صدام قد احاط بها غير عدد محدود جداً من القادة العراقيين حصرا، بصرف النظر عن مواقعهم الحساسة وهذا لايعني انه لم يكن يثق بولاءات بعض القادة المهمين بقدر عدم توثقه من قدراتهم على الكتمان وبخاصة لمثل هذه العملية الخطيرة.

والحقيقة التي لا بد من الاشارة اليها فان صدام ورغم عشرات اللقاءات المطولة واليومية معه خلال فترتي الحرب والانتفاضة لم يشر من بعيد او قريب الى معرفة مسبقة اوتنسيق لاحق مع الاردن حول الكويت، فيما كانت تلك اللقاءات فرصة فريدة للوقوف على ابعاد متعددة الجوانب في السياسة والتطلعات والاهداف والنوايا وطرق التفكير لمعالجة الازمات، حيث مر العراق خلال ثلاثة اشهر ابتداء من العمليات الجوية والصاروخية في ١٩٩١/١/١٧ بفصل ذي مخاطر هائلة. وكان صدام على استعداد لقول الكثير مما كان يتجنب قوله في السابق ويعود السبب في هذا التحول الى انه لم يعد على ثقة من احتمال استمراره في الوجود.

مؤشرات ذات معان خاصة

توافرت في الفترة الواقعة بين اجتياح الكويت وانتهاء انتفاضة مارس ١٩٩١ اربعة مؤشرات تعكس معاني ذات ابعاد واضحة تعطي دلائل مفيدة في سياق تحليل الموقف الاردني،وكنا قد اشرنا الى بعض من هذه الدلائل اشارة عابرة بات من المناسب الآن تناولها تفصيلاً. وتتضمن هذه المؤشرات طلبات محددة موجهة الى القيادة الاردنية تشمل الحاجة الى اجزاء للصواريخ (هوك) وعتاد بنادق الكلاشنكوف، وناقلات دبابات، وتسخير جهد الاستطلاع والمخابرات لمتابعة

تحشدات ونوايا الحلفاء، فجاءت ردود الفعل سلبية رغم حرص الاردنيين على تمريرها بقنوات مرنة من المناورات والاسلوب.

□□ اجزاء الصواريخ

بعد اجتياح الكويت تم الاستيلاء على بطاريات صواريخ هوك (HAWK) ارض جو اميركية الصنع، فصدرت الاوامر الى قيادة الدفاع الجوي كي تتولى نقلها فوراً الى بغداد واتخاذ التدابير اللازمة لتشغيلها باسرع مايمكن مع ما يتطلبه ذلك من تدريب ضباط ومشغلين وفنيين من دفاعنا الجوي على هذه المنظومة، فظهرت مشاكل تتعلق بالحاجة الى مدربين لديهم الخبرة بهذه الصواريخ، ووجود نقص في اجزاء عدد من الصواريخ والمعدات، فاستحصلت قيادة الدفاع الجوي على موافقة صدام على مفاتحة الاردن لارسال فريق من المدربين لتدريب الضباط والمراتب المخصصين لهذه الوحدات وتأمين اجزاء الصواريخ من المواد الاحتياطية المتوفرة لدى الاردن، الامر الذي وضع القيادة الاردنية على خط اختيار المواقف، ففي حالة الموافقة فسيعني ذلك انحيازاً حاداً ربما تترتب عليه ردود فعل خطيرة.

كما سيعكس الرفض حالة مخالفة للموقف السياسي المطلوب من قبل صدام فاختار الاردنيون اسلوب المماطلة والتأخير، ابتداء بتأخير الاجابة، ثم الطلب لارسال الصواريخ والمعدات المطلوب تصليحها او اكمال نواقصها الى الاردن لاتخاذ ما يقتضي بصددها، واغفال الاجابة عن طلب المدربين، ولم تكن هذه الردود مناسبة من وجهة النظر الامنية والعملية بالنسبة للعراق وفي المحصلة تمكنت قيادة الدفاع الجوي باشراف اللواء المهندس مهدي الكبيسي تجاوز العقبات اللازمة وتشغيل البطاريات واستخدامها في الحرب.

ويعكس هذا التصرف من بين ما يعكس حراجة موقف الاردن الذي تصرف تصرفاً متوازناً في هذا المجال، الا انه لم يلق استحساناً لدى صدام الذي علق على المعاملة التي مرت عن طريق الاستخبارات بوصفها المرجع الرسمي للملحقية العسكرية في عمان والتي تتولى ايصال مثل هذه الرسائل، بضرورة قيام الدفاع الجوي بتذليل المعضلات دون التعويل على الآخرين.

◻◻ توجيه مصادر المعلومات

عندما نشط الاردن خلال الحرب مع ايران لتزويدنا بسيل من المعلومات عن طريق مصادره واتصالاته البعيدة الاخرى فانما كان يقوم بمهمة قومية لا اعتراض عليها، ولن يعرض الامر مصالحه للخطر، اما في الحرب الجديدة (التي يحلو لصدام تسميتها هكذا احياناً) فقد تغيرت المعطيات والمواقف، واصبح من حق الاردن حساب مصالحه بدقة عالية.

ودأبنا على ارسال العديد من طلبات المعلومات الى الاردن عبر الملحقية العسكرية ولم نكن نتلقى ما كنا نعتقد انه بحوزتهم من معلومات، وفي خريف ١٩٩٠ علمنا باكتشاف الاجهزة الاردنية وجود اختراق اسرائيلي بمستوى بسيط بين عناصر طائرات الهليكوبتر (طراز كوبرا المسلحة)، فجرى تكليفي من قبل رئاسة الجمهورية لزيارة الاردن للحصول على معلومات عن هذا الاختراق، واستبيان ما لدى الاردنيين من معلومات وتحليل عن الموقف العسكري المتصاعد مع الحفاء. فقمت بزيارة سريعة الى عمان التقيت خلالها الفريق اول الركن عبد الحافظ مرعي الكعابنة رئيس هيئة الاركان العامة للقوات المسلحة حالياً والذي كان يشغل منصب مساعد رئيس الاركان لشؤون الأمن والاستخبارات، فابلغته اهتماماتنا بمعرفة ابعاد وكيفية حصول الاختراق الاسرائيلي لاتخاذ التدابير اللازمة لتفادي حصوله في قواتنا، كما بينت له حاجتنا لتوجيه مصادرهم لتغطية طلباتنا من المعلومات فلم الاحظ خلال الزيارة وهذا اللقاء مايدل على انهم ينوون الاستدارة بمواقفهم العامة، فيما اقتصرت النتائج على معلومات مفيدة عن

الاختراق الاسرائيلي، اما ما يتعلق بنوايا وتحشدات الحلفاء فاقتصرت على عبارات تتضمن القلق على العراق ومستقبله، وكان من بين ماقاله الفريق الكعابنة "والله نحن قلقون وخائفون عليكم، فالحشد العسكري هائل والتعبئة السياسية والاعلامية تدل على وجود استعدادات وقرارات خطيرة، فهل انتم متأكدون من متانة موقفكم العسكري ؟" وفور عودتي السريعة الى بغداد قدمت تقريراً مفصلاً اخذ طريقه العاجل الى رئاسة الجمهورية، وفي اليوم التالي طلب السكرتير حامد يوسف حمادي الحضور الى مكتبه، وبعد انتظار قصير حضر طارق عزيز ثم اعقبه عزة الدوري فدخلنا الى مكتب صدام الذي طلب مني عرض ملاحظاتي وانطباعاتي عن الموقف الاردني، فنقلت بامانة ما قاله الفريق الكعابنة، وخلصت الى القول: "ان الاردنيين يرجحون احتمالات وقوع الحرب اذا لم تنسحب قواتنا من الكويت، وانهم متشائمون من النتائج التي ستترتب عليها، وبعد ان فرغت من العرض لم تظهر لدى عزة الدوري اية افكار للمناقشة، فيما اخذ طارق عزيز يعلق حول الموقف الاردني بطريقة طرح الشكوك، اما صدام فاكتفى بقوله "لدينا مؤشرات كثيرة تدل على ان الاردنيين خائفون لان وضعهم لا يتحمل هزة قوية.." ولم يسلم الفريق الكعابنة من اتهام صدام له بانه من ذوي التوجهات الاميركية.

▫▫ النقص في العتاد وناقلات الدبابات

خلال العمليات والمواقف المعقدة والخطيرة غالباً ما تتضاعف المشاكل وتتعدد اشكالها، فيرجع قسم من تلك المشاكل الى اسباب منطقية تنتج عنها حالة التعقيد، فيما تترتب علىالتعقيد في بعض الاحيان مشاكل كثيرة لما يتركه من آثار نفسية ومعنوية سيئة على الافراد. فبعد توقف الحرب البرية واشتعال نار الانتفاضة في اليوم التالي ظهرت معاضل ادارية خطيرة في اتجاهين اساسيين هما وجود نقص خطير في خزين عتاد الكلاشنكوف، واعداد ناقلات الدبابات الصالحة، فمن اصل اكثر من الف ناقلة دبابات لم تعد هناك سوى عشرات منها صالحة للعمل، ولم

تعد لدى الاركان العامة ومديرية التموين والنقل بل وسرايا الدبابات ذاتها اية معلومات عن اماكن تبعثرها حيث تركت من قبل السائقين في مناطق متفرقة، فيما اقتضت المناورة لاعادة السيطرة على الاوضاع الداخلية اعداداً كبيرة منها لغرض نقل الوحدات المدرعة من قاطع الى آخر. فبلغ الامر حد تكليف ضباط ركن برتبة مقدم ركن - عميد ركن لمرافقة حركة الناقلات من قاطع الى آخر، وبجلوس ضابط ركن جوار كل سائق من سائقي الناقلات وفي كل الرحلات تقريباً لضمان تنفيذ الواجبات بسرعة، فأصبدر صدام توجيها الى وزير الدفاع الفريق اول الركن سعدي طعمة لمفاتحة القيادة العسكرية الاردنية لارسال ما يمكنهم ارساله من ناقلات الجيش الاردني، فتم توجيه رسالة تحريرية رسمية بذلك قام بايصالها اللواء الركن أحمد رضا التكريتي (مدير المعدات الفنية الحالي)، فاعتذرت القيادة الاردنية عن تلبية الطلب لانه سيولد لهم مشكلة كبيرة، الأمر الذي استدعى اصدار بيان مفتوح من مديرية التعبئة والاحصاء (العسكرية) تطلب فيه من كافة اصحاب المركبات الكبيرة ذات الابدان المسطحة (الفلات) الحضور الى مناطق تجمع معينة فتبين انها ليست صالحة لحمل الدبابات، فصدرت التوجيهات الى السفارة العراقية في عمان لاستئجار اكبر عدد ممكن من الناقلات، فتمكنت من استئجار (٢٠- ٢٢) ناقلة من السوق المحلية جرى نزع ارقامها بعد دخولها الاراضي العراقية.

◻◻ لا طلقات للكلاشنكوف

تبين ان القسم الاعظم من العتاد الخفيف لبنادق الكلاشنكوف عيار ٧,٦٢ ملم قد جرى نقله الى الكويت ومخازن في اقصى الجنوب، ونتيجة القصف تم تدمير وفقدان ٢٠٥ ملايين طلقة وبقي من الخزين حوالي خمسة ملايين طلقة، في اماكن متفرقة ومتباعدة جرى استنزافها وفقدانها في الاسابيع الاولى من الانتفاضة فانخفض الخزين الاستراتيجي الى ٢٧٠ الف اطلاقة فقط. بما في ذلك

تلك العائدة للامن الخاص والشرطة المحلية، وقد عرض وزير الدفاع المشكلة على صدام شفويا فطلب تحرير رسالة عاجلة الى القيادة الاردنية يطلب فيها كل او جزءاً من عشرة ملايين طلقة سبق ان أهديت اليهم من قيادة الجيش الشعبي، والتعهد لهم بارسال ضعف الكمية بعد استقرار الموقف، فاخذ اللواء أحمد رضا الرسالة متوجهاً الى عمان عن طريق البر، وعاد بعد حوالي اربعة أيام خالي اليدين عدا اعتذار الاردنيين عن تلبية الطلب بدعوى عدم تيسر العتاد لنفاذه خلال التدريب، فاضفت الاجابة اجواء من التوتر على اجتماع مصغر كان وزير الدفاع يقدم فيه عرضاً عن الموقف في المدن امام صدام، فاقترح احد الحاضرين مفاتحة اليمن حول الموضوع، الا ان صدام عارض الفكرة لصعوبة تأمين ايصالها من اليمن، وبقي في حالة سكون تام من دون أي تفكير حيث قضى دقائق من العجز امام المعضلة ثم قال "لا ادري ان كان علينا الشك بضلوعهم في هذه المؤامرة فليس من المعقول امتناعهم عن ارسال ولو مليون طلقة".

▫▫ لو استمرت الانتفاضة لأيام لسقط النظام

جاءت الاجابة الاردنية بالرفض واضحة الأبعاد فيما كان النقص في العتاد يمثل مشكلة حقيقية وخطيرة جداً، ولان استمرار الانتفاضة لبضعة ايام اخرى كان من شأنه حصول موقف جدي يسوق الى سقوط النظام، فعلى الرغم من ان التصنيع العسكري كانت لديهم مواد اولية تكفي لانتاج ستين مليون طلقة، الا ان ظروف الانتاج تغيرت سلباً نتيجة القصف الجوي والصاروخي واخلاء المنشآت من المكائن والمعدات، ولم يكن بوسع التصنيع العسكري رغم تعهدات مباشرة من الفريق عامر رشيد العبيدي الا انتاج نسبة محدودة جداً تبلغ حوالي المائتي الف طلقة يومياً وتعادل ٢٠٪ مما تعهد به الفريق عامر، علماً بان نوعية الانتاج تضمنت حالات عديدة من الخلل تسببت بمئات الحوادث كانفجار الطلقة في حجرة البندقية حال الضغط مما جعل الجنود يتجنبون استخدام بنادقهم في اطلاق النار.

ولكن الانتفاضة أخمدت بتسارع حاد في ايامها الاخيرة ولم يعد النقص في العتاد يمثل مشكلة مهمة حيث امكن تكديس ما تم انتاجه والحصول على مواد اولية اضافية من خارج العراق.

□□ الاستنتاج

يستدل من هذه المؤشرات ان الموقف الاردني في مراحل الغزو الاولى كان بحاجة الى استيضاح المواقف الدولية، فيما وضعته مصالحه وعلاقاته ونظرته العميقة نحو العراق امام خيارات صعبة، فمن ناحية انه لم يكن راغباً في المخاطرة بركوب موجة غير معروفة الابعاد في التصدي لصدام، ومن ناحية اخرى انه لم يكن يعاني من مشكلة الزعامة الاقليمية التي تستهوي اطرافا اخرى لتجريد العراق من قوته.

كما ان اجراءات الاردن اللاحقة وعدم استجابته لتأمين احتياجات النظام من العتاد تعكس بوضوح انه لم يكن حريصاً على بقاء النظام مستمراً في الحكم او بالاحرى توفر الرغبة بسقوطه.

□□ العلاقات في مرحلة ما بعد الحرب

تسببت حرب الخليج الثانية باندحار صدام وانتصار اعدائه (عدا الشعب العراقي الذي بقي هو الخاسر الاكبر من استمراره في الحكم). وفرضت على الاردن ضريبة ما اعتبر وقوفاً الى جانب صدام وهو اتهام قابل للمناقشة والجدال من كلا الطرفين، ولم تعد الاقطار الخليجية (المعنية) مستعدة لاعادة دراسة الموقف ومساعدة الاردن للتخلص من اثار الماضي، بل بقيت بانتظار مبادرة او متغيرات تشكل نقطة دفع لاعادة تقويم السياسة، فلم تعد امام الاردن من فرصة للاستدارة الكلية ضد النظام في بغداد دون ضمان بدائل تعوضه عما يفقده جراء مثل هذه الخطوة، فاضطر الى اتباع سياسة مرنة تتضمن مايأتي:

١- ابقاء الصلات السياسية قائمة بين البلدين مع الغاء للمراسم العلنية المعتادة في السياسة الاستثنائية المتطورة، كالزيارات على مستوى القمة وتبادل الرسائل والبرقيات العلنية (عدا حالات قليلة جداً)، ويتضمن هذا النهج استثمار الوضع العراقي الصعب من النواحي السياسية والاقتصادية لتأمين غرضين اساسيين هما: الاستفادة الاقتصادية، وتأمين مواصلة الانفتاح على الشعب العراقي ومساعدته في تأمين متطلباته الضرورية، وقد نجح الاردن في هذين الغرضين نجاحاً كبيراً، واصبحت وشائج العلاقة مع الشعب اقوى من اي وقت مضى وبخاصة في الفرص والمواقف التي تعزز قناعاتهم في ان الملك ليس مع صدام بل يمارس دوراً دقيقاً لمعاونتهم عليه. وتعتبر الصادرات النفطية العراقية الى الاردن اهم مجالات الاستفادة الاردنية في المرحلة الحالية حيث يدفع الاردن نصف الاسعار المقررة فتوفر له هذه العملية ٣٠٠ مليون دولار سنوياً وبذلك يستفيد كلا الطرفين من هذا المبلغ بموجب موافقة استثنائية صادرة من لجنة العقوبات التابعة للامم المتحدة وهو مبلغ غير قليل يضاف الى ٢,٤ بليون دولار (الملبغ الصافي للعراق لشراء المواد الانسانية بموجب القرار ٩٨٦).
٢- التحرك النشط سراً لمعرفة التوجهات والنوايا الغربية واهدافها، وجاء المؤتمر الصحفي الذي عقده العاهل الاردني مع وزير الخارجية الاميركية وارن كريستوفر عام ١٩٩٣ والذي اشارا فيه بطريقة غير مباشرة الى ضرورة التنسيق لاحداث التغيير في العراق، جاء مزعجاً لرأس النظام فخرجت صحيفة العراق بتوجيه منه بمقال غير مباشر ايضاً - تحت عنوان "حتى انت يا بروتس؟" وهو عنوان لقصة مثيرة في الغدر.

□□ المشروع الاردني بين الواقع والطموح

على الرغم من الموقف الاردني الصعب والمعقد الذي رافق احداث الكويت لم يتخل الغرب عن علاقاته مع الاردن بقدر ما استمرت الدول الغربية الاكثر اهتماماً بمواصلة الضغط عليه لتطبيق قرارت الامم المتحدة المتعلقة بفرض

الحصار على العراق، واضطروا الى ضرب طوق على ميناء العقبة لتفتيش السفن المترددة اليه بكل ما تتركه العملية من اعباء على انسيابية العمل، الا ان الاردن واصل توجهاته بفتح الحدود مع العراق وقاوم طلبات الانحياز العلني.
وكوّن هذا الاجراء مزيجاً من التداخلات الايجابية والسلبية، الا ان الاردن كانت له اسبابه الخاصة ومنها:
١- انغلاق البدائل عن العراق وهو امر لا يمكن احتماله مهما كانت وقائع المسائل التاريخية مؤذيه، ونظراً لوضع الاردن على رأس قائمة دول الضد في الاسبقية التي تلي العراق.
٢- خصص الكونغرس الاميركي عشرات بلايين الدولارات الى مصر مكافأة لها لتوصلها الى اتفاقية سلام مع اسرائيل، فيما لم يعط الاردن رغم علاقاته الطويلة مع الولايات المتحدة الاميركية الا مبالغ بسيطة جداً لم تصل الا الى نسبة ضئيلة مما يحصل عليه من تعامله مع العراق.
٣- ان أي تغيير في الاتجاه لا بد ان يستند الى وقائع مادية ومعنوية وسياسية ملموسة.
وهكذا عاش الاردن في وضع دقيق للغاية، الا ان مثل هذا الوضع لم يفقد القيادة حماسها في البحث عن طريقة مناسبة لاحداث التغيير المتوازن في الموقف.. ولكن بانتظار مفاجأة من الغيب تزحزح الموقف من حالة المراوحة او الجمود.

▫▫ مفاجـأة الغيب

عندما اشيع خبر اجراء عملية جراحية معقدة في رأس حسين كامل في مستشفى الحسين الاردني وتماثله الى الشفاء، كاد الكثير من العراقيين يفقدون صوابهم وايمانهم فكانوا يرددون بان مثل هذه العملية لو اجريت لشخص فقير او.. لما كتبت له الحياة.. وهو تساؤل يدل على الاحباط والضجر، وانساهم كرههمْ لصدام واهله (ان الله خير الماكرين)، فما ان جاء يوم الثامن من آب ١٩٩٥ وهو يوم النصرْ العسكري للعراقيين في حرب السنوات الثماني ويوم الهزيمة السياسية

لصدام، حتى جاءت مفاجأة الغيب بوصول حسين كامل واخواه صدام وعبد الحكيم وابنتا صدام الى الاردن معلنين تمردهم على الطاغية الذين ترعرعوا بين يديه - واثر لقاء مثير للقيادة الاردنية مع حسين كامل اعلن الاردن تغيير موقفه بطريقة مثيرة باتخاذه موقفاً علنياً بضرورة اجراء التغيير في العراق وحتمية انهاء الدكتاتورية، وهي مطالبة واضحة باسقاط صدام، فازالت هذه المفاجأة الاحباط من نفوس العراقيين وتعلموا كيف ان الله خير الماكرين، فلو مات حسين كامل خلال عمليته الجراحية لهيأ صدام شخصاً آخر بدلاً منه (وهو العقيد صدام كامل). فيما حققت عملية الهروب التالي:

١- ضرب صدام بصهريه واقرب مساعديه اليه وابنتيه.

٢- اعطى الاردن الفرصة الانسب لاحداث التغيير الاستراتيجي العلني في موقفه وهو امر بقي خارج قدرة قوى التأثير الكبرى، فلطم صدام بضربة الاردن.

٣- عودة حسين كامل ومن معه الى بغداد بعد صدور عفو علني عنهم من مجلس قيادة الثورة برئاسة صدام شخصياً، وليصدر الطاغية اوامره بقتل حسين كامل مع اخويه وابيهم بعد ثلاثة ايام فقط من عودتهم بعملية اسماها "الصولة الجهادية" فاراد الله بهذا كشف حقيقة صدام الاجرامية وعدم التزامه بوعوده ونكث العهد في حادثة مثيرة بكل ابعادها.

(الظالم عدو الله ينتقم به وينتقم منه).

◻◻ عودة الى المشروع الاردنــي

ولنعد الى ما اطلقت عليه تسمية "المشروع الاردني" الذي احدث هزة اقليمية قوية ادت الى قيام دول بتركيز واستنفار جهودها لاجهاضه، وحرصت حرصاً تاماً على متابعة هذا المشروع منذ انطلاقته الاولى وبكافة السبل للوقوف على ابعاده والتعامل مع جوانبه الايجابية الجدية بصورة مماثلة، ولذلك قررت السفر الى الاردن بكل ما ينطوي على ذلك من عقبات وتعقيدات، واعتقد بعض الضعفاء في حينه ان الامر قد لا يتعدى كونه اتفاقاً وتوجيهاً من قبل احد

الاطراف لسبر اغوار الاحداث، فيما كان ما حصل خطوة حقيقية صادقة للبحث في مسيرة خلاص الشعب من الطغيان، فقد تركنا العراق رغم ارادتنا تفادياً للخضوع لخطر الموت بمشيئة الطاغية من دون ان نحرك ساكناً، واذا لم نتحرك ولم نحرك الاحداث ونحن في الوضع الجديد كان الاولى بنا قبول الخضوع اوالموت في العزاق.

وعلى أي حال فان ما سأتطرق اليه هنا كنت وقفت عليه شخصياً خلال الاتصالات الهاتفية التي اجراها معي حسين كامل والعقيد صدام كامل ومن افكار المسؤولين في الدول المعنية التي تحمل وجهات نظر متخالفة.. ولا بد من الاعتراف بان هنالك حقائق اخرى مهمة، وحساسة تتطلب مصلحتنا الوطنية حجبها في هذه المرحلة ولكي لانتسبب باحراج الاخرين.

◻◻ ماذا في جعبة الفارين؟

وصل حسين كامل الى الاردن حانقاً من سماح صدام لعدي بالزحف نحو صلاحياته، في وقت تعمقت فيه مشاعر الضيق من مواصلة السياسة المتهورة التي ستؤدي بمن يلتف حوله الى مصير مدمر.

وصل ومعه جعبة مليئة باسرار الممنوعات التي سيساعد كشفها على تشديد الموقف الدولي ضد صدام، كما يحمل في ذهنه تقديراً وتقييماً للوضع الصعب الذي يعيشه النظام وصدام شخصياً، ما يدل على تآكل النظام من داخله واهتزاز وتفسخ مرتكزاته، وهذا كله شجع القيادة الاردنية على اتخاذ الموقف الذي اتخذته، ولاشك في انه سيبقى من حيث المنطلق موقفاً صحيحاً في الوقت المناسب رغم ما رافقه من هفوات واخطاء ومنغصات وردود فعل عنيفة وتضمنت افكار حسين كامل ما يأتي:

١- يمر الوضع الاقتصادي بحالة خطيرة جداً، وان اياماً تمر ولا توجد في خزينة الدولة سوى سبعين الف دولار فقط (ولا تقع خزائن العائلة المتسلطة تحت هذا الوصف) وانه (أي حسين كامل) يقف في الضد من تطبيق القرار ٩٨٦ لانه

سيمد في عمر النظام (والحديث له شخصياً) وقد اخذت بعين الاعتبار كون الرقم الذي ذكره يمثل رداً تبريرياً لتنفيذ الاتهام الموجه ضده من قبل صدام باستصحابه بضعة ملايين من الدولارات ولكني اعتبره صحيحاً.

٢- تأكيد مقولة عدم وجود احد مع صدام سوى جمود الموقف او غياب الفعل المضاد وستكون اية حركة جديدة كفيلة بالتحاقات واسعة الى جانبها وانهيار النظام سريعاً.

٣- ضرورة تشكيل قوة عسكرية تتألف من بضعة آلاف من العراقيين وتوجيه نشاطات اعلامية مركزة لتفتيت النظام، ودعوة القادة للانسلاخ عنه، وتوجيه ضربات جوية وصاروخية على مقرات صدام وهو الامر الذي قوبل بالرفض من قبل الولايات المتحدة الاميركية، لانها ليست مضطرة لاجراء التغيير بهذه الطريقة.

استساغت القيادة الاردنية بعض افكار حسين كامل وتحفظت على بعض آخر، كما انها لم تستطع تلبية المتطلبات التي لا ترغب الولايات المتحدة الاميركية تلبيتها، فأخذ العاهل الاردني المبادرة شخصياً على طريقة البحث والتداول مع المعارضة وجهاً لوجه، فكانت كارثة تعدد الالوان الداكنة.

▫▫الملك والمعارضة

اراد الملك تجاوز مسألة حسين كامل والانطلاق نحو الوقوف على اراء المعارضين العراقيين في الخارج لمحاولة تطوير المشروع الاردني من موقع تغيير الموقف الى نقلة نوعية تستهدف اقامة مشروع حقيقي للتغيير، فاصطدم بآراء متعددة شملت:

- وجود اطراف كردية تطالب بنظام فدرالي يمنحها قدرا من حرية الاختيار.
- وجود اطراف تطالب برفع "المظلومية" الطائفية، وتأكيد حتمية حكم الأغلبية.
- واطراف اخرى تحاول التخلص من صدام واجراء تعديلات طفيفة في هيكلية النظام.

- واطراف تريد تخريب كل ما لا تستطيع العمل ضمنه.

وفي الحقيقة ان غالبية هؤلاء ليسوا ضروريين لمشروع عملي بناء وان اختيار مجموعة متجانسة لعمل جدي نحو القوات المسلحة يعتبر الطريق الاصلح نحو التغيير الفعال مع عدم اغفال القوة الكردية المسلحة، فبقيت المعارضة العراقية عاجزة عن التفاعل مع المشروع لاسباب كثيرة منها:

١- الصراع (من فراغ) على مواقع النفوذ، ومثل هذا الصراع سيبقى قائماً طالما لا توجد مبادرة جدية لتبني القوى الفاعلة والمطلوبة ضمن اتجاه التغيير المطلوب، واهمال الذين يبحثون عن ادوار شخصية.

٢- تأثر المعارضين بنقاط ارتكازهم وطالما ان الاردن لم يتمكن من تأمين اقامة آمنة للمتواجدين خارج اوروبا فانه لن يستطيع تكوين نقطة استقطاب هام.

وحاول الاردن التأكيد على ان ما يتعلق باشارته الى الفدرالية لم يكن تعبيراً عن افكار ذاتية بقدر ما كان دراسة لطلبات اطراف معارضة بهذا الصدد، الا ان الحالة استغلت الى اقصاها عربياً وفسرت على ان هذا الطرح يستهدف تفتيت العراق ولتسهيل عودة التاج الملكي اليه، وبذلك اشتدت الضغوط وردود الافعال العربية على المشروع الاردني، فاضطر الاردن امام هذه الضغوط الى التراجع لأخذ وقفة مرحلية من التمهل والاحتواء، وجرى نقل فكرة المشروع الاردني الى اسلوب آخر.

ومن يعتقد بأن الاردن سيتخلى عن دوره في المسألة العراقية يرتكب خطأ.

□□ نشاط المؤسسات الاردنية

نشطت المؤسسات والدوائر السياسية والاعلامية وغيرها نشاطاً واضحاً لاعطاء المشروع قدرة الدفع نحو الامام، **وكان اختيار السيد عبد الكريم الكباريتي رئيساً للوزراء في ذلك الوقت اختياراً موفقاً ودقيقاً لما يتمتع به من جرأة وديناميكية وكره للطاغية وله الحق في ان يشعر بالاعتزاز تجاه ما سجل له الشعب العراقي من تقدير.**

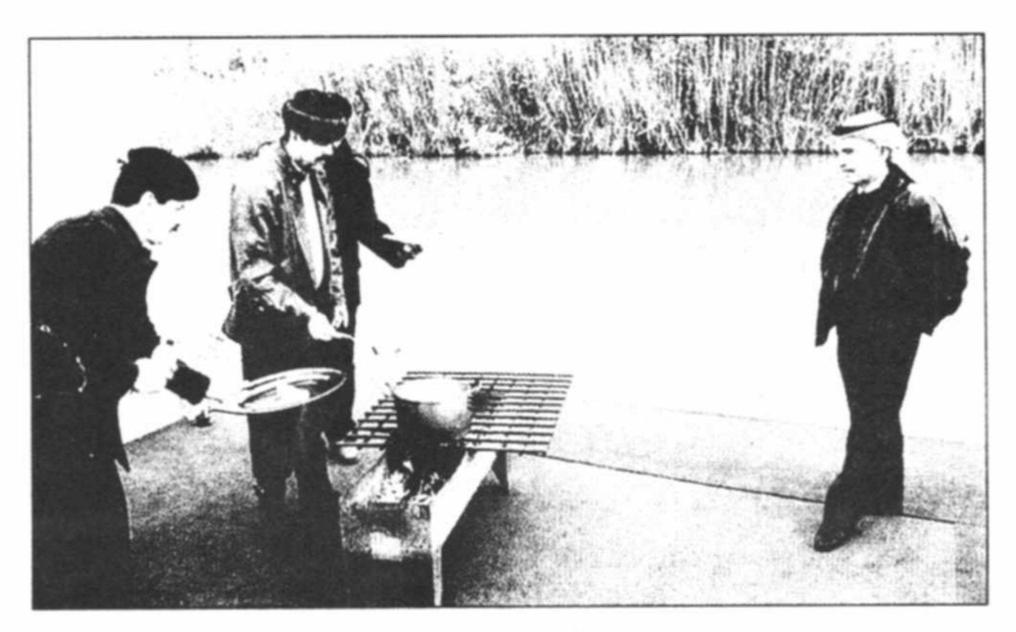
كما نشطت الاجهزة الخاصة في ضمان أمن البلاد ونجحت نجاحاً كبيراً في رصد النشاطات المعادية الموجهة من قبل رأس النظام رغم اعداد العراقيين الهائلة في الاردن والتي قاربت المليون شخص ورمي المخابرات العراقية بثقلها في العقبة وعمان وتحويل السفارة العراقية الى بؤرة للتجسس على الاردن والمعارضة العراقية.

□□ تقييم الموقف الاردني

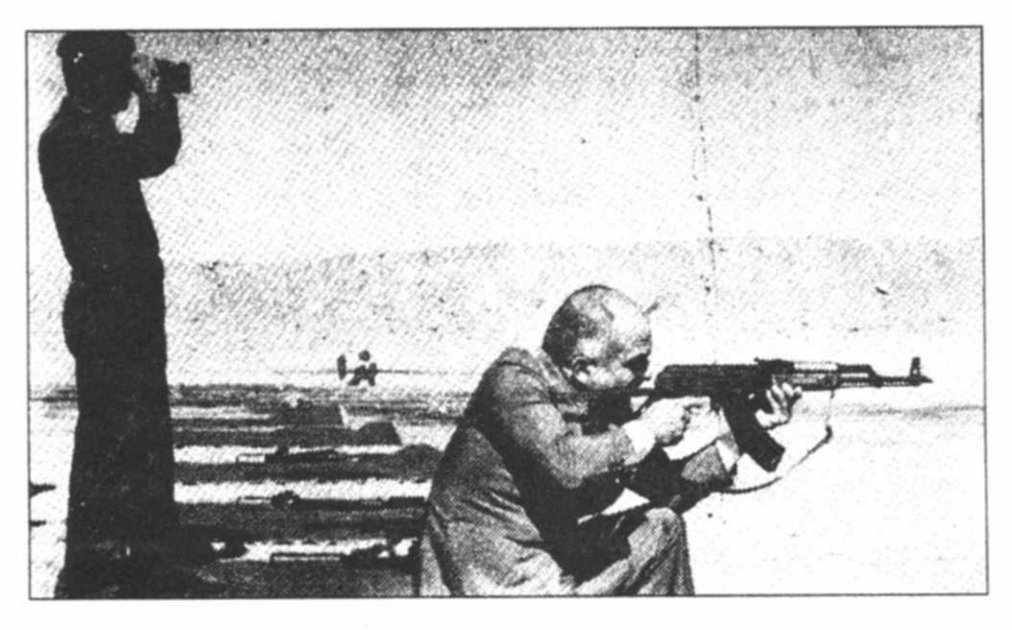
تدرك القيادة الاردنية تمام الادراك ان العراق بلد تصعب السيطرة عليه، وان الوشائج التي تربط الاردن بالعراق لا بد من تحويلها الى برنامج حقيقي لمساعدة الشعب لنيل حقه التام في الحياة، واذا كان الوضع الاردني لايحتمل وجود حكومة معادية ولها قدرة الاستمرارية بعيدة المدى في العراق، فان الحل الوحيد يكمن في الاستمرار بالوقوف ضد الطغيان وادامة التنسيق بالطرق الممكنة ومثل هذا العمل لا بد له من استقطاب وتهيئة البدائل التي من شأنها التعويض عما يلوح صدام بقطعه عن الاردن بطريقة او بأخرى وبخاصة ما يتعلق بميناء العقبة، وبدائل النفط.

وتدرك القيادة الاردنية تماماً ان ما حصل بينها وبين صدام من فجوة لايمكن تجسيرها، ومتى ما استطاع الطاغية الايذاء فلن يتوقف.

وما لنا لا نبارك لمن يرمي حجراً على صدام موقفه؟!



صهرا صدام، حسين كامل وصدام كامل يساعدان صدام في طهي الطعام لضيفه العاهل الاردني، ولم تمض الا فترة قصيرة فتمرد الاخوان على عمهما واصبحا بضيافة الملك في عمان، ثم عادا الى بغداد فقتلهما صدام.



الملك حسين: الحرص على إصابة الاهداف

توقيت تصعيد صدام رمضاني والاستعداد لتوجيه ضربة مستمر

تحليل اللواء وفيق السامرائي

١٩٩٨/١/١٥

عندما اتخذ صدام قراره الاخير يوم ١٩٩٧/١٠/٢٩ بمضايقة فرق التفتيش انطلق من دوافع محددة تشكل احد اساليب الضغط والمناورة من اجل وضع ملف الحصار الاقتصادي ضمن جداول الاعمال الجدية للامم المتحدة ومجلس الأمن، منطلقاً من تقدير خاطئ للموقف في ما يتعلق بحسابات ردود الفعل والتوازنات والمصالح الدولية، وتأثير الضغوط العربية مع العلم ان هذه "الضغوط" لم تستطع زحزحة الموقف الاسرائيلي او احباط التوجهات التركية وغيرها.

وتمكن النظام من ادارة الجولة الاولى من العملية بجرأة عالية، الا انها كانت جرأة محسوبة الابعاد ومحددة التوقيت كتلك التي تحصل في الوقت الضائع من الاحداث.. وانتقل النظام من مرحلة العمل "الهجومي" الى مرحلة المرونة والتراجع النسبي مع ظهور اللعبة الروسية.

ومنذ البداية كان التقدير الواقعي يتمحور في ان ايا من الطرفين غير مستعد للعودة الى نقطة الصفر وسيبقى كذلك في المرحلة الحالية.

وتمكن النظام من اختيار توقيت المرحلة الاولى مع اقتراب مؤتمر الدوحة الاقتصادي، والمرحلة الثانية (المرنة) مع حلول مؤتمر القمة الاسلامي في

طهران، كما تعمد اختيار موعد المرحلة التصعيدية الحالية في منتصف شهر رمضان لكسب عشرين يوماً من الحالات الاقل توقعاً لتوجيه اية ضربة طالما ان الاميركان والانكليز يراعيان مشاعر العالمين الاسلامي والعربي في هذه الايام التي تحظى باعتبارات مقدسة، رغم ان النظام الذي يحمل هوية الانتماء الاسلامي لا يتورع عن القيام باي عمل يريده في اي يوم يريد بصرف النظر عن المشاعر الانسانية والدينية.

اصدر النظام في بغداد يوم ١٩٩٨/١/١٢ بياناً يعترض فيه على تشكيلة فريق التفتيش الذي وصل العراق يوم ١٩٩٨/١/١١ لكونه يتألف من تركيبة اميركية - بريطانية ساحقة الامر الذي يدل على وجود "نوايا مبيتة"، فاستعاد النظام المبادرة ولكن ارتكب هذه المرة خطأ السبق في تصرف استفزازي.

▫▫ الاستعدادات داخل العراق

حتى وصول الفريق الجديد الى العراق فان الاوضاع العسكرية ودرجة الاستعداد وحالة القسم الاكبر من المنشآت حافظت على نشاطاتها العادية ولم يجر رفع درجة استعداد القوات، ما يدل على ان النظام لا يتوقع ضربة عاجلة رغم نعيقه الاعلامي، ومع ذلك فان الانتقال الى حالة الاستعداد القتالي لا تستغرق وقتاً طويلاً لاسيما ان اشكال التهديد معروفة مسبقاً وهي تهديدات جوية وصاروخية.

الا ان هناك درجة أستثنائية من اليقظة الامنية خصوصاً بعد صدور حكم الاعدام على اللواء طالب السعدون (عضو المكتب العسكري للحزب) ومجموعة اخرى من الضباط معه بتهمة التنسيق لتدبير محاولة انقلابية بالتوافق مع ضربة جوية وصاروخية واسعة، وهي تهمة فيها جوانب من المبالغة اكثر مما فيها من الجوانب العملية، رغم اهمية اللواء السعدون سواء بما يتعلق بموقعه العشائري الموالي للنظام (سابقاً) او لعلاقاته الواسعة بكافة القيادات والكوادر الحزبية العليا داخل القوات المسلحة واطراف عديدة مماثلة في التنظيمات المدنية الحزبية.

كما ان الاستعدادات الادارية وتوزيع وانفتاح القوات سبق ان اتخذت خلال

المرحلة الاولى من الازمة اي في النصف الأول من شهر نوفمبر ١٩٩٧، وهي لذلك لاتحتاج الا لوقت محدود جداً لاعادة التهيئة.

□□ المناورات السياسية الغربية

اما المناورات السياسية الانكلواميركية فحققت في الفترة الماضية. نجاحاً واضحاً في تحويل الازمة مع النظام من محاولته التركيز على المطالبة الجديدة برفع العقوبات الى مسألة تتعلق بتفتيش القصور الرئاسية، كما ان هناك معلومات تفيد بنشاط اميركي باتجاه فرنسا وعدد من دول الخليج لكبح جماح الدول الساعية الى التخفيف عن النظام ودفعها لتأييد الضغط الموجه على النظام، وعدم الاعتراض او الوقوف بوجه الاجراءات العسكرية العقابية اذا ما دعت الحاجة اليها. كما ان الاميركان (وطبقاً لما يتردد) يتوقعون تراجعاً مهماً من قبل النظام الا ان هذا التوقع كان قائماً قبل وصول فريق المفتشين الاخير الى بغداد.

□□ الاستعدادات الاميركية للضربة

لوحظ في الآونة الاخيرة نشاطاً اعلامياً اميركياً غير معتاد في السنوات الاخيرة يدفع بالادارة الاميركية لتوجيه ضربة قوية الى النظام تؤدي الى تقويضه، وعندما نذكر هذا الامر لا نقصد الكشف عن دلائل معينة، فالنظام هو الآخر لاحظ مثل هذه النشاطات واشار اليها علناً - كما لمست هذا التوجه خلال شهر واحد تقريباً عندما طلبت ثلاث شبكات تلفزيونية اميركية رئيسية اجراء اربع مقابلات معي كلها تصب بهذا الاتجاه عبرت خلالها عن رؤيتنا الوطنية للوضع برمته.

وعلى الرغم من ان الاعلام الاميركي لا يكتسب صفة رسمية فانه يمثل سلطة دافعة حقيقية في النظم الديموقراطية وكان احد الاسباب الحقيقية لزعزعة العلاقة بين نظام صدام والولايات المتحدة الاميركية عامي ١٩٨٩ - ١٩٩٠ قبيل اجتياح الكويت.

ويلاحظ ايضاً ان القوات التي ارسلت لتعزيز التواجد الاميركي في منطقة الخليج وتركيا مازالت في مناطق انتشارها القتالي ويعكس هذا التصرف الاستعداد لاستخدام القوة في الوقت المناسب، الا ان الغرب ما زال يلقي بالكرة في ملعب مجلس الأمن معززاً موقفه بخروقات وتجاوزات متكررة من قبل النظام، وفي النتيجة فان الضربة لا بد من حصولها رغم عدم توفر مؤشرات تدل على توقيت محدد لها سواء استغرق الامر اسابيع او اكثر.

وتبدو مشكلة الغرب الحقيقية في اية ضربة متعلقة على الاغلب بفشل مشاريع المعارضة السابقة التي ولدت بالاساس مشوهة وكسيحة، الامر الذي يترك خللا فيالموقف السياسي المطلوب خلال وبعد الضربة.

□□ احتواء الضربة

*** تتوفر لدى النظام القدرة على احتواء الضربات المحدودة لان مثل هذه الضربات لاينتظر منها تحريك الشارع او القوات المسلحة العراقية، وتبقى تأثيراتها جزئية جداً مقارنة بما حصل في السابق، كما انها ستلقي بظلال من الشك اذا ما استبعدت مكامن الطاغية المسببة للازمات واستهدفت مواقع اخرى.**

*** تتوفر احتمالات مهمة لتحرك عسكري فعال ضد النظام اذا ما صُممت الضربات بطريقة تشمل مقرات وقصور صدام ومراكز اتصالاته ومحطات الاذاعة والتلفزيون فضلاً عن اتخاذ موقف سياسي بناء.**

***على الرغم من ان المواقف العربية المعارضة للضربة الغربية يمكن تفهم اسبابها ومبرراتها فان اشتراط اسقاط النظام بحساب عملية واحدة (اي ان تكون نتيجة العملية سقوط صدام ١٠٠٪) يعتبر شرطاً مشدداً، ولكن من المعتقد ان تستجيب دول الخليج لتقديم الاسناد والتشجيع السريع والامتناع عن الاعتراض السافر لأية ضربة تستهدف مكامن رأس الافعى مباشرة لأن مثل هذه**

الضربة لابد ان تترك اثرها في رفع معنويات العراقيين واضعاف النظام.

❋❋❋



. العقوبات المفروضة على العراق

يتعرض العراق منذ اكثر من سبع سنوات لاقسى انواع العقوبات في العصر الحديث، شملت آثارها الشعب، والنظام الحاكم، ودول الجوار، وعدة اطراف اخرى خارج النطاق الاقليمي، وولدت موجات من المتضادات اختلطت فيها دموع المتباكين مع غيرها، وتشابكت النوايا الطيبة بالمزايدات الباهتة، وظهرت على السطح آراء لا تُعبر عما هو مستقر تحت السقوف الكاذبة، فتباكى المتباكون على شعب سئم البكاء، فيما بقي التراشق والاتهام بمثابة القاسم المشترك لمعادلة التقييم. فمن يؤيد العقوبات يُتهم من قبل النظام والمزايدين بالسعي لتدمير العراق، فيما يُتهم المنتقدون من قبل فريق آخر بالسعي لرفع طوق الموت الزاحف نحو الطاغية.

وهكذا تبقى لكل اهدافه ونواياه.. وبقينا مع تأييد فرض العقوبات والمطالبة والسعي المستمرين للتشجيع على تشديدها ضد النظام.. ولكن وفق الرؤية المستمدة من رغبة الشعب التي عشناها هناك ونحرص على متابعتها باستمرار.

▫▫ فرض العقوبات ونطاقها

فرضت العقوبات الاساسية بموجب قرار مجلس الأمن المرقم ٦٦١ والمؤرخ في ١٩٩٠/٨/٦، وشُددت بالقرار ٦٨٧ الخاص بوقف العمليات الحربية، وما تلاه من قرارات تضمنت منع العمليات التجارية مع العراق ريثما تطبق القرارات الصادرة عن المجلس، والتشديد على منع تصدير النفط العراقي الى ما بعد ازالة

اسلحة الدمار الشامل، واقرار ومصادقة اللجنة المكلفة بذلك على نظافة العراق منها.

وجرى ربط الامر بقرارات اخرى منها ما يتعلق بالاسرى الكويتيين واعادة المواد المسروقة من قبل النظام وحقوق الشعب العراقي والاعتراف بسيادة دولة الكويت وضمان حدودها.. الخ، واصطلح على جملة من الاجراءات بالامتناع عن تهديد الدول المجاورة.

ويبدو ان القرارات اللاحقة جاءت لتدارك النقص في القرارات الاولية، ونتيجة للشعور بالاحباط من عدم مغادرة صدام للساحة السياسية، وتعبيراً مغلفاً عن الرغبة في اسقاط النظام.

وبعد مرور اقل من عام على بدء عاصفة الصحراء اصدر مجلس الأمن القرار الخاص بتصدير النفط مقابل الغذاء والدواء بناء على مقترح قدمته الولايات المتحدة الاميركية، والذي يعد بمثابة الخرق الرسمي او التعديل لقرار العقوبات الذي ينص على عدم السماح بتصدير النفط حتى ازالة اسلحة الدمار الشامل، فيما لم يكن النظام قد اظهر حتى ذلك الوقت اية مرونة للتعامل البناء مع اللجنة.

▫▫ الاستفادة التركية

وقد صدر هذا القرار الذي جاء عقب زيارة الرئيس الاميركي السابق جورج بوش الى انقرة في آب ١٩٩١ نتيجة عاملين اساسيين هما:

* الضغط التركي الهادف الاستفادة الاقتصادية من تصدير النفط العراقي عبر اراضيه وما يتبعه من رسوم مالية، فضلاً عن كون العراق المستهلك الرئيسي لفائض المنتجات الزراعية التركية.

* فشل التصور الاميركي الذي اوحى بان النظام لن يستمر طويلاً تحت وطأة الضربات الشديدة، والهزات الداخلية، واستمرار العقوبات، وما حتمه هذا الفشل في تقدير الاحتمالات من اعادةٍ لرسم سياسة التعامل مع معطيات المرحلة المقبلة.

وجاء القرار ٩٨٦ بناءً ومفيداً للشعب العراقي، واحدث ثلمة جديدة في سيادة

النظام، الا انه اعطى الطاغية ضميمة لحالات التدهور غير المسيطر عليه في الاوضاع الاقتصادية يرتكز عليها متى ما يشاء عند الحاجة، كما ولد القرار شعوراً بالاحباط لدى قوى سياسية داخل العراق بأنه يمثل تراجعاً ربما تتبعه تراجعات اخرى، او كونه مؤشراً لعدم توافر استراتيجية فاعلة لاحداث تغيير سريع في العزاق، **ولا غرابة في ان نتلقى رسالة من احد كوادر حزب البعث داخل العراق يشكك فيها بجدية النوايا امام صدور هذا القرار، وما تركه من مؤثرات سلبية لدى عموم الناس مفادها توجيه الاتهام الى الغرب بالتآمر مع الطاغية لتدمير العراق، وها هم بدأوا بالتخفيف عنه، فالناس في العراق يتداولون ما يعني ان صدام يتلقى صباح كل يوم ورقة مكتوبة من الخارج وعليه الالتزام بحذافيرها، ومثل هذه الورقة يعتبرونها اتفاقاً مسبقاً.**

وبدل استغلال النظام الفوري للقرار لتخفيف وطأة الصعوبات المعيشية على المواطنين، قرر ابقاء القرار ضميمة شبه مجمدة، ومواصلة اتباع اساليب اخرى لمحاولة رفع العقوبات، ولكنه اضطر للقبول به بعد خمسة اعوام من صدوره تخللتها تعديلات بزيادة كمية التصدير المطلوب وزيادة تقليم سيادة النظام.

وكان متوقعاً ان يحدث تطبيق القرار قفزة نوعية في الوضع الاقتصادي العراقي، الا ان المحصلة لم تسفر عن شيء فعال، فمازالت قيمة الدينار العراقي لا تزيد عن ١/٥٠٠٠ من قيمته الاصلية وهو وضع اسوأ حتى مما كانت قيمة الدينار حوالي ١/١٠٠٠٠ بسبب فقدان المواطنين لاموالهم نتيجة المضاربات التي تعمد النظام ايقاعها في السوق المحلية والتذبذب الحاد باسعار الدينار مقابل الدولار الى درجة تشبيه التذبذب السعري بالمنشار الذي يأكل من الخشب ذهاباً واياباً على حد سواء.

▫▫ العقوبـات ومفهـوم النظام

لاشك في ان الرئيس الاميركي السابق لم يكـن سـعيداً ببقـاء صـدام متربعـاً علـى كرسي الحكم ليكيل لهـم الشـتائم الفارغـة، وليـس لمطلـع الحـق فـي الاقتنـاع بـان الامـيركيين تعمـدوا الابقـاء علـى صـدام لخدمـة مصـالحهم، فـان العديديـن سـواه قادرون على خدمة تلك المصالح من دون مشاكل وتعقيدات، ومثل هؤلاء يمثلـون تهديداً باسلوب جديد (اذا صح الافتراض)، ومـن مراجعـة سجلات الحــوادث واهداف وجداول القصف الجوي والصاروخي خلال الحملة الجوية للحلفاء تبدو الحقيقة واضحة في انهم اسـتهدفوا قتـل الطاغيـة، وهـذا مـا كنـا نلمسـه باسـتمرار ونقرأه على وجهه طيلة ايام القصف، ولم تحصل حادثة واحدة تدل على انـه كـان يتعمد تمثيل مثل هذا الدور.

ومـا يعـزز هـذا التصـور، ان كافـة عمليـات القصـف متعـددة الاشـكال وبمختلـف الوسائل لم تـؤد الى مقتل ضابط كبير او مسؤول سياسي واحد بارز او مهم، فمن مئـات ضباط الاستخبارات اصيب ضابطان بجروح متوسـطة احدهمـا فـي مدينـة العمارة والآخر في البادية الغربية على مقربة من الحدود السعودية، ويعود السبب الحقيقي للمحافظة على سلامة القيادات الرئيسـية والفرعيـة خلـف خطـوط القتـال البري الى تدابير الحماية واخلاء المقرات المكشوفة الـى مقّرات سـرية اختيـرت غالبيتها وسط المساكن المدنية.

وفي اول شهادة استماع لوزير الخارجية الاميركي السابق وارن كريستوفر امـام الكونغرس مطلع عام ١٩٩٣ جرى توجيه سؤال محدد اليه مفاده "هل تخليتم عـن هدفكم باسقاط صدام؟" فجاءت اجابته واضحة بالنفي: "كلا"، الا انهـم سـيتجنبون الربـط العلنـي بيـن سـقوط صـدام ورفـع العقوبـات، ويكتفـون بـالربط بيــن رفـع العقوبات وتطبيق كافة قرارات الامم المتحدة، وسيكون من غير الممكن بقاءه فـي الحكم اذا ما طبقت القرارت (على حد وصف الوزير الاميركي).

الا ان وزيرة الخارجية الحالية مادلين اولبرايت كانت اكثر جرأة في صياغة الموقف عندما ربطت خلال محاضرة لها في جامعة جورج تاون يوم ١٩٩٧/٣/٢٦ بين العقوبات وسقوط صدام.
والحقيقة التي لا بد من الاشارة اليها هي ان العراقيين (داخل العراق) كانوا حذرين ومتخسسين من ان يؤدي انتخاب كلينتون الى رفع العقوبات عن النظام، نظرا لما نقل عنه قبل وصوله الى البيت الابيض، الا ان وقائع الاحداث ومواصلة صدام لتهوره قشعت غمامة التصورات الخاطئة.
كما ان الموقف البريطاني يبدو هو الاخر على درجة عالية من الوضوح في الربط بين ازالة النظام ورفع العقوبات، ويدلل على تنسيق مستمر مع الاميركيين، الامر الذي دفع وزارة خارجية النظام يوم ١٩٩٨/١/٦ للرد على تصريحات وزير الخارجية البريطاني روبن كوك التي اشار فيها الى انه ورغم عدم وجود ربط بين رفع العقوبات وازالة النظام (طبقاً لقرارات الامم المتحدة) الا انه شكك بوجود فرصة لتطبيق القرارات في ظل النظام الحالي، وهي صياغة دبلوماسية لموقف عميق ومتشدد من النظام.

◘◘ الضوء في آخر النفق

وخلال الاشهر الاخيرة من العام الماضي درج الروس والاميركيون والفرنسيون والبريطانيون على استخدام مصطلح "الضوء في آخر النفق"، وهو ما اريد به التعبير عن كون الاحتمالات مفتوحة اذا ما حصل التعاون من قبل النظام، ولاشك في ان هذا التعبير اثار تساؤلات عديدة خصوصاً اذا ماكان مؤشراً على تبدل في السياسة الانكلواميركية.
الا ان المعطيات المتيسرة تؤكد ان الاحتمالات (ومنها ما يتعلق بالضوء في اخر النفق) تتعلق بالشعب العراقي حصراً، وتشير معلومات (يعول عليها) ان فريقاً سياسياً من الولايات المتحدة الاميركية وغيرها كلف بزيارة الى فرنسا، وعدد

من دول الخليج، لممارسة الضغط الاستراتيجي اللازم لكبح جماح الدول الساعية للتخفيف عن النظام، **كما ان هنالك مؤشرات تعطي ادلة عن وجود احتمالات ليست ضعيفة عن اقدام صدام على تقديم تنازلات مهمة ضمن نطاق الازمة الاخيرة التي مازالت تسحل بذيولها.**

وفي جميع الاحوال، ورغم الضغوط الفرنسية والروسية والصينية ورغم نصائح بريماكوف التي يسديها الى صدام لتليين موقفه، فان ماهو اكثر من القراءة وابعد من القناعات واساليب التحليل وفلسفة نظرية الاحتمالات، فان القرار السري الحقيقي الذي تتمحور حوله المناورات السياسية هو: "ان الحصار لن يرفع عن العراق مادام صدام يتربع على كرسي الحكم" سواء اراد العرب ام عارضوا، رفضت المعارضة ام ايدت.

▫▫ زيادة النفط مقابل الغذاء

ولمجابهة وامتصاص المواقف والآراء المخالفة في مجلس الأمن وغيره فالنية تتجه لزيادة مبيعات النفط ضمن القرار ٩٨٦ لضمان ما يأتي:

١- زيادة حجم ونطاق المشتريات الاساسية للشعب العراقي.

٢- زيادة حصص تعويضات الحرب.

٣- ارضاء بعض الدول المعارضة لاستمرار العقوبات من خلال اتاحة الفرصة لزيادة مبيعاتها ضمن حدود القرار ٩٨٦.

٤- افراغ الحملات التي تتحدث عن معاناة الشعب العراقي من محتوياتها الانسانية كلياً.

٥- مساعدة الشعب العراقي باقل قدر من سيطرة النظام وحرمان صدام من الحصول على العملة الصعبة.

▫▫ مفهوم النظام

وقبل الدخول في مناقشة موضوع تحويل القرار ٩٨٦ الى حصار طويل الامد لا بد من تحديد المفهوم والمقصود بالنظام، فهنالك تفاوت حاد في وجهات النظر حول تفسير وتحديد الابعاد المقصودة بتسمية "النظام العراقي".

ويبدو ان الفجوة واسعة بين الاطراف المعارضة للنظام حالياً، فينظر بعض العراقيين الى النظام على انه صدام وكل قادة الجيش والحزب والاجهزة الامنية والمؤسسات السياسية.. والمطلوب اسقاط ومحاسبة ان لم تكن تصفية كل هؤلاء بمسيرة حمراء توغل اقصى ما يمكن للوصول الى الابعاد والجذور التاريخية للتخلص منها كلياً. تمهيداً لاقامة نظام جديد يختلف اختلافاً جذرياً وشاملاً، وغالباً ما تخفي مثل هذه الرؤية ابعاداً مريبة تؤدي الى زيادة الاخلال بمعادلات الأمن القومي والاقليمي.

ولكي نكون واضحين فان مثل هذه التطلعات لا تخدم مصالح العراق والخليج، ولا حتى أمن الكويت على المدى المتوسط، وليس لاحد من العراقيين الحلم في ان يقدم اليه مثل هذا الوضع على طبق هادئ، كما ان مثل هذه الطروحات كانت احد الاسباب المهمة في عدم حصول انسلاخات واسعة وشمولية عن النظام على مستوى القيادات العليا، فيما ينبغي السعي لاسقاط صدام شخصياً والحلقة الضيقة القريبة اليه وهم عدد محدود من الاشخاص (هو واهله.. طارق عزيز ، طه الجزراوي..) واقامة نظام جديد يتجه صوب الديموقراطية (الملتزمة) تدريجياً ويشمل ذلك:

١- تشكيل قيادة جماعية عسكرية وسياسية مشتركة للسيطرة على الاوضاع في مرحلة ما بعد صدام.

٢- صيانة الأمن الوطني ومنع الاضطراب.

٣- اطلاق حرية الصحافة والتعبير عن الرأي بما يماثل تجربة الصحف الكويتية وعدد من الصحف الخليجية التي تعد نموذجاً جيداً لحرية التعبير عن الرأي على مستوى الوطن العربي، وان مانراه ونقرأه يبقى مثيراً لدهشة العراقيين وموضع

اهتمام عربي في وقت مازالت فيه الامة تسير في ذيول الركب العالمي.
٤- اطلاق حرية العمل السياسي (تدريجياً)، بدءا بانتخابات برلمانية وصولاً الى مرحلة التعددية السياسية والحزبية.
٥- تعديل الدستور العراقي، ومنع استخدام القوات المسلحة (لغير الاغراض الدفاعية المباشرة) الا باستفتاء عام او بمصادقة البرلمان في حالات تطلب الأمن القومي العربي (فقط) على ان تتوفر القدرة لاجراء انتخابات برلمانية حرة ونزيهة وان يصادق الشعب على مثل هذا القرار علناً وقانونياً.
ويغلب الظن، وطبقاً لمعطيات حية فان الاميركيين والبريطانيين يسعون لوجود مثل هذا النظام، اما الدول العربية فان عدداً منها ربما يتحفظ على ما يتعلق بحرية العمل السياسي خلال العقدين المقبلين ريثما يمكن النفوذ التدريجي اليه بعد التخلص من آلام الماضي وتركاته.
وعلى اية حال فعندما نشير الى ضرورة اسقاط النظام فانما نريد به التعبير عن حتمية اسقاط صدام (شخصياً) وتغيير نهجه وسياسته التي تمثلت باقسى اشكال القمع والتهور والاضطهاد، ولاقامة العدل في العراق، والتحول من القراءات الخاطئة للتاريخ الى قراءة آفاق المستقبل في التنمية والتعاون والاخاء، ونبذ سياسية الحروب، واقامة نظام ديموقراطي (تدريجياً) تجنباً لاحداث انفلات أمني وفوضى سياسية، وإبعاداً للصراعات الحزبية الضيقة.

□□ آثار العقوبات

وتطرح آراء تشير الى عدم جدوى العقوبات الدولية في تغيير الانظمة السياسية، ويستند اصحاب هذا الرأي الى اخفاق العقوبات المفروضة على كوبا منذ حوالي ثلاثين عاماً في تحقيق اهدافها باسقاط الرئيس فيدل كاسترو رغم انها ادت الى احتواء ثوريته المتطرفة، وحالت دون بناء النموذج الذي يمكن الاحتذاء به بالنسبة لدول العالم الثالث واميركا اللاتينية خاصة.
بيد ان هؤلاء يتغافلون الفوارق بين العقوبات المفروضة على العراق التي تأخذ

طابعاً شمولياً وتلك المفروضة على كوبا وهي عقوبات احادية الجانب تتمثل بعدم التعامل الاميركي مع نظام كاسترو، فيما بقيت الابواب مفتوحة امام دول العالم الاخرى للتعامل الحر مع كوبا.

اما بالنسبة للحالة في العراق فانها تختلف اختلافاً جذرياً عن اية حالة اخرى، فحتى المانيا واليابان فان العقوبات التي فرضت على هاتين الدولتين عقب الحرب العالمية الثانية تمحورت حول دفع التعويضات وتحديد الانفاق العسكري وتحجيم التصنيع الخاص المتعلق باسلحة الدمار الشامل، الامر الذي اطلق العجلة الاقتصادية والانتاجية باقصى قدراتها بعد التخلص من اعباء العسكرة وسياسة الحروب.

كان صدام يتصور ان بامكانه تدارك واحتواء كل اثار حرب الخليج الثانية خلال سنتين فقط ففي احد لقاءاتي معه بحضور الطالباني في منتصف ابريل ١٩٩١ في القصر الجمهوري، قال ما نصه: "ان كل ما خسرناه في الحرب سنعيد بناءه خلال سنتين من الآن، وبعد سنتين سيرجع العراق معافى من كافة الوجوه." وبالفعل بوشر باعادة تصليح وترميم واعادة انشاء بعض ما دمرته الحرب ولكن ورغم المبالغة المفرطة في وصف ابعاد الدمار الذي ألحق بالمنشآت فلم يستطع النظام سوى انجاز ترميم الهياكل والجسور والبنايات، واعادة تشغيل دوائر الاتصالات التلفونية، فيما تسببت عملية اعادة الاعمار غير المدروسة الى ضخ كميات هائلة من العملات المطبوعة محلياً وما ترتب على ذلك من انخفاض حاد في قيمة العملة الوطنية وصرفت مبالغ طائلة على منشآت لا تدعو الحاجة لاعادة اعمارها تحت ظروف الحصار.

□□عقوبات.. زائلة!

واذكر عن اول لقاء بعد عيد الفطر الذي اعقب اخماد الانتفاضة، ان صدام كان مرتدياً الملابس المدنية، وبدت على وجهه ملامح الارتياح والنشوة بالسلامة، فأخذ يتحدث بقوله: "ان الحرب وصفحة الغدر والخيانة - وهي التسمية التي اطلقها على الانتفاضة - لم تكن الا غمامة وعدّت، وعلينا الاستعداد للمرحلة المقبلة.. ولا تفكروا بالعقوبات فان اخوانكم في القيادة السياسية يعملون بنشاط لرفعها بسرعة.. وعليكم ان تعتبروها زائلة بأسرع ما يمكن، فالعالم بحاجة متزايدة للنفط ولا يمكن الاستغناء طويلاً عن النفط العراقي تجنباً لزيادة الاسعار" وكان في هذا يتحدث امام اعضاء القيادة العامة للقوات المسلحة.. والتفت إليّ مازحاً: وانتم الاستخبارات فلن تحتاجوا بعد الآن من الدكتور سعدون (اشارة الى الدكتور سعدون حمادي رئيس اللجنة الاقتصادية) لتأمين التخصيصات المالية الاضافية، حيث اعقب اجتياح الكويت تحديد بعض اوجه الصرف المالي للاستخبارات ضمن توصيات ترشيد الانفاق العام.

ويلاحظ هنا تضارب في افكار صدام بين الزوال السريع للعقوبات وبين اكثر من حالة تشاؤم كانت تطفو على وجهه مفادها توقع تأخر واطالة امد العقوبات، وللحقيقة فان حالة الأمل لم تكن تدخل في القناعات الداخلية لطارق عزيز ووزير الخارجية آنذاك احمد حسين السامرائي فخلال اجتماع استثنائي جرى في مسكن طارق عزيز لدراسة جزئية تجاه الموقف شمال العراق ضم كلاً من حسين كامل (وزير الدفاع) والفريق الركن علي محمد الشلال قائد الفيلق الخامس ووزير الخارجية احمد حسين واللواء الركن وفيق السامرائي مدير الاستخبارات العسكرية العامة، خرج النقاش عن حدوده المقررة نحو العقوبات الاقتصادية، فبدا طارق عزيز حساساً من اعطاء أي تصور محدد لها عدا ما يمكن توقعه من السماح بضخ النفط من دون الاشارة الى بقية العقوبات، فيما كان احمد حسين متشائماً بما فيه الكفاية، اما حسين كامل فكان يؤمن بالقدرة على خرق العقوبات وتآكلها وهو مصطلح استقاه من عمه، ما لبث ان تراجع عنه فشق طريقه نحو الاردن.

وبعد عام تقريباً بدأ التشاؤم طافحاً على وجه صدام رغم حرصه على تجنب كل ما يؤدي الى حصول تدهور اعمق بالروح المعنوية، واطلق اشاعات وتعابير الامل، فاضطر في واحدة من حالات الابتئاس والمكابرة الفارغة الى القول وعبر شاشات التفلزيون "يريدون الابقاء على الحصار.. فليبق عشرين سنة.. فسيساعدنا ذلك على الاكتفاء الذاتي".

واثبتت السنوات الماضية ان الحصار لم يساعد الا على تحسن نسبي في الانتاج الزراعي من الحبوب نتيجة الدعم والتسهيلات غير الاعتيادية التي قدمتها مؤسسات الدولة للمزارعين، حيث اقدمت وزارة التجارة على شراء كميات كبيرة من القمح الفرنسي وغيره (لاعتبارات سياسية)، فانهارت أسعار القمح المحلي من حوالي ٧٥٠٠٠٠ دينار نهاية عام ١٩٩٥ الى حوالي سبعين الف دينار قبل ثلاثة اشهر وبذلك تحطمت كل قدرات وآمال الفلاحين دفعة واحدة واضطرتهم للانصراف عن زراعة القمح.

▫▫ درجة التأثير

لاشك في ان الحصار الاقتصادي في مفهومه الشامل يعتبر مؤذياً للشعب الى درجة كبيرة، فقد تدهورت الحياة المعيشية للمواطنين الى درجة كبيرة كما انه ألحق ضرراً كبيراً بالنظام ايضا، ولذلك تظهر تداخلات كبيرة بين ما هو ضار وما هو مفيد، وبين ما هو مطلوب وما هو مرفوض، ويمكن اجمال المحصلة بما يأتي:

١- ألحق الحصار ضرراً بالشعب والبنية التحتية للبلد واوقف حركة التطور (المفترضة) وازدادت صعوبات معيشة المواطنين، الا أن الرفع الشامل للعقوبات لن يحل المشكلة بقدر ما يؤدي الى تعقيدها، لأن مثل هذه الحالة (أي رفع العقوبات) ستطلق يد الطاغية من جديد للمزيد من التدمير ونهب ثروات البلد والعودة الى سياسة الحروب بكل ما تجلبه من كوارث محققة.

٢- تستحوذ الانظمة المتسلطة وغير الشرعية على قدرات البلاد المالية مهما كانت شحيحة، ولذلك لا يجوز الأخذ بالقياسات الساذجة القائلة ان صدام واعوانه ليسوا جائعين، وليسوا عراة ولا يعانون من الامراض ولذلك فان المتضرر من الحصار يبقى الشعب وحده.

فالنظام فقد الكثير من جراء الحصار ولذلك فانه يتبع مختلف وسائل واساليب المناورة لمحاولة رفع الحصار وهذا لم يكن نابعاً عن حرصه على الشعب الذي دمره وسلب حريته، بل لشعوره بالعواقب الوخيمة المستمرة على مستقبله ومنها:

* في مرحلة ما، ورغم مرارة الحرب مع ايران (التي كانت الحياة العامة للمواطنين ميسورة اقتصادياً خلالها نتيجة تدفق اموال الخليج والقروض الخارجية) تمكن صدام من تكوين شعبية واسعة له شمال العراق ووسطه وجنوبه فكان الجنوبيون يبتهلون به بالقدر نفسه الذي يرقص فيه الشماليون بألوان ملابسهم الزاهية ويستقبله ابناء الوسط بالاهتمام ذاته، ويحصل هذا رغم استمرار حركات التآمر السرية من كل هذه الاطراف، ورغم حلقات الاعدامات المتسلسلة، ورفع الحركات الكردية للسلاح على طول المدى.

فجاء اجتياح الكويت، وجاء معه الحصار والموت والدمار، ليفقد صدام شعبيته كلها تدريجياً، وما يفقد تدريجياً والى حد شمولي لم تعد عودته ممكنة لأن الحالات المتدرجة تنطلق من مواقف ورؤى فكرية ومادية تبتعد عن الحالات العاطفية القابلة للتذبذب صعوداً ونزولاً بين فترة واخرى.

وعندما يفقد الحاكم شعبيته في وقت يستمر فيه الاقربون بالتآمر ويتحينون الفرصة للانقضاض عليه يصبح الوضع خطيراً بما فيه الكفاية.

وصحيح ان هذا التباعد بين الشعب والحاكم تكوّن نتيجة عوامل عديدة ومتداخلة افرزتها السياسة الدموية والقمعية للطاغية والفردية في اتخاذ القرارات الخطيرة، وسياسة الحروب الفاشلة وما سحبته من دمار على مستقبل البلد واجياله، الا ان آثار الحصار كانت السبب الاكثر قوة، والفجوة الاكبر اتساعاً، لاحتوائها صفة الاستمرارية وتعدد اشكال الاذى والاضرار التي فرزتها، ومنها:

* يؤدي استمرار العقوبات الى تنشيط معارضة القادة للنظام، وتزايد فقدان الثقة بين الطرفين (صدام والقادة)، وتجعل القادة يفكرون في حتمية انقاذ البلد من المسبب لكل الكوارث وهو صدام، ويعطي بقاء العقوبات اشارة واضحة تدل على ان النظام مرفوض من قبل المجتمع الدولي او القوى المتحكمة فيه وهو رفض لا مصلحة للعراق باستمراره، ولذلك لم يعد من مصلحة احد استمرار الوقوف مع النظام.

* تفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية داخل البلد وانعكاساتها السلبية على حالة الأمن العام.

* العجز عن سد النفقات العسكرية والأمنية ومتطلبات الدعاية التي تشكل نسبة عالية من مصروفات الدولة.

* استمرار العقوبات يعني استمرار العزلة الدولية وهذا لايعني استمرار غياب الدور السياسي الاقليمي والدولي فحسب بل تهديد أمن ومستقبل النظام، وبعبارة اخرى كلما استمرت العقوبات استمرت عمليات التآمر الداخلي والخارجي بوتائر استثنائية.

* استمرار العقوبات يعني ايقاف برامج التنمية وهو انعكاس تاريخي عميق بالنسبة لحاكم يصطنع الاحداث لاغراض التوثيق على الرغم من ان حالة التنمية سجلت المعدلات هي الاوطأ مقارنة بدول الجوار ونسبة للموارد والامكانات المادية الضخمة المتيسرة للعراق.

▫▫ ماذا يفضل العراقيون؟

ويتضح ان العقوبات أوجدت مشاكل حقيقية كبيرة للشعب وللنظام وبقدر ما هي موجهة ضد النظام فان احداً لم يذرف دموعاً صادقة لمعاناة العراقيين، فالعالم يريد رؤية العراق مجرداً من كل المفاهيم السياسية التي غرزت في نفوس جيل السلطة، كما ان العراقيين انفسهم (داخل العراق) لا يريدون رؤية النور في آخر النفق، اذا كان مثل هذا النور يعني عودة الحياة الى الطاغية، فمعاناتهم لم تكن

وليدة السنوات السبع الاخيرة وحدها رغم كونها الاكثر ايقاعاً واذى، بل انها وليدة الممارسات المتواصلة منذ اكثر من ربع قرن من عمر العراق الحديث وهي فترة طويلة جداً وكبيرة بمآسيها، وان الرفع الشامل للعقوبات بوجود صدام يعني المزيد من الكوارث اللاحقة.

□□ الشكل المطلوب للعقوبات

تأخذ المطالبة العربية لرفع العقوبات اشكالاً متعددة تشمل مايلي:

* تعاطف شعبي جماهيري مع الشعب العراقي، وهو تعاطف مشكور الا أنه بقي دون الحالة المفترضة، ولأنه اهمل المعضلة الحقيقية الأساسية وهي المعاناة السياسية والأمنية التي ولدت من لدن النظام.

* ملل حكومات عربية من جدية الغرب في تبني الخطوات الصحيحة لحسم الموقف، وهو ملل يمكن تفهمه ولكن لا يمكن تبرير الركون الى الملل بغياب المبادرات الايجابية لانهاء معاناة الشعب الاساسية.

* الطمع في اعمال تجارية أو لزيادة تعويضات المتضررين، وهو طمع غير مشروع ويتعارض مع مصالح العراقيين.

* ارتزاق صحفي من دماء العراقيين.

* ادعاء زائف يستهدف تسجيل مواقف تاريخية في المطالبة برفع الحصار، وكذلك لارضاء أو تجنب شرور النظام.

ويكاد أغلب الذين جرى الحديث معهم من اطراف المعارضة العراقية يعتبرون استمرار العقوبات مطلباً حتمياً لاسقاط النظام، الا انهم لا يريدون تعريض موقفهم للمناقشة طالما ان العقوبات مستمرة ايدوا ذلك أم عارضوه.

ومن هذا كله نخلص الى شكل العقوبات المطلوب فرضها، وابتداء فان العقوبات ينبغي فهمها وفق اساس مرحلي لفترة محددة تستهدف اجراء التغيير في العراق وان تكون هنالك عمليات سياسية وسرية للتغيير السريع وطبقاً لهذا المنظور يمكن ان تأخذ العقوبات ما يأتي:

* ضرورة تأمين الغذاء والدواء والمستلزمات الاساسية لحياة الشعب مع حتمية فرض سيطرة قوية والاشراف الدقيق على توزيعها لمنع اعادة التصدير الى خارج العراق من قبل النظام ضمن طرقه الملتوية للحصول على العملة الصعبة.

* المنع القوي لعمليات التهريب التجاري (من قبل النظام).

* حرمان النظام من الحصول على العملة الصعبة.

* تشديد العقوبات السياسية على النظام وبخاصة ما يتعلق بحقوق الشعب العراقي ومسألة الاسرى الكويتيين.

* تشديد الموقف الاعلامي وتأكيد استمرارية نبذ النظام دولياً.

* ضرورة مساندة المعارضة مساندة حقيقية باعتبارها الذراع المفترضة لاستقطاب اهتمامات الداخل الشعبية والعسكرية، ولاعطاء المصداقية في تبني مشروع التغيير، مع التذكرة بان الاحباطات التي سبق ان حصلت تتحمل مسؤوليتها الاطراف المعنية بها، لأن الاختيارات كانت خاطئة وعلى رأسها طريقة اختيار الأشخاص الذين تنقصهم المؤهلات السياسية والعسكرية والأمنية والاجتماعية اللازمة، فضلاً عن ردود الفعل الاقليمية ضدهم، ولاشك في ان هؤلاء الأشخاص ارتكبوا اكبر مما يمكن وصفه بالخطأ، ولعل الوقت قد اقترب من حافة الحديث عن المعارضة وعلاقاتها.

واذا اخذت العقوبات طريقها الصحيح فانها ستضعف النظام وتقوي الشعب عليه مع مرور الوقت، الأمر الذي يدفعه للقيام بنشاطات متهورة تعطي المبررات اللازمة لفرض عقوبات اكثر شدة تستهدف النظام مباشرة، ولا بد من القول مرة اخرى انهم اذا ما ارادوا معاقبة النظام عسكرياً وهو الحال الذي سيدفعهم هو اليه، عليهم أن يوجهوا عقابهم نحو مكامنه المباشرة والا فان المنشآت هي منشآت الشعب.

□□ تحديد المسؤولية

اذا كان الآخرون يتحملون المسؤولية فانها مسؤولية عدم اتباع الخيارات الصحيحة لاسقاط الطاغية وتخليص الشعب والمنطقة من شروره.

الا ان الطاغية وحده يتحمل مسؤولية ما حصل وما هو مستمر وآت، واذكر انه في الاسبوع الاول من دخولنا الكلية العسكرية عام ١٩٦٥ القيت علينا محاضرة تقول ان المبادرة في العمل ينطوي عليها أمران هما التكريم والاشادة بمن تنجح مبادرته، والاعدام رمياً بالرصاص لمن تخفق مبادرته اذا ما الحقت الاذى بالمصالح الوطنية وقت الحرب، فأية مسؤولية اذن يتحمل صدام وأي عقاب ينتظره؟.

❋ ❋ ❋

صدام يحاول تأجيل الضربة

تحليل للواء وفيق السامرائي

القبس - ١٩٩٨/١/٢٣

توافرت في الايام القليلة الماضية حزمة من الانباء تعطي مؤشرات واضحة على تصاعد الأزمة القائمة بين نظام صدام ومجلس الأمن الدولي، وتضمنت هذه الانباء ما يأتي:

* مغادرة فريق المفتشين برئاسة الخبير الاميركي ريتر العراق لمنعه من تنفيذ عملياته التفتيشية المقررة.

* فشل زيارة ريتشارد بتلر رئيس لجنة ازالة اسلحة الدمار الشامل الى بغداد في التوصل الى حل لمسألة تفتيش قصور صدام ومغادرته بغداد الليلة قبل الماضية.

* اعلان طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية (وهو اصلاً نائب ضابط) عن حملة تدريبية واسعة تشمل مليون شخص من المتطوعين استعداداً لمجابهة التهديدات الاميركية.

* تصعيد الحملة الاعلامية لأجهزة نظام صدام التي توعدت بجعل القوات الاميركية في منطقة الخليج والمؤلفة من ٣٢٠٠٠ شخص اهدافاً جيدة (ستصطادها الجماهير العراقية الغاضبة قبل تدخل القوات المسلحة). والتأكيد على أن الجهاد الاكبر يقترب.

* الكشف عن حصول ستين طلعة جوية غربية يومياً داخل الاجواء العراقية خلال العام الماضي نفذ ٨٨٪ منها في الاجواء الجنوبية و١٢٪ في الاجواء الشمالية.

* وجود تحرك فرنسي لمحاولة نزع فتيل الأزمة في وقت يزداد فيه نفور التحالف الانكلواميركي من النشاط الفرنسي الهادف الى اعادة تأهيل صدام لاعتبارات تجارية صرفة.

◻◻ مطالب النظام واجراءاته

تركزت فلسفة النظام في المجابهة الحالية بالاتجاهات التالية:

* محاولة كسب الوقت لمنع حصول الضربة الغربية من خلال طرحه مشروعاً يتضمن ارجاء وتجميد مشكلة تفتيش القصور الرئاسية حتى شهر ابريل، لاتاحة الفرصة أمام "لجنة تقييم المتحقق" لدراسة الملفات المنجزة من اسلحة الدمار الشامل، للمساعدة في تحديد موعد او افق معين لرفع العقوبات، الامر الذي رفضته الولايات المتحدة الاميركية سابقاً والتي تصر على السير بكل الملفات في آن واحد (بصرف النظر عن المرونة النسبية التي تبديها احياناً لاعتبارات سياسية ظرفية).

* التعبئة "الجماهيرية" لمحاولة اعادة كسب النفوذ واظهار المعركة وكأنها بين الشعب العراقي والعالم واخفاء ابعادها الحقيقية القائمة بين الشعب والنظام، وهي حالة لا تحتاج للتفنيد داخل العراق لأنها معروفة تماماً للعراقيين.

* لكون النظام يفتقر الى قدرة الردع الاستراتيجي المقابل، وللوسائل الدفاعية الكفيلة باحباط الضربة المتوقعة او افشالها بتكبيدها درجة مناسبة من الخسائر، فأنه يلجأ الى طريقة التأثير النفسي المضاد من خلال اظهار التفاف جماهيري (زائف ومصطنع) حوله لاعطاء رسالة الى الغرب بعدم جدوى تنفيذ الضربة لأنها لن تغير من الأمر شيئاً.

* محاولة الضغط لتوسيع الفجوة بين اعضاء مجلس الأمن، بيد ان الفجوة قد اخذت مداها او الحد الاقصى من مداها على ما يبدو.

* تسريب وحدات فرعية من صواريخ ارض - جو الى منطقة الحظر الجنوبي لمفاجأة طيران الحلفاء برشقات صاروخية في اوقات معينة ومن مكامن وقتية

ومواضع اطلاق جوالة وسريعة، الا ان للحلفاء القدرة على شن الهجمات الأولى باستخدام صواريخ كروز وبطائرات الشبح (ستيلث F117) التي تقع خارج قدرة اكتشاف الرادارات، أو باستخدام الطائرات القاصفة الاستراتيجية من طراز (B52) المزودة بوسائل الحرب الالكترونية المتطورة، وهذا من شأنه تقليل فرص المفاجأة، لاسيما ان النظام اعتاد على جعل الاسلحة حرة في معالجة الاهداف دون الرجوع الى القيادات الخلفية تداركاً للشل الالكتروني المحتمل توجيهه على وسائل الاتصالات اللاسلكية التي غالباً ما تكون الوسيلة الوحيدة بالنسبة للمواضع الجوالة والوقتية.

▫▫ تقييم اجراءات النظام

سبق للنظام وجرب اسلوب "افواج الدفاع الوطني" الكردية التي وصلت اعدادها قبل عاصفة الصحراء الى اكثر من ٢٥٠ فوجاً كانت مهمتها الحقيقية مساندة وتعزيز القوات المسلحة بمجابهة بضعة ألاف من الحركات الكردية المسلحة (وتحديداً ما لا يزيد عن ستة آلاف مسلح)، ودأب القسم الاكبر من هؤلاء على بيع الاعتدة الى الحركات الكردية وغيرها.. وما ان اشتعلت الانتفاضة الكردية حتى تحول القسم الاعظم من هذه الافواج الى طليعة الانتفاضة الأمر الذي ساعد في السيطرة على محافظات السليمانية ودهوك وكركوك بسرعة قياسية، ولذلك علينا الشعور بالارتياح لأية خطوة يقدم عليها النظام بتسليح وتدريب الشعب لأنه سيتيح الفرصة المناسبة ليأخذ الشعب طريقه الصحيح باطاحة النظام.

الا ان واقع الحال هو غير الذي يتظاهرون به، فعلى الرغم من ان ابناء الشعب وبخاصة في المنطقة الوسطى لديهم كميات هائلة من الاسلحة الخفيفة فان النظام لايمتلك الا عشرات الالاف من بنادق الكلاشنكوف من اصل الخزين الاستراتيجي البالغ ١٧٥ الف بندقية والذي دعت الحاجة الى صرف نسبة عالية منه لسد نقص التشكيلات القتالية الحاصل من جراء خسائر الحرب والانتفاضة.

كما ان افواج المجاهدين تمت تجربتها في عامي ١٩٩٣ و١٩٩٤ واثبتت فشلاً ذريعاً من حيث الاستجابة والالتزام، وشكلت عبئاً جديداً على المواطنين الذين يعانون من صعوبة العيش، اما ادعاء النظام وطه الجزراوي بأن هذه الافواج ستعتمد على المتطوعين الذين ستبلغ اعدادهم مليون شخص، فهو ادعاء سخيف يشبه تماماً رسالة محمد حمزة الزبيدي التي بين فيها للطاغية بعد اجتياح الكويت ان مئات آلاف المتطوعين على استعداد للموت في سبيله، ورأينا ما الذي حصل، اما الحقيقة التي لا شائبة فيها، فلا وجود لمتطوع واحد في كل العراق وانما هم مجبرون ولن يضحي احد منهم عن النظام.

وفي جميع الاحوال فان الضربة ان حصلت فستكون ضربة صاروخية وجوية مصحوبة بحرب الكترونية متطورة لا تترك مجالاً لأسلحة الجيلين الثاني والثالث للرد الفعال، واذا ما حرص الغرب على اتباع اساليب معينة في الجوانب التنفيذية للضربة، والسياسية والنفسية فسوف يوفر الظروف المناسبة لتحرك عسكري وشعبي مرغوب فيه لاحداث التغيير، والا فان تحركهم سيبقى ناقصاً، رغم مراقبتهم المستمرة لمنطقتي الحظر والتي تعادل الطلعات الجوية اليومية فيها المعدل اليومي للنشاط الجوي الايراني خلال حرب السنوات الثماني.

وهكذا يتواصل الصراع وتستمر الازمات، فالايام حبلى ولابد من المخاض، وليأخذ صدام المنطقة من حرب الى اخرى، لقد وصف صدام "أم معاركه" بأنها بداية شق الطريق نحو التحرر، وأظنه اصاب الفكرة، ولكن بالاتجاه الخطأ تماماً، لأن الانطلاقة ستأخذ طريقها في سحق رأس الأفعى يوماً ما مهما طالت المعاناة التي اعتدنا عليها دون ان نستسلم لها.



الضربة الانكلواميركية بين التردد واقامة الحجة

احتلت المرحلة التمهيدية التي سبقت حرب الخليج الثانية مساحات واسعة ونشاطات متعددة الاشكال والاتجاهات على المستويات السياسية والاعلامية والنفسية، والتحضيرات الاقتصادية بطرق لم يسبق لها ان حصلت في كل حروب التاريخ الحديث، فتطلب الموقف آنذاك تلك الاجراءات الاستثنائية لاسباب ومبررات منطقية يتلخص اهمها في ما يلي:

١- حساسية الموقف الاستراتيجي تجاه ضرب دولة عربية مهمة، وما يمكن ان تسفر عنه من مداخلات على عملية السلام والامن في المنطقة، فكان لا بد من تأمين المبررات واقامة الحجة كاملة اولاً.

٢- ان افراغ القوة العراقية يعني حدوث خلل كبير في معادلة الامن الاقليمي ما يتطلب اعادة التوازن اليه في وقت كانت السياسة الايرانية اكثر تطرفاً عما هي عليه الان، ولذلك لا بد من محاولة السعي لدفع النظام على الانسحاب قبل حصول الحرب، ثم القيام بعملية لنزع اسلحة وابقاء اخرى.

٣- استخدام الحشد الواسع للقوات المسلحة الحليفة كقوة ضغط استراتيجي لاجبار النظام على التراجع عن موقفه، وكلما كانت معدلات الحشد وبناء القوة تتزايد تحول تحليل النوايا الى الانتقال من حالة الضغط الى تأكيد النوايا التعرضية وترجيح كفة احتمالاتها.

٤- بما ان العراق يمتلك احد جيوش العالم الكبرى من ناحية الاعداد البشرية واعداد معدات القتال، اصبح لزاماً على الحلفاء توخي شن حرب نفسية جارفة

يتطلب تنظيمها وتنفيذها وقتاً طويلاً، وكان التباين التكنولوجي في موازين القوى العنصر الاكثر اهمية في مادة الحرب النفسية.

٥- ضرورة اعطاء الفرصة المناسبة للجهود الدبلوماسية تجنباً لردود الافعال الدولية والشعبية.

٦- الحاجة الى الوقت الكافي لحشد القوات من ابعد نقاط انتشارها حول الكرة الارضية.

وعلى العموم فقد اعطى النظام فرصاً مثالية لوقوع الحرب.

▫▫ ضغط معاكس

اما اليوم، ورغم ان النظام يواصل اتباع السبل المبررة لحصول الضربة فان هنالك اختلافات اساسية عن حرب الخليج الثانية ووجود عناصر ضاغطة بالاتجاه المعاكس للضربةنجمت عن:

* ظهور حملات وزير الخارجية الروسي بريماكوف الدبلوماسية الذي يسعى عبثاً لاحداث قفزة استراتيجية للدب الروسي تنقله الى رأس الخليج العربي لتجاوز هزيمة الانحطاط السوفيتي المهين.

وتأتي هذه الحملات في وقت يتجنب فيه التحالف الانكلواميركي وضع الموقف الروسي امام احتمالات تسلق تيار متطرف لسلم الحكم الروسي الذي مازال يسيطر على اعداد ضخمة من الرؤوس النووية الاستراتيجية.

* الشعور الفرنسي بمرارة الخروج من حرب الخليج بخفي حنين، فلم "تشبع" غرائزهم صفقات الاسلحة مع الامارات وقطر وغيرها واخذ الفرنسيون يزدادون قناعة في ان انحسار الدور السوفيتي في العراق، لا بد من املائه فرنسياً ولا احد يمكن ان يمنعهم مستقبلاً من اعادة بيع المفاعلات بطريقة او باخرى، طالما انها تأخذ طريقها الى التدمير سواء على ايدي المخابرات او الضربات الجوية الخاصة وغيرها.

كما ان اعادة بناء القوة التقليدية للعراق لا بد ان تكون في فترة ما معتمدة على الصناعات العسكرية الفرنسية، وهذا يتطلب ان لا يكون الحاكم قريباً من التحالف الانكلواميركي.

* شعور عربي محبط من توقف عملية السلام.
* سعي البلدان التي تراجع دورها الاقليمي والاستراتيجي للظهور على السطح الاعلامي والسياسي المضاد للضربة.
* غياب وضوح الهدف الاستراتيجي المطلوب للضربة، فاذا كان الامر يتعلق بجانب فني محدد فان احداً لا يمتلك القدرة على اتخاذ قرار مساند للضربة، اما اذا كان الهدف الذي يقف وراء الضربة ينطلق من النية الجادة لاطاحة النظام، فانه لا بد ان يحظى بتأييد واسع اذا اتسم بالجدية، في وقت يعتبر فيه مثل هذا الهدف مفزعاً لاطراف اخرى دولية وعربية.

وهنا تبدو الموازنة مشوبة بالتعقيد، وبعيدة عن الشفافية، ما يستلزم التحرك السري المقرون بالمؤثرات الحقيقية لاثبات جدية التحرك، وهي حالة مازالت حتى الآن دون المستوى المطلوب الذي يقتنع به الاقربون من العرب.

وتبدو صورة الموقف امامنا في انهم يريدون من الضربة المقبلة اثبات قوة الارادة واضعاف صدام اضعافاً يضعه على خط السقوط مرة اخرى بعد ان حقق نقاطاً معينة لصالحه. وهو توجه سيكون مقبولاً عراقياً اذا استهدف مكامن الطاغية وقصوره.

◻◻ قلق النظام من احتمالات الضربة

يعتمد النظام الايحاء الاعلامي بان الضربة مقبلة في اقرب وقت نظراً لرغبة كلينتون التخلص من المشاكل الشخصية التي يتعرض لها، ويحرص النظام على تأكيد هذا التصور لمحاولة التغلب على عقدة النقص التي يعاني منها امام سيل الاتهامات بقراءاته الخاطئة للمواقف والقرارات ومدى تصميم الطرف المقابل، فاراد استباق الاحداث لتسجيل موقف يدل على المعرفة والتقدير السليم.

ويذكر ان صدام سبق وتحدث في نقابة الاعلاميين الصحافيين منتصف السبعينات مؤكداً ان العراق يتعرض لمؤامرة كبيرة تستهدف وجوده.. وبعد مرور اكثر من اربع سنوات على الحديث حصلت الحرب العراقية - الايرانية، ونتيجة الاخفاق الاستراتيجي (السياسي) في الحرب، اخذ صدام يستذكر حديثه هذا بقوله انه سبق وتوقع وقوع العدوان واثبتت الاحداث صحة تقديره عدا ان الضربة جاءت من الشرق بدل الغرب!! وحصلت بعد اربع سنوات من وقت التقدير ما يدل على كفاءة القيادة في تقدير الاحتمالات المتوقعة وابعاد التهديد!!

وكما اشرنا في تقارير سابقة فقد صمم صدام سلسلة حلقات الإزمة الراهنة لتفجيرها في اوقات تساعد على تحجيم قدرة الطرف الآخر في اتخاذ القرار المناسب لمعالجة الموقف فكانت الاشهر الثلاثة المنصرمة متلائمة مع الغاية لحصول ثلاث مناسبات مهمة هي مؤتمر الدوحة الذي حرص الاميركيون على انجاحه، ومؤتمر القمة الاسلامي في طهران، واخيراً شهر رمضان المبارك فضلاً عن اعتقاده ان الرئيس الاميركي لا يستطيع اتخاذ قرار بضربة عسكرية قوية في وقت يتعرض فيه لهجمات شخصية واسعة داخلياً، ويظهر هنا التناقض بين ما يؤمن به النظام وبين ما يدّعيه ويتظاهر به من توقع الضربة قريباً.

وتشير المعلومات، الى ان النظام حصل على تقارير ناتجة عن التحليل، تشير الى ان العملية المقبلة تتضمن ما يأتي:

* ضربات جوية وصاروخية اميركية - اسرائيلية من اتجاهات البحر الاحمر والخليج وتركيا واسرائيل.

* اجتياح تركي محتمل يختلف عن سلسلة الاجتياحات السابقة لشمال العراق. (فيما استبعد الاتراك احتمالات المشاركة).

* احداث تخلخل عسكري في محافظة البصرة يستهدف ضرب مقرات القيادة والسيطرة ودفع مجموعات عسكرية خاصة لاشعال الثورة، ويعتقد النظام ان الكويت ضالعة في هذه الصفحة.

* استخدام مجموعات من القوات الخاصة والمحمولة جواً الاميركية والبريطانية لمهاجمة اهداف في بغداد لمساندة عملية سياسية عسكرية تتم في حالة متوافقة.
هكذا ينظر النظام الى الموقف وليس من المناسب ان نعلق على هذا الموضوع لان المناقشة والتحليل المنطقي المفتوح من شأنهما مساعدة الطاغية في استشراف بعض احتمالات المستقبل، فيما نحرص على مشاهدة مناظر التخبط الذي يدفع به نحو الزاوية التي لا يريد التدحرج نحوها.

▫▫ قراءة خاطئة

وعلى اية حال، فان الافتراضات الموجهة تشير الى ان صدام وحفنة قليلة من الاشخاص الذين لازموه اكثر من ربع قرن من الزمن هم الاقل قلقاً تجاه تطورات الازمة حتى الآن من كل اعدائه على مستوى الدول والمعارضة، والمتعاطفين معه من خارج العراق، وهو بموقفه هذا يقرأ المقاييس قراءة خاطئة معتمداً على فلسفة تتمحور حول الجوانب التالية:
* ان المطلوب هذه المرة ربما يكون رأسه، وبما انه الاكثر مهارة في طرق واساليب التحصن والتنكر والاختفاء، فسيتمكن من احباط هدفهم الاساسي هذا وسيكسب عندئذ ثلاثة ارباع اسهم معادلة الربح والخسارة.
* تمكن خلال السنوات الماضية من تجريد جنوب العراق من اسلحته، كما ان الحذر الخليجي والغربي والعربي عموماً مازال في حدوده القصوى تجاه اية انتفاضة على غرار ما حصل عام ١٩٩١، ولم تسفر دعوات خاتمي لحوار الحضارات وظهور مرونة متداخلة ومشوشة في التوجهات الايرانية عن تغيير نظرة الاطراف الاخرى تجاه اي امتداد ايراني داخل العراق، الامر الذي يجعل رأس الطاغية بارداً من احتمالات انتفاضة اخرى في الجنوب رغم ما لديه من معلومات عن نوايا تجاه البصرة.
* استطاع من خلال التنسيق المباشر مع مسعود البارزاني وبسكوت الآخرين اخراج المعارضة العراقية من شمال العراق، ولم يعد هنالك تهديد قوي يمكن ان

يحصل على غرار عمليات آذار ١٩٩٥ التي استهدفت الاحتكاك المباشر مع القوات المسلحة ومساعدتها للتحرك وانقاذ الشعب من الطغيان.

* ولد القرار ٩٨٦ (المتعلق بتصدير النفط مقابل الغذاء والدواء) وضعاً اقتصادياً يمثل حالة اقتصادية توفر نوعاً من السيطرة الحكومية على الحالة المعيشية، وامّن خزيناً استراتيجياً يعول عليه لمجابهة توقف امدادات الغذاء لفترة ما، الامر الذي يُسقط احد احتمالات الثورة الشعبية الواسعة.

* ان اية عملية قادمة لا بد ان تستهدف مفاصل القيادة والسيطرة الى درجة قد تجعل الوضع معقداً وخطيراً، الا انه من الممكن مجابهة هذا التهديد باتخاذ سلسلة من الاجراءات الاحترازية ومنها تأمين وسائل وشبكات اتصالات بديلة، وتوزيع قواطع المسؤولية وتحديد مهمات ومسؤوليات القيادات الرأسية والفرعية مسبقاً، وتهيئة محطات اذاعة بديلة ثابتة وجوالة.

* اكتشاف المخابرات عدداً من شبكات وخطوط المعارضة في الجيش ومفاصل الحزب المدنية، اعطى أمناً للنظام، فيما نراه أمناً مصطنعاً لان مثل هذه الاكتشافات لا تدل على ان الجيش اصبح موالياً، واكتشاف حلقة او عشر حلقات لا يعني توقف النشاطات بالنسبة لمفاصل عايشت اساليب المؤامرة.

* التفوق (العددي) الساحق للقوات المسلحة مقابل اية قوات برية او محمولة جواً لقوات الطرف الأخر المتواجدة قريباً من العراق والمحتمل استخدامها تجاه او لاي هدف كان، ولذلك يبقى التهديد الرئيسي (رغم بعض التوجس من احتمالات تدخل الجيش التركي) احادي الجانب باستغلال البعد الثالث بضربات جوية وصاروخية وتحركات داخلية محدودة مرتبطة باتصالات خارجية، ويعتقد النظام بتوفر القدرة لديه لاحتواء الموقف واعادة السيطرة عليه.

* ويعتقد النظام مهووساً باحلام الماضي (ونظرية التظاهرات) ان العالم العربي لن يقف مكتوف الايدي امام الضربة وسيبدأ الموقف السياسي العام بالحركة مع اول صمود وقدرة احتواء.

* وفي النتيجة ستحقق الضربة محصلة فاشلة فيما يخرج النظام من بين دخان القذائف غاسلاً احد وجوه الهزيمة، كما ان اخفاق الطرف الآخر لابد ان يقوده لمراجعة سياسته وتعديل اهدافه ومثل هذه المراجعة وهذا التعديل سيكونان لصالح الاتجاه الداعي لاعادة تأهيل النظام لاستحالة سقوطه.

◻◻ القلق العربي

تتحدد حالة القلق العربي حيال الازمة العراقية الراهنة بعدد من البلدان العربية التي تتأثر بما يحصل في العراق بشكل او بآخر، ويتراوح هذا القلق بين الخوف من ان تؤدي الضربة الى انفلات في الوضع الأمني وحصول فوضى تستولي من جرائها كتل غير مرغوبة على الوضع في العراق، وبين ان تكون الضربة اسوة بسابقاتها الاخيرات، فلا تزعزع النظام وتسقطه او تضعه على خط السقوط الحقيقي، كما تأخذ المخاوف بعدا آخر يتحدد باحتمالات تقوية النظام و/ أو دفعه لاعادة تهديد جيرانه من جديد، وهذا كله يجعل العرب في حيرة من امرهم ويترددون باعطاء الرأي المطلوب اعطاؤه.

ولهذه الاسباب طلبت بلدان خليجية تقديم ضمانة قاطعة في ان تكون الضربة كفيلة باسقاط النظام ١٠٠٪ كشرط لاعطاء تأييدهم العملية والحقيقة المؤلمة ايضاً ان العديد من البلدان العربية اخذتها عدوى القناعة بابقاء صدام في قفص استراتيجي لاسباب ذاتية دون الالتفات الى مصلحة الشعب العراقي وكأنما يراد معاقبة الشعب على ما اصابه، فيما يترك صدام جاثماً على صدور العراقيين، ولكن الذي يجعل العراقيين غير آبهين بهذا الموقف معرفتهم بطبيعة صدام الذي لم يعتد العيش بعيداً عن المشاكل الامر الذي يضطر فيه الآخرون للتحرك.

لقد تركت مسألة التركيب الديموغرافي المعقد في الخليج سواء ما كان متعلقاً منها بالنواحي الطائفية او العرقية حيث يشكل الوافدون نسبة عالية من سكان خاصرة الخليج، انعكست سلباً على مهمة التغيير في العراق، وعلى الرغم من ان التغيير يفترض ان ينطلق ويتحقق داخل العراق بصرف النظر عن حالة المحيط ولكن

ولشديد الاسف، ملأ الاسى القلوب بعدم نجاح محاولات التغيير السابقة في انجاز مهمتها النهائية. واخذ كثيرون في الداخل يتطلعون من غير دراية الى دور الخارج للمساعدة الجادة في التغيير، فيما ترتفع الحساسيات وتصبح التناقضات باقصاها في دول الجوار، فيكاد لا توجد دولتان متوافقتان في النظرة الى العراق، وكيفية وشكل التغيير المطلوب، ولذلك نرى طرفاً متحمساً للضربة العسكرية شأنه في ذلك شأن العراقيين اذا كانت موجهة الى مغارات وسراديب وقصور الطاغية فيما يقف طرف آخر معارضاً لذلك.

وان الخليج معذور في تفكيره وحساسيته تجاه شكل التغيير المطلوب وليس فكرة التغيير، الا انه ليس معذوراً في الانتقال الى حالة تتراوح بين المراوحة والجمود وبين ما يمكن وصفه بالمبادرة لكسر طوق الخناق عن الطاغية.

فالدول الخليجية ومصر وسوريا شاركت في ضرب العراق في اوسع حرب مدمرة كان سببها صدام وحاول بعض من العرب تفاديها. الا ان السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا ساندتم الشعب الكويتي الشقيق في تحريره من قبضة الاستبداد الصدامي فيما يترك صدام يفتك بالعراقيين الذين قتل منهم اكثر مما اعطى العرب في كل حروب القرن الحالي؟ والذين لم يساندوا العراقيين في مسيرة التخلص من صدام لا بد ان يعلموا ان العراقيين ليسوا بحاجة للمشاعر والدموع التي ملأت وديان العراق.

□□ الحذر الغربي

يتحسب الغرب (ونقصد التحالف الانكلواميركي) على مايبدو كثيراً من الضربة وما يمكن ان تترتب عليها من نتائج، وتعود اسباب الحذر الى مايلي:

١- خشية حصول انفلات امني وهو احتمال يبقى وارداً ولكننا ننظر اليه كمسألة ظرفية مؤقتة.

٢- عدم التوثق من القدرة على اصابة رأس الافعى.

٣- احتمال استمرار الضربة لفترة طويلة من دون ان تؤدي الى اخضاع النظام.

٤- احتمال حصول حالة من التمزق الحاد في التحالف الدولي والخروج عن العقوبات.

٥- خشية حصول انعكاسات لصالح النظام تزيد من ثباته.

ولهذا يلاحظ ان رئيس هيئة الاركان الاميركية استبق الاحداث في تجنب تحديد الزام صدام نما يطلب منه ضمن مهمة العمليات وحدد المهمة المعلنة بتدمير عدد من الاهداف المهمة تحوطاً لما هو قادم من المفاجآت.

ومع ذلك نلاحظ اصراراً غريباً على دخول القصور الرئاسية او اللجوء الى العمل العسكري، فيما يصر صدام على حجب القصور الرئاسية عن المفتشين، ولا شك في ان الشعب يتطلع الى استمرار التعنت الصدامي ليس من منطلق الحرص على سيادة النظام بل لانه يتطلع الى رؤية الصواريخ وهي تطلق على رأس الطاغية حصراً.

□□ مؤشرات ودلائل الضربة

يواصل النظام ابداء لهجة عالية من التحدي ودأبت صحف النظام (الموجهة توجيها تاما) على اعطاء اشارات متداخلة من التهديد من بينها "تقول لبيل كلينتون وغيره ان اي عدوان سيرتد عليكم هذه المرة بصورة لن تتخيلوها" واريد ضمناً، اطلاق تهديد غامض يمكن تفسيره باكثر من اتجاه، فهو قابل للتفسير السياسي المجرد من ان الضربة ستولد انعكاسات سياسية ذات طابع استراتيجي، كما يعطي دلائل عن احتمالات استخدام اسلحة الدمار الشامل وهو ما يمكن وصفه بسياسة الردع الاستراتيجي المقابل (غير المباشر).

والحقيقة ان النظام ليس قادراً على استخدام هذا السلاح لانه سيؤدي الى حسم قضية حتمية سقوطه من خلال استمرار العمليات وتشديد نوع وكثافة الضربات.

اما الحالة الوحيدة التي ستستخدم فيها هذه الاسلحة فقد تكون عندما يشعر صدام انه اصبح على وشك السقوط الاكبر (تحت وطأة الضربات المستمرة) الا انه سيفقد زمام السيطرة كلياً ولن يجد احداً مستعداً لاطلاق الصواريخ كي لا يؤخذ

بجريرته كما ان الاعلام الموجه السياسي في حصر المسؤولية بصدام شخصياً سيدفع الآخرين للتمرد عليه.

وعلى الطرف الآخر فان المشكلة تشمل من بين ما تشمل ابعاداً سياسية فلم يوفقوا في تكوين تيار معارض من القوى المتناقضة او المتجانسة في الخارج واشك في وجود نفوذ عميق (منظم) داخل العراق لان الوسائل العراقية لم تكن قادرة على النهوض بهذه المهمة.

لقد اظهر ريتشارد بتلر جرأة سياسية قوية خلافاً للظنون التي كانت سائدة من ان شخصاً آخر غير ايكيوس ربما كان من الصعب عليه النهوض بجهود التصدي لصدام، وتجدر الاشارة الى ان شخصاً التقى ايكيوس قبيل مغادرته اللجنة واعرب عن هذا التخوف فرد عليه ايكيوس "اطمئنوا فاني على ثقة تامة بانه اكثر اصراراً مني".

وخلاصة الحديث ان الموقف متصاعد الى درجة خطيرة وان صدام لم تعد امامه فرصة للتراجع الا اذا اختار طريق الاهانة وهوما ليس مفترضاً حالياً.

وستأخذ العملية ابعاداً حية ومهمة جداً وسيفقد صدام كل الامتيازات التي حققها في السنوات الماضية. ولكن من غير المتوقع ان تؤدي العملية الى سقوطه اذا لم تكن متواصلة وتأخذ ابعاداً سياسية واعلامية قوية، ولكنها ستؤدي الى وضع الطاغية على خط السقوط والامر يتوقف على ما بعد ذلك.

وتعود بي الذاكرة الى احداث ما بعد حرب الخليج، فعندما بدأت قوات المطرقة بالتغلغل من اتجاه الشمال لتأمين مناطق آمنة للاكراد، طلب الاميركان السماح لهم بدخول قصور صدام في قاطع سرسنك، وامام الرفض والاصرار المقابل طلب مني صدام ابلاغهم ان الذي يريد دخول الجنة لا يسمح للكافرين دخول بيته، وانه سيأمر بتفجيرها اذا اضطروه الى ذلك ويحملهم مسؤولية ما يقع، الا انه تراجع وسمح لهم بالدخول، اما الآن فسيصبح صدام مهزلة بكل المعاني اذا سمح للمفتشين بدخول القصور تحت اي "برقع" وستحل عليه الشماتة، ولكني

لا اظنه سيوافق ولننتظـر ونـر حربـه الجديـدة التـي لـن يطلـق خلالهـا صاروخـاً واحداً أرض - أرض. وسيبقى التفاؤل سمة من سمات الرجال.

اللهم أعن العراق واهله، فقد وعدت المؤمنين بالنصر، فطال صبرهم.





رسالة مفتوحة من اللواء الركن وفيق السامرائي الى صدام: تجر العراق الى حرب سيلعنك عليها الله والتاريخ والناس

بسم الله الرحمن الرحيم

انه لمن دواعي الارتياح ان نرصد اهتمام المخابرات، ومديرية الأستخبارات العسكرية العامة، ووزارة الخارجية، بمتابعة صحيفة "القبس" يوماً بيوم بناء على توجيهات مباشرة من رئاسة الجمهورية، وكان هذا احد اهم الاسباب الداعية لمواصلة الكتابة كي تطلع هذه الجهات المهمة، وتطلع رئاسة الجمهورية، على حقيقة حالة البؤس الذي اوصلت قيادتك العراق اليه.

منذ ثلاث سنوات وانت تتلقى سيلاً من التقارير الكاشفة لا بد انها اثارت غضبك اكثر من اية حالة اعلامية اخرى، لانها صادرة عن مدير استخباراتك (السابق)، ذلك الضابط الذي اثنيت انت على دوره مراراً في ادارة حرب الاستخبارات دفاعاً عن العراق، فلم تعد امامك فرصة الا ان تطلب من رئيس الديوان احمد حسين السامرائي في اجتماع لمجلس الوزراء، احضار المرسوم الجمهوري الذي وقعته بتعييني محافظاً لصلاح الدين، وهي المحافظة التي لا تسند مسؤوليتها الا لنوعية خاصة من الاشخاص (في وقت كنت تخطط فيه لتصفيتي بطريقة لا تترك اثراً عليك).

ولتعلق في تلك الجلسة: "انظروا هذا هو المرسوم الجمهوري،.. كان ضابطاً جيداً، ولكنه للأسف خان".

وهكذا وصفت عشرات القادة الكبار ووصمتهم بالخيانة. ومنهم ضحاياك الفريق الركن ثابت سلطان التكريتي، اللواء فاضل براك التكريتي، الفريق عمر الهزاع التكريتي، الفريق الطيار حردان التكريتي، والفريق راجي التكريتي، والفريق الطيار الركن سالم سلطان البصو احد اهم القادة الذين دافعوا عن العراق، واللواء بشير الطالب، واللواء الطيار الركن حسن خضر، واعضاء في القيادتين القومية والقطرية، ومئات القادة العسكريين والبعثيين، واخيراً وليس آخراً كوكبة شهداء سامراء بقيادة علي حسن عليان ذراع الحزب القوية في مرحلة الستينات، واللواء طالب السعدون ابرز وجوه عشائر السعدون التي وقفت مع القوات المسلحة في عام ١٩٩١.

اما سألت نفسك لماذا اعدمت كل هؤلاء القادة وسمحت، بل امرت، باغتيال العشرات منهم؟.

اما سألت نفسك لماذا تمرد عليك حسين كامل وصدام كامل ورافقتهما ابنتاك الى عمان؟.

لقد كان اسلوبك في تصفية القادة واضحاً منذ البداية وهو ما عبر عنه خالك خيرالله الطلفاح في الاستخبارات عام ١٩٨٣ بقوله "طارق عزيز هذا الـ... والكلام لخير الله - يقول ان صدام يعمل على نهج ستالين بتصفية رفاقه ليفتح الطريق امامه".

▫▫ كفاك حروباً

ان الطريق الى المجد لا يمكن ان يكون عن طريق التصفيات، ولا شك انك قرأت تاريخ العراق.. انه ليس بلد الشقاق والنفاق كما يزعمون، بل انه البلد الذي ابى اهله الخضوع لغير الله.

كما "ان الامساك بخيوط الشمس" (كما تقول) لايصح بصناعة اسلحة الدمار الشامل، والكشف عنها قبل اكتمال حلقاتها، فانظر الى اسرائيل التي تملك ما لا

يقل عن مائتي رأس نووي فلم تصرح بها، حتى خلال الاوقات التي تتطلب الردع الا بطريقة غير مباشرة.
لقد تنازلت عن النصف الشرقي لشط العرب، ومزقت العراق، وتطالب كذباً ورياء بفلسطين، وفاقد الشيء لا يعطيه.
وخضت بنا حربين مدمرتين: الاولى اججت فيها عداوات الماضي الغابر، رغم ان لديك وسائل اخرى كان بامكانك اللجوء اليها، ومنها طرق واساليب الاستخبارات لاستعادة حقوق العراق.
والثانية حاربت فيها الاشقاء والحلفاء فأتحت الفرصة لتدمير العراق.
وخضت بالعراق حرب الحصار المدمر فاستكملت تدمير الاقتصاد العراقي ورهنت النفط لعشرات السنين.
واليوم، تريد خوض حرب جديدة ضد اعتى قوى التكنولوجيا، منطلقاً من اسوأ وأغبى تقدير استراتيجي للموقف.
لسنا ايها القائد المهزوم بصدد تعداد هزائمك وجرائمك لانها معروفة لك ولنا، ولكن آن الاوان لهذه الرسالة، رغم اني لم اعتد توجيه شيء اليك، منذ مغادرتي العراق، لأنك دائماً تقرأ الاشياء بما يعاكسها (بالمقلوب).
نحن لسنا خونة، ولذلك عارضناك. وانما الخائن هو الذي دمر بلده تحت وطأة الضربات وشدة الحصار، واتاحة الفرصة لظهور تيارات شر ما كان لها ان تظهر لولاك.
اما المجد، فانه محفور في تاريخ العراق منذ آلاف السنين، ولسنا بحاجة لمجدك ياصدام، وكفانا شرفاً وقوفنا في وجهك ومحافظتنا على استقلاليتنا العراقية امام التيارات الدولية الجارفة واغراءاتها، وامام الذين يبيتون الشر للعراق من أيّ صنف كانوا.

▫▫مهزوم في الحرب . .
وفي التراجع

والآن، وانك تصر على دخول الحرب فليس بخاف عنك، ان العراقيين ليسوا بجازعين منها، بل هم يريدونها ان كانت تستهدف رأسك، واظنها كذلك، رغم الادعاءات الدبلوماسية وتحوطات الفشل المحتمل. فهل ستتراجع بذريعة "نصيحة اصدقاء السوء"، وحجة المحافظة على شعب العراق، وهي كلمة حق يراد بها باطل؟

ام ستبقى مصراً مخدوعاً بموقف عربي غالبه منافق، وجله عاجز عن تحريك ساكن او تسكين متحرك؟

وعلى اية حال: فان الموقف الآن خطير جداً، والشعب يتمنى رؤية نهايتك ولو على اشلاء الضحايا، فهل ستتراجع؟

اذا حاربت فانك مهزوم لا محالة!، واذا تراجعت فانك مهزوم ايضاً، وستبقى تجر وراءك ذيول العار والهزيمة، ثم انهم سيفرضون عليك عقوبات جديدة لا تطاق، منها ما هو مؤذ لنا (وهذا يروق لك)، ومنها ماهو مؤذ لك (وهذا مايروق لنا).

▫▫ الخيارات امامك

ان امامك فرصاً مناسبة تتمثل في ما يلي:

- المبادرة بانهاء حياتك فتعاقب نفسك بنفسك وسيحافظ الشعب على الحريم والاطفال من اهلك.
- طلب اللجوء الى احدى الدول العربية التي تذرف حكوماتها عليك دموع التماسيح.
- ان تذهب صوب الحدود السورية من دون سابق انذار وتواصل الطريق نحو دمشق، وهناك تتنازل عن رئاسة الحزب والدولة الى عدوك التاريخي الرئيس الاسد، فتختم هزائمك.
- ان تطلب من الملك حسين ادارة البلاد لمرحلة انتقالية يختار فيها الشعب ما يريد.

- واخيراً، وهو الافضل، ان تسلم الحكم لمجموعة من قادة الجيش وتنقل نفسك الى العالم الآخر، وهذا اشرف وافضل الحلول لك والاضمن للعراق من صراعات الشر، فتتخلص من ثقل عار الهزيمة في الدنيا.. ولكنه سيلاحقك نحو الآخرة.

انك تجر العراق صوب حرب سيلعنك عليها الله والتاريخ والناس اجمعون، فاذكر الله في آخر محياك وتذكر قول الاعرابي:

اتذكر إذ لحافك جلد شاة

وإذ نعلاك من جلد البعير

وقد اخترت لك هذا البيت لعلك تتذكر حذاءك الممزق يوم جئتِ الى القلعة متوسطاً قتيلك عبد الخالق السامرائي عضو القيادة القومية للحزب لتوفير فرصة عمل لك في سد سامراء.

تذكر وارحل وجنب البلد كارثة كبرى هي اهون على الشعب من وجودك.

اللواء الركن وفيق السامرائي

٤ /١٩٩٨/٢

ملاحظة:

اخترت بعض الخيارات امام صدام بطريقة متعمدة لاشعاره بحجم الهزائم التي مني بها، وخصوصاً ما يتعلق بتسليم الأمور الى من هم من أعدائه.

مقابلـة مـع مجلة المشاهد

بتاريخ ١٨ شباط - فبراير ١٩٩٨ أجرت مجلة المشاهد السياسي مقابلة هاتفية مع اللواء الركن وفيق السامرائي نشرتها في عددها المرقم ١٠٢ من ٢٢-٢٨ فبراير- شباط ١٩٩٨.

(١) كيف ترى المخرج من المواجهة المستمرة بين اميركا والعراق؟ وماذا سيحقق القصف الجوي المكثف؟

اللواء الركن وفيق السامرائي: المخرج هو بسقوط صدام اولاً. اما نتيجة القصف الجوي فاذا استهدف القصور الجمهورية والاذاعة والتلفزيون وقيادة الاتصالات وبعض المفاصل المهمة واستمر لمدة تزيد على العشرة ايام مع رسالة واضحة من بريطانيا واميركا الى الشعب والقوات المسلحة العراقية، فان هذا سيعطي فرصة مناسبة لتحرك عسكري لاسقاط صدام.

(٢) التغيير في العراق . . تطرح عدة خيارات معروفة حوله منها اغتيال الرئيس العراقي، كيف يمكن تغيير النظام العراقي من الخارج بعد ان ذكرت الـ "واشنطن بوست" ان اميركا انفقت ٢٠٠ مليون دولار من اجل هذا الهدف وفشلت؟

وفيق السامرائي: اعتقد ان عُشر هذا المبلغ كاف لاسقاط صدام، ولكنهم انفقوا هذا المبلغ بطريقة غير صحيحة. التغيير من الخارج غير وارد ولكن التغيير يتم من الداخل بالتنسيق مع الخارج ايضاً. واذا انفقت اميركا الـ ٢٠٠ مليون دولار

فنحن لم نأخذ "مصاري" منهم ولم نستلم أي اموال أو فلساً واحداً من الاميركيين مطلقاً حتى هذه اللحظة. تحدثنا معهم ولكن لسنا مرتبطين بأحد. الاموال هذه كافية جداً لاسقاط صدام لو اعطيت لبرنامج حقيقي لاسقاطه.

(٣) من يخلف الرئيس صدام حسين؟

وفيق السامرائي: اعتقد ان قتل صدام سيؤدي الى قيام مجموعة من العسكريين بالاستيلاء على السلطة. ولا اقول مجموعة من الطبقة الحاكمة لأن هناك شخصاً واحداً يحكم العراق وهو صدام. وكنت انا من طبقة العسكريين وليس من طبقته. وعملنا في المؤسسة العسكرية، وهذا شيء يشرفنا، ولا نتراجع عنه. واقول ان المؤسسة العسكرية هي التي ستستولي على السلطة في حالة اغتيال صدام. وفي هذه المؤسسة الجميع ليسوا موالين لصدام، والدليل على ذلك انه قتل مئات من القادة الكبار من العسكريين خلال السنوات الثلاثين الماضية.

وأؤيد ان يخلفه في المرحلة الاولى مجلس قيادة مؤقت يضم مجموعة من العسكريين والسياسيين، ولا يعيّن شخص محدد لقيادتهم بل تكون القيادة جماعية سياسية عسكرية من كل العراقيين، واستثني فقط صدام وابناءه واخوانه.

وانا لا اقول اضربوا العراق من على شاشات التلفزيون في الغرب، ولكني اقول: اذا اردتم ان تضربوا فاضربوا صدام ولا تضربوا المنشآت لأنها منشآت الشعب، فاني اطالب بتدمير القصور لأننا لسنا بحاجة اليها، ولكسر نفسية صدام ومعنوياته. فالقصور الرئاسية هي رمز لتحدي الشعب العراقي، ويحاول صدام تحدي الشعب من خلالها، والعراقيون منزعجون منها لانها بنيت على حساب لقمة العيش. نعم نحن مع تدميرها عليه.

ولا أتوقع ان يقتل صاروخ صدام حسين، ولكن اذا ضربوا هذه الاهداف وكانت الرسالة واضحة سيتحرك الجيش العراقي ضد صدام. ان الجيش العراقي ليس صدام، ذلك ان صدام هو الذي أهدر كرامته وألحق به الأذى والخسارة المدمرة. **عام ١٩٩١ ليس عام ١٩٩٨،** والاختلاف هو لصالح الشعب وليس لصالح

صدام. وسيتحرك الجيش كما تفيد المعلومات المتسربة من داخل العراق، اذ سيتحرك القادة اذا وجهت ضربة قوية الى رأس النظام. وقسم من الاخوة لا يزالون يعملون بروح عاطفية. ان صدام مهزوم وليس منتصراً والانتصار الحقيقي هو في بناء البلد.
ونحن لا نعتبر الحاكم رمزاً على الاطلاق، وهذه واحدة من اخطاء العرب الكبرى، فالحكام يجب ان يكونوا خدماً للشعوب ويجب ان يموتوا من اجل شعوبهم لا ان يدمروا الشعوب. واذا لم يخرج صدام من هذه المعركة قتيلاً فسيخرج مقطوع الجناحين. وفي عام ١٩٩١ كنت في الاستخبارات كما تعرف وكان يجتمع بنا كل يوم اكثر من مرة في مقر الاستخبارات السري وكان يتنقل لوحده فقط في السيارة ويأتي الينا لوحده، ولكن كانت هنالك ظروف شاذة، فعملية الانتفاضة كانت خياراتها صعبة وهي ان الوسط كان متحسباً لها بصورة غير طبيعية، أي لم يكن وسط العراق والقوات المسلحة على استعداد لتسليم الحكم الى اتجاهات اعتبرت آنذاك متطرفة. وفي السابق لم يكن قادة الجيش على استعداد لقتل صدام وتسليم الحكم الى تيارات شيعية وكردية لان شكوكاً ساورتهم في أن ذلك سيؤدي الى تدمير المنطقة الوسطى في العراق. وهنالك الآن تفاهم بين اقطاب المعارضة داخل العراق وخارجه من السنة الشيعة والاكراد وكل الإطراف بأنه لا يجوز تجاوز أي طرف على الطرف الآخر، ولديّ رسائل يومية معهم مباشرة، ولدينا علاقة وثيقة ولا اقول اوثق العلاقات.

(٤) برزت نظريات لتقسيم العراق اثناء حرب الخليج الثانية والآن تعود الى السطح مرة اخرى، فهل هذا سيؤدي الى تفتيت دول عديدة في الوطن العربي؟
وفيق السامرائي: هذا السؤال يثير استغرابي، لماذا البلدان العربية تتحسس من وضعها الداخلي؟ يفترض ان على كل دولة من الدول العربية اعادة ترتيب بيتها الداخلي بحيث لايتأثر بالجهات الاخرى. انا لا اعتقد ان العراق سيتقسم واذا كانت هناك فرصة للتقسيم فانها تتمثل باستمرار صدام في الحكم. والعراق الآن ليس

مقسماً ولكنه فاقد لسيادته السياسية. والارادة الدولية للتقسيم غير موجودة ولو وجدت لتقسم العراق فوراً.

(٥) لماذا المعارضة العراقية متشرذمة وفيها اكثر من ١٣٠ اتجاهاً؟

وفيق السامرائي: السبب هو التركيب السكاني داخل العراق، ثم عدم وجود جهة عربية او دولية واحدة مساندة وتعمل على توحيد المعارضة العراقية. لا توجد في الدنيا كلها معارضة قوية من دون اسناد دولي.

(٦) هل يمكن تصور عودة الحكم العراقي الى الساحة العربية ورفع الحصار عنه.. ؟ والسماح للعراق بتطوير نظامه السياسي متعدد الاحزاب كما جرى التخطيط له قبل حرب الخليج الثانية؟

وفيق السامرائي: هنالك بعض الاطراف العربية تطالب بهذا الشيء، ولا اعتقد بوجود مثل هذه الفرصة، والنظام سيتقوض بطلقة واحدة، أي ان اغتيال صدام في يوم من الايام هو حالة محتملة وينتهي النظام برمته. ولا توجد فرصة لعودة النظام الحالي الى الساحة الدولية.. وهذه مجرد اوهام عربية.



أزمة القصور الرئاسية
هل أخطأ الغرب ام لا رغبة لديه في ضرب نظام صدام ؟

****تعتبر ازمة المواقع الرئاسية في العراق التي امتدت لأربعة اشهر، اهم الاحداث التي حصلت بعد اخماد انتفاضة مارس ١٩٩١، بما في ذلك الحشد العسكري الكبير من قبل النظام العراقي في اكتوبر ١٩٩٤، واعادة التهديد باجتياح جديد للكويت وما ترتب على ذلك من حشد واسع وسريع لقوات التدخل السريع الاميركية، استعداداً لتنفيذ ضربة اجهاضية لمنع ومجابهة احتمالات الغزو****

وتأتي اهمية الازمة الاخيرة مما يأتي:

١- حساسية المواقع واهميتها الاستثنائية من الناحية الامنية والنفسية، فمن الناحية التاريخية سيتدون في سجلات التاريخ عملية الاذلال التي قبل الحاكم بموجبها تفتيش قصوره، ومكاتبه الخاصة، وهي حالة لم يحصل ما يماثلها عبر التاريخ، فللمرة الاولى يسمح لمؤسسة دولية (ينسق افرادها تنسيقاً مباشراً مع اطراف دولية ذات علاقة بالصراع)، بدخول كل المواقع ضمن نطاق الدولة بما في ذلك مكاتب اجهزة الأمن والمخابرات والقوات المسلحة. وصولاً الى مكاتب الرئاسة العليا للدولة،.. وتكمن خطورة هذه العملية في انها تستهدف ثلاثة اتجاهات هي:

الاول: البحث عن الاسلحة، وهذا يمكن ان تكون آثاره ومحدودة ومتعلقة بالجانب المعنوي والتاريخي.

الثاني: البحث عن سجلات الافراد المهمين على المستويات الامنية - العسكرية - السياسية (والصناعية وهي العناصر الاكثر خطـورة) واستجوابهم.. الامر الذي يشكل اهانة فظيعة للنظام.

الثالث: البحث عن الوثائق وتدقيقها، وهذا الجانب هو الاخطـر فـي كل عمليات التفتيش على الاطلاق لانه يعطيهم الحق والصلاحيات التامـة فـي تدقيـق وثـائق الرئاسة والاجهزة الخاصة واستنساخها والاحتفاظ بها، ويترتب على هذا الاجـراء احداث اكبر خـرق امنـي علـى مـدى التـاريخ لدولـة مـازالت كياناتها قائمـة، وان الحالة الوحيدة التي يمكن ان تحصل بهذه الشـمولية هـي فقط التـي تحصـل تحـت وطـأة الاجتيـاح والاحتـلال العسـكري حيـث يفقـد الجـانب التـاريخي والنفسـي اعتباراته على الحدث.

كما ان عملية تفتيش الوثائق، اذا ما حصلت بالشكل المطلوب، فسيترتب عليها مـا يأتي:

* كشف دقيق لسياسة وخطط الدولة ونواياها.
* عمليات الخرق الحاد لحقوق الانسان والاعدامات وغيرها في العراق.
* وثائق امن الدولة وعمليات التجسس الخارجي.
* الارتباطات الخارجية الخاصة.
* نهج وسياقات الاعمال الخاصة المتعلقة بالمسائل الاستراتيجية.
* التسليح والتجهيز والتصنيع الحربي وعقود الاسلحة والمعدات الخارجية.
* موازنات وارصدة واموال الدولة وكيفية التصرف بها.
* خطط واساليب الدفاع الاستراتيجي.
* استخدامات الاسلحة الخاصة.

وهذا كله، وغيره الكثير، سيؤدي الى وضع نهاية اكيدة لمظاهر أمن الدولـة، كمـا يشكل نواة حقيقية لبلورة موقف فعال ضد النظام من خـلال ماسيجري اكتشـافه.. ولاشك في ان هذه الغملية تشكل خرقاً فادحاً لسيادة البلد، وسيادة النظـام، ولكنـه

خرق متعارف عليه في مفاهيم الهزائم الاستراتيجية يتحمل مسؤوليته النظام مباشرة.

٢- شعور النظام بالغرور لوجود تعاطف عربي مع الشعب العراقي الامر الذي دفعه للتصلب الذي كاد يقود المنطقة الى الانفجار الكبير.

٣- التصعيد والتعبئة الاعلامية والسياسية على طرفي الازمة الى درجة اصبح فيها العالم كله مشغولاً بأزمة القصور الرئاسية.

٤- الحشد العسكري الواسع بابعاده التكنولوجيه المتطورة والاستعداد للضربة.

٥- تخوف اطراف اقليمية من حصول الضربة لما يمكن ان تحدثه من تأثيرات استراتيجية واسقاط نظام الحكم في العراق.

٦- لكونها جاءت استثناء من الحوادث السابقة بعد ملل الاخرين من لعبة القط والفأر وضرورة وضع حد حقيقي لها، الامر الذي يعطيها جدية حقيقية من ناحية احتمالات الانفجار.

□□ لماذا افتعل النظام الازمة؟

لم تكن الاسباب الامنية والتاريخية وحدها الدافع الحقيقي للنظام لاثارة الازمات والزوابع، فقد اصيب النظام بانتكاسات قاسية جراء اجتياحه الكويت، فترتبت على هذه الانتكاسات عزلة سياسية، وعقوبات اقتصادية، وتدمير فظيع لمصادر القوة والتصنيع الحربي ومعدات القتال، كما حصلت فجوة واسعة جداً في العلاقة بين الشعب والنظام.

وتعتبر العقوبات الاقتصادية الخطر الاكبر الذي يهدد كيان النظام، وما احدثته العقوبات من تدمير لهياكل وفلسفة امن ومستقبل النظام يتعدى التقديرات النظرية والحسابات الرقمية.

ولذلك، فان النظام بأمس الحاجة لمواصلة الاشتباك وخلق الازمات في محاولة لازالة آثار الانتكاسات التي ألحقت به. ومثل هذه الخطوات لا بد ان تجابه بقوة من قبل الطرف المقابل، ولذلك، ففي كل مرة كان النظام يقدم فيها على عمل

معين، يتصدى له الآخرون بقوة تعيده الى نقاط انطلاقه، الامر الذي يضطره لأخذ وقفة تعبوية (مرحلية) ضمن الخط الاستراتيجي العام، وهكذا كانت حوادث وازمات السنوات التي اعقبت عاصفة الصحراء.

وتشمل قائمة اثار الحرب التي يحاول النظام التخلص منها سلسلة من العناصر المخلة بأمن وسيادة ومستقبل الدولة والنظام ومنها:

١- ضرورة التخلص الكلي من العقوبات الاقتصادية.

٢- اعادة فرض سيادة النظام على الاراضي العراقية كاملة.

٣- كسر العزلة السياسية مع العالم.

٤- التصدي لقرارات التعويض عن خسائر الحرب وامتداداتها ومحاولة التنصل منها.

٥- معالجة مواضيع الديون واستحقاقاتها وكيفية اعادة جدولتها واسقاط اجزاء منها.

٦- الدخول في مشكلة الهبوط المتوقع الاضافي في اسعار النفط في حالة بلوغ الطاقة القصوى للانتاج العراقي التي تزيد عن ٣,١٤ ملايين في منظمة الاوبك والدخول بمشاكل جدية من جرائها.

٧- ولا غرابة في ان يطالب بالتعويض عن اضرار الحرب اذا ما توفرت له الظروف المناسبة!.

□□ تحت الخط الساخن

ومن الواضح ان النظام بدأ الازمة الاخيرة منطلقاً من الاعتبارات الامنية .وكذلك الحاجة الحقيقية لاحداث اختراق كبير في طوق العقوبات الاقتصادية، فبادر هو بتقييد حركة المفتشين وعرقلتها. الامر الذي دفعهم للتعجيل بمطالبة فتح القصور والمواقع الرئاسية امامهم، ففجر النظام الازمة منطلقاً نحو اهدافه الاقتصادية، فيما استطاع الطرف المقابل (اميركا وبريطانيا) انتزاع المبادرة وتحويل القضية الى مسألة القصور الرئاسية، الا انه عاد وحقق نجاحاً جزئياً في جعل العقوبات

من صلب الاهتمامات الدولية، لكنه على ما يبدو، اهتمام ما زال في حدود تحت خطوط التأثير الساخن.
كما ان هناك عنصراً أمنياً خطيراً جداً يقع ضمن عمليات تفتيش القصور الرئاسية يتعلق بهاجس النظام وديدنه الامني اذ ان دخول المفتشين الحر وغير المقيد الى المواقع الرئاسية، سيساعدهم على معرفة اماكن وتوقيتات تواجد صدام، وبما ان من بين عناصر لجنة ازالة اسلحة الدمار الشامل من العاملين سابقاً في اجهزة المخابرات الغربية (ان لم يكونوا مستمرين في الخدمة كما يعتقد النظام)، فان الحالة تشكل خرقاً امنياً لا يمكن تحمله لان هذا ربما يتسبب بتوجيه ضربة جوية مفاجئة الى مكان تواجد صدام في الوقت المناسب، ولادراك هذا الهاجس الخطير نعيد الى الذاكرة ما تطرقنا اليه سابقاً من ان حضور صدام الى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة التي كانت فيما مضى تتمتع بأعلى درجات الحصانة الامنية في العالم، كان يترتب عليه منع مغادرة أي من ضباط القيادة المقر، الا بموافقة المرافق الاقدم لصدام وللحالات الاستثنائية فقط، ولحين مغادرة صدام المقر، فكيف سيكون الحال امام حضور المفتشين الى مكاتب صدام مع ما لديهم من اجهزة اتصال عبر الاقمار الصناعية؟!.

◻◻ الاساليب والوسائل المتضادة

اتبع النظام في الازمة الاخيرة سلسلة من الاساليب والوسائل السياسية والعسكرية يمكن اجمالها في ما يأتي:

١- نشر قوات الحرس الجمهوري بطريقة تجنبها ضربة قوية وشاملة.
٢- اتخاذ سلسلة من تدابير الحماية تجاه الغارات الجوية والصاروخية.
٣- محاولة السيطرة على الاعصاب والانفعالات حتى اللحظة الاخيرة.
٤- مواصلة التحرك الدبلوماسي الخارجي وتوخي حلحلة الموقف السياسي مع كل من مصر وسوريا.
٥- اعلان الاستعداد للمجابهة.

٦- اثارة عواطف الشعب العربي في عدة بلدان وقد انقسم المتعاطفون الى قسمين:
قسم مع الشعب العراقي، وهو توجه عاطفي عفوي وعقلاني، والقسم الآخر من جراء الدفع المالي لبعض مرتزقة النظام.
كما ان القوى الكبرى في العالم اصبحت منقسمة على نفسها فوجدت في الازمة الاخيرة ملاذاً للتكتل والتعبير عن حرب باردة بطريقة اخرى اكثر برودة.
اما الطرف الآخر (الانكلواميركي) فقد استهدف التعويل على سياسة الردع من خلال التلويح بالقوة، وتطلب هذا الاسلوب الذي لم يعد النظام بحاجة لاستشراف ابعاده، الى حشد قوة ضاربة واعداد الخطط والاقتراب من ساعة الشروع بالضربة، وفي الوقت نفسه واصل الطرفان الاميركي والبريطاني التعبير عن حرصهما على استنفاد الوسائل الدبلوماسية حتى اللحظة الاخيرة ولم يكن في هذه السياسة من خطأ اذا ما اخذت ردود الافعال الدولية والعربية بشكلها الجدي. ولكنها على أي حال طريقة لا تؤدي الى تحقيق الاهداف المطلوبة!.

▫▫ اسباب عدم حصول الضربة

وامام الضغوط المتعددة، وتماشياً مع الرغبة الفرنسية والروسية، وربما نتيجة لتقدير موقف غير دقيق بني على اساس عدم احتمال تراجع صدام الى نقطة "تقع قريبة" من نقطة الصفر، تقرر ارسال كوفي عنان الى بغداد، ومن غير المنطق الافتراض والقول ان عنان حقق نجاحاً دبلوماسياً فان مثل هذا الانسان البسيط الذي لا يملك قوة الضغط الحقيقية، ماذا يمكن ان يحقق من نتائج امام النظام في بغداد؟!. الا ان النقطة الفاصلة في الامر، ان النظام استغل زيارة عنان وتقديمه مكتسبات نسبية امام خط الابتداء للتراجع الفوري لتفادي الضربة.
وقد عبر طارق عزيز عن ذلك في مقابلة له مع هيئة الاذاعة البريطانية يوم ١٩٩٨/٢/٢٥ بقوله "انهم حشدوا القوة فلم يتراجع العراق وعندما جاء عنان وتحدث بطريقة بناءة حصل الانفراج".

ولا شك في ان هذا كله يعتبر بمثابة تغطية هزيلة. وان الغرب اما ان يكون قد اخطأ في تقدير الموقف (وهو مانتمناه) لأن الخطأ يمكن تداركه في المستقبل، واما انه ليس راغباً في توجيه ضربة قاضية للنظام، ليس حباً بالنظام، بل لاعتبارات تتعلق بشكل آخر من اشكال تقدير الموقف، ويمكن ارجاع احد اهم اسباب التردد في استخدام القوة الى عدم وجود برنامج سياسي محدد لاسقاط النظام، حيث بقي التعامل مع المعارضة في حدود دون المستوى المطلوب لجهة الدعم والمساندة والالتزام السياسي وصولاً الى تكوين هيكل وقتي لمرحلة حساسة.

□□ احتمالات ما بعد الاتفاق

حقق الاتفاق بين الامم المتحدة والنظام في بغداد نتائج لكلا الطرفين ويتوقف تقييم هذه النتائج على مدى التطبيق العملي لاجراءات التفتيش، ويعتبر ارجاء او الغاء العمل العسكري الناتج المادي الوحيد الملموس عن الاتفاق، وما دون هذا الناتج حقق الطرفان الاغراض التالية:

١- تمكنت الامم المتحدة من الحصول على تعهد جديد بتسهيل الدخول الحر وغير المقيد لاعضاء لجنة ازالة أسلحة الدمار الشامل الى كافة المواقع التي يرغبون الدخول اليها.

٢- يراعي المفتشون متطلبات الأمن والسيادة خلال عملياتهم داخل العراق.

ويلاحظ هنا تناقض حاد يمكن ان يؤدي الى تفجير ازمة جديدة اذا ما اراد أي من الطرفين اثارة ازمة، وتبدو هذه الاحتمالات واضحة في تصريحات طارق عزيز يوم ١٩٩٨/٢/٢٥من ان القصور والمواقع الرئاسية خاضعة للتحري/ التقصي عن وجود اسلحة دمار شامل، كتحليل التربة واخذ عينات من اوراق الاشجار.. الخ ولكنها ليست خاضعة للتدقيق والتفتيش الذي يعد بمثابة التجسس لصالح المخابرات المركزية الاميركية تمهيداً لاغتيال صدام.

واذا تمكن النظام من فرض ارادته هذه على طريقة عمل فرق التفتيش فانه سيعد نصرا حقيقياً له وتراجعاً واضحاً عن القرارات الدولية يدل على توجهات غير مناسبة تجاه الشعب العراقي وامن واستقرار المنطقة.

اما اذا اصر المفتشون على تنفيذ مهماتهم الاساسية بالكامل، فان الأزمة ستلوح في الافق القريب حتماً، واذا ما قيدت حركة اللجنة الخاصة، فسيعكس الامر خللاً كبيراً ولن تبقى هنالك ضرورة او مبرر لاجراء تفتيشات في مواقع اخرى اقل اهمية، طالما توفرت الفرص لحفظ الوثائق في اماكن لا يجوز الدخول اليها. كما ان الاتفاق خلق انطباعاً لدى اطراف مختلفة ان الولايات المتحدة لا تريد اسقاط صدام، ولذلك فانها اعطته الفرصة المناسبة للخروج من منطقة القتل التي وضع نفسه فيها، وترك هذا الموقف على ما يبدو اثراً سريعاً محبطاً على سياسة بعض البلدان العربية التي اتخذت خلال فترة الازمة موقفاً مؤيداً للضربة او مبرراً لها بطريقة او باخرى، الامر الذي يفقد الولايات المتحدة حماس حلفائها تدريجياً لأن لا احد مستعد لتعريض مصالحه للخطر سعياً وراء السياسة الاميركية او غيرها، وهذا يشكل نجاحاً وتقدماً لموقف النظام العراقي نحو المستقبل.

وحققت الازمة انفراجاً في العلاقة بين النظام وعدد من البلدان العربية ومنها مصر وسوريا والامارات، وهو انفراج يجب عدم الاستهانة به رغم محدوديته، واهم اسبابه:

١- عدم وجود تحرك جدي ملموس من قبل الاطراف الغربية والعربية لاسقاط صدام، ولذلك فليس من مصلحة الاطراف الثلاثة المشاركة في سياسة غير واضحة.

٢- ضعف المساندة العربية للموقف السوري في الصراع مع اسرائيل، وتوجه عدد من الدول العربية نحو اقامة علاقات مع الدولة العبرية.

٣- حرص وتفضيل القيادة السورية على بقاء قيادة بصبغة قومية في العراق (رغم مشاكلها ومخاطرها) على حصول تبدلات دراماتيكية في البلد المجاور قد تؤدي الى تقسيمه او فرض هيمنة طرف معاد لها في بغداد، والعمل وفق نظرية

البقاء للشعوب، وان مشكلة القيادة تبقى مسألة ظرفية في حساب تاريخ الامم المتحدة والشعوب كما ان الأمر يتعلق بالنظرة السورية لمصالحها.
وتشاطر دولة الامارات العربية المتحدة سوريا في بعض مواقفها وان مانخشاه ان يتحول التعاطف الرسمي والشعبي الاماراتي مع معاناة الشعب العراقي الى نتيجة مؤداها لصالح النظام. الا ان عنصر الثقة سيبقى مستمراً لدينا في ان سوريا والامارات، بقيادتيهما، لن تتفقا مع صدام، الا انهما بحاجة الى ملمس جدي في نوايا الآخرين تجاه مجمل المصالح الاستراتيجية العربية.

◻◻ استحقاقات الاتفاق

ومن المتوقع ان يطالب النظام العراقي الدول العربية الثلاث: سوريا، ومصر والامارات بالانفتاح والتطبيع السياسي، واظنه سينجح في ذلك قريبا، اذا لم تطلق مبادرة اميركية - بريطانية - سعودية - كويتية تعيد التوازن الى الموقف بمراعاة المسؤوليات والمتطلبات السورية، واحداث دفعة في عملية السلام، وعلى اسرائيل ان تفهم ان من مصلحتها العودة الى المفاوضات مع سوريا والاقرار باعادة الاراضي السورية واللبنانية المحتلة مقابل ترتيبات امن عادلة للطرفين.
ومن استحقاقات الاتفاق الذي يمثل تجديداً ان لم يكن تراجعاً عن اتفاق عام ١٩٩١، فان دولاً عديدة ستطالب برفع العقوبات عن النظام باسرع ما يمكن وسيعود الضغط الى هذا الاتجاه وستوضع السياسة الاميركية في زاوية حرجة ان لم تبادر الى اتخاذ موقف تعرضي فعال سياسياً كان ام غيره..

◻◻ القرارت الدولية واسقاط صدام

كان رأينا منذ البداية ان الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا تريدان رؤية العراق من دون صدام، الا انهما تتحركان طبقاً لقرارات الامم المتحدة ووفق استراتيجية خاصة بهما وهي الدائرة المسماة "دائرة القرارات الدولية"، اما المعارضة العراقية فانها تتحرك في "دائرة اسقاط صدام"، ولا شك في ان

الدائرتين تتقاطعان احياناً بشكل ايجابي وتبقى نسبة معينة من القرارات الدولية عناصر مساعدة على طريق اسقاط صدام الا انها ليست كافية لاسقاطه.

ولذلك فان التعويل الكامل على الموقف الدولي لاجراء التغيير يعتبر تعويلاً في غير محله، بقدر ما يمكن الاستفادة منه كعنصر مهم من عناصر الصراع.

كما ان العامل العربي ما زال بعيداً عن المبادرة الا انه عنصر مهم لا بد منه وبخاصة مايتعلق بدول الجوار العربي والدول الاكثر اهتماماً بالمسألة العراقية ومنها دولة الامارات ومصر.

□□ السياسة الاميركية على المحك

ولعلها المرة الاولى التي توضع فيها السياسة الاميركية على المحك بعد عاصفة الصحراء، واذا ماحصرت اهتمامها بتطبيق القرار الخاص بازالة أسلحة الدمار الشامل واهملت الجانب الاكثر خطورة المتمثل ببقاء النظام في الحكم، فستمنى بانتكاسات استراتيجية متتالية قد تجرها الى حروب اوسع انتشاراً اذا ما ارادت المحافظة على دورها كقوة اعظم في العالم او ان تتراجع تراجعاً متعاقباً.

كما ان البلدان المعنية باحداث التغيير في نظام الحكم في العراق لا يجوز لها البقاء بعيداً عن المبادرة، وان التعويل على الدور الاميركي لم يثبت انه كاف لتحقيق الاهداف بقدر ما يمكن اعتباره احد اهم العناصر المساعدة، ولذلك تقع على هذه البلدان، ومنها الكويت على وجه التحديد، مساندة المعارضة (مساندة فعالة)، والا فإن الامور لا تبشر بخير لاسيما ان العراقيين في الخارج عاجزون عن العمل من دون مساعدة دولية بشكل او بآخر.



بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس قيادة الثورة
رقم القرار / ٨٤٠
التاريخ ٩٨٦/١١/٤

قـــــــــــــرار

استنادا" الى احكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين من الدستور قرر مجلس قيادة الثورة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٤/١١/١٩٨٦ ما يلي :ـ

اولا" يعدل نص المادة ٢٢٥ من قانون العقوبات رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩ على الوجـــه الآتي :ـ

المادة ٢٢٥

١. يعاقب بالسجن المؤبد ومصادرة الاموال المنقوله وغير المنقوله من اهان باحـــدى طرق العلانية رئيس الجمهورية او من يقوم مقامه او مجلس قيادة الثورة او حزب البعث العربي الاشتراكي او المجلس الوطني او الحكومـــة .
وتكون العقوبة الاعدام اذا كانت الاهانه او التهجم بشكل سافر وبقصد اثارة الرأي العام ضد السلطة .

٢. ويعـــــــاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات او بالحبس او الغرامة من اهان باحدى طرق العلانية المحاكم او القوات المسلحة او غير ذلك من السلطات العامة او الدوائـــر او المؤسسات الحكومية.

ثانيا" تلغى المادة ٢٢٦ من قانون العقوبـــــــــات

ثالثا" ينفذ هذا القرار من تاريخ نشره في الجريدة الرسمــــــية.

موقع /..
صدام حســــين
رئيس مجلس قيادة الثـــورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الامن العامة
مديرية امن محافظة اربيـــل

رحم الله الشهداء الابـــرار..

د.ق
العدد / ٢٩٩٦
التاريخ ٢٥/١١/١٩٨٦

الى :ـ كافة مديريات الاقسام وشعب المقر ( )
م / تعديل قانـــون

ادناه صورة قرار مجلس قيادة الثورة ٨٤٠ في ٩٨٦/١١/٤ الوارد الينا بموجب كتـــــاب مديرية الامن العامة / الدائرة القانونية ١٢٢٤٠ في ٩٨٦/١١/١٩ لملاحظة ما ورد فيـــه واتخاذ ما يلزم التأشير ذلك لطفــــا".

م/ مدير امن محافظة اربيــــل





المؤلـــــف

* ولد في سامراء عام ١٩٤٧.

* دخل الكلية العسكرية العراقية في ٢٦/١٠/١٩٦٥ وتخرج منها برتبة ملازم في ٦/٣/١٩٦٨ حيث نسب للعمل في وحدات المشاة في المنطقة الشمالية والجبهة العراقية - الايرانية.

* في ٢/١١/١٩٧١ نقل للعمل في الاستخبارات العسكرية وتدرج في مناصبها ضابط قسم في الشؤون الايرانية، مدير شعبة ايران، معاون مدير الاستخبارات لشؤون الاستخبارات عن ايران، مسؤولاً عن جهد الاستخبارات العام، ثم مديراً للاستخبارات العسكرية العامة.

* رقيّ الى رتبة لواء في ٦/١/١٩٩١.

* دخل كلية الاركان العراقية في ٤/٩/١٩٧٥ وتخرج برتبة نقيب ركن في ٧/٤/١٩٧٧.

* حصل على عدة أوسمة وأنواط خلال الحرب العراقية - الايرانية.

* عين رئيساً لمجموعة العمل العسكرية العراقية - الايرانية المشتركة لدراسة ومعالجة القضايا العسكرية بين البلدين بعد انتهاء الحرب.

* شارك في عشرات مؤتمرات التنسيق الاستخباري مع اجهزة الدول العربية وغيرها.

* نسب من قبل رئاسة الجمهورية لادارة التنسيق الاستخباري مع وكالة المخابرات المركزية واستخبارات الدفاع الاميركية.

* شارك في المفاوضات العراقية - الايرانية في جنيف عام ١٩٨٨ - ١٩٨٩.

* عمل حوالي (٨) سنوات في القصر الجمهوري وفي القيادة العامة للقوات المسلحة رئيساً لمجموعة الاستخبارات.

* في ٢٣/١١/١٩٩٤ غادر سامراء الى شمال العراق الواقع خارج سيطرة النظام بعد تعرض حياته للخطر نتيجة توفر معلومات لدى النظام تتهمة بالعمل ضده.

وأعلن عن التحاقة بالمعارضة في ١/١٢/١٩٩٤.

* ألف كتابه الأول حطام البوابة الشرقية.

* ألف هذا الكتاب طريق الجحيم.

* يواصل تأليف كتاب شامل عن اجهزة الأمن والمخابرات يتطرق فيه الى نشاطات وأجهزة عراقية وغير عراقية.

وسيجري التطرق في بعض المواضيع الى مسائل خطيرة لم يكشف عنها حتى الآن.